

# معالم الفتن

نظرات في حركة الإسلام وتاريخ المسلمين  
(الجزء الأول)

تأليف  
سعيد أيوب



## فهرس المطالب

- تصدير - بقلم الدكتور عاطف سلام
- الإهداء
- المقدمة

## النور الذي أضاء

- أولاً - نور في أعماق الوجود
- ثانياً - النور والسحب الداكنة
- ثالثاً - النور وحصار دائرة الوجود
- رابعاً - النور والولاية
- خامساً - النور بين التحذير والتبشير
- سادساً - غروب الشمس والقمر

## الطريق إلى الفتن

- أولاً - الإختيار
- ثانياً - دائرة الوأي
- ثالثاً - التعتم والظهور
- رابعاً - الأواء والفتن

• خامساً - وجاء بنو أمية

وظهر القمر

• أولاً - من معالم الحكومة الدينية

• ثانياً - البغاة والقمر



## تصدير

### بقلم الدكتور عاطف سلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الأطهار الطيبين، وصحابته المنتجبين.

أما بعد فإن الكتاب الذي بين أيدينا يتناول تلك الحقبة التاريخية التي تلت وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وامتدت بعد ذلك إلى عدة عقود، وعلى الرغم من الأهمية البالغة التي تتميز بها تلك الحقبة الحساسة، حيث قد تشكلت فيها الجذور السياسية والاجتماعية والثقافية للمسلمين إلا أنها لم تحظ بالاهتمام المرجو من قبل الباحثين والمفكرين، وأصبح الكثير من المثقفين لا يعرف سوى النزر اليسير عنها، وبالنسبة لبعض الواسات القليلة المتناثرة التي درت حولها فإن أساليب تناول تلك الحقبة قد تعددت واختلفت على نحو لا يروي ظمأ طلاب العلم والحقيقة، ولا يعينهم على استيعابها وإثرائها، فهناك الاتجاه الأدبي الذي تناول تلك الحقبة بشكل ضيق محدود، وسار على منهج مبيع لا يفضي إلى نتائج محددة أو مفاهيم واضحة عنها، وكان يفتقر إلى موزان ثابت منبثق عن الدعوة الإسلامية ذاتها يمكن أن يقاس عليه وقائع تلك الحقبة، ولعل هذا الاتجاه كان

الصفحة 6

يرمي إلى الناحية الأدبية اللغوية فحسب بعيدا عن الرؤى العقائدية، وهناك الاتجاه الصامت المنغلق الذي روى عدم تناول تلك الحقبة بالبحث والرواسة مطلقا، بل وصل الأمر إلى حد التحذير من محاولة فحص وقائعها وأحداثها بحجة أن ذلك قد يقود إلى إساءة الظن ببعض الشخصيات والتجمعات البارزة التي تنتمي إليها، وهناك الاتجاه الممالئ المتملق الذي دأب على مجرد المدح والإطراء، ولم يدخر وسعا في قلب الأمور رأسا على عقب وبتر الحقائق من أجل تصويب وقائع تلك الحقبة ومواقف أصحابها على نحو يصعب تصديقه أو التسليم به بالنسبة للقرئ العادي... إلى غير ذلك من الأساليب والاتجاهات التي كانت غالبا ما تقصر عن الوفاء بأمانة البحث العلمي المحض الذي يؤدي في النهاية إلى توعية القرئ بطبيعة تلك الحقبة، وتوضيح الرؤية حولها، والخلوص بتقييم موضوعي لها، وتحديد علاقتها - ولو إجمالا - بالواقع الحالي.

إن تناول تلك الحقبة بالبحث والرواسة يقودنا - لا محالة - إلى طرح التساؤل الآتي: هل كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يفكر جديا بمستقبل الأمة من بعده، وما الإجراءات التي اتخذها في هذه السبيل؟

إن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يمثل القلب النابض والعقل المفكر لتلك النولة الناهضة، فهل أعد منهاجا واضحا لتشكيل القيادة من بعده، بحيث يكفل ذلك الاستمرارية والاستقرار على النحو الذي ينشده للمسوة التي بدأها؟

وعلى فرض وجود منهج واضح حول القيادة قد حدده الرسول (صلى الله عليه وسلم) فهل قام بتوعية الأمة به؟ وعلى فرض قيامه بذلك، فهل خرج هذا المنهج من بعده إلى حيز التنفيذ بشكل كامل، أم خرج بشكل جزئي، أم لم يخرج

قط نتيجة الظروف والمتغيرات التي طرأت على واقع الأمة إبان وفاته؟

من ناحية أخرى فإن أهمية البحث في تلك الجذور التاريخية وفحص وقائعها البارزة تمكن في انعكاسها بشكل أو بآخر على الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي الذي امتد من خلالها عبر القرون التالية إلى اليوم.

الصفحة 7

إن الدعوة القائلة بأن نغض الطرف عن وقائع تلك الحقبة الهامة، وأن نجعل بيننا وبينها حجابا مستورا لا تخدم الحقيقة، بل لا تخدم الإسلام ذاته، حيث إن واکمات الماضي وتداعياته لا يمكن أن تنفصل عن الواقع الحالي، إن لم تكن قد ساهمت في صياغته إلى حد بعيد.

إننا بحاجة ماسة إلى إلقاء الضوء على تلك الجذور التاريخية من أجل التوصل إلى فهم سليم وموضوعي مبني على أساس علمي لها، واستخلاص العبر والدروس منها، وتحديد نقاط الضعف والقوة فيها بالقدر الذي يعيننا على فهم الحاضر المحيط بنا، ويجعلنا قادرين على رؤية المستقبل بوعي وواقعية، وتحديد ملامحه بعين باصوة غير قاصوة.

إن الكتاب الذي بين أيدينا هو محاولة جادة من المؤلف لتسليط الضوء على تلك الحقبة التاريخية الهامة، ملتوما بقواعد البحث العلمي المتفق عليها، ومتوخيا ذات المقاصد التي أومأنا إليها آنفا، والذي لفت نظري في منهجه أنه اعتمد في رواسته على مصادر الحديث والتاريخ والتراجم المعنوة التي تحظى بثقة أهل العلم والمعرفة قاطبة، كما أنه قام بالربط بين الأحاديث النبوية من جهة والأحداث التاريخية من جهة أخرى، بحيث يصدق بعضها بعضا، وكأن الكتاب قد جاء يحمل بين دفتيه نفسوا نبويا للتاريخ، ولا جرم أن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) قد تركنا على المحجة البيضاء التي ليلها كنهلها، والتي لا يضل عنها إلا هالك، وفي اعتقادي أن ذلك لا يتحقق بوجه كامل إلا من خلال الأحاديث التي تكشف المستقبل، وترصد حركته بعين الوحي فضلا عن الوعي.

ومما يستلفت النظر - أيضا - قيام المؤلف بالفصل بين "تاريخ الإسلام" و "تاريخ المسلمين"، حيث وى أن "تاريخ الإسلام" هو تاريخ الفطرة الأرية التي تمثل رادة الله في الكون، وبالنسبة للبشر فقد بدأ مطلعته بقوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى شهدنا..). وفوق الأرض قام بصنعه الأنبياء والموسلون من لدن آدم إلى الخاتم،

الصفحة 8

والمقصود من ذلك هو أن "التاريخ الإسلامي" يقتصر على مجموعة الأقوال والأفعال والمواقف والأحداث التي يمكن أن تحسب على الإسلام ذاته لكونها تمثل واقعه وحقيقته، ولا يقوم بصنعه سوى الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو من ينوب عنه بتفويض مباشر عنه.

أما بالنسبة ل "تاريخ المسلمين" فهو تدوين لمجموعة الأقوال والأفعال والمواقف والأحداث التي قام بصنعها أولئك الأواد والتجمعات التي أعلنت انتماءها لهذا الدين تعبوا عن أنفسهم وواقع حالهم فحسب، ولا يمكن أن تحسب على الإسلام ذاته

هذه رؤية المؤلف، وهي وجهة نظر جدرة بالبحث والملاحظة، وتدعونا إلى التأمل وإعادة النظر في مدلول كلمة " التريخ " الذي بين أيدينا، فهل هو " تريخ إسلامي " يعبر عن واقع الإسلام وحقيقته وأهدافه، أم هو " تريخ المسلمين " الذي يمثل نول عهم الذاتية ومواقفهم وأهدافهم الخاصة بهم؟  
هذا وبالله التوفيق.  
د. عاطف سلام

الصفحة 9

### الاهداء

.. إلى مصابيح الهدى الذين يقودون الناس إلى صراط الغريز الحميد  
إلى الذين صبروا صبر الأحرار وينتظرون يوم العدل على الظالم  
إلى هؤلاء أهدي هذا الكتاب  
.... أيوب

الصفحة 10

الصفحة 11

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على النبي الأكرم المبعوث بالشريعة الخاتمة وعلى آله ومن تبع هداة إلى يوم الدين وبعد:

على امتداد المسورة البشرية دار الصواع بين الخير الذي تمثله أعلام ومشاعل المثل الأعلى المرفوع وبين الشر الذي يمثله الدخان الكثيف للمثل الأعلى المنخفض. وعلى امتداد هذه المسورة كانت أعلام الأنبياء والوسل عليهم السلام تقيم الحجة على الجميع، وتون تريخ الإسلام الذي لم يحمل هزيمة واحدة منذ نوا الله نرية آدم عليه السلام. وكان هذه التريخ زاد للفظوة في كل زمان ومكان ففيه ترى العلم والهدى والوحمة والسعادة وبه تعبر الحياة الدنيا بسلام إلى الآخرة فتريخ الإسلام هو تريخ الحجة ودعوة الناس إلى صراط الغريز الحميد. وهذا التريخ يمكن أن نوصد بدايته عندما أخذ الله الميثاق من نرية آدم وأشهدهم على أنفسهم \* (ألسن بربكم قالوا بلى) \* ويمكن أن نرى امتداده وشواهدة من خلال مسورة الأنبياء.

وعلى امتداد المسورة البشرية أيضا كان الناس يدونون تريخهم، وهذا التريخ يمكن أن نرى امتداده وشواهدة من خلال حركة الناس على امتداد تريخهم. فمن توافقت حركته مع حركة الوجود فهو عضو في تريخ الإسلام الذي تمثله أعلام المثل الأعلى المرفوع. أما من توافقت حركته مع حركة فقه الاغواء والتزيين والاحتناك والفحشاء والمنكر إلى آخر هذا الشوط الذي

تأنف منه الفطرة فلا يمكن بحال أن يكون عضوا في تزيخ الإسلام وإنما هو عضو في تزيخ الناس

الصفحة 12

الذي يدثره هذا الدخان الكثيف للمثل الأعلى المنخفض. ولا يمكن بحال أن ترى بصمات كفار قوم فوح وهود وصالح ولوط وأصحاب الأيكة على تزيخ السلام وإنما تراها على صفحات تزيخ الناس. ويمكن أن ترى هذه البصمات بوضوح عندما يحدثك تزيخ الإسلام بما حدث لأتباع المثل الأعلى المنخفض على امتداد تزيخهم الأسود وكيف ضوبهم الطوفان والصيحة وكيف نالوا جزاءهم في الدنيا تحت ضربات الماء والهواء والحجارة، ولعذاب الآخرة أشد.

وعلى هذا فالحجة والدعوة أعلام ظاهرة في تزيخ الإسلام، والتدمير أثر ظاهر في تزيخ الناس، وفي هذا وذلك زاد للفتوة على امتداد المسورة. فأصحاب الفتوة السليمة إذا نظروا إلى حركة المسورة البشوية وشاهدوا علامات التزيخ المهزوم كانت هذه المشاهدة حجة بذاتها ودعوة في الوقت نفسه إلى توتيب الأوراق في اتجاه تزيخ السلام الذي تظهر عليه معالم الطهر والنقاء، وهذه المعالم حجة بذاتها على كل إنسان. وسيتبين كل إنسان حقيقة هذا عندما يقف عري المشاعر وعري التزيخ أمام الله الواحد الحق يوم القيامة.

وعلى امتداد التزيخ الإنساني عمل الشيطان من أجل أن يعلم الخلق أن تزيخ الإسلام وتزيخ الناس تزيخ واحد. لأنه تحت هذا القالب تختلط الأمور وعلى امتداده يحقق الشيطان أهداف خطته لإضلال أكثر الناس. وما فقه الاغواء والتزيين إلا خلط على امتداده يكون الضلال والارتياب والحوه.

وفي عصونا الحديث تعالت الأصوات التي ترفع إعلام " لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة " وقامت أجهوة ومؤسسات الصد عن سبيل الله بترقيع التزيخ ليعطي في النهاية صورة أن الناس أوى بمصالحهم. وهذا القول في حد ذاته مضاورة لتزيخ الإسلام لحساب تزيخ الناس.

وفي عصونا الحديث أيضا تعالت أصوات ناس من المسلمين وقالوا: إن الدين منفصل عن الدولة بالفعل على امتداد التزيخ السلامي.

وهنا خلط واضح وتحميل تزيخ السلام ما ليس منه. وتعاليت أصواتهم أكثر فأكثر وقالوا: إن الخلافة على امتداد التزيخ الإسلامي لم تكن أصلا إسلاميا.

الصفحة 13

وإنما مجرد اجتهاد وتطبيق لرضاه المسلمون الأوائل.

وهذا أيضا خلط يهدف إلى إعلاء كلمة المثل الأعلى المنخفض. والذي يدقق النظر في تزيخ السلام عند اللبنة الأولى وي أن الخالفة أصل أصيل في البناء الفطوي، قال تعالى: \* (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) \* (1).

وعلى امتداد تزيخ الإسلام خاطب الله تعالى أنبياءه ورسله فقال لإواهم عليه السلام: \* (إني جاعلك للناس إماما) \* (2).

بل إن نظام الخلافة وي أيضا على المساحات الواسعة، وي على وجه الماضي والحاضر. قال تعالى: \* (واذكروا إذ

(3)

جعلكم خلفاء من بعد قوم فوح) \* .

وقال: \* (وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) \* (4)

وقال \* (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كوفه) \* (5)

فالخلافة في البناء الفطري ترى عند القمة وعند القاعدة. وعلى هذا فإن القول بأن الخلافة ليست أصلاً إسلامياً قول فيه نظر. وهذا القول روج له أعداء الفطوة في عصرنا الحديث عندما بدأت الروح الإسلامية تدب وتوج أجساد وعقول المسلمين وتدعوهم إلى أعلام المثل الأعلى المرتفع. وأشعل أعداء الفطوة النار في كل طيب، وزينوا كل خبيث ليصدوا عن سبيل الله. وتوج الوعد الهندي سلمان رشدي وغيره هذه الأعمال بروايات وأقوال الهدف منها النيل من أعلام تليخ الإسلام لحساب الأطروحة الغربية التي تعمل من أجل توثيق الفطوة.

(1) سورة البقرة: الآية 30.

(2) سورة البقرة: الآية 124.

(3) سورة الأعراف: الآية 69.

(4) سورة يونس: الآية 73.

(5) سورة فاطر: الآية 39.

الصفحة 14

ونحن في كتابنا هذا سنعرض أطروحات الإسلام التي جاء بها النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم في ما يتعلق بمستقبل الأمة وديورها الرسالي الذي عهد به إليها وموقف الأمة من تلك الأطروحات النبوية. وسنعرض تجربة الأمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وما تمخض عنها من نتائج امتدت عبر القرون إلى اليوم.

وسنبين مدى ملائمة ذلك مع أطروحات الرسول صلى الله عليه وسلم التي تمثل المنهج الإسلامي الأصيل. وسنقيم تلك التجربة التي تحرك فيها لا مسلمون بشكل موضوعي للخروج منا بالعبر والدروس التي تعيننا على تمييز الحق من الباطل والعودة تلة أخرى إلى ذات المنهج الإسلامي الذي رسمه النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم.

ومنهجنا في البحث يقوم على تحديد المشكلات واستبعاد الزائف منها بعد قاءة نقدية ومتفحصة وتقييمية. مع الوضع في الاعتبار أن جانب كبير من التراث صنعته أفاد، وهذا الجانب تداخل مع تليخ السلام كما ذكرنا. وعلى هذا فتليخ المسلمين عندي قابل للنقد كما أنه معوض أحياناً للوفض إذا تعرض مع القوان والسنة الصحيحة. وقاءتي للأحداث كان الهدف منها تقديم تليخ شامل. بمعنى تليخ تجتمع فيه جميع الخيوط، وهذه القواءة التي تملرس النقد وفقاً للكتاب والسنة تنظر إلى التراث على أنه نقطة بداية. فالبدائيات دائماً ترى عليه وجه النهايات. وعلى هذا فإن الأمور إذا اشتبهت اعتبر بأخوها أولها. أي يقاس أخوها على أولها فحسب البدائيات تكون النهايات. هذا ولقد آثرت في هذا البحث الطريقة السودية التي تعتمد على آيات القوان الكريم والحديث الشريف والرواية التليخية. هذا وبالله التوفيق.



## النور الذي أضاء

## أولا - نور في أعماق الوجود

### 1 - المنابع:

إن جميع موجودات العالم ما نر وما لا نرى ما نعلم وما لا نعلم، تنتهي في وجودها وأثرها إلى الله الواحد الأحد عز وجل، ولأنها منها وإليه، فلا يمكن لأي موجود في الوجود من الواد من ملكه جل أنه، ولأن جميع الموجودات في هذا العالم حياتها وقدرتها وعلمها متصل بالله تعالى، فلا يمكن لموجود مهما كان قوه وعلمه من الوار من الله الذي يملك كل شئ، فقد خلق سبحانه الخلق لهدف من ورائه حكمة، وأوجب سبحانه على نفسه فتح الطريق لعبادة وهداية عباده إليه قبل أن يخطوا فيه خطوة واحدة.

فكما أن حبة القمح توضع في الأرض فتتشق للنمو قاصدة في نموها اتجاهها واحدة لتكون شجرة كاملة عليها سنابلها، وكما أن نطفة الحيوان تعرف طريقها فتتوجه إلى اتجاه واحد ينتهي بها إلى إيجاد النوع، فكذلك الإنسان من أول بداية التكوين يتجه في طريق نحو غاية واحدة على امتدادها يكبح حتى يلاقي ربه، والعبودية هي الغرض الإلهي من خلق الإنسان، وحقيقة العبادة أن يضع الإنسان نفسه في مقام الذلة والعبودية، ويوجه وجهه إلى مقام ربه، طاهر النفس عن الكفر بعوائبه، وعن الاتصاف بالفسق كما قال تعالى: (لا يرضى لعباده الكفر) <sup>(1)</sup>.  
وقوله تعالى: (فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) <sup>(2)</sup>.

(1) سورة الزمر: الآية 7.

(2) سورة التوبة: الآية 98.

والعبودية إذا تمكنت من نفس العبد رأى ما يقع عليه بصره وتبلغه بصيرته مملوكا لله، خاضعا لأمره، ووجد أن كل ما آتاه الله فهو من فضله سبحانه، وما منعه فإنما منعه عن حكمة، وعلم أن هناك غاية مقصودة من خلق العالم ستظهر بعد فناء العالم. وطريق العبودية فتحه الله وهدى عباده إليه، واللينة الأولى في هذا الطريق هي الفطرة، أودع فيها سبحانه ميثاق الربوبية الذي شهد به الإنسان عند العتبة الأولى في طريق العبودية، قال تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم ألتست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) <sup>(1)</sup>.

لقد أخذ جل شأنه الميثاق - ف موطن قبل الدنيا - من عباده في عالم الذر (ألست بربكم؟) خطاب حقيقي وتكليم إلهي، (قالوا بلى شهدنا) إنهم يفهمون مما يشاهدون، إن الله سبحانه يريد منهم الاعتراف وإعطاء الموثق، فشهد كل إنسان على نفسه، ولم يعد لأحد منهم حجة على الله يوم القيامة، ليقول أنه كان غافلا في الدنيا عن ربوبيته تعالى، ولا تكليف على غافل ولا مؤاخذاً.

وكما هدى الفطرة إلى معرفته تعالى، ألهم النفس الإنسانية التجنب عن الفجور والورع عن محرم الله، فجعل نهيه سبحانه عن فعل حجاب مضروب، فإذا اقترب الإنسان المنهي عنه يكون قد شق الستر المضروب وخرق الحجاب. قال تعالى: (ونفس وما سواها \* فألهمها فجورها وتقواها \* قد أفلح من زكاها \* وقد خاب من دساها) (2).

إن النفس ملهمة كي تميز بين الفجور والتقوى. ووضع لبنة التقوى فيها. توكية وإنماء وترويد لها بما يمدّها في بقائها على طريق غايتها، قال تعالى (وترووا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا

(1) سورة الأعراف: الآية 172.

(2) سورة الشمس: الآية 7 - 10.

الصفحة 19

(1) أولي الألباب

وكما أقام سبحانه الحجة على الإنسان في عجينته الداخلية أقام عليه الحجة في عالم الحياة الدنيا، عالم المشاهدة المنظور، فجهز بدن الإنسان بما يبصر به، وما يستعين به على الكلام. فإذا نظر، أو تكلم واستقام نظره وكلامه مع المخزون الفطري، ومخزون التقوى، تقدم في طريق الخير. قال تعالى: (ألم نجعل له عينين \* ولسانا وشفقتين \* وهديناه النجدين) (2).

والمراد بالنجدين طريقا الخير والشر. أي علمناه طريق الخير وطريق الشر بإلهام منا. فهو يعرف الخير من الشر.

والإنسان مخير في أي الطريقتين يسلك. قال تعالى: (إننا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً \* إننا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً) (3).

لقد زود تعالى الإنسان داخلياً وخرجياً بالوقود الذي يؤدي إلى الفوز. ورأه السبيل المؤدي إلى الغاية المطلوبة. وعلمه

بواسطة الأنبياء والرسول عليهم السلام أن سلوك هذا السبيل ينتهي بالإنسان إلى سعادته في الدنيا والآخرة. وأخوه أن الشكر

لهذه الهداية الإلهية إنما يكون بوضع النعمة في محلها، واستعمال هذه النعمة على أساس أنها من المنعم الحق.

لقد أقام سبحانه الحجة على جميع خلقه، وقد قضى الله أن الإنسان راجع إليه. وسيسأل الإنسان عن عمله، أشكر النعمة أم

كفر بها؟

والنعم تبدأ من الفطرة ولا تنتهي لأنها لا تحصى ولا تعد.

وأمام الله قاصم الجبرلين سيق الإنسان علياً من كل شيء. علي النفس، علي المشاعر، علي التاريخ (وأن ليس

للإنسان إلا ما سعى \* وأن سعيه

(1) سورة البقرة: الآية 197.

(2) سورة البلد: الآية 8 - 10.

(3) سورة الإنسان: الآية 3 - 4.

الصفحة 20

سوف يرى\* (1) وأمام الله قاصم المستكبرين سيقف الإنسان المحاصر بحجج الله، لتشهد كل حجة عليه، فلا يجد ملجأ يذهب إليه\* (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون)\* (2). إن ينوع دين الله فطرة الإنسان نفسه. والفطرة تصوح أن الإنسان لم يكن له إلا أن يخضع لله تعالى خضوع عبادة، خضوع الضعيف للقوي، ومطوعة العاجز للقادر، وتسليم الصغير للحقير للعظيم الكبير الذي لا يماثله شيء في وجوده، الغرير الذي لا يغلبه شيء وغره ذليل.

## 2 - نظرات على طريق الابتلاء:

إن عبور الحياة الدنيا إلى الآخرة تعلق جسوره مظلات الابتلاء والفتن.

فالامتحان ناموس إلهي على امتداد هذه الجسور، وهذا الامتحان لا يستثني منه المؤمن والكافر والمحسن والمسيء. وامتحان الله يكون لإظهار صلاحية الإنسان الباطنية من حيث استحقاق الثواب والعقاب. ويكشف به تعالى للمؤمنين حال المنافقين وهم يعبرون جسر الحياة إلى الآخرة. كما إنه يقوي الإنسان المؤمن لاجتياز هذا الجسر. وكما يمتحن الله الفؤد يمتحن سبحانه الأمة قال تعالى (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم في ما آتاكم) (3).

إن الله لو شاء لجعل الناس أمة واحدة لها شريعة واحدة. ولكنه تعالى جعل للناس شرائع مختلفة، ليمتحنهم فيما آتاه من النعم المختلفة التي لا تحصى ولا تعد. فاختلف النعم يستدعي اختلاف الامتحان (4). وعلى امتداد هذا الامتحان الذي هو في الوقت نفسه امتداد الحياة الدنيا، يموت الفؤد ويأتي الآخر، وتموت

(1) سورة النجم: الآية 39 و 40.

(2) سورة فصلت: الآية 21.

(3) سورة المائدة: الآية 48.

ب (4) الميزان: 353 / 5.

الصفحة 21

الأمة وتأتي الأخرى قال تعالى: (لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) (1).

إن الأجل في هذه الآية أضيف إلى الأمة، إلى الوجود المجموعي للناس، لا إلى هذا الفؤد بالذات. إن هناك أجل آخر وميقات آخر للوجود الاجتماعي للمؤلاء الأؤواد، للأمة بوصفها مجتمعا ينشئ ما بين أؤواده العلاقات والصلات القائمة على

أساس مجموعة من الأفكار والمبادئ. هذا المجتمع الذي يعبر عنه القرآن بالأمة له أجل، وله موت، له حياة، له حركة، وكما أن الفرد يتحرك فيكون حيا ثم يموت، كذلك الأمة تكون حية ثم تموت. وكما أن موت الفرد يخضع لأجل ولقانون ولناموس كذلك الأمم أيضا، لها آجالها المضبوطة (2) (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم \* ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) (3).

إن الأمم تموت، وتأتي أمم أخرى. أعلام تسقط وأعلام ترفع. وعلى امتداد الرحلة يكون في السلف عوة للخلف، ويكون في الماضي زاد للحاضر يبصر به الطريق الواضح إلى المستقبل. والقرآن الكريم حث الإنسان كي ينظر إلى الخلف حيث ساحة الاعتبار. ليكون الاعتبار له زاد، قال تعالى: (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مطورا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قونا آخرين) \* (4). لقد أهلكوا وسبب الهلاك الذنوب، وفي هذا دلالة على أن للسيئات والذنوب دخلا في البلايا والمحن العامة، كما أن الحسنات والطاعات لها دخل في إفاضة النعم ونزول البركات. وقال تعالى: (وكم أهلكنا من قرية بطوت

(1) سورة يونس: الآية 49.

(2) (المدرسة القرآنية / باقر الصدر: 56.

(3) سورة الحجر: الآية 4 - 5.

(4) سورة الأنعام: الآية 6.

الصفحة 22

معيشتها) \* (1) أي طغت في معيشتها وقال تعالى: \* (وما كنا مهلكي القوى إلا وأهلها ظالمون) \* (2).

إن الماضي حجة على الحاضر والحاضر حجة على المستقبل. ولا يسمع الصم الدعاء. إن الأمة تأتي لينظر إليهم كيف يعملون. ورسل الله عليهم السلام حثوا أقوامهم وذكرهم بمن سبق كي يبصروا وقع أقدامهم وهم يعبرون الجسر إلى الآخرة.

فهذا هود عليه السلام يقول لقومه: (واذكروا إذا جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) (3).

وهذا صالح عليه السلام يقول لقومه: (واذكروا إذا جعلكم خلفاء من بعد عاد) (4).

والنظر إلى الخلف لا يعني التغني بوثنية من سبقونا، إنما البحث في عوامل انهيلهم كي يتجنب الحاضر ما وقع فيه الماضي. فلعل الماضي يكون قد ركس في فتنة. فإذا لم يتبين الحاضر خيوطها وسار على موالهم، كان في حقيقة الأمر امتدادا للفتنة وإن لم يشرك فيها. وكما أن في الماضي زادا للحاضر يعبر به جسور الحياة. فإن الحاضر وهو تحت الامتحان عوة للمستقبل. فهذا موسى عليه السلام يقول لقومه: (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) (5). لقد ذهبت أمة، وجاءت أخرى ليحري عليها الاختبار الذي يكون زادا للمستقبل. وأمة محمد صلى الله عليه وسلم آخر الأمم. يخاطبها سبحانه فيقول: (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءت رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم

المجرمين \* ثم جعلناكم خلائف في الأرض من

(1) سورة القصص: الآية 58.

(2) سورة القصص: الآية 59.

(3) سورة الأعراف: الآية 69.

(4) سورة الأعراف: الآية 74.

(5) سورة الأعراف: الآية 129.

الصفحة 23

(1) بعدهم لننظر كيف تعملون .

إن المسورة ساؤة، تدؤها الحجة من كل مكان. وكل خطوة وكل همسة محسوبة ومكتوبة. يقول تعالى: (إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثرهم وكل شئ أحصيناه في إمام مبين) (2) .

### 3 - برنامج الشيطان:

ذكرنا أن الامتحان سنة إلهي. ولقد سمى الله تعالى هذا الامتحان في كتابه:

بلاء وابتلاء وفتنة. فقال جل شأنه: (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) (3) ، وقال: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) (4) ، وقال:

(ونبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) (5) ، وقال:

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (6) . إن الأرض مساحة للامتحان. والإنسان عليها يمتحن بكل جزء من أجزاء العالم، وكل حالة من حالاته التي لها صلة به.

والشيطان الرجيم، لما لعنه الله وطوده نظير معصيته. أخذ على عاتقه إغواء أكثر الناس، فتسلل بإغوائه إلى كل مجال يختبر فيه الإنسان من الله، فإذا كان سبحانه قد جعل ما على الأرض زينة، فإن الشيطان التف حول هذه الزينة بؤينة أخرى كاذبة. وإذا كان الله تعالى قد ابتلى عباده بالشر والخير، فإن الشيطان التف حول الشر لؤينه، وحول الخير لؤهد الناس فيه، وإذا كان مجال الاختبار ليعلم سبحانه المجاهدين والصابرين، تسلل الشيطان إلى هذه المساحة، ليكون أكثر

(1) سورة يونس: الآية 13 - 14.

(2) سورة ياسين: الآية 12.

(3) سورة الكهف: الآية 7.

(4) سورة الأنبياء: الآية 35.

(5) سورة محمد: الآية 31.

(6) سورة آل عمران: الآية 142.

الناس في ضلال مبين. وهكذا تسلل الطريد إلى مائدة الامتحان. مهمته أن يدعو فقط إلى الضلال وقدزينه، وهو يدعو فقط لأنه لا يستطيع أن يجبر الناس على معصيته، ولما كانت حركة الشيطان على الأرض هكذا، فإن تسليط بعض من الضوء على البداية، قد يفيد لمعرفة منهجه في الاغواء والتربيع.

خلق الله تعالى آدم عليه السلام، وأمر بالسجود له، فسجد الملائكة، وكان إبليس من الجن وداخل فيهم، فأبى أن يسجد فخاطبه تعالى: (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين) <sup>(1)</sup> فجاء الورد الذي تحوي كلماته على منهج الشيطان الكامل (قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) <sup>(2)</sup> ، لقد أكله الحسد وهو الذي شاهد المقدمة حيث التاب والطين والصلصال. وعندما عين العلم والحركة والحياة كنتيجة للمقدمة، دفعه الحسد إلى المقدمة حيث الحمأ المسنون متعاميا عن النتيجة استكبرا عليها. إنه الصغار والجمود بعينه، ودعوة أولى لرفض النظر في آيات الله. وفي اعتراض الشيطان تلويح، بأن الأمر الإلهي إنما يطاع إذا كان حقا والأمر بالسجود لآدم ليس حقا. والمتدبر في آيات الله، يجد أن الشيطان قبل رفضه السجود لآدم، كانت حجة الله قد دثوته. وهذه الحجة أن الله تعالى أمره فيمن أمر بالسجود، فالأمر حجة بذاته. وخروج الشيطان عنه هو خروج باختيار وليس عن جبر. كما يجد المتدبر أيضا أن في ربود الشيطان على الله تعالى، لم تكن ربودا جوفاء، وإنما تحمل منهاجا كاملا في الضلال وهذا المنهج له مهمة واحدة، هي الصد عن العبادة الحق.

ومن أجل هذا اعتمد المنهج على عمود يفصل أنبياء الله ورسله عليهم السلام عن أبناء آدم فلا يصل إليهم الهدى. وعمود يعمل على الصراط المستقيم من أجل إعاقة الطويق أمام الفطرة حتى لا تصل إلى غايتها الحق. وعمود يعمل على لرساء قواعد الشنوذ ومهمته تصفية كل ما هو ظاهر على امتداد المسورة البشوية بعدرحيل

(1) سورة ص: الآية 75.

(2) سورة ص: الآية 76.

الأنبياء والوسل. ودق أوتاد الشنوذ واعتبار الخرج عنها خرج على القانون. باختصار يعتبر برنامج الشيطان قاعدة أساسية ينطلق منها قطاع الطرق على امتداد التاريخ.

### أولا - قطع الطريق على الأنبياء والوسل عليهم السلام:

أخبر الله تعالى بأنه عندما أمر الملائكة بالسجود قال إبليس (أنا خير منه) <sup>(1)</sup> وقال (لم أكن لأسجد لبشر خلقتني من صلصال..). <sup>(2)</sup> فالرفض يحمل في أعماقه الحسد والكبر. وفي نفس الوقت يحوي على أطروحة كاملة لتحقير الجنس البشوي. وهذا الرفض وهذه الأطروحة، شكلا في الحقيقة فقها كاملا للشيطان نسميه " فقه التحقير " وهذا الفقه ملرس عمله ضد الأنبياء والوسل من آدم إلى محمد عليهما السلام. وإذا كان مؤسس الفقه، رفض أمر الله بالسجود لآدم في بداية الخلق، فإنه على امتداد

المسوة البشوية وضع العقبات أمام أمر الله الذي يحمله الأنبياء والرسول للسجود لله تعالى. والعقبات التي وضعها الشيطان من أجل الوصول إلى هدفه، كان عمودها الفقوي تحقير الأنبياء والرسول، على اعتبار أنهم بشر وليسوا ملائكة. وإذا كان الشيطان في البداية قد قال: (لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال) <sup>(3)</sup> فإن حملة فقهه على امتداد التاريخ الإنساني وقوا من دعوة الأنبياء في خنادق الحسد والكبر، رافعين راية التحقير للبشر الذي خلقه الله من طين، نسوا الله فأنساهم أنفسهم. \* (قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) \* <sup>(4)</sup> . فماذا كان رد جحافل الظلام على امتداد التاريخ الإنساني. يقول تعالى: \* (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أتول الله على بشر من شيء) \* <sup>(5)</sup> وقال تعالى: (قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أتول الرحمن

(1) سورة الأعراف: الآية 12.

(2) سورة الحجر: الآية 33.

(3) سورة الحجر: الآية 33.

(4) سورة إبراهيم: الآية 11.

(5) سورة الأنعام: 91.

الصفحة 26

(1) \* (من شيء) ، وقال تعالى: (فقالوا أبشر يهودنا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد) <sup>(2)</sup> ، وقالوا: (ولئن أطعتم بشوا مثلكم إنكم إذا لخاسرون) <sup>(3)</sup> ، ولأنهم يرفعون لافتة التحقير الشيطانية التي ينفذون بنودها بدون تعقل قالوا: (لو شاء ربنا لأتول ملائكة) <sup>(4)</sup> . وقالوا: (ولا أتول عليه ملك) <sup>(5)</sup> ، لقد رفضوا البشر الذي خلقه الله من طين. وكان هذا الرفض مقدمة كبرى للصد عن سبيل الله، قال تعالى: \* (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا ابعث الله بشرا رسولا) \* <sup>(6)</sup> . وعلى هذا الرفض دق الشيطان وتدا شع ثقافة جاء عليها الواعنة والقياطة والأباطرة، الذين ادعوا أن دماء الآلهة تجري في عروقهم. ووفقا لهذا الادعاء الذي ساندته كهنة الاغواء والتزيين، هروا الناس إلى عبادتهم من دون الله، وعلى هذه العبادة شيدت الأصنام، وهتكت الأعواض، وجلدت الشعوب، ورفعت رايات الجبوية والطاغوت واعتبر الخراج عنها خروج على القانون. ولم يقف فقه التحقير عند الأنبياء والرسول عليهم السلام، وإنما ملرس هذا الفقه عمله على امتداد المسوة بعد رحيل كل نبي وكل رسول. فلقد اعتمد الجباوة على حملات التشكيك والتشويش المنظم لوقف مسوة الذين يأمرون بالقسط من الناس. فإذا لم تأت الحملات بالثمار المطلوبة، اعتموا لهم أسلوب اليد الغليظة بالحجر ترة وبالسيف ترة وبقطع الرؤوس والطواف بها ترة أخرى.

**ثانيا - قطع الطريق على الفطرة:**

عندما قال الشيطان أنا خير منه، شمله عقاب الله تعالى: قال تعالى: \* (فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين) \* <sup>(7)</sup> . لقد تولى إلى مقولة

(1) سورة يس: الآية 15.

(2) سورة التغابن: الآية 6.

(3) سورة المؤمنون: الآية 34.

(4) سورة فصلت: الآية 14.

(5) سورة الأنعام: الآية 8.

(6) سورة الإسراء: الآية 94.

(7) سورة الأعراف: الآية 13.

الصفحة 27

الهبوط، ليكون من الصاغرين أهل الهوان. ولم يترك الشيطان مقولة الهبوط دون استغلالها فقال: \* (رب فأنظوني إلى يوم يبعثون) <sup>(1)</sup> لم يقل: رب انظوني إلى يوم يموت آدم، بل ذكر آدم وبنيه. فقال له سبحانه: \* (إنك من المنظرين) \* <sup>(2)</sup>. وفي هذا النص دلالة على أن هناك منظرين غوه، منهم ملائكة ومنهم بشر، أخوت عنهم السنة النبوية الشريفة <sup>(3)</sup>.

وفي مقولة الهبوط صاغ الشيطان فقه الاغواء والتربيب، الذي به يخترق الكيان الإنساني وعليه تتعدد الأهواء \* (قال رب بما أغويتني لأرينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين. \* إلا عبادك منهم المخلصين) <sup>(4)</sup> ، لقد اختار مساحة الزينة والزينة الحق جعلها الله لعباده كي يسوقهم التفكير فيها إلى العبادة الحق. قال تعالى: \* (إننا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) \* <sup>(5)</sup> ، فأقام الشيطان له خيمة في اتجاه هذه الزينة، وهذه الخيمة بثت ثقافة ألوهية الكواكب والنجوم. تلك الألوهية التي اعترض عليها هد هذ كان يحتفظ بفظوته التي فطوه الله عليها. فعند ما ذهب هذا الطائر إلى مملكة سبأ، وجدهم يعبدون الشمس من دون الله، فعلم وهو الطائر أن هناك زينة أخرى غريبة، قد أدخلت على الزينة الحق التي تدعو إلى العبادة الحق.

فقال سليمان عليه السلام وهو يتحدث عن ملكة سبأ \* (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) <sup>(6)</sup> لقد وقعوا على الزينة المحرمة، وهم المجهزون بالفطرة، والفطرة نعمة والاختيار الخطأ يترب على امتداده كوان النعمة. والسنة الإلهية عند كوان النعمة، تسلب نعمة الهداية. وفي عالم اللاهداية تعشق الأسماع والأبصار

(1) سورة الحجر: الآية 36.

(2) سورة الأعراف: الآية 15.

(3) ( أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم. بظهور المهدي وتزول عيسى عليهما السلام.

وبخروج الدجال والسفياي آخر الزمان ومن أراد المزيد فعليه ببحوثنا في المسيح الدجال.

(4) سورة الحجر: الآية 39 - 40.



(5) سورة الصافات: الآية 6.

(6) سورة النمل: الآية 24.

الصفحة 28

والقلوب كل زينة تنتهي بصاحبها إلى الهلاك. تعشق زينة الشهوات والأموال والبنين والمكر والصد عن السبيل. ومع هذا العشق تتحرك جحافل الليل أصحاب فقه الشيطان، ليدافعوا عن زينتهم أمام الذين يتعاملون مع الزينة الحق. على أنها للتفكر وللابتلاء في عالم الإنسان.

(1) وفي الزينة الحق قال تعالى: \* (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) \* . قال المفسرون: إن المال والبنين وإن تعلقت بها القلوب، وتاقت إليها النفوس تتوقع منها الانتفاع وتحقق بها الآمال. إلا أنها زينة سريعة الزوال، لا تنفع الإنسان في كل ما أراد وما يأمله وما يتمناه منها. ولأنها كذلك فلا بد للتعامل معها وفقا لما شوعه الله تعالى، وإذا كانت هذه الزينة زائلة، فإن الأعمال الصالحة هي الباقية. وهي عند الله خيرا ثوابا، لأن الله يجزي الإنسان الذي جاء بها خير الخواء، وخيرا أملا. لأن ما يؤمل بها من رحمة الله وكرامته ميسور للإنسان، فهي أصدق أملا من زينات الدنيا وزخرفها التي لا تفي للإنسان في أكثر ما تعده.

وكما أقام الشيطان له خيمة في اتجاه زينة الكواكب، أقام خيمة في اتجاه زينة الأموال والأولاد، وعلى هذه الزينة قسمت القلوب ووجه أصحابها سهامهم في اتجاه طائفة الأعمال الصالحة التي تدعو إلى الخير والثواب. وجاء طايور طويل يصد بالمال عن سبيل الله كما فعل قرون \* (فجوج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم) \* (2) ، واستمر هذا الطيور يتدفق على صفحة الوجه الإنساني آخذا صورا عديدة في عالم الرشوة وبيوت المال للصد عن سبيل الله. وفي عالم زينة الأولاد قالوا فيما أخبر سبحانه \* (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) \* (3) . وعلى قاعدة الأبناء، جاء الآباء بالأبناء ليركوا على رقبة الشعوب، ليصبح بذلك المستقبل ابنا لشذوذ

(1) سورة الكهف: الآية 46.

(2) سورة القصص: الآية 79.

(3) سورة سبأ: الآية 35.

الصفحة 29

الحاضر والحاضر ابنا لشذوذ الماضي، والجميع يحافظون على سنة الآباء القومية التي أقام الشيطان خيامها، ورفع عليها قانونه الخالد الشاذ الذي وقف حجر عثرة على امتداد دعوة الأنبياء والرسول. لقد قالوا كما أخبر الله تعالى: (قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) \* (1) ، و \* (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) \* (2) ، و \* (قالوا أجنبتنا لتفتتنا عما وجدنا عليه آباءنا) \* (3) ، وقالوا: \* (إننا وجدنا آباءنا على أمة وإننا على آثرهم مهنتون) \* (4) .

إن زينة المال والأولاد التي أضفى عليها الشيطان زخرفه ليتلقفه الغلوون، هذه الزينة المزخرفة أقامت جورا من الأموال

واللحم للصد عن سبيل الله. وهذا الانحراف وغوه، مازال حجر عثرة على طريق الدعوة الحق. فالفطرة التي تحمل كليات الدين، زخرف لصاحبها طريق الانحراف، وزين لهم الباطل والمعاصي، فنسوا الله. ومن ينسى الله ينسيه الله نفسه وتنتهي به خطاه إلى الهلاك. إن حامل الفطرة هداه الله إلى السبيل الحق، وعوفه طريق الحق وطريق الباطل، وله أن يختار. فمن اختار طريق الباطل، أضله الله. ومعنى إضلال الله له، إن الله يقطع عنه الرحمة لانحرافه في الاختيار. ولا يدخل في الرحمة إلا إذا أخذ الخطوة الأولى في اتجاه الاختيار الحق. وجحافل فقه الشيطان، لا يبأسوا من طرح ثقافات وعقائد من شأنها أن تفسد الدين الفطري، لأنه على فساد الدين الفطري يترتب عليه فساد القوة الحسية الداخلية للإنسان، ولا تتعادل فيما بينها. وعلى فساد القوى الحسية، يكون الإنسان مستعدا لتلقي أي إغواء أو تزيين، يشبع أي ملكة من ملكات النفس الجائعة. وعلى أعتاب الكثرة من الذناب الآدمية، يأتي طغيان هذه الكثرة التي لا تتعظ بموقف، ولا تتفاعل مع وجدان. ويترتب على طغيانهم ضعف القوة المخالفة، لذلك كان طريق الدعوة طريقا شاقا على امتداد المسورة البشرية.

(1) سورة البقرة: الآية 170.

(2) سورة المائدة: الآية 104.

(3) سورة يونس: الآية 78.

(4) سورة الزخرف: الآية 22.

الصفحة 30

### ثالثا - قطع الطريق على الدعوة:

بعد أن مرس قطاع الطرق عملهم للصد عن سبيل الله. انقطع الطريق على الوصل والأنبياء والفطرة وفقا لمنهج الشيطان. زى أن هذا المنهج قد قطع الطريق على الدعوة، بمعنى إنه استعمل أدوات يستطيع أن يعرقل بها الطريق أمام السائرين في اتجاه العبادة الحق إلى يوم الوقت المعلوم. وأدوات الشيطان التي استعملها في هذا المجال قام بها المنافقون والذين في قلوبهم مرض وغوهم من الذين يلبسون ملابس الأديان. أي أنه عمل على ضوب الدعوة من داخلها حتى تسير في اتجاه غير اتجاه العبادة الحق. وهذا المخطط أخبرنا الله تعالى به، فبعد أن أنظره الله ليوم يبعثون قال الله جل شأنه \* (فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم \* ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) \* (1)، قال المفسرون: لما أنظر إبليس واستوثق بذلك أخذ في المعاندة والتمرد. قال: لأقعدن لعبادك الذين تخلفهم من نرية هذا على طريق الحق وسبيل النجاة ولأضلنهم عنها لئلا يعبدون ولا يوحدوك (2) وعود الشيطان على الصراط المستقيم، كناية عن الوأمة والتروصد لعابريه ليخرجهم منه.

والجلوس على الصراط المستقيم لا يتحقق الغرض منه إلا بومز من رموز هذا الصراط، بمعنى أنه لكي يصد عن سبيل الله فلا بد من ثقافة يصيد بها الذين يسرون على الصراط المستقيم.

وهذه الثقافة لكي يتحقق الغرض منها لا بد أن يحملها طائفة من السائرين على الصراط المستقيم، فمعهم يكون الضلال أشد.

ويسيرون في الحياة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، بينما هم في الواقع يغيصون في أحوال الذين من قبلهم من الذين غضب الله عليهم ولعنهم. إن قطع الطريق على الدعوة، يتحقق إذا حملها أصحاب اللادعوة واللاهدف، بشرط أن يكون على أصحاب اللادعوة

---

(1) سورة الأعراف: الآية 16 - 17.

(2) تفسير ابن كثير: 2 / 204.



واللاهدف ملابس الدعوة والهدف.

وبعد أن أعلن الشيطان الخط العريض، بأنه سيجلس على الصراط المستقيم. ذلك الصراط الذي يوصل الناس إلى ربهم الحق وينتهي بهم إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة، أخبر سبحانه بأنه قال: \* (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم) \* وفي هذا إيضاح للخط العريض. قال المفسرون: عن مجاهد قال \* (من بين أيديهم) \* يعني من حيث يبصرون، وقيل:

من بين أيديهم أي الدنيا <sup>(1)</sup>. وقيل: أي ما يستقبلهم من الحوادث أيام حياتهم، من الأمور التي تهاها النفوس، وتستلذه الطباع. وكل ما يتعلق بالأمال والأمانى. فيأتيهم ليخوفهم من الفقر إذا هموا لينفقوا في سبيل الله. أو يخوفهم من ذم الناس أو لومهم إذا أمروا بمعروف أو إذا سلكوا سبيل من سبل الخير وعلى هذا جاء فقه التوقع والترقيع والانسحاب، غلافه غلاف الدين ومحتواه لا علاقة له بالدين.

والمراد من خلفهم، قال المفسرون: أي رغبهم في دنياهم <sup>(2)</sup>، وقيل:

أي آتيهم من ناحية الأولاد والأعقاب وذلك لأن الإنسان له فيمن يخلفه من أولاد، آمال وأمانى ومخوف ومكروه. ويخيل للعرض أنه يبقى ببقاء أولاده، ويسوه ما يسوؤهم ويسوؤه ما يسوؤهم، فيجمع لهم المال من حلاله وحرامه، ويفسح لهم الطريق إذا كان ذا جاه وملك ليكونوا امتدادا له بعد وفاته.. وعلى قاعدة الأبناء جاء فقه السلطة الذي يمدح المستقبل لأنه ينتمي إلى حاضر القاضي والجلاد ويمدح الحاضر لأنه ينتمي إلى ماضي القاضي والجلاد إنه عالم \* (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهنتون) \* <sup>(3)</sup>، عالم ينظر إلى المستقبل بعيون الماضي وإن كان أبؤهم في الماضي لا يعقلون شيئا، إنه عالم غلاف فقهه غلاف ديني أما محتواه فهو أقرب إلى المحافظة على الشنوذ.

(1) تفسير ابن كثير: 204 / 2.

(2) تفسير ابن كثير: 204 / 2.

(3) سورة الأخراف: الآية 22.

والمراد بعن أيمنهم وعن شمائلهم، قال المفسرون: عن أيمنهم: أي أشبه عليهم أمر دينهم <sup>(1)</sup>. وقيل: اليمين هو الجانب القوي اليمين من الإنسان، أي الدين. وإتيانه من جانب الدين، أن يزين لهم المبالغة في بعض الأمور الدينية والتكاليف بما لم يأمرهم الله.. وعلى هذا جاء فقه المبالغة والتنتطح والمنوفين، الذين يدعون أنهم يعلمون كل شئ وهم لا يعلمون أي شئ. وعلى أكتافهم تتآكل الشوائع ويواجه الدين، إن غلاف فقه المنوفين والمنتطحين والذين يتخون الرهد والوهبة طويقا ليأكلوا به أموال الناس بالباطل، غلاف يحمل ملامح دينية. أما محتواه فقد خطه أصحاب القضايا الوديئة، التي لا تصلح إلا لعالم اللادعوة واللاهدف \* (عن شمائلهم)، قال المفسرون: اشتهى لهم السيئات والمعاصي. وقيل: عن شمائلهم أي تأصيل الفحشاء والمنكر

والدفاع عن اقتراف الذنوب بجعل الأهواء قانونا لهم.. وأمام هذا الفقه تفهقر اليمين وتقدم الشمال تحت لافتة تنادي بحقوق الإنسان، فالعنوان له ملامح طيبة " حقوق الإنسان " أما المحتوى فلا وجود فيه لإنسان الفطرة، إلا من رحم الله. والمنهج الشيطاني لم يكتف بمحاورة الإنسان من جهاته الأربع، وإنما خطط من أجل أن يجمع أتباعه تحت ثقافة واحدة، هي ثقافة الأهواء رغم تفوق سبلهم، وهذه الثقافة يعرفها الشيطان الرجيم على الجميع. أخبر الله تعالى بأنه قال: \* (رأيتك هذا الذي كومت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتكن نريته إلا قليلا) \* (2). قال المفسرون: يقال، حنك الدابة بحبلها، إذا جعل في حنكها الأسفل حبلا يقودها به. والمعنى: أقسم لئن أخرتني إلى يوم القيامة، وهو مدة مكث بني آدم في الأرض، لألجمن نريته إلا قليلا، أتسلط عليهم تسلط ركب الدابة الملجم لها عليها، يطيعونني فيما أمرهم، ويتوجهون إلى حيث أشير لهم، من غير أي عصيان وجماح. إن الاحتكاك فقه لتنجيم العقول وتكميم الأهواء

(1) تفسير ابن كثير: 204 / 2.

(2) سورة الإسراء: الآية 62.

الصفحة 33

وتعصيب العيون، عن كل حق أو حقيقة. إن الاحتكاك قانون يضوب بسياطه الغوغاء والوعاء والديهماء. وفي عالم الاحتكاك تتلقى الواب أوامر الضلال والأمانى وتغيير خلق الله، بدون اعتراض وبلا أدنى تفكير. قال تعالى وهو يخبر في كتابه عن خطة الشيطان \* (وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا \* ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولأمرنهم فليغيرون خلق الله) \* (1). قال المفسرون: \* (لأضلنهم) \* أي عن طريق الحق، \* (لأمنينهم) \* أي رزين لهم ترك التوبة \* (لأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام) \* يعني بشق آذانها، \* (لأمرنهم فليغيرون خلق الله) \* يعني دين الله (2). والمعنى: أي لأضلنهم بالاشتغال بعبادة غير الله، واقتراف المعاصي، ولأغرینهم بالأمانى التي تصرفهم عن الاشتغال بواجب شأنهم وما يهمهم من أمرهم، ولأمرنهم بشق آذان الأنعام وتحريم ما أحل الله، ولأمرنهم بتغيير خلق الله. وينطبق على مثل الإحصاء وأنواع المثلة والواط والسحاق. وقيل: المراد بتغيير خلق الله، الخروج عن حكم الفطرة، وترك الدين الحنيف. قال تعالى: \* (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) \* (3). والخروج على حكم الفطرة، غير تبديل الفطرة. فالفطرة لا تبدل لأنها حجة بذاتها على الإنسان. وهكذا قطع البرنامج الشيطاني الطريق على الرسل والفطرة والدعوة، والله غالب على أمره. لقد طلب الشيطان الامهال إلى يوم الوقت المعلوم، فأعطاه الله ذلك، وتوعد نرية آدم بالإغواء والتريين والاحتكاك وغير ذلك. ولأن برنامج لا يقصده إلا شر اللواب عنه الله، زاده الله فقال له تعالى: \* (اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزؤكم جزاء موفرا \* واستقرز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشرلكم في الأموال والأولاد وهدمهم وما يعدهم الشيطان

(1) سورة النساء: الآية 118 - 119.

(2) تفسير ابن كثير: 556 / 1.

(3) سورة الروم: الآية 30.

الصفحة 34

إلا غورا \* إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا<sup>(1)</sup>. قال المفسرون: أي استنهض للمعصية من استطعت أن تستنهضه من نوبة آدم بصوتك، وصح عليهم لتسوقهم إلى المعصية بأعوانك وجيوشك، فسانهم ورجالتهم. وشركهم في الأموال فيجمعونها من خبيث وينفقونها في حرام، وشركهم في الأولاد أي يمجسونهم ويهودونهم وينصرونهم ويصبغونهم غير صبغة الإسلام. (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) أخبر سبحانه، بتأييده تعالى عباده المؤمنين وحفظه إياهم وحراسته لهم من الشيطان الرجيم، ولهذا قال (وكفى بربك وكيلًا) أي حافظًا ومؤيدًا ونصيرًا<sup>(2)</sup>.

إن برنامج الشيطان تنسفه العبادة الحق نسفا. فالشيطان لا يستطيع أن يجبر إنسان على معصية، إنه يؤين ويغوي وينادي فقط، والذي يلبي نداءه يكون في الحقيقة قد اختار، ومن اختار طريق الشيطان فهو بعيد عن الله، وبرنامج الشيطان يسير اتباعه عكس اتجاه الفطرة، ولا يقصوا إلا ما خلفه وراء ظهرهم.

والإنسان الذي يسير في غير اتجاه الفطرة، كلما توجه إلى ما راه خرا لنفسه وصلاحا لدينه أو لندياه، لم ينل إلا شوا أو فسادا، وكلما بالغ في التقدم زاد في التأخر، وليس بفالح أبدا. وذلك لأنه مطرد من الله ولا بقاء لشيء يطرده الله إن أتباع برنامج الشيطان لن يهديهم الله، ما داموا يتزودون من زاد برنامج الضلال. (والله لا يهدي القوم الظالمين)<sup>(3)</sup> (والله لا يهدي القوم الفاسقين)<sup>(4)</sup> (والله لا يهدي القوم الكافرين)<sup>(5)</sup> (إن الله لا يهدي من يضل)<sup>(6)</sup> (إن الله لا يهدي من هو مسوف كذاب)<sup>(7)</sup> (إن الله لا يهدي من هو

(1) سورة الإسراء: الآية 63 - 64 - 65.

(2) تفسير ابن كثير: 50 / 3.

(3) سورة التوبة: الآية 19.

(4) سورة المائدة: الآية 108.

(5) سورة البقرة: الآية 264.

(6) سورة النحل: الآية 37.

(7) سورة غافر: الآية 28.

الصفحة 35

(1) \* فهؤلاء جميعا دخلوا باختيلهم إلى دائرة مقفولة على الغلورن.

فمن لم يأخذ بالأسباب وخوج من هذه الدائرة، هلك وخسر الدنيا والآخرة، إن العودة إلى سبيل الفطرة، لا يكون إلا بالاتجاه ولا نحو الفطرة، ثم السير على سبيلها وفقا لما جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم. وعلى الخطوة

الأولى يأتي مدد الله العزيز الحكيم، قال تعالى: \* (إن تتصروا الله ينصوكم ويثبت أقدامكم) \* (2) .

#### 4 - حصار برنامج الشيطان:

لقد عمل الشيطان وقطاع الطرق على امتداد التاريخ الإنساني، من أجل التشكيك في كل رسول ونبى، رافعين في وجوههم أعلام الاستكبار والتحقير.

وعلى امتداد التاريخ لم ينقل إلينا أن هناك نبيا أرسولا قد هزم وإنما نقل إلينا أن الاستكبار هزم في كل مكان وكل زمان، هزم تحت طين الطوفان أيام فوح عليه السلام. وهزم تحت الرياح العاصفة أيام هود عليه السلام. وهزم تحت صاعقة من السماء أيام صالح عليه السلام وهزم تحت قصف الحجرة من السماء أيام لوط عليه السلام. وهزم تحت أمواج البحر المتلاطمة أيام موسى عليه السلام. وما زال يهزم حتى يومنا هذا تحت شهادة الدعوة الخاتمة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم. \* (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) \* (3) .

إن الباطل هو الذي يهزم وفي هزيمته آية لكل من له سمع وبصر وعوة لمن أراد الاعتبار \* (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) \* (4) .

ولقد عمل الشيطان وقطاع الطرق من أجل تدمير الدعوة، ولكن هيهات،

(1) سورة الزمر: الآية 3.

(2) سورة محمد: الآية 7.

(3) سورة غافر: الآية 51.

(4) سورة الأنبياء: الآية 18.

الصفحة 36

منذ آدم عليه السلام وحتى محمد صلى الله عليه وسلم والتوحيد يسوي في الوجود. لقد ذهب الجباوة وأبناء الجباوة الذين ادعوا أن دماء الآلهة تجري في عروقهم، ذهبوا، وذهب من بعدهم الجالون الذين رأوا أن تكون للشنوذ قداسة. ذهبوا وما زالوا يذهبون، ودعوة الحق راسخة في النفوس رسوخ الجبال \* (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) \* هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) \* (1) .

ولقد عمل الشيطان وقطاع الطرق من أجل تدمير الفطرة. والفطرة التي استهدفوها يقروا على تبديلها وفي هذا انتكاس لهم. أما تغيير الطريق الفطوري، فإن الشيطان لم يمكن من إجبار الناس على المعاصي، هو يدعو إليها فقط. وهذا الباب أغلقته حجج الله على عباده في عالم الذر والخلق، وفي عالم المشاهدة المنظور. ولقد جاء رسل الله عليهم السلام بالدين الحق، وللدين طريقة خاصة في الحياة، وبه يميز الناس أي الطرق يسلكون إلى حياة طيبة في الدنيا والآخرة، والدين الصحيح لا يكون إلا بحفظ الصلة بالله تعالى وإخلاص العبادة له. فمن أخلص العبادة لله تكون له حياة طيبة والله تعالى يحيي في الدنيا الذين آمنوا حياة غير الحياة التي يعطيها للآخرين، فحياة المؤمنين والمجرمين وموتهما لا يتساويان. قال تعالى: \* (أم حسب الذين اجترأوا

السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) \* (2) .

ومن أعظم الحجج على الإنسان، أن الله ما ترك دعوة جاء بهارسول من رسله، إلا وأخبر فيها عن مكائد الشيطان، كي يحذر الجنس البشري من عمليات الاغواء والتويين وغير ذلك. أليس في هذا تعوية لبرنامج الشيطان، والرسالة الخاتمة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم، أفاض فيها سبحانه في هذا الجانب، وكشف كل مكر يقوم به الشيطان وأتباعه حتى يوم الوقت المعلوم.

(1) سورة الصف: الآية 8 - 9.

(2) سورة الجبائية: الآية 21.

الصفحة 37

أليس في هذا حجة إضافية على ما عند الإنسان من حجج. إن الأخبار بما مضى حجة دامغة \* (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين \* وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) \* (1) .  
لقد أخبر سبحانه عن أمره ونهيه تعالى فقال: \* (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) \* (2) ، وبين سبحانه أن الشيطان سيعمل على طويق ما نهى الله عنه، فقال إنه (يأمر بالفحشاء والمنكر) \* (3) ولأنه كذلك جاء التحذير من الحوكة الشيطانية فقال سبحانه للنبي صلى الله عليه وسلم \* (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق) \* (4) وقال: \* (لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) \* (5) . إنه الحصار المضروب على برنامج الشيطان، حصار هدفه تحرير الإنسان ووضعه على طويق الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة. والحياة الدنيا لا تسوي ساعة واحدة أمام الحياة الآخرة.

وكما حاصر كتاب الله أعمدة البرنامج الشيطاني، الفحشاء والمنكر، حاصر قطاع الطرق الذين وجوا في الطاغوت ضالتهن. فقال تعالى: \* (والذين كفروا أولئهم الطاغوت) \* (6) وفي مقابل هذه الولاية قال سبحانه:  
\* (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشوى) \* (7) .  
وقال تعالى: \* (إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) (8) ، ثم حذر سبحانه فقال: \* (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا

(1) سورة يس: الآية 60 - 61.

(2) سورة النحل: الآية 90.

(3) سورة النور: الآية 21.

(4) سورة الأعراف: الآية 33.

(5) سورة الأنعام: الآية 151.



( 6 ) سورة البقرة: الآية 257.

( 7 ) سورة الزمر: الآية 17.

( 8 ) سورة الأعراف: الآية: 27.

الصفحة 38

مبيناً) \* (1) ، وقال \* (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) (2) .

وآيات القرآن التي تحاصر الشيطان وحزبه، وتبشر المؤمنين بالفوز، آيات كثيرة. أما من ناحية تمكين الشيطان كي يزين للناس المعاصي، فإن الله تعالى زين الإيمان في قلوب الذين آمنوا. قال تعالى: \* (ولكن الله حبيب الإيمان وزينه في قلوبكم) \* (3) وجعل سبحانه لمن آمن نورا يمشي به في الناس، قال تعالى: \* (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس) (4) . وإذا كان الشيطان قد أمهل حتى يوم الوقت المعلوم، فإن الله أيد الإنسان بتتابع الأنبياء والوسل والأئمة

المهدين والملائكة الباقين ببقاء الدنيا. وهكذا، زينة في مواجهة زينة، وحياة في مواجهة حياة، ومنهج في مواجهة منهج. منهج الله حيث التوحيد، وإعانة الله لعباده، والتسبيح، والتطهير، والحرية، والحلال، والحكمة، والخشوع، والعبادة الحق، والشكر، والشهادة، والخلود. ومنهج الشيطان حيث الاختلاف، والألام، والاستبداد، والاستعباد، والتفاخر، والتكذيب، والجهل، والجريمة، والفحشاء والمنكر، والخرافات، والطاغوت، والضلال، والفسق، والظلم والكفر، والنار.

(1) سورة النساء: الآية 119.

( 2 ) سورة النحل: الآية 99.

( 3 ) سورة الحوات: الآية 7.

( 4 ) سورة الأنعام: الآية 122.

الصفحة 39

## ثانيا: النور والسحب الداكنة

على امتداد المسورة الإنسانية، أقام الله تعالى حجته على خلقه بـرسال الأنبياء والوسل ومعهم الهدى. وعلى امتداد نفس المسورة والشيطان وأوليؤه يعملون من أجل الضلال والنار، وبعد رحيل النبي المؤيد بالوحي، ينشط الشيطان وتلاميذه في العمل على أرضية الصدر الأول في كل رسالة، وذلك لأن هذه التوبة تعتبر مخزنا هاما تستمد منه الأجيال وقودها الذي تتطلق به إلى المستقبل، فالشيطان إذا دق شنودا في الأرضية الأولى، ضمن لهذا الشنود قداسة على امتداد المسورة البشرية. ومن أجل هذا تنتشط حركته على امتداد هذه المساحة، وبالرغم من أن هذه المساحة تكون مشبعة بالعلم، إلا أن الشيطان يواجه هذا العلم دائما بالبغي، وما يلبث الذين يفي قلوبهم مرض أن يهيمنوا ببعيهم الذي يغذيه الخوف والتريبين والإغواء، فبهذه التغذية يتوابع العلم ويعبر البغي إلى عالم الفتن. ولقد أخونا الله في كتابه أن الاختلاف بعد الوسل ما جاء إلا بعد أن أقيمت عليهم

الحجة بالعلم، وهذا الاختلاف ما توقع إلا على توبة البغي التي يتوجب عليها العقاب \* (وما اختلف أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سميع الحساب) \* (1) .  
قال المفسرون: أي بغي بعضهم مع بعض، فاختلّفوا في الحق لتحاسدهم

(1) سورة آل عمران: الآية 19.

الصفحة 40

وتباغضهم وتداوهم. فحمل بعضهم بغض البعض الآخر، على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله وإن كانت حقا (1). وقيل: اختلاف أهل الكتاب في الدين مع نزول الكتاب الإلهي عليهم، لم يكن عن جهل منهم بحقيقة الأمر، بل كانوا عالمين بذلك. وإنما حملهم على ذلك بغيهم وظلمهم من غير عذر، وذلك كفر منهم بآيات الله المبينة لهم حق الأمر وحقيقته. لا بالله، فإنهم يعترفون به، ومن يكفر بآيات الله فإن الله سميع الحساب، يحاسبه سريعا في دنياه وآخرته أما في الدنيا فبالخزي وسلب سعادة الحياة عنه. وأما في الآخرة فبالإليم عذاب النار، والدليل على عموم سوعة الحساب للدنيا والآخرة قوله تعالى بعد آيتين: (أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين) (2).

وإذا كان البغي قد أثمر شجرة الاختلاف. فإنه أثمر أيضا شجرة الافتراق، قال تعالى: (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) (3). قال المفسرون: أي وما تفوق الناس الذين شجعت لهم الشيعة باختلافهم وتوكلهم الاتفاق، إلا حال كون توفيقهم آخذا أو ناشئا من بعد ما جاءهم العلم بما هو الحق ظلما أو حسدا تداولوه بينهم (4). وقال ابن كثير: أي إنما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه إليهم وقيام الحجة عليهم. وما حملهم على ذلك إلا البغي والعناد (5).

إن الشيطان ينشط في توبة العلم، حيث القافلة الأولى. فإن استطاع أن يدق له وتدا أو ينصب له خيمة، ضمن البغي والاختلاف والوقفة. ومن هذه الأشجار سيأكل كل قادم ملجم العقل من بني الإنسان تحت لافتات عدة ترينها سنة الآباء الأوائل، التي يدافعون عنها حتى ولو خرجت منها رائحة الفواحش.

(1) تفسير ابن كثير: 354 \ 1.

(2) تفسير الميزان: 121 \ 3.

(3) سورة الشورى: الآية 14.

(4) الميزان: 31 \ 18.

(5) تفسير ابن كثير: 109 \ 4.

الصفحة 41

والنبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، عندما بعث كانت سنة الآباء الضالين لها أعلام في كل مكان من عالم الوقفة والاختلاف. لقد دعاهم إلى الحق، فواجهوه بالباطل (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) (1) وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها (2)

آباءنا والله أمونا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) . جاء الرسول الخاتم ليوأجه شريحة من الكفار في رسالته الخاتمة تحمل نفس الملامح التي حملها كفار قوم فوح عليه السلام في صدر الإنسانية، فقديما شكوا فوح عليه السلام قومه الله تعالى وقال: (وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبرا) (3) في الرسالة الخاتمة قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم: (قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون) (4) وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمونا) (5) .

لقد جاء النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم في وقت كانت سياسة الاغواء والتربيت والاحتناك قد وصلت بأصحابها إلى دركات هوة عميقة.

## 1 - من مداخل الدعوة الخاتمة:

إن الداعي إلى الله تعالى صلى الله عليه وسلم، جاء ليذكر ويعظي الإرادة. ويعمق الإخلاص ويشيع الأخلاق الفاضلة، ويبشر بما عند الله للذين آمنوا في الحياة الدنيا والآخرة. ويحذر نوائر الانحوائف والاختلاف والفرقة والضلال من عذاب يوم عظيم. وكانت أصول دعوته تستند إلى أهم الأمور الفطرية، ألا وهو لا إكراه في الدين. فوح عليه السلام قال في صدر البشرية

(1) سورة المائدة: الآية 104.

(2) سورة الأعراف: الآية 28.

(3) سورة فوح: الآية 7.

(4) سورة فصلت: الآية 5.

(5) سورة الفرقان: الآية 60.

الصفحة 42

لقومه (أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنؤمنكموها وأنتم لها كرهون) (1) . قال المفسرون: أي إذا كنت على بينة من ربي، على يقين ونيرة صادقة، وخفيت عليكم فلم تهوا إليها ولا عرفتم قورها بل بارتم إلى تكذيبها وردها (أنؤمنكموها) أي: أنغصبكم بقبولها وأنتم لها كرهون (2) . وقال في المزان: معناه عندي ما يحتاج إليه رسول الله في رسالته، وقد أوقفتكم عليه، لكنكم لا تؤمنون به طغيانا واستكبرا، وليس علي أن أجركم عليها، إذ لا إكراه في دين الله سبحانه. والآية من جملة الآيات النافية للإكراه في الدين، وتدل على أن ذلك من الأحكام الدينية المشوعة في أقدم الشوائع، وهي شريعة فوح عليه السلام. وهذا الحكم باق على اعتباره حتى اليوم من غير نسخ (3) .

كان هذا في شريعة صدر البشرية الأول، وفي عصر الرسالة الخاتمة. قال تعالى: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) (4) . قال المفسرون: نفي الدين الإجبري.. فالاعتقاد والإيمان من الأمور القلبية التي لا يحكم فيها الإكراه والإجبار. فإن الإكراه إنما يؤثر في الأعمال الظاهرية والأفعال والحركات البدنية، أما الاعتقاد القلبي فله علل وأسباب أخرى قلبية (5) .

فالدعوة تقف على رضية لا إكراه في الدين، والداعية يقف على رضية الخلق العظيم، قال تعالى لرسوله (وإنك لعلى خلق عظيم) (6) ومحاوره صاحب الخلق العظيم لخصومه تشع بالحكمة والموعظة الحسنة قال تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) (7).

(1) سورة هود: الآية 28.

(2) تفسير ابن كثير 43 \ 2.

(3) الميزان 207 \ 10.

(4) سورة البقرة: الآية 256.

(5) الميزان: 345 \ 2.

(6) سورة القلم: الآية 4.

(7) سورة النحل: الآية 125.

الصفحة 43

ومن رضية لا إكراه في الدين حاور صاحب الخلق العظيم خصومه وأخوهم بما أمر به الله. (قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إواهيم حنيفاً وما كان من المشركين) (1). قال المفسرون: أمره تعالى أن يخوهم بأن ربه الذي يدعو إليه، هداه بهداية إلهية إلى صراط مستقيم، وسبيل واضح لا تخلف فيه ولا اختلاف. ديناً قائماً على مصالح الدنيا والآخرة أحسن القيام. لكونه مبنيًا على الفطرة ملة إواهيم حنيفاً، مائلاً عن التطرف بالشوك. إلى اعتدال التوحيد (2)، وأمره الله تعالى أن يخوهم بأن طريقه هو طريق العبادة الحق. (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين \* لا شريك له وبذلك أموت وأنا أول المسلمين) (3). قال المفسرون: أمره تعالى أن يخوهم بأنه عامل بما هداه الله إليه، وسائر به. كما أنه مأمور بذلك، وأمره أن يقول لهم: إنني جعلت صلاتي ومطلق عبادتي ومحياي بجميع ما له من الشئون.. ومماتي بجميع ما يعود إلي من أموره، جعلتها كلها لله رب العالمين. من غير أن أشرك به فيها أحد، فأنا في جميع شئوني في حياتي ومماتي لله وحده. وجهت وجهي إليه، لا أقصد شيئاً ولا أتوكله إلا له ولا أسير في سير حياتي ولا أرد مماتي إلا له. فإنه رب العالمين، يملك الكل ويدبر أمرهم، وقد أموت بهذا النحو من العبودية، وأنا أول المسلمين لله فيما أراد من العبودية التامة في كل باب وجهة (4).

كان هذا مدخل من مداخل دعوة الإسلام العظيم، ولكن جحافل الليل وخفافيش الظلام خرجوا من عالم الاحتناك حيث خيام تلجيم العقول وتعصيب العيون للصد عن سبيل الله بفسانهم ورجالاتهم وأموالهم.

**2 - عواصف الصد عن سبيل الله:**

وقفت الدعوة الإسلامية في مواجهة أصحاب السبيل والاختلاف، رافعة

(1) سورة الأنعام: الآية 161.

(2) الميزان: 394 \ 7.

(3) سورة الأنعام: الآية 162 - 163.

(4) الميزان: 394 \ 7.

الصفحة 44

هامتها. وقام النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم بإنذار خصوم العبادة الحق وإخيلهم أن عبادتهم اتباع للهوى، واتباع الهوى ينافي صفة الاهتداء في نفس الإنسان، ويمانع إثراق نور التوحيد على قلبه إثراقا ثابتا ينتفع به. (قل إنني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم)<sup>(1)</sup> وذكرهم بما حرم الله عليهم ووصاهم به. ومما وصاهم به، أن لا يتبعوا السبل التي دون هذا الصراط المستقيم الذي لا يقبل التخلف والاختلاف، فإن اتباع السبل يفوقهم عن سبيل الله. فيتخلفون فيه فيخرجون من الصراط المستقيم. والصراط المستقيم، لا اختلاف بين أجزائه ولا بين سالكيه. (وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون)<sup>(2)</sup>.  
ووجد الساهرين على برنامج الشيطان أن برنامجهم في مهب الريح، فكان لا بد من توجيه ضربات إلى الداعي إلى الله وإلى منهج الدعوة وإلى الذين آمنوا.

فهذه المحطات الثلاث اتخذها الشيطان هدفا له منذ أن طرده الله ولعنه، وواثر الصد عن سبيل الله التي سنسلط عليها الضوء في بحثنا هذا هي (دائرة النجس) و (دائرة الرجس) وبالإضافة إلى هاتين الدائرتين يوجد تيار كان من نسيج الذين آمنوا. لكنه نسيج عبئ عليهم، وهذا الصنف وضعته تحت عنوان (تيار الذين في قلوبهم مرض).

### أولا - دائرة النجس:

وفي هذه الدائرة يجلس طاير الشوك كله، قال تعالى: (إنما المشركون نجس)<sup>(3)</sup>. قال في المجمع: كل مستنقر نجس.

يقال: رجل نجس و امرأة

(1) سورة الأنعام: الآية 56.

(2) سورة الأنعام: الآية 153.

(3) سورة التوبة: الآية 28.

الصفحة 45

نجس وقوم نجس لأنه مصدر. وأدخلت في دائرة النجس الكفار نظرا لأنهم جميعا حزمة واحدة لها هدف واحد حدده برنامج واحد. وإذا كان القآن قد ضوب على المشركين بالنجس فإنه شبه الكفار بالأنعام لأنهم لم يكونوا أهلا لسماع الحق وتعقله. وأهل هذه الحزمة الواحدة استهدفوا الوسل فوموه بالسحر (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب)<sup>(1)</sup> ورموه بالجنون (وقالوا يا أيها الذي قول عليه الذكر إنك لمجنون)<sup>(2)</sup>، ورفضوا بشوية الرسول فقالوا (ولا أقول إليه ملك)<sup>(3)</sup>

فيكون معه ندوا) .

ووفقا لبرنامج الشيطان استهدفوا الدعوة فقالوا عن القآن الكريم: (وقالوا أساطير الأولين اكتبها فهي تملئ عليه بكرة وأصيلا) (4) . وخرج الذين تغلبوا في نعيم الترف والزينة وتعلقت قلوبهم بحب الدنيا فوآ السعادة فيها والعذاب في فقدها. خرجوا ليجلبوا الذين آمنوا، على اعتبار أنهم خرجوا عن سنة الآباء القومية التي تحمل شذوذ المسوة الإنسانية من عهد فوح عليه السلام. وتحت السياطواللهيب سلت الدعوة الحق تضوب بحججها وجوه الجاحدين والظالمين أعداء العبادة الحق. ولم يجد هؤلاء في جعبتهم من الحجج إلا ما تلقى الشياطين على عقولهم الفرغة. قال تعالى: (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهوا خلقهم سنكتب شهادتهم ويسألون \* وقالوا له شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون \* أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون \* بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) (5) . إن سلتهم قد طفحت بأشواك زينت بلون الورود، لقد جاءهم الشيطان من جهاتهم الأربعة ونصب خيامه على دروب الآمال والأمانى وتغيير خلق الله، وزين لهم الفواحش، قال تعالى: (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا

(1) سورة ص: الآية 4.

(2) سورة الحجر: الآية 6.

(3) سورة الفرقان: الآية 7.

(4) سورة الفرقان: الآية 5.

(5) سورة الزخرف: الآية 19 - 22.

الصفحة 46

عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون) (1) .

لقد عبوا الملائكة، وساروا بلجام الاحتتاك وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم. إنه فقه الصم البكم العمي، لأن عبادتهم للملائكة لو كانت بمشيئة الله وبرضاه، ما جاءهم رسول من الله يدعوهم إلى عبادة الله وحده وأن يوحوه ولا يعبدوا الشركاء. ثم إنهم لا حجة لهم على عبادة الملائكة، لا من طريق العقل ولا من طريق النقل فلم يأذن الله فيها. ولا دليل لهم على حقيقة عبادتهم سوى أنهم متشبثون بتقليد آباءهم وفي رب آخر من دروبهم فعلوا الفواحش وقالوا وجدنا عليها الآباء والله أمرنا بها. وذلك اقراء على الله وقول بغير علم لعدم انتهائه إلى وحي.

إن الله تعالى أعدل من أن يجبر عبدا على فعل ثم يعذبه عليه، والله جل شأنه لو كان مجوا لعبده على فعل ما رأ من أفعال المشركين قال سبحانه: (أن الله وئ من المشركين) (2) . فهو سبحانه لم يتوأ من خلق أبدانهم وإنما توأ من شوكمهم وقبائحهم. قال تعالى: (فإن عصوك فقل إني وئ مما تعملون) (3) ، وقال: (قال إني أشهد الله واشهوا أنني وئ مما تشكون) (4) .

إن طايور الشرك والكفر والاحتتاك لا علم عنده، لأن المعرف الحق والعلوم المفيدة لا تكون في متناول البشر إلا عندما يصلح أخلاقه. والطريق الوحيد لإصلاح الأخلاق والحصول على الملكات الفاضلة هو التوحيد الحق في العبادة الحق.

وإذا كان للمشركين والكفار في مكة عمود في دائرة النجس. فإن للمشركين والكفار من أهل الكتاب عمود عتيق في هذه

الدائرة. لأنهم حملوا

(1) سورة الأعراف: الآية 28.

(2) سورة التوبة: الآية 3.

(3) سورة الشعراء: الآية 216.

(4) سورة هود: الآية 54.

الصفحة 47

برنامج الشيطان وصدوا به عن سبيل الله. ولكن على طريقتهم، فاستهدفوا الرسول والدعوة والذين آمنوا، قال تعالى: (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهوة) <sup>(1)</sup> ، فسألهم تنزيل الكتاب من السماء بعدما كانوا يشاهدونه من أمر القآن. لم يكن إلا سؤالا خرافيا لا يصدر إلا ممن لا يخضع للحق ولا ينقاد للحقيقة. وإنما يلغوا ويهزوا بما قدمت له أيدي الأهواء من غير أن يتقيد أو يثبت على أساس <sup>(2)</sup> . إن هدفه الصد عن السبيل بالتشكيك في الرسول، أما الدعوة فقد استهدفوها من جنورها. فالنبي صلى الله عليه وسلم أعلن على أسماع الجميع أن دعوته مبنية على الفطرة ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين، فقام المشركين من أهل الكتاب بالمتاجرة على حساب أنهم أولى الناس بإبراهيم.

يريدون من وراء ذلك إبعاد الناس عن الدعوة، فتول قول الله تعالى: (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أتولت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون) <sup>(3)</sup> . قال المفسرون: ضمت كل طائفة منهم إبراهيم إلى نفسها، فتدعي اليهود أنه كان يهوديا، وتدعي النصرى أن كان نصوانيا. ومن المعلوم أن اليهودية والنصرانية، إنما نشأتا جميعا بعد نزول التوراة والإنجيل، وقد زولا جميعا بعد إبراهيم عليه السلام. فكيف يمكن أن يكون عليه السلام يهوديا أو نصوانيا. فلو قيل في إبراهيم شئ لوجب أن يقال: إنه كان على الحق حنيفا من الباطل إلى الحق مسلما لله سبحانه. والإسلام الذي وصف به إبراهيم، هو أصل التسليم لله سبحانه والخضوع لمقام ربه (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصوانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين \* إنه أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) <sup>(4)</sup> .

وكما استهدفوا الرسول والدعوة استهدفوا أيضا القوة الإسلامية بعد

(1) سورة النساء: الآية 153.

(2) المizan: 130 \ 5.

(3) سورة آل عمران: الآية 65.

(4) سورة آل عمران: الآية 67 - 68.

الهجرة، فقام اليهود بتغذية الساحة بالمكائد وإشعال الحرب وكان الغرض من هذه الحروب كسر شوكة المسلمين وتجريدهم من قوتهم لحساب المنافقين ولحساب أهل مكة ومن حولهم الذين أخبر تعالى أنهم لا يهتدون ويسقوي عليهم الاذار أو عدم الاذار (1).

### \* حصار دائرة النجس:

لقد استهدف الكفار والمشركين الداعي إلى الله صلى الله عليه وسلم ودعوته والمؤمنين بها. فأما الداعي إلى الله فلم يصل كيدهم إليه لأن الله ينصر رسله ولو كره الكافرون. وأما كتاب الدعوة وهو القرآن الكريم فقد تولى الله حفظه فقال جل شأنه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له حافظون) (2). وأما أتباع الدين فإن حفظهم يكون بمقدار اقترابهم من الداعي إلى الله صلى الله عليه وسلم وكتابه. فكلما كانوا أقرب عمهم الأمن والأمان ودخلوا في رحاب النصر والحفظ وكلما ابتعدوا عمهم البغي والاختلاف والافتراق، ودخلوا في خيام برنامج الشيطان. وآيات الكتاب الحكيم التي تحفظ أتباع الدين الحق، آيات كثيرة تحفظهم من وساوس الشيطان وخطواته وتحفظهم من حركة أتباع منهج الشيطان ودسائسهم.

لقد حثهم آيات الله على الاتحاد والأمانة والنقوى والجهاد والدعاء والذكر والصدقة والعلم والفكر والفهم. إلى غير ذلك من الأمور التي تجعل منهم قوة لا تنفذ إليها سهام دائرة النجس. والأكثر من هذا أن آيات الكتاب الحكيم كشفت برنامج الكفار والمشركين الذي يستمد قوته من برنامج الشيطان. وكشف هذا البرنامج للمؤمنين هو في نفس الوقت حجة عليهم يوم القيامة. وأهم الأعمدة التي يقوم عليها برنامج المشركين من أهل الكتاب قوله تعالى: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا

(1) راجع سورة ياسين: الآية 10.

(2) سورة الحجر: الآية 9.

(1) نصير) قال المفسرون: إن هؤلاء ليسوا واضحين عنك، حتى تتبع ملتهم التي ابتدعوها بأهوائهم، ونظموها بلوائهم. ثم أمره تعالى بالورد عليهم بقوله: قل إن هدى الله هو الهدى. أي إن الاتباع إنما هو لغرض الهدى. ولا هدى إلا هدى الله. وهو الحق الذي يجب أن يتبع وغره - وهو ملتكم - ليس بالهدى. فهي أهوائكم، ألبستوها لباس الدين. وسميتوها باسم الملة.

ففي قوله (قل إن هدى الله).. جعل الهدى كناية عن القرآن، ثم أضيف إلى الله، فأفاد صحة الحصر في قوله (إن هدى الله هو الهدى)، وأفاد ذلك خلو ملتهم عن الهدى. وأفاد ذلك كونها أهواء لهم. واستلزم ذلك كون ما عند النبي علما، وكون ما عندهم جهلا. واتسع المكان لتعقيب الكلام بقوله: (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم \* ما لك من الله من ولي ولا نصير) فانظر إلى ما في هذا الكلام من أصول الروهان العريقة ووجود البلاغة على إيجه. وسلاسة البيان وصفائه (2).



إن الدخول في مساحة هؤلاء يترتب عليها أمور على رأسها (ما لك من الله من ولي ولا نصير) إن مساحتهم بها الخوف والإغواء والأهواء. والآخذ منهم شيئاً لن يأخذه إلا إذا كان حذوه قد حمل غبار طويقهم وعقله قد حمل بصمة احتناكهم. وإذا كان القرآن الكريم قد حذر من هذه المساحة العريضة التي يتربع فيها المشركين من أهل الكتاب. إلا أنه في الوقت نفسه حذر من مساحة أخرى يتربع فيها المتخصصون من هؤلاء. يقول تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين \* وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) (3) . إنه الفريق الناعم الذي يجيد الاختراق، ويمهد الطريق لمساحته الواسعة كي تفوض سياسات التخويف والتجوير على الأمة، من أجل تنفيذ

(1) سورة البقرة: الآية 120.

(2) الميزان: 265 \ 1.

(3) سورة آل عمران: الآية 100 - 101.

الصفحة 50

برنامج النجس والعار.

وكتاب الله وهو يكشف هذه الأهداف بين أن مخططات هؤلاء ستتحطم إذا اعتصمت الأمة بكتاب الله (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) قال المفسرون: أمر سبحانه بالاعتصام بالحق والإنصات إلى آيات الله، والتدبر فيها وإرجاع ما خفي منها إلى الرسول وسنته. فالآيات وبخت طريق الكفر وسالكيه. وأثبتت أن الكتاب والسنة كافيان في الدلالة على كل حق يمكن أن يضل فيه.. فقله تعالى: (وفيكم رسوله) يشمل أيضاً وفيكم سنته التي بين لكم ما خفي عنكم من تأويل آيات الكتاب.

وكما حذر كتاب الله من المخططات الكرى لأهل الكتاب، حث المؤمنين على حفظ ثقافتهم الإسلامية في أي مكان تواجدوا فيه. فحذر من ثقافة الآباء والأقرب إن استحووا الكفر. ونهى عن موادة من حاد الله ورسوله ولو قرن أي سبب من أسباب المودة كالأبوة والنووة والأخوة وسائر أقسام الوابة، قال تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحووا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هو الظالمون) (1) ، وقال تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) (2) . إن حفظ الثقافة والعقيدة في الدائرة الأضيق مطلب إسلامي. كما أن حفظها في الدائرة الأوسع فيه دفاع عن الفطرة أمام الشبهات والأهواء المتعددة. يقول تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض. ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) (3) . قال المفسرون: العواد هو النهي عن موادتهم الموجبة

لتجاذب الأرواح والنفوس. فإن ذلك يقلب حال المجتمع من السورة الدينية المبنية على اتباع الحق. إلى سيرة الكفر المبنية على

اتباع الهوى وعبادة

(1) سورة التوبة: الآية 23.

(2) سورة المجادلة: الآية 22.

(3) سورة المائدة: الآية 51.

الصفحة 51

(1) الشيطان، والخروج عن صراط الحياة الفطرة .

لقد أقام الله حجته على حركة المسلمين على امتداد التاريخ، وقام القآن الكريم بإظهار الداء وتشخيص الدواء. كي لا تختلط الثقافات وتنتج في النهاية صنفا لا علاقة له بالإسلام أو بأهل الكتاب. صنفا لا من هؤلاء ولا من هؤلاء مهمته الوحيدة الوقوف في دائرة الاحتكاك يقدم خدماته لمن يلقف رغيفا أو شهوة تافهة.

### ثانيا - دائرة الرجس:

قال تعالى وهو يذم المنافقين (فأعوزوا عنهم إنهم رجس وموأهم جهنم) (2) ، وقال سبحانه: (وأما الذين في قلوبهم مرض فإدهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون) (3) . والرجس هو كل قدر وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبيح واللعنة والكفر. قال الزجاج: الرجس في اللغة اسم لكل ما استقدر من عمل (4) والقآن الكريم اهتم بالمنافقين، فذكروهم نظرا لخطورة العمل الذي عزموا عليه. فذكر مسوئ أخلاقهم، وأكاذيبهم وخدائعهم وفسادهم. والفتن التي أقاموها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وعلى المسلمين وقد تكرر ذكروهم في السور القوانية كسورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والعنكبوت والأخزاب والفتح والحديد والحشر والمنافقون والتحريم وقد وعدهم الله أشد الوعيد. ففي الدنيا بالطبع على قلوبهم وجعل الغشلة على سمعهم وعلى أبصارهم إذهاب نورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون. وفي الآخرة يجعلهم في الترك الأسفل من النار. وليس ذلك إلا لشدة المصائب التي أصابت الإسلام والمسلمين من كيدهم ومكروهم وأنواع دسائسهم. فلم ينل المشركون واليهود والنصرى من دين الله ما نالوه. ويكفيك

(1) الميزان: 373 \ 5.

(2) سورة التوبة: الآية 95.

(3) سورة التوبة: الآية 125.

(4) لسان العرب: 159 \ 18.



فيهم قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله (هم العدو فاحذروهم) <sup>(1)</sup> .

والنفاق له مدرسة على مساحة أهل الكتاب قال تعالى عن المنافقين منهم: (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون) <sup>(2)</sup> . وقال تعالى: (وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلووا عنكم قالوا لا نؤمن بالله ولا بآياته وما كنا بآياته لنؤمن) <sup>(3)</sup> .

فالنفاق تمتد عروقه إلى الماضي السحيق. وهو أول تيار سوي على صفحة الجنس البشري. عمل من أجل إعاقة الطويق أمام العبادة الحق لحساب الأهواء المتعددة، وهذا التيار يحوي بين دفتيه على جميع الأنماط البشرية من الذين استذلهم الشيطان. يحوي على الروع والغواء والدهيماء. وفي نفس الوقت يضم أصحاب الملابس النظيفة والياقات البيضاء، أصحاب الأموال والأولاد وفصاحة اللسان. يقول تعالى: (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة) <sup>(4)</sup> . فهم أصحاب زُيَاء حسنة، وصباحة في المنظر، وتناسب في الأعضاء. إذا رأهم الوائي أعجبتهم أجسامهم، وإذا سمع السامع كلامهم مال إلى الاصغاء إلى قولهم. لحلاوة ظاهره وحسن نظمه، ورغم كل هذا إلا أن الحقيقة، أن هؤلاء كالخشب المسندة. أشباح بلا أرواح، لا خير فيها ولا فائدة، لأنهم لا يفقهون. وكيف يفقه من صد عن سبيل الله بكل ما يملك من الأموال وأولاد. قال تعالى: (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم \* إنما يريد الله ليغذِبهم بها في الحياة الدنيا وترهق أنفسهم وهم كافرون) <sup>(5)</sup> . أخبر سبحانه بأن أموالهم وأولادهم ليس من النعمة التي تهتف لهم بالسعادة، بل من النعمة التي توجههم إلى الشقاء. وأبواب الشقاء مفتوحة لجميع من أعرض عن ذكر الله، قال تعالى: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشوه يوم

(1) سورة المنافقون: الآية 4.

(2) سورة البقرة: الآية 76.

(3) سورة آل عمران: الآية 119.

(4) سورة المنافقون: الآية 4.

(5) سورة التوبة: الآية 55.

القيامة أعمى \* قال رب لم حشوتني أعمى وقد كنت بصوا \* قال كذلك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) <sup>(1)</sup> .

والمنافقين هروا في اتجاه الإسلام لإنجاز برنامج لا علاقة له بالإسلام.

قال تعالى: (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون \* اتخذوا

أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون) <sup>(2)</sup> لقد هروا إلى الإسلام وهم معوضين عن سبيل الله!!

أظهروا الإيمان ليقتربوا من المؤمنين ويحضرون في محاضرتهم ومشاهدتهم. فيسهل عليهم وضع الواقيل المناسبة في طريق

كل حركة للدعوة.

ولأن مساحة النفاق تحوي على الأصناف العديدة من أصحاب العقد النفسية الذين فسدت فطرتهم وعلى أصحاب المصالح والمطامع. فإن القرآن الكريم فضح هذه المساحة التي ظهر أصحابها في صدر العهد النبوي. فمنهم من لا يعرفه إلا الله وحده، قال تعالى: (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) (3). قال المفسرون: وممن في حولكم، أو حول المدينة من الأعراب الساكنين في البوادي. منافقون مردوا على النفاق، ومن أهل المدينة أيضا منافقون معتادون على النفاق. لا تعلمه أنت يا محمد نحن نعلمهم (4).

ومنهم من كان الله تعالى يكشفه للنبي، ومنهم من كان النبي لا يكشفه إلا لخاصة أصحابه. ومن الخاصة حذيفة وعمار رضي الله عنهما. وعن حذيفة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن في أصحابي اثني عشر منافقا منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط" (5). وهؤلاء الاثني

(1) سورة طه: الآية 124 - 125 - 126.

(2) سورة المنافقون: الآية 1 - 2.

(3) سورة التوبة: الآية 101.

(4) الميزان 376 \ 9.

(5) رواه الإمامان أحمد ومسلم (كنز العمال 169 \ 1).

الصفحة 54

عشر ليسوا من العامة والغواء. فأمثال هؤلاء كان النبي يكشفهم للخاص والعام. أما حزمة الاثني عشر الذين لا يدخلون الجنة، فهم من أصحاب وامج الخشب المسندة. وامج الأشباح التي بلا أرواح والتي لا خير فيها ولا فائدة. لذا يقول حذيفة: "وأشهد الله أن الاثني عشر حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد" (1). واثني عشر فيهم كفاية لتدمير أمة. كما أن اثني عشر فيهم كفاية لنجاة الأمة (2). ألم ترى أن بني إسرائيل كان يكفيهم عشرة فقط من الأحرار يؤمنون برسالة النبي وعلى إيمانهم يدخلون دائرة الأمن. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود" (3). أما الذين كشفهم النبي صلى الله عليه وسلم للخاصة والعامة. فعن جبير بن مطعم قال:

أصغى إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم - أي مال رأسه إلي - وقال: "إن في أصحابي منافقين" (4). وعن إياس عن أبيه أنهم عانوا مريضا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان العريض مرتفع الحرارة. وعندما قالوا أمام النبي أن العريض أشد حوا، قال لهم: "ألا أخوكم بأشد حوا منه يوم القيامة - وأشار لرجلين من أصحابه مولين أفقيتهما منصورين - هذينك الراكبين المقفيين" (5). قال النووي:

سماهما من أصحابه لإظهارهما للإسلام والصحة.

وأخرج البيهقي عن ابن مسعود قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أيها الناس إن فيكم منافقين. فمن سميت فليقم، قم يا فلان، ثم يا فلان. حتى عد ستا وثلاثين (6). وعن ابن عباس قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم

الجمعة، فقال: " أخرج يا فلان إنك منافق. وأخرج يا فلان فإنك منافق، فأخرج ناسا منهم فضحهم. فجاء عمر بن الخطاب وهم

(1) رواه الإمام مسلم كتاب صفات المنافقين (صحيح مسلم: 125 \ 17).

(2) حديث الاثنى عشر الذين من قريش سيأتي في موضعه.

(3) رواه الإمام البخاري كتاب الهوة (صحيح البخاري: 341 \ 2).

(4) رواه الإمام أحمد (الفخ الرباني: 232 \ 19).

(5) رواه الإمام مسلم (صحيح مسلم: 128 \ 17) كتاب صفات المنافقين.

(6) السيوطي (الخصائص الكوى: 174 \ 2).

الصفحة 55

يخرجون من المسجد. فاخترنا منهم حياء أنه لم يشهد الجمعة فظن أن الناس قد انصرفوا. واخترناهم من عمر ظنوا أنه قد علم بأمرهم... الحديث (1) فكشف تيلات النفاق على امتداد العهد النبوي كان يخضع لوعي الله تعالى. فالوحي كان يخبر بالبعض، ويخبر بالبعض الآخر ضمن خط عريض وهو يتحدث عن النفاق، نظرا لأن الأمة ممتحنة ومبتلية شأنها كشأن الأمم السابقة ليعلم الله كيف تعمل وكيف تختار ويعلم سبحانه الصابرين. إن الله تعالى أخبر عباده عن الشيطان وأهدافه، وكثير من العباد لم يروا الشيطان، وأخبر سبحانه عن المنافقين وصفاتهم ووامجهم وكثير من الناس لم يعرفوا أسماء المنافقين. والحجة ليست في الملابس والأموال والأولاد. وإنما هي في الحركة والوامج التي بينها الله تعالى في كتابه. يقول تعالى: (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام \* وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد \* وإذا قيل له اتق الله أخذته العوة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهادر) (2). وقد يقول قائل فيمن أتت هذه الآية؟ والجواب عن ابن كثير يقول: إن الآية تتول في الرجل ثم تكون عامة بعد ذلك (3). ومعنى الآية: إنه يتكلم بما يعجبك كلامه، مما يشير به إلى رعايته جانب الحق. والعناية بصلاح الخلق وتقدم الدين والأمة. وهو أشد الخصماء للحق خصومة (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها.. الآية) التولي هو القيادة والسلطان ويؤيد هذا قوله تعالى في الآية التالية: (أخذته العوة بالإثم)...

وهذا يدل على أن له عوة مكتسبة بالإثم الذي يأتى به قلبه غير الموافق للسانه.

والسعي هو العمل والإسراع في المشي، فالمعنى: وإذا تمكن هذا المنافق الشديد الخصومة من العمل، وأوتي سلطانا وتولى أمر الناس. سعي في الأرض ليفسد فيها - ويمكن أن يكون التولي - بمعنى الإغواض عن المخاطبة والمواجهة، أي: إذا خرج من عندك كانت غيبته مخالفة لحضوره. وتبدل ما كان يظوه من

(1) أورده ابن كثير عن السدي عن أبي مالك (التفسير: 384 \ 2).

(2) سورة البقرة: الآية 204 - 205 - 206.

(1)

طلب الصلاح والخير إلى السعي في الأرض لأجل الفساد والإفساد ..

فهذا الذي يخالف ظاهر قوله، باطن قلبه. إذا سعى في الأرض بالفساد، فإنما يفسد بما ظاهره الاصلاح بتحريف الكلمة عن موضعها، وتغيير حكم الله عما هو عليه، والتصوف في التعاليم الدينية. بما يؤدي إلى فساد الأخلاق واختلاف الكلمة. وفي ذلك موت الدين وفساد الدنيا. وقد صدق هذه الآيات ما جرى عليه التلخيخ من ولاية رجال وركوبهم أكتاف هذه الأمة الإسلامية. وتصوفهم في أمر الدين والدنيا بما لم يستعقب للدين إلا وبالاً. وللمسلمين إلا انحطاطاً. وللأمة إلا اختلافاً فلم يلبث الدين حتى صار لعبة لكل لاعب. ولا الإنسانية إلا خطفة لكل خاطف.

وقيل: (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد..) السعي هنا هو القصد كما قال أخبوا عن فوعن (ثم أدبر يسعى فحشر فنادى أنا ربكم الأعلى).. فهذا المنافق ليس له همه إلا الفساد في الأرض وإهلاك الحرث.. (وإذا قيل له اتق الله أخذته العوة بالإثم) أي إذا وعظ هذا الفاجر، وقيل له اتق الله، امتنع وأبى وأخذته الحمية والغضب بالإثم. وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى: (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجه الذين كفروا المنكر، يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا، قل أفأنبئكم بشر من ذلكم. النار وعدّها الله الذين كفروا وبئس المصير ". ولهذا قال في هذه الآية: (فحسبه جهنم ولبئس المهاد) أي هي كافيته عقوبة هي ذلك

إن أطروحة النفاق ترى بوضوح إذا سقطت عليها أشعة منهج العبادة الحق.

لأن المنافقين على امتداد التلخيخ الإنساني بعضهم من بعض، يحكم عليهم فوح من الوحدة النفسية. وهذه الوحدة تضعهم في قالب ذي أوصاف واحدة. ومهمة هذه الطروحات على امتداد التلخيخ وضع البشرية على أعتاب الكولث، لأن بنيانها أسس من ماء الكذب ووضع على شفا جرف هار. لا خير فيه ولا فائدة.

(1) الميزان: 96 \ 2.

(2) تفسير ابن كثير: 247 \ 1.

### ثالثاً - تيار الذين في قلوبهم مرض:

لقد خلطوا بين هذا التيار وبين المنافقين. وقالوا إنهما فوح واحد من الأنماط الإنسانية. والحقيقة غير هذا ولا تلائم سياق بعض الآيات التي ذكر فيها الذين في قلوبهم مرض. وذلك لأن المنافقين يشركونهم في آيات أخرى، والعديد من المفسرين قالوا: المنافقون هم الذين آمنوا بأفواههم، ولم تؤمن قلوبهم والذين في قلوبهم مرض هم ضعاف الإيمان. ومرض القلب في عرف الوآن، هو الشك والريب على إرواك الإنسان، فيما يتعلق بالله وآياته. وعدم تمكن القلب من العقد على عقيدة دينية،

نظرا لخلط الإيمان بالشرك عند مرض القلوب. ومن الآيات التي ذكرت الذين في قلوبهم مرض قوله تعالى: (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم..)<sup>(1)</sup> . ولا معنى للقول بأن الذين في قلوبهم مرض في هذه الآية هم من المشركين، لأن القرآن لم يطلق على المشركين اسم الذين في قلوبهم مرض ولم يطلق عليهم اسم المنافقين. ولا معنى للقول بأنهم هم الكفار، لأن الكفر هو موت للقلب لا مرض فيه، قال تعالى: (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون)<sup>(2)</sup> . والذي يستحق التسجيل هنا أن هذه الآية تولت في غزوة بدر. وفيها دليل على حضور جمع من المنافقين وضعفاء الإيمان ببدر حين تلاقي الفئتين. وذكر أن ضعفاء الإيمان كانوا فئة من قريش أسلموا بمكة، واحتبسهم آبؤهم. واضطروا إلى الخروج مع المشركين إلى بدر، حتى إذا حضروها وشاهدوا ما عليه المسلمون من القلة قالوا: مساكين غر هؤلاء دينهم حين قدموا على ما قدموا عليه من قلة عددهم وكثرة عوهم<sup>(3)</sup> . فإذا كان تعريف المنافقين بأنهم الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، فإن ذلك لا ينطبق على الفئة التي اضطرت إلى

(1) سورة الأنفال: الآية 49.

(2) سورة الأنعام: الآية 122.

(3) تفسير ابن كثير: 319 \ 2.

الصفحة 58

الخروج مع المشركين. لأن هذه الفئة لم يظهروا الإسلام، لأنهم لو كانوا قد أظهروه ما كانوا خرجوا من مكة أصلا. ومن الدليل على أن المنافق غير الذي في قلبه مرض قوله تعالى في موطن آخر من موطن القتال: (هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا \* وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غورا)<sup>(1)</sup> . قال ابن كثير: حين تولت الأحزاب حول المدينة والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم.. فحينئذ ظهر النفاق. وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم. (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض... الآية) أما المنافق فنجم نفاقه، والذي في قلبه شبهة أو حسكة لضعف حاله فتنفس بما يجده من الوسوس في نفسه لضعف إيمانه وشدة ما هو فيه من ضيق الحال<sup>(2)</sup> وقال في المزان: الذين في قلوبهم مرض هم ضعفاء الإيمان من المؤمنين.

وهم غير المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر)<sup>(3)</sup> . وفي موطن آخر يقول تعالى: (ويقول الذين آمنوا لولا

تولت سورة فإذا أتت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت)<sup>(4)</sup> . إن هذه الآية صريحة في أن الذين أظهروا الرغبة في نزولها هم الذين آمنوا. ومن يقول إن المنافقين داخلون

فيهم. فهو بقوله هذا يتساهل غير لائق بكلام الله عزول. فالآية في مثل قوله تعالى في فريق من المؤمنين (ألم تر إلى

الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد

خشية)<sup>(5)</sup> . فالمؤمنين هم الذين سألو رسول الله: هلا أتت سورة. فإذا أتت سورة محكمة لا تشابه فيها. وأمروا فيها

(1) سورة الأحزاب: الآية 11 - 12.

(2) تفسير ابن كثير: 473 \ 3.

(3) الميزان: 286 \ 16.

(4) سورة محمد: الآية 20.

(5) سورة النساء: الآية 77.

الصفحة 59

ينظرون إليك من شدة الخشية نظر المحتضر<sup>(1)</sup>. وقال ابن كثير في تفسير الآية:

يقول تعالى مخوا عن المؤمنين. إنهم تمنوا شرعية الجهاد. فلما فرضه الله عز وجل. وأمر به، نكل عنه كثير من الناس.. ولهذا قال: (فإذا أتت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض... الآية) أي من قلوبهم ورجبتهم وجبتهم من لقاء العدو<sup>(2)</sup>.

فالمنافق لا يمكن أن يطلب آية كي يقاتل ويقتل. وإنما الذي طلب هم المؤمنون. وعندما تلت الآية ظهر ضعاف الإيمان منهم. ومن الدليل أيضا على أن تيار الذين في قلوبهم مرض، تيار منفصل وإن كان يعمل بطريقته الخاصة لعقلة الطويق سواء كان يروي أو لا يروي. قوله تعالى: (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والموجفون في المدينة لنغوينك بهم ثم لا يجولونك فيها إلا قليلا \* ملعونين أينما ثقفوا..)<sup>(3)</sup>.

فالآية الكريمة ذكوت فئات ثلاث. المنافقون، والذين في قلوبهم مرض، والموجفون. وعلى رؤوسهم لعنة من الله تعالى إذا استمروا على ما هم عليه.

فالمنافق هو الذي أظهر الإيمان وأبطن الكفر، والذي في قلبه مرض هو الضعيف الإيمان، والموجفون هم الذين يعملون على إشاعة الباطل لإلقاء الاضطراب والمعنى: أقسم لئن لم يكف المنافقون والذين في قلوبهم مرض عن الافساد.

والموجفون الذين يشيعون الأخبار الكاذبة في المدينة لإلقاء الاضطراب بين المسلمين، لنحرضك عليهم، ثم لا يجولونك في المدينة. بسبب نفيهم عنها (سنة الله في الذين خلوا من قبل. ولن تجد لسنة الله تبديلا)<sup>(4)</sup> فهذه العقوبة، من النفي أو القتل

سنة الله التي جرت في الماضين. فكلما بالغ قوم في الافساد وإلقاء الاضطراب بين الناس، وتماؤوا وطغوا في ذلك، أخذهم الله كذلك. ولن تجد لسنة الله تبديلا، فتجوي فيكم كما جرت في الأمم من

(1) الميزان: 239 \ 18.

(2) تفسير ابن كثير: 178 \ 4.

(3) سورة الأحزاب: الآية 60 - 61.



(1)

قبلكم .

وإذا سبقنا الأحداث فإنني أسجل هنا أن قرأ النفي واللعن نفذه النبي صلى الله عليه وسلم وفقاً لما جاء في هذه الآية الكريمة، على الحكم بن العاص (2) . وظل الحكم في المنفى حتى رده عثمان بن عفان وكانت عودته عمود أصيل فيما جرى من أحداث سببها في حينه.

وتبار الذين في قلوبهم مرض، نواته الأولى كانت بمكة قبل الهجرة. وجاء ذكرهم في سورة المدثر وهي سورة مكية، تعالى: (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يوتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً..) (3) . فإذا كان النفاق قد ظهر في المدنية وهو رأي الغالب الأعم من المفسرين. فإنه لا معنى للقول إن الذين في قلوبهم مرض في هذه الآية هم المنافقون، وذلك لأن السورة مكية.

وقال المفسرون في معنى الآيات: أي ما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة، يقرون على ما أمروا به. فليسوا من البشر حتى وجوا المجرمون أن يقاوموهم، وما ذكرنا عددهم وهو قوله تعالى (عليها تسعة عشر) إلا فتنة للذين كفروا، ليقن أهل الكتاب، بأن الوآن النزل عليك حق. حيث يجنون ما أخبرنا به من عدة أصحاب النار موافقاً لما ذكر فيما عندهم من الكتاب، ويزداد الذين آمنوا إيماناً بسبب ما يجدون من تصديق أهل الكتاب ذلك (وليقل الذين في قلوبهم مرض والكافرون. ماذا أراد الله بهذا مثلاً) أي ما الذي يعنيه من وصف الخزنة بأنهم تسعة عشر. فهذه العدة القليلة، كيف تقوى على تعذيب أكثر الثقلين

من

(1) الميزان: 340 \ 16.

(2) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية 182 \ 6 أن الحكم كان من ألد أعداء النبي صلى الله عليه وسلم.

(3) سورة المدثر: الآية 31.

(1)

الجن والإنس . وقال ابن كثير قولهم (ماذا أراد بهذا مثلاً) أي يقولون ما الحكمة في ذكر هذا ههنا؟ قال تعالى: (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) أي من مثل هذا - القول - وأشباهه يتأكد الإيمان في قلوب أقوام ويتوزل عند آخرين. وله الحكمة البالغة والحجة الدافعة، وقوله تعالى: (وما يعلم جنود ربك إلا هو) أي ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى لئلا يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط (2) .

ومن المعروف أن أهل الكتاب قبل البعثة كانوا يضعون أعينهم على مكة، لعلمهم من كتبهم أن النبي سيبعث من هناك. وبعد نزول الوحي في مكة كان لصفات النبي صلى الله عليه وآله عند أهل الكتاب أثر كبير عند المسلمين.

وكذلك الإخبار بعدد ملائكة النار، وهذا الإخبار وإن كان زاد الذين آمنوا إيماناً.

إلا أن حكمة الله البالغة كشفت من خلاله تيلاً كان الارتياح مادته في مكة.

والمتدبر في حركة الواقع المكي عند مبعث النبي صلى الله عليه وآله يجد أنه مجتمع إنساني. والمجتمع الإنساني لا يخلو من أصحاب المصالح، وقد يكون النفاق جلباباً مهماً لهؤلاء. وحلل النفاق لا تتحصر في المخافة والاتقاء، أو الطمع من خير معجل، فإن من علله أيضاً الطمع ولو في نفع مؤجل. ومنها أيضاً العصبية والحمية، ولا دليل على انتفاء جميع هذه العلل عن أهل مكة أو عن الذين آمنوا بالدعوة قبل الهجرة. فما بين أيدينا من كتب التاريخ والتراجم يذكر فيها أن فيهم من آمن ثم رجع، أو رتاب ثم صلح. ومن الممكن أن يكون هناك من رتاب في دينه فتردد ويكتم لرتاده، كما في قول الله تعالى: (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون)<sup>(3)</sup>. فلا يبعد أن يكون في هؤلاء من آمن حقيقة ثم رتد وكتّم لرتاده، فطبع الله على قلبه بحيث لا يقبل الحق ولا يتبعه ويتبع هواه وفقاً لبرنامج الشيطان. ويكون بخاتم الطبع قد

(1) الميزان: 20 \ 90.

(2) الميزان: 20 \ 91، ابن كثير: 4 \ 444.

(3) سورة المنافقون: الآية 3.

الصفحة 62

دخل تحت الآية الكريمة التي قرئت في مكة وفي المدينة (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذروهم لا يؤمنون)\* ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشوة ولهم عذاب عظيم\* ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين\* يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون\* في قلوبهم مرض فؤادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون)<sup>(1)</sup>. ومن الممكن أيضاً أن يكون بعض من آمن في مكة، قد آمن طمعاً في بؤغ أمنيته التي قد تكون التقدم والاستعلاء. وخصوصاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يذكر في دعوته لقومه أنهم لو آمنوا به واتبعوه كانوا قادة الأرض. وكان الرهبان يخبرون بذلك وفقاً لما بين أيديهم من أوصاف الدعوة الخاتمة، فوفقاً لهذا الاعلان أن يكون هناك من آمن غير عابثاً بقوة المشركين الطاحنة ويعيش على خطر، رجاء أن يوفق يوماً لإدلة رحي المجتمع والعلو في الأرض. ومن الممكن أن يكون في المجتمع بعض المغموين الطموحين إلى سعة الصيت وجذب الأنظار إليهم. فآمنوا بالدعوة التي وجوا فيها اتجاهها جديداً يضيق الفارق بين الطبقات يمكن لهم أن يعالجوا مشاعر النقص التي يعانونها ويحقق لهم البروز وسعة الصيت والمكانة عن طريق تحدي مواقع النفوذ والسيطرة داخل المجتمع. ومن الممكن أن يكون هؤلاء المغموين ضمن الذين لم يتعرضوا إلى أي أذى نتيجة معرفة قريش بهم في جاهليتهم، وفهمها لنواياهم الحقيقية في الانضمام للدعوة. بحيث أن الصدق والإخلاص والتفاني أمور مستبعدة بالنسبة لهؤلاء لذلك لم يتعرضوا لهم.

وقد يكون ضعاف الإيمان قد هاجروا بعد ذلك من مكة إلى المدينة. ولكن الهجرة لها شروط، ومن أهم شروطها أن تكون في سبيل الله وليس في سبيل هدف آخر، قال تعالى: (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأولادهم في سبيل الله وقتلوا

لأكون عنهم سيئاتهم) (2) وقال جل شأنه (والذين هاجروا في

(1) سورة البقرة: الآية 6 - 10، سورة يس: الآية 10.

(2) ( سورة آل عمران: الآية 195.

الصفحة 63

الله من بعد ما ظلموا لنبوئتهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر) (1) . فالهجرة الصحيحة هي ما عقد عليه القلب لقول النبي صلى الله عليه وسلم: " إنما الأعمال بالنيات. وإنما لكل امرئ ما نوى. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله. فهجرته إلى الله ورسوله. ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه " (2) . وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه " (3) ، والقوان الكريم لم يضع الذين هاجروا مع الأنبياء في دائرة الحصانة، لأنهم بشر جاؤا ليختوهم الله في الحياة الدنيا من يومهم الأول إلى يومهم الأخير. ألم يهاجر السامري من مصر مع موسى عليه السلام؟ ألم يكن على مقدمة موسى عند عبور البحر وأمامه ملك يرشدهم. فماذا فعل السامري ذلك المهاجر؟ ألم يأخذ قبضة من أثر هذا الملك. وكانت هذه القبضة وبالاعلى بني إسرائيل. لقد ساهم السامري بهذه القبضة في صناعة عجل من ذهب عبده المنحرفين من بني إسرائيل وأشربوا في قلوبهم حب هذا العجل. وكان هذا الحب وبالاعلى فيما بعد على الجنس البشري.

إن السامري هاجر وبعد الهجرة ظهر ما في نفسه. قال تعالى لموسى عليه السلام عندما ذهب للقاء (إنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري) (4) ، والفتنة هي الامتحان والاختبار. وعندما عاد موسى عليه السلام وعلم بما حدث. أخبر عنه الله تعالى: (قال فما خطبك يا سامري \* قال بصوت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي) (5) .

أنظر إلى قوله (سولت لي نفسي) فالنفس طويق الإنسان إلى ربه. ولقد أقام الله على الإنسان الحجة فيها، فألهمه طويق الفجور وطويق التقوى. فمن انغمس في

(1) سورة النحل: الآية 41.

(2) ( رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي (التؤيب والتؤيب: 181 \ 2).

(3) ( رواه أبو داود والنسائي (التؤيب: 181 \ 2).

(4) سورة طه: الآية 85.

(5) ( سورة طه: الآية 95 - 96.

الصفحة 64

الشهوات غشى عمله على قوة النفس الهائلة، فيفتح العمل طويق الفجور على اتساعه. أما من التزم في عمله بما أمر به الله

وما نهى عنه، تكون نفسه حيا سعيدا ينتهي إلى ثواب الله، والإنسان لا يظأ موطأ في سوه إلا بأعمال قلبية، هي الاعتقادات ونورها. وأعمال جراحية صالحة أو طالحة. وما أنتجه عمله يوما، كان هوزاده غدا. والساموي سولت له نفسه، فما أغنت عنه هجرته (قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه..)<sup>(1)</sup>.

إن الذي في قلبه مرض، في قلبه شهوة. في سبيلها يركب الصعب كما ركب الساموي الصعب وأسس في نهاية الأمر عقيدة شاذة. وكما ذكر الوآن قصة الساموي، لم يستبعد الفكر الحكيم أن يطمع الذي في قلبه مرض في أي أثر محرم عليه حتى ولو كان ضد الأثر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم. على الرغم من أنه يعلم بنص الوآن إنهن أمهات المؤمنين، فمقتضى هذا النص لا يجوز لصاحب قلب سليم أن يقترب نحو مطمع في أمهات المؤمنين. ولكن عالم موضى القلوب، عالم متخصص في نهش أي قبضة من أثر أي رسول. ليتاجر بها لحساب عالمه الخاص<sup>(2)</sup>. قال تعالى: (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا)<sup>(3)</sup>، قال المفسرون: نهاهن عن الخضوع في القول وهو ترفيق الكلام مع الرجال.

بحيث يدعو إلى الويبة. ويثير الشهوة فيطمع الذي في قلبه مرض. وهو فقدان قوة الإيمان التي تودعه عن الميل إلى الفحشاء<sup>(4)</sup>، وقال ابن كثير: في قلبه مرض. أي دغل<sup>(5)</sup>. والدغل بالتحريك: الفساد. والدغل هو أيضا: دخل في

(1) سورة طه: الآية 97.

(2) كان بعضهم يريد هذا ويفهم من قوله تعالى: (ما كان لكم أن تؤنوا رسول الله ولا أن تتكفوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما \* إن تبوا شيئا أو تخفوه فإن الله بكل شئ عليما). الأخواب 53 - 54 (3) سورة الأخواب: الآية 32.

(4) الميزان: 309 \ 16.

(5) تفسير ابن كثير: 482 \ 3.

الصفحة 65

(1) الأمر مفسد. وأدغل في الأمر أي: أدخل فيه ما يفسده ويخالفه، ورجل مدغل أي: مخاب مفسد.<sup>(1)</sup>  
وبالجملة نقول: إن الذي في قلبه مرض، لا يدخل في دائرة النفاق، لأنه محسوب على دائرة الذين آمنوا. وكل منافق في قلبه مرض، بمعنى في قلبه هدف لا علاقة له بأي هدف من أهداف الذين آمنوا. لأن الإيمان لم يدخل قلبه بصورة من الصورة. وما في قلبه فهو للصد عن سبيل الله ولا غير ذلك، لذلك نقول والله تعالى أعلم إن حديث الارتداد الذي رواه أصحاب الصحاح ينطبق على من كان يجلس في دائرة الذين آمنوا ثم رتد عنها. ولا ينطبق على المنافق الذي لم يؤمن أصلا حتى يرتد. وفي الحديث عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يرد علي يوم القيامة، رهط من أصحابي، فيقولون عن الحوض. فأقول: يارب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم رتوا على أدبهم القهقري " فالمنافق لم يؤمن حتى يرتد. إلا إذا كان قد آمن بعد ذلك ثم رتد. ومن الدليل على بطلان قول من قولوا، إن الحديث<sup>(2)</sup>

يختص بالمنافقين. الحديث الذي رواه ابن عساكر وابن النجار عن أبي الرداء أنه لما بلغه الحديث قال: قلت يا رسول بلغني أنك قلت ليكون أقوام بعد إيمانهم. قال: نعم ولست منهم (3) وفي رواية عند البيهقي قال: فأنتيت رسول الله فذكرت له ذلك فقال: إنك لست منهم (4).

إن داوة النفاق وتيار الذين في قلوبهم مرض. بفرتان في تربة واحدة يسقيان من ماء واحد، ولكل شجرة منهما ثمار وأرهار، لا طعم فيهما ولا رائحة. أنبتهما الله من الأرض لحكمة ومن وراء الحكمة هدفا. (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون \* ولقد فتنا الذين من قبلهم \* فليعلمن

(1) لسان العرب.

(2) رواه البخاري كتاب الدعوات (الصحيح: 142 \ 4).

(3) كنز العمال (261 \ 11).

(4) رواه البيهقي قاله ابن كثير في البداية: 208 \ 6.

الصفحة 66

الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين \* أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا \* ساء ما يحكمون (1).

#### رابعا - جهاز الرجس التخريبي:

إذا كان الشيطان في برنامج قد استهدف أنبياء الله ورسله والدعوة إلى الله والناس. وإذا كان الكفار والمشركون والمنحرفون من أهل الكتاب قد استهدفوا ببرنامجهم النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم ودعوته. فإن داوة الرجس سرت في نفس الاتجاه. فلقد استهدفوا الرسول فحاولوا اغتياله مرات عديدة واستهدفوا الدعوة بالتشكيك فيها وفي الداعي إليها واستهدفوا القوة الإسلامية المسلحة بتعريضها للهزيمة حتى تتأكل.

#### \* 1 - استهداف النبي صلى الله عليه وآله:

محولات أصحاب برنامج الشيطان، استهدفوا النبي صلى الله عليه وسلم منذ بداية الدعوة. لقد شكروا فيه واتهموه اتهامات شتى وتصدى لهم القآن ورد كيدهم إلى نحرهم. ثم حاولوا استعمال سياسة القبضة الغليظة، فاستهدفوا الرسول بإلقاء حجرتهم عليه، ثم محاولة قتله أكثر من مرة في مكة. وبعد هجرته صلى الله عليه وسلم تكررت محاولات قتله بواسطة اليهود ثم بالتوكيز عليه أثناء المعرك الحربية كي ينالوا منه صلى الله عليه وسلم ولكن رد الله كيدهم في كل مرة. وبلغت الذروة عندما همت مجموعة تخريبية من المنافقين بمحاولة اغتياله في أيامه الأخيرة. وهذه المحاولة لاغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم، مدونة في كتب التلخيص والتفسير والصالح والمسائيد (2) وطابور النفاق والذين في قلوبهم مرض، هم الذين قاموا بهذه المحاولة، وكانوا اثني عشر رجلا (3). وكانت خطتهم أن يقطعوا أتباع راحلته،

(1) سورة العنكبوت: الآية 2 - 3 - 4.

ثم يلقوا تحت رُجلها بالحجارة كي تقفز به، ثم ينخسوها لتندفع إلى الأمام نحو المتلوق فتلقى رسول صلى الله عليه وسلم من المرتفع إلى المنخفض. فيجهزوا عليه، واختاروا لجريمتهم وقتا قصوا قبل الظلام. فإذا تمت الجريمة طوَاهم الليل ولا واهم أحد. ثم يعودون ليتوضؤوا وليصلوا صلاة المغرب ويصلون فيها على محمد وآل محمد، وروي أن عمار بن ياسر وحذيفة رضي الله عنهما كانا مع النبي أحدهما يقود الناقة والآخر يسوقها. وبينما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اتجاه العقبة، وهو المكان المخطط له أن تقع الجريمة فيه، أخبر جوائيل عليه السلام النبي بما يدبر له. وفي المكان المحدد، ثم الهجوم وألقيت الحجرة تحت رُجل الناقة، ولكن الناقة لم تتحرك وثبتت على الأرض ثبوت الجبال. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحذيفة: اضرب وجهه وواحلهم، فضوبها حتى نحاهم. فلما قول النبي من المرتفع، قال لحذيفة: من عرفت من القوم؟ قال: لم أعرف منهم أحدا، إن ظلمة الليل غشيتهم وهم مثلثمون. فقال النبي: هل عرفت ما شأنهم وما يريدون؟ قال لحذيفة: لا يارسول الله. قال النبي: فإنهم فكروا أن يسبوا معي حتى إذا صوت في العقبة طوحوني فيها. فقال لحذيفة: ألا تبعث إليهم فتقتلهم؟ فقال النبي: أكره أن يتحدث الناس ويقولون: إن محمدا يقتل أصحابه، وسماهم واحدا واحدا<sup>(1)</sup> وهذه المجموعة التخريبية التي أقدمت على تنفيذ برنامجها الذي يستمد قوته من برنامج الشيطان أشار إليها الإمام مسلم في صحيحه. فعن حذيفة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في أصحابي اثني عشر منافقا، منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط<sup>(2)</sup> وروي أن حذيفة قال: أشهد أن الاثني عشر حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد<sup>(3)</sup> وروي عن عمار بن ياسر قال: أشهد أن الاثني عشر حربا لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم

(1) قصة تبوك في صحيح مسلم كتاب المنافقين: 8 / 123، وسند أحمد 5 / 390.

(2) رواه الإمام أحمد والإمام مسلم (كنز العمال: 169 / 1).

(3) رواه الإمام مسلم في صفات المنافقين (صحيح مسلم: 125 / 17).

الأشهاد<sup>(1)</sup> . إنها شهادة واحدة، لصحابي قاد الناقة وآخر ساقها. شهادة مسطرة في الصحاح والمسانيد. تقول إن من الصحابة من لا يدخل الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط. وإذا أردنا أن نعرف نوافع الجريمة عند المجموعة التخريبية، فنلقف عند العقوبة ونسلط عليها الضوء الوأني. قال تعالى: \* (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين) \*<sup>(2)</sup> .

إن المجموعة التخريبية كذبت بآيات الله، واستكبروا عنها، فضوبتهم العقوبة التي شهد بها عمار وحذيفة رضي الله عنهما، في كتب الصحاح. وهذه العقوبة ستصيب كل من كذب بآيات الله واستكبر عنها حتى يرث الله تعالى الأرض لقوله جل وعلا:

\* (وكذلك نخزي المجرمين) \* إن التكذيب بآيات الله جريمة تخترق المستقبل من الماضي. \* (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خوا قل انتظروا إنا منتظرون) \* (3) ، والاستكبار جريمة ترى أثرها على امتداد الليل. والاستكبار والتكبر من الإنسان، أن يعد نفسه كبيرا ويضع نفسه موضع الكبر وليس به ولذلك يعد في الودائل. وفي لسان العوب: الاستكبار، الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكورا (4) .

## \* 2 - استهداف الدعوة:

استهدف كتاب الدعوة منذ يوم الانذار الأول، فقالوا أساطير الأولين. وغير ذلك من أهوالهم التي تصدى لها القآن ونسفا نسفا ورد كيدهم إلى نحرهم. وعندما لم يستطيعوا النيل من كتاب الله، استهدفوا الدعوة من خلال

(1) رواه الإمام أحمد (الفتح الرباني: 202 / 21).

(2) سورة الأعراف: الآية 40.

(3) سورة الأنعام: الآية 158.

(4) لسان العوب: ص 3808.

الصفحة 69

حركتها وشعاؤها بواسطة المنافقين، لضوبها وضوب قوتها في وقت واحد. كان الجهاز التخريبي يدخل للصلاة وهدفه لا يعرف طريق الاهتداء، وبلغت نروة الاستهداف للدعوة في آخر أيام النبي صلى الله عليه وسلم. وذلك عندما قاموا ببناء مسجد مهمته تخريب الصف الإسلامي وبث ثقافة معادية للدعوة، ووضع بذور بواسطتها تظهر الأحزاب والمذاهب بين المؤمنين.. فكل هذا تحت سقف مسجد يرفع عليه الأذان، وهذا العمل اشترك فيه جميع أتباع برنامج الشيطان، من مشوكين وأهل كتاب وعلى رأس الجميع قيصر الروم. وقد كان مقورا أن يعمل مسجدهم هذا في الفترة الزمنية التي حدثت فيها غزوة تبوك. لقد فوغوا من البناء قبل الغزوة، ثم وجهوا الدعوة إلى النبي صلى الله عليه وسلم كي يفتح المسجد بالصلاة فيه. لكن الله عصمه، وبعد العودة من تبوك حدثت محاولة الاغتيال. باختصار كانت هذه الفترة الزمنية، فترة عصيبة لا يرى حجم الخطورة فيها إلا بتجميع أحداثها.

(1) لقد أقاموا مسجدا، وهم الذين قال فيهم الله تعالى: \* (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين) \* (2) ، فالإنفاق منهم لغو لا يترتب عليه أثر. وهم فاسقون والله لا يقبل عمل الفاسقين، قال تعالى: \* (إنما يتقبل الله من المتقين) ، (3) ، والتقبل أبلغ من القبول. وقال فيهم أيضا: \* (يحلّفون لكم لترضوا عنهم فإن رضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) \* (4) . وقال تعالى: \* (يحلّفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين) \* (4) . لقد كانوا يحلّبون معركة سوية غايتها أن ينالوا رضى المؤمنين، وتحت هذه اللافتة يتم المخطط الإجماعي. ولكن آيات الله وقفت لهم

بالموصاد، وأخبرت أن الواجب على كل مؤمن أن يرضى الله ورسوله. ولا يحاد الله ورسوله، لأن في هذا خريا عظيما.

وأخبر سبحانه أن حلفهم هذا كان من أجل

(1) سورة التوبة: الآية 53.

(2) سورة المائدة: الآية 27.

(3) سورة التوبة: الآية 96.

(4) سورة التوبة: الآية 62.

الصفحة 70

صوف المؤمنين عنهم ليأمنوا الدم، فأمر جل شأنه بالإعاض عنهم لأنهم رجس ولا ينبغي لزاواة الإيمان وطهرته، أن يتعوض لرجس النفاق والكذب، وقلزة الكفر والفسق. وأخبر تعالى، إنكم إن رضيتهم عنهم، فقد رضيتهم عن من لم يرض الله عنه. أي رضيتهم بخلاف رضا الله، ولا ينبغي لمؤمن أن يرضى عما يسخطربه.

فهؤلاء الذين لم يرض عنهم الله بنوا مسجدا لهدف، قال تعالى: \* (والذين اتخذوا مسجدا ضورا وكفوا وتفويقا بين المؤمنين وإرسادا لمن حرب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون) \* (1).

قال المفسرون: بين الله تعالى أهداف هذه الطائفة من المنافقين في اتخاذ هذا المسجد وهو:

\* الإضرار بغوهم \* والكفر \* والتفويق بين المؤمنين \* والإرساد لمن حرب الله ورسوله. والقصة التي اتفق عليها أهل النقل: إن رجلا يقال له أبو عامر الزاهب كان يعيش بالمدينة. وبعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة فورا إلى كفار مكة، يمالئهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان ذلك بعد غزوة بدر، فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب، وقدموا يوم أحد. وقام أبو عامر بحفر حفر بين الصفين، وقع في إحداهن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأصيب ذلك اليوم. فروح وجهه الشريف. وشجر رأسه صلى الله عليه وسلم. ولما فرغ الناس من أحد، ولم ينل المجرمون من النبي ودعوته شيئا، ذهب أبو عامر إلى هرقل ملك الروم، يستنصوه على النبي صلى الله عليه وسلم. فوعده ومناه، فكتب إلى جماعة من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم إنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ويغلبه ويرده عما هو فيه. وأمرهم أن يبنوا له معقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده، ويكون مرصدا له إذا قدم عليهم بعد ذلك. فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، وفرغوا منه قبل خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

(1) سورة التوبة: الآية 107.

الصفحة 71

تبوك. وجاعوا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقوره وإثباته. فعصم الله رسوله من الصلاة فيه فقال لهم " إنا على سفر ولكن إذارجعنا إن شاء الله " فلما قفل عليه السلام راجعا إلى

(1)



المدينة من تبوك تول عليه جيول يخبر بالمسجد الضوار كما أخوه بمحاولة الاغتيال. فأمر النبي بهدم المسجد وحرقة،

وحرق الومز كي يتدبر المتديرون في أحداثه ورماده ودخانه. ويبقى سؤال، هل انتهى المسجد؟

والإجابة في كتاب الله. قال تعالى: \* (لا زال بنيانهم الذي بنواربية في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) \* (2)

قال المفسرون: روي أن مكان المسجد الضوار كانت توجد حفة بها حجر يخرج منه دخان (3). والمسجد اليوم مزبلة.

وقال ابن كثير في تفسير الآية: \* (لا زال بنيانهم الذي بنواربية في قلوبهم) \* أي شكا ونفاقا بسبب إقدامهم على هذا

الصنيع الشنيع، أورثهم نفاقا في قلوبهم.

كما أثوب عابدو العجل حبه. وقوله \* (إلا أن تقطع قلوبهم) \* أي بموتهم (4).

وقال البيضاوي في تفسير: رسخ ذلك في قلوبهم وزداد بحيث لا يزول وسمه من قلوبهم.

فأتباع الساموي قال فيهم تعالى: \* (واشربوا في قلوبهم العجل بكوهم) \* (5) وأتباع المسجد الضوار قال فيهم الله \* (لا

زال بنيانهم الذي بنواربية في قلوبهم) \* إن البصمة هنا وهناك على القلوب.

### 3 - استهداف القوة العسكرية:

القتال في الإسلام، عموده الفقوي الدفاع عن الفطرة. ولأنه على طريق

---

(1) تفسير ابن كثير: 387 / 2.

(2) سورة التوبة: الآية 110.

(3) تفسير ابن كثير: 391 / 2.

(4) المصدر السابق: 391 / 2.

(5) سورة البقرة: 93.



الفتوة فإنه يكره الاعتداء، قال تعالى: \* (لا تعتونا إن الله لا يحب المعتدين) \* (1) . وقال: \* (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعون) \* (2) . القتال في الإسلام له قانون، وهذا القانون للفتوة ومن أجلها.

ولقد دأب أعداء الفتوة في وضع الواقيل أمام القوة الإسلامية حتى لا يشتد ساعدها. في مكة استهدفوا الأجساد التي لم يكتب عليها القتال بعد، رأوا لها أن تخاف وأن تتوقع. وفي المدينة حشوا الحشود وتعاونوا مع أعداء الدعوة في كل مكان للقضاء على القوة العسكرية الناهضة، ورد الله كيدهم. وبدأ أصحاب برنامج الشيطان، يعتمدون على ورقة النفاق تلك الورقة التي اخترق أصحابها الصف الإسلامي. واستطاعوا أن يبثوا ثقافتهم بين المسلمين. وكان في الصف الإسلامي سماعون لهم، وهؤلاء السماعون استطاعوا أن يجعلوا من القوة الواحدة فنتين فئة تعطي أصواتها للمنافقين والأخرى ترفض الانصات وتطالب بقتال المنافقين الذين انسحبوا من أرض المعركة. باختصار كان للمنافقين أژا بالغا في تعويض القوة المسلحة الإسلامية للعديد من الضربات.

وبإلقاء نظرات على عمليات التخريب الكرى التي قام بها المنافقون، نجد أنهم كانوا أسرع الناس في التخلف والقعود عن الجهاد، واستئذان الجنود في التخلف والقعود من غير عذر، جريمة في حق الفتوة. يقول تعالى: \* (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين) \* (3) ، فالؤمن يقف على رضية العبادة الحق، التي تجعله على بصوة من وجوب الجهاد في سبيل الله بماله ونفسه. ولما كانت معركة الإسلام يتقدمها عمليات للاستطلاع وعليها يتم تقدير الموقف وعليه يتم تنظيم التعاون بين القوات المشتركة. فإن الاستئذان بعد هذه الإجراءات أو أثناء المعركة نفسها، يترتب عليه إعادة التنظيم وبهذا يكون ضياع الوقت في صالح العدو. أو إتاحة

(1) سورة البقرة: الآية 190.

(2) سورة المائدة: الآية 2.

(3) سورة التوبة: الآية 44.

الفرصة للقوات المعادية للتقدم وإجراء عمليات الالتفاف والتطويق في المناطق التي أخليت عن تطويق الذين استأذنوا أو انسحبوا. وحركة النفاق كان الاستئذان والانسحاب أصل أصيل فيهم، قال تعالى: \* (إنما تستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولتأبت قلوبهم فهم في ريبهم يتوعدون) \* (1) . فالمنافق لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر يكون فاقدا لصفة التقوى،

فخروجه مع المؤمنين يكون من باب النفاق. وعلى امتداد خروجه يتوعد في دائرة عريضة مادتها التذبذب والارتياب.

فهو يريد مغنما ما، وفي نفس الوقت لا يريد أن يموت، ثم يأخذ القوار المناسب في الوقت المناسب بما يحقق أمن الفرد

وأمن الدائرة.

وفي غزوة أحد، كان مؤسس المسجد الضوار يطوف على جباوة قريش في مكة لتعبئتهم ضد النبي صلى الله عليه وسلم.

وعندما تم حشد القوة الإسلامية وبدأ التوجه إلى أحد، انسحب المنافقون وكانت قواتهم تقدر بثلاث الجيش (2) ولم يؤثر فيهم أي موعظة وإلحاح. ويقول تعالى في اعتزلهم يومئذ:

\* (وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) \* (3) قال المفسرون: رجع المنافقون أثناء توجه المسلمون إلى أرض المعركة فاتبعهم رجال من المؤمنين

يحرضونهم على الإتيان والقتال والمساعدة. فإن لم يكن في سبيل الله فليدفعوا عن أولادهم وحريمهم وأنفسهم. فتعللوا قائلين: لو نعلم أنكم تلقون حربا لجئناكم. ولكن لا تقاتلون قتالا. وقولهم هذا جعلهم من الكفر الصريح أقرب (4). وهذا العمل الذي يلتقي

مع عمليات حشد مؤسسي المسجد الضوار في نقطة واحدة، كان أحد الأسباب العاملة لانضمام المسلمين يومئذ. وإذا كانت دائرة النجس قد نسقت بصورة أو بأخرى مع الأطراف في مكة يوم أحد فإنهم نسقوا أيضا مع يهود بني النضير بالمدينة. روي أن

بني النضير تأمروا على قتل

(1) سورة التوبة: الآية 45.

(2) تفسير ابن كثير: 532 / 1.

(3) سورة آل عمران: الآية 167.

(4) الميزان: 60 / 4.

الصفحة 74

النبي صلى الله عليه وسلم. فأخبر الوحي النبي ما هم به يهود بني النضير. فبعث إليهم النبي أن أخرجوا من المدينة ولا تسكنوني بها. فبدلوا يتجهزون للخروج، فرسل إليهم عبد الله بن أبي زعيم المنافقين، أن لا تخرجوا فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم ويموتون دونكم، وسينصركم بنو قريظة وحلفائكم من غطفان. ولم يتركهم حتى أقنعهم وأرضاهم فبعث اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم: إنا لا نخرج من ديلنا، فاصنع ما بدا لك. فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبر أصحابه. وساروا إليهم وأحاطوا ببديلهم (1). قال تعالى: " ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتنم لننصونكم والله يشهد إنهم لكاذبون) \* (2).

لقد ربط القرآن بينهم بأخوة واحدة لاشتراكهم في اعتقاد أو صداقة. ولم يف المنافقون بما وعوا به إخوانهم من أهل الكتاب، لقد سانوهم فقط بالقول نظرا لأن عوهمما واحد. وكل منهما وقف خلف جدار الآخر، كل طرف يتمنى أن يبادر صاحبه بإتمام المهمة التي عليه بصمات الشيطان. ولما كانت حركة النفاق مهمتها التخريب والتأليب وتعريض الصف الإسلامي القتالي للخطر. فإن الله تعالى زهدهم في الخروج، يقول تعالى: \* (ولو رأوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) \* (3). قال المفسرون:

لو رأوا الخروج لأعدوا له عدة. ومن الإعداد الاعتقاد الصحيح والإيمان الحق. ولأنهم لم يعوا عدة ولم يتأهبوا لها،

كره الله خروجهم فهدهم فيه لئلا يفسدوا جمع المؤمنين (4).

لقدز هدهم الله في الخروج لأن في خروجهم كثرة، ولم يقتصر خروجهم

(1) الميزان: 208 / 19.

(2) سورة الحشر: الآية 11.

(3) سورة التوبة: الآية 46.

(4) الميزان: 290 / 9.

الصفحة 75

على الانسحاب والاستئذان. وإنما كانوا يلقون بالفتن ليقفوا كلمة المسلمين.

وذلك عن طريق الذين كانوا يسمعون لهم، قال تعالى: \* (لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا ولأوضاعا خلالكم ييغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليهم بالظالمين) \* (1) . قال المفسرون: وفيكم سماعون لهم: أي مطيعون لهم ومستجيبون لحديثهم وكلامهم، يستتصحبونهم وإن كانوا لا يعلمون حالهم.

فيؤدي إلى وقوع شر بين المؤمنين وفساد كبير (2) . وقيل: \* (وفيكم سماعون لهم) \* السماع: أي السريع الإجابة والقبول (3) . وإذا كان القآن قد أشار إلى جماعة أو أفراد يسمعون للمنافقين. فإنه في موضع آخر يبين أن المؤمنين في وقت ما انقسموا

إلى فئتين لكل فئة رأي في المنافقين، قال تعالى مخاطبا المؤمنين: \* (فما لكم في المنافقين فئتين والله ركبهم بما كسبوا تريدون أن تهوا من أضل الله ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا) \* (4) . قال المفسرين: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى أحد، فوجع ناس خرجوا معه. فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فئتين. فوقة نقول: نقتلهم. وفوقة نقول: لا. وهم المؤمنون فأقول الله \* (فما لكم في المنافقين فئتين) \* (5) . وقال تعالى منكروا على المؤمنين في اختلافهم في المنافقين،

أنه سبحانه ركبهم بسبب عصيانهم ومخالفتهم الرسول واتباعهم الباطل. أتريدون أن تهوا من لا طريق له إلى الهدى، وهم يودون لكم الضلالة لتستووا أنتم وإياهم، وما ذلك إلا لشدة عداوتهم وبغضهم لكم (6) .

فالمنافقون وضعوا العواقل العديدة، ولكن الذين آمنوا استطاعوا بإيمانهم الواسخ أن يعبروا هذه العقبات نظرا لتمسكهم

بتعليمات النبي صلى الله عليه

(1) سورة التوبة: الآية 47.

(2) تفسير ابن كثير: 361 / 2.

(3) الميزان: 290 / 9.

(4) سورة النساء: الآية 88.

(5) تفسير ابن كثير: 532 / 1.

(6) تفسير ابن كثير: 533 / 1.

وسلم. ولم يؤثر كيد النفاق، كما لو يؤثر كيد المشركين من قبل. ولقد حاول النفاق أن يبيث ثقافة القعود عن الجهاد، بعد أن نال المسلمين من أعدائهم كل نيل ولكن هذه المحاولة هي الأخرى باءت بالفشل. وبت ثقافة القعود وصلت إلى نروتها عند التحضير لغزوة تبوك. تلك الغزوة التي حاولوا فيها قتل النبي صلى الله عليه وآله وانتهوا قبلها من تشييد المسجد الضوار. ولقد هدد القآن الكريم الذين تناقوا عن الجهاد وقتنذ بالعذاب الأليم إذ لم ينفروا إلى الله. قال تعالى: \* (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض رضىتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل \* ألا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا) \* (1).

قال المفسرون: هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك حين طابت الثمار والظلال في شدة الحر (2). ومعنى الآية: يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم - لم يصوح باسمه صونا وتعظيما - اخرجوا إلى الجهاد أبطأتم. كأنكم لا تريدون الخروج، أفنعمت بالحياة الدنيا راضين بها من الآخرة. فما متاع الحياة الدنيا بالنسبة إلى الحياة الآخرة إلا قليل (3). ثم هددهم الله تعالى بالعذاب والاستبدال. ولا يضروه شيئا بتوليهم عن الجهاد.

وإذا كانت ملامح النفاق تبدو واضحة على طويق أحد وتبوك، فإن آخر هولاتهم كانت والنبي صلى الله عليه وسلم على فاش العرض. فلقد أمر عليه الصلاة والسلام بأن ينتظم الجيش تحت قيادة أسامة لإنجاز مهمة قتالية، ووضع النبي أكابر الصحابة تحت قيادة أسامة، وأمرهم بالخروج (4). ولكن النفاق ملس مهمته المعتادة يقول ابن حجر في فتح البلي (5): طعن المنافقون

(1) سورة التوبة: الآية 38 - 39.

(2) تفسير ابن كثير: 2 / 357.

(3) الميزان: 9 / 278.

(4) بعث أسامة في البخاري (2 / 303)، ومسند أحمد (الفتح الروباني: 21 / 222).

(5) فتح البلي: 13 / 180.

في إمرة أسامة. وعندما علم النبي صلى الله عليه وسلم بما قالوا، جلس على المنبر وقال: " إن تطعنوا في إمرة فقد طعنتم في إمرة أبيه في قبل..

وحثهم على الخروج. ولم يخرج البعث إلا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

#### 4 - جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم لتيلات الصد الداخلية:

بعد أن هورل أعداء الدعوة إلى أرض الدعوة، ينطقون بألسنتهم شعرات الدعوة وتختون قلوبهم وُجال الصد عن سبيل

الله. بعد أن تدثروا بجلباب الإسلام سواء كان مصنوعا من قماش الخوف أو قماش المنفعة، بعد هذا أصبح التصدي لما يرتكبه من جرائم غرض يتخونه لتشويه الدعوة، تحت شعار أن محمدا يقتل أصحابه. فشعار مثل هذا وسط قبائل وعصبيات ودوائر عديدة للصد داخلية وخرجية، سيضع بلا أدنى شك عقبات أمام الدعوة يجد فيها برنامج الشيطان متسعا للانطلاق. ولهذه الأسباب وغيرها كان النبي صلى الله عليه وسلم يسير بالدعوة بين نفوس من صخر وبين نفوس نقية تقية. والدعوة في الأساس أخروية الثواب، ويقف تحت سقفها كل من قبلها وأدى شعائرها.

والدعوة تتحرك وفقا لوعي يحركها. وإذا نظرنا إلى حركة الدعوة في مواجهة المنافقين والذين في قلوبهم مرض وغيرهم. نجد أن الوأن الكريم قد حدد هذه الحركة بما يتلائم مع النفس الإنسانية عموما ليصل بها في النهاية إلى المخزون الفطري. قال تعالى: \* (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) \* (1).

فالدعوة تحركت على محور فيها الرحمة والعفو والاستغفار والمشورة التي تنتهي في نهاية الأمر إلى قرار رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال في الميزان: \* (فبما رحمة من الله لنت لهم) \*، أصل المعنى: فقد لان لكم رسولنا

(1) سورة آل عمران: الآية: 159.

الصفحة 78

ورحمة منا. لذلك أمرناه أن يعفو عنكم ويستغفر لكم ويشاوركم في الأمر. وأن يتوكل علينا إذا عزم (1). وعلى هذا الأساس شقت الدعوة طريقها وسط الصخور، فقد كان صلى الله عليه وسلم يعفو عن بعض أفعالهم غير أن هذا العفو لا يشمل مورد الحدود الشرعية وما يراها والإلغى التشريع. وكان يشاورهم في الأمر، قال ابن كثير: كان يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث، تطيبا لقلوبهم، ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه (2). ولقد شاورهم يوم بدر وفي مواطن كثرة على امتداد سيرته صلى الله عليه وسلم. ولا يجب أن يفهم من مشاورتهم في الأمر أن هذه المشورة في أمور عقائدية أو أمور حسمها الوحي. وإنما المشورة كما نصت الآية \* (في الأمر) \* أي الأمر الذي يغزمون عليه. والذي يدخل في إطار الأمور العامة التي تجوز فيها المشورة. وبعد المشورة إذا عزم الرسول صلى الله عليه وسلم. فإن من أحبه كان وليا وناصر له غير خاذله. وكان صلى الله عليه وسلم يشورهم على امتداد المسورة، بأنه إنما يفعل ما يؤمر. والله سبحانه عن فعله راض، وهو متوكل على الله. وعليهم أن يتوكلوا عليه لأن الله يحب المتوكلين.

وهكذا ضربت الدعوة وجهة الجحود بالرحمة، وحاصرت جميع النواثر بالمشورة. وسأقت الجميع إلى التوكل على الله. وأمام هذا العطاء كان أصحاب الرقاب الغليظة يعضون على أناملهم من الغيظ لأنهم عجزوا عن اخذوا حاجز الرحمة وحاجز المشورة اللذين ينتهيان إلى الله قاصم الجبلين. كانت نواثر الصد توج بأصحاب المخالب ويرتد فيها صدى قوقعة أنياب الحيتان. وأمام العرائق والمخالب أمر الله تعالى بجهادهم. قال تعالى: \* (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم ومؤاهم جهنم) \* (3). أما جهاد الكفار الذين تجاهروا بالكفر وخرجوا للصد عن سبيل الله، ففي قتالهم آيات كثيرة ولهذه الآيات

(1) الميزان: 4 / 56.

(2) تفسير ابن كثير: 1 / 420.

(3) سورة التوبة: 73.

الصفحة 79

يبين لماذا ومتى وكيف. فمن أراد فلواجعها في مواضعها، أما قتال المنافقين الذين يرتدون جلباب الإسلام ويدخلون مساجده ويوتلون كتابه، فله شأن آخر.

قال ابن كثير في جهاد المنافقين: عن ابن مسعود قال: بيده فإن لم يستطع فليكفره في وجهه. وعن ابن عباس قال: باللسان. وعن الحسن وقتادة ومجاهد: مجاهدتهم إقامة الحدود عليهم<sup>(1)</sup>. وقال في الميزان عن جهادهم:

المجاهدة بذل غاية الجهد في مقاومتهم، والجهاد يكون باللسان وباليد حتى ينتهي إلى القتال. وشاع استعمال الجهاد في القرآن في قتال الكفار، لكونهم متجاهرين بالخلاف والشقاق. فأما المنافقون، فهم الذين لا يتظاهرون بكفر ولا يتجاهرون بخلاف. وإنما يبطنون الكفر ويقلبون الأمور كيذا ومكرا. ولا معنى للجهاد معهم بمعنى قتالهم ومحلبتهم.. والبراد بجهادهم - في الآية - مطلق ما تقتضيه المصلحة من بذل الجهد في مقاومتهم. فإن اقتضت المصلحة هجروا ولم يخالطوا ولم يعاشروا وإن اقتضت وعظوا باللسان. وإن اقتضت أخرجوا وشربوا أو قتلوا إذا أخذ عليهم الودعة أو غير ذلك. ويشهد لهذا المعنى عن كون البراد بالجهاد في الآية هو: مطلق بذل الجهد. تعقيب قوله تعالى: \* (جاهد الكفار والمنافقين) \* بقوله: \* (واغلظ عليهم) \* أي شدد عليهم وعاملهم بالخشونة<sup>(2)</sup>.

وقد تعامل النبي صلى الله عليه وسلم على امتداد مسيرته بين نوائر الصد في الداخل، وفقا لمصلحة الدعوة. وقول الله تعالى لرسوله في شأن المنافقين:

\* (لا تصلي على أحد منهم مات أبدا) \*<sup>(3)</sup> يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعرفهم بأعيانهم وأنه كان يتصرف التصرف الذي يمنع المنافقين من قطع الشوط الكبير في إفساد الأمر. فكان صلى الله عليه وسلم يخرج بعض المنافقين من المسجد على سمع وروأى من الجميع ترة، وكان يسر بأسماء بعضهم إلى أصحابه ترة. وكان يسر بأسماء البعض الآخر إلى

خاصة

(1) ابن كثير في التفسير: 2 / 371.

(2) الميزان: 9 / 329.

(3) سورة التوبة: الآية 84.

الصفحة 80

الخاصة من أصحابه نرة أخرى. كل ذلك وفقا لحركة الدعوة وحركة القبائل وثقافتها. وكان في موضع آخر يقول في بعضهم وقد جاؤا به \* (دعه. لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه) \* <sup>(1)</sup>. ويقول: \* (معاذ الله. أنتساع الأمم أن محمدا يقتل أصحابه) \* <sup>(2)</sup>. لقد كان صلى الله عليه وآله يصفح إذا اقتضت المصلحة ذلك أو كما ذكر البخاري، كان يتوك قتل المعرضين للتآلف ولا ينفرد الناس عنه <sup>(3)</sup>.

وإذا كانت الغلظة أي معاملتهم بخشونة تقتضيه مصلحة الدعوة في صورها الأول. فإنهم إذا أظهروا النفاق، بمعنى إذا حشوا حشودهم للدفاع عن ثقافتهم التي يعبرون عنها بألسنتهم، ووقودها في قلوبهم، فإذا كانت المصلحة في قتالهم قوتلوا. ولكن، تحت راية إمام حق، عالم بالتأويل. لأن قتال المسلمين يختلف عن قتال غوهم، فالقتال أي قتال، فيه دماء، وسبي، وجرحى، ورأمل، إلى غير ذلك. وهذا كله إذا دار تحت سقف واحد احتاج إلى فقه طويل عريض عال. يقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيما ذكر ابن كثير: بعث النبي صلى الله عليه وسلم بل أربعة أسياف. سيف للمشركين \* (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فقاتلوا المشركين) \* وسيف للكفار من أهل الكتاب \* (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) \*، وسيف للمنافقين \* (جاهلوا الكفار والمنافقين) \*، وسيف للبغاة \* (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) \*. قال ابن كثير: وهذا يقتضي أنهم يجاهدون بالسيوف إذا أظهروا النفاق، قال بذلك ابن جرير <sup>(4)</sup>. وكما سرت حركة الدعوة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة والمشورة في الأمر، وجهاد المشركين بما تقتضيه المصلحة ضرب الوحي سورا من الرحمة يحدد كيف يتعامل

(1) رواه البخاري ومسلم عن جابر (كنز العمال: 200 / 11).

(2) رواه أحمد وحسنه الهيثمي (مجمع الزوائد: 231 / 6).

(3) البخاري (الصحيح: 312 / 4).

(4) ابن كثير في التفسير: 2 / 371.

المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف يخاطبونه فليس معنى أنه بينهم أو يشاورهم في الأمر اختلاط الأمور وانصهار المكانة. فرفض الدعوة عليها من هو في داوة الإيمان والإسلام وغير ذلك من نواثر الوجس والقلوب المريضة. وجميع هؤلاء يتحدثون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولأن الحديث مع الأنبياء والوسل يترتب عليه إما الجنة وإما النار أقامت الدعوة جدرا من الرحمة، حتى لا تول الأقدام وتحبط الأعمال. قال تعالى: \* (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وانتقوا الله إن الله سميع عليم) \* يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون \* إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) \* <sup>(1)</sup>.

قال ابن كثير: أي لا تسوعوا في الأشياء بين يديه، أي قبله. بل كونوا تبعا له في جميع الأمور.. وقال سفيان: لا تقدموا



بقول ولا بفعل. وقال الضحاك:

لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله من شوائع دينكم. وقوله \* (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) \* قال ابن كثير: هذا أدب ثان أدب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين النبي صلى الله عليه وسلم فوق صوته. وروي أنها قلت في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، روى البخاري عن أبي مليكة قال: كاد الخوان أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم ركب بني تميم. فأشار أحدهما بالأوّل بن حابس، أخي بني مجاشع. وأشار الآخر ورجل آخر. فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي. وقال عمر: ما أردت خلافاك. فارتفعت أصواتهما في ذلك فأقول الله تعالى: \* (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم... الآية) \* (2) وقوله تعالى: \* (أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) \*

(1) سورة الحجرات: الآية 1 - 3.

(2) رواه البخاري (الصحيح: 190 / 3) والتومذي وقال حسن غريب (الجامع: 387 / 5) وذكوه ابن كثير في التفسير: 4 / 206

الصفحة 82

أي نهاكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك، فيغضب الله لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يوري. ثم ندب الله تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك ورشد إليه ورغب فيه فقال: \* (إن الذين يعضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) \* أي أخلصها لها وجعلها أهلا ومحلا (1). وقال في الميزان: \* (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) \* بين يدي الشيء: أمامه. وهو استعمال شائع مجزئ أو استعري. وإضافته إلى الله ورسوله معا، لا إلى الرسول. دليل على أنه أمر مشترك بينه تعالى وبين رسوله. وهو مقام الحكم الذي يختص بالله سبحانه ورسوله بإذنه كما قال تعالى: \* (إن الحكم إلا لله) \* (2). وقال: \* (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) \* (3).

وقوله: \* (لا تقدموا) \* أي تقديم شيء ما من الحكم. فبالحكم الله ورسوله. إما بالاستباق إلى قول قبل أن يأخونا القول فيه من الله ورسوله. أو إلى فعل قبل أن يتلقوا الأمر من الله ورسوله.. والمعنى: أن لا تحكموا فيما لله ورسوله فيه حكم. إلا بعد حكم الله ورسوله، أي لا تحكموا إلا لحكم الله ورسوله. ولتكن عليكم سمة الاتباع والافتقار. وقوله لا ترفعوا أصواتكم.. " وذلك بأن تكون أصواتهم عند مخاطبته وتكليمه صلى الله عليه وسلم رُفِعَ من صوته وأجهر لأن في ذلك كما قيل شيئين: إما نوع استخفاف به وهو الكفر. وإما إساءة الأدب بالنسبة إلى مقامه. وهو خلال التعظيم والتوقير المأمور به. وقوله: \* (لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) \* فإن من التعظيم عند التخاطب أن يكون صوت المتكلم أخفض من صوت مخاطبه. فمطلق الجهر بالخطاب فاقد لمعنى التعظيم. فخطاب العظماء بالجهر فيه، كخطاب عامة الناس لا يخلو من إساءة الأدب وقوله \* (أن

تحبط أعمالكم..) \* أي لئلا تحبط أو كراهة أن تحبط أعمالكم. فظاهر الآية أن رفع الصوت فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم والجهر له بالقول معصيتان موجبتان للحبط. فيكون من المعاصي غير

(1) تفسير ابن كثير: 207 / 4.

(2) سورة يوسف: الآية 40.

(3) سورة النساء: الآية 64.

الصفحة 83

(1) الكفر ما يوجب الحبط .

...والخلاصة: تعددت الدوائر، ولم تجد الدعوة غضاضة في التعامل مع جميع الخصوم الذين يقفوا تحت سقفها، كانت تحلور جميع الأطواف دون أن تسمح لأي طرف من السيطرة عليها. وتعامل الدعوة مع القوى المختلفة ومع الأضداد، كان تعاملها يستخلص مصلحة الفطرة في النهاية. وإذا كانت الدعوة قد أحاطت الجميع بآيات تحدد كيفية مخاطبة النبي وكيفية دخول بيوته، فإنها حاصرت دائرة الوجدان الذي يقوِّع المنافقين ولا يجعل حركتهم قابلة للتمدد على المستوى الأفقي أو الرأسي. وذلك بفرض نظام يرفض اتخاذ بطانة من غير الذين آمنوا. كما حددت الدعوة دائرة الطهر، وهذه الدائرة قضى الله وقضؤه حق. إن دعوة الإسلام مع هذه الدائرة وإن في هذه الدائرة طائفة لا يرضونهم من نواهم أو من خذلهم أو من عاداهم حتى يأتي أمر الله.

(1) الميزان: 308 / 18.

الصفحة 84

الصفحة 85

## ثالثا - النور وحصار دائرة الوجدان

### 1 - من الذي يدعو ويختار؟:

لا جدال في أن الشيطان مازال يعمل منذ طرده الله من الجنة وأن مجال عمله هم نزية آدم وإن عمله مستمر بعد الرسالة الخاتمة وحتى يوم الوقت المعلوم. ولا جدال في أنه استهدف في يومنا هذا رسل الله عليهم السلام ودعوتهم قال تعالى: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن) (1) ولا جدال في أن حزب الشيطان من المنافقين قد تدثروا في رداء الإسلام وحاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم. وحاولوا بث ثقافة العوان من تحت مئذنة مسجدهم الضار. وسلروا بين المؤمنين يبيئون الفتن في الوقت المناسب. ولا جدال في أن الكتاب الذي يقوِّه كل من يقف تحت سقف الدعوة الإسلامية هو القرآن الكريم. ولا جدال في هذا وغيره.

فإذا كان الأمر على هذه الصورة. فكيف حصنت برسالة خط القيادة فيها؟

بمعنى أنها لو تركت الأمر لاختيار الأمة فإن بين صفوف الأمة من يقول فيهم الله جل شأنه: (وإذ أريتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذوهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) <sup>(2)</sup> بالله عليك إذا قام واحد من هؤلاء لتوشيح نفسه للرئاسة في أي مكان. ألا تراه

(1) سورة الأنعام: الآية 112.

(2) سورة المنافقون: الآية 4.

الصفحة 86

يستحوذ على أغلب أصوات الناخبين. فهو في صباحة من المنظر. وتناسب في الأعضاء. وإذا سمعه السامع مال إلى الاصغاء إلى قوله: فماذا فعلت الدعوة الخاتمة لسد الطريق أمام أعداء الفطرة الذين يأكلون بأجسامهم وألسنتهم؟ وأيضا يعين صفوف الأمة أولئك الذين غمسوا في الترف بما لديهم من أموال وأولاد.

يقول تعالى: (لا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وترهق أنفسهم وهم كافرون) <sup>(1)</sup>. فماذا فعلت الرسالة الخاتمة لسد الطريق أمام التجار الكبار الذين احتفوا التجارة في كل شيء. وأمام أبنائهم الذين ورثوا منهم الشنوذ والدنس والعار، أقول والله أعلم. إن القول بأن الدعوة لم تقم بتحسين هذا الجانب، هو قول فيه تساهل غير لائق بكلام الله وسنة نبيه وحركة التاريخ. ولو قلت أن الأمة تختار قيادتها وفقا لشروط دقيقة. فإن قولي هذا يصطدم بحقيقة لا تقبل الجدل تقول: إن سر المنافق في قلبه. ومعنى هذا إن أي شروط في حقيقة أمرها الله تتعدى الأمور الظاهرة، ولأن جسم هذا الأمر لا يبدأ إلا من القلب. فإن الاختيار لا يكون للأمة. وإنما يكون للذي يعلم ما تخفيه الصدور. إلى الله.

إن المسوأة لم تأت لتأكل. إنها لم تأت لتحقيق أهواء فود ما أو قبيلة ما أو حزب ما. (إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين...) <sup>(2)</sup> ، إن المسوأة جاءت لهدف ومن ورائه حكمة (إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء) <sup>(3)</sup>.

إنه صواع دائم بين الحق وبين الباطل. بين برنامج الشيطان وبين برنامج الفطرة، بين برنامج يقوض الصراط المستقيم وبين برنامج يحدد الصراط المستقيم. ويسوق الناس إلى ربهم. فإذا قرأنا قوله تعالى: (إهدنا الصراط المستقيم) <sup>(4)</sup> فهذا إقرار

منا بأن هداية الطريق له وحده. وإذا قرأنا قوله تعالى

(1) سورة التوبة: الآية 85.

(2) سورة النساء: الآية 133.

(3) سورة الأنعام: الآية 133.

(4) سورة الفاتحة: الآية 6.

الصفحة 87

(1)

لرسوله: (إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم) علمنا أن الدعوة طريقتها واضح مستقيم والطريق هو الذي يوصل عابريه إلى الله تعالى. أي إلى السعادة الإنسانية التي فيها كمال العبودية لله والقرب. وإذا وأنا قوله تعالى لرسوله: (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم)<sup>(2)</sup> علمنا أن الذي يهدي إليه النبي صلى الله عليه وسلم صراط مستقيم، وإن الذي يهديه النبي من الناس. هو هداية من الله سبحانه وتعالى. فهداية النبي هداية الله. وإذا وأنا قوله تعالى لرسوله: (وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم)<sup>(3)</sup> علمنا أن النبي الذي يهدي بهداية الله، هو الذي يدعو إلى هداية الله. إلى الطريق الواضح الذي لا يختلف ولا يتخلف في حكمة. ويصل بسالكه إلى الغاية المقصودة. وصفة الطريق هي نفسها صفة الحق. فإن الحق واحد لا يختلف أجزؤه بالتناقض والتدافع. ولا يتخلف في مطلوبه الذي يهدي إليه. فالحق صراط مستقيم، فبعد هذا كله، أقول والله أعلم:

إن الاختيار القيادة وسط هذا الطريق الذي احقوى على جميع الأنماط البشرية.

لا يكون إلا الله ورسوله. لأن الاختيار إذا ترك للأمة فسيترتب عليه ما لم تحمد عقباه. ونحن بين أيدينا نصوصا عديدة تحذر من الأخذ بالصورة، وتبين نهاية الطريق إذا ضوب بالتحذير عرض الحائط ومنها حديث: " إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم "<sup>(4)</sup> ولا يخفي على أحد أن طويق الشكل والصورة انتهى إلى كرثة. كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر بها بعد أن حذر منها، فعن حذيفة قال. قلت يا رسول الله: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم. دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها. قلت:

يا رسول الله صفهم لنا. قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا... "<sup>(5)</sup> .  
 إن الأمة تدعو إلى عبادة الله. نعم. ولكن داخل سور الأمة من لا يريد

(1) سورة يس: الآية 3 - 4.

(2) سورة الشورى: الآية 52.

(3) سورة المؤمنون: الآية 73.

(4) رواه مسلم وابن ماجه (كشف الخفاء 282 \ 1).

(5) البخاري (الصحيح 280 \ 2) ك بدء الخلق ب علامات النبوة.

الصفحة 88

ذلك. فإذا اختزلت الأمة فلا يستبعد أن يقع اختيلها على إمام ضلالة من الأئمة الذين خاف النبي على أمته منهم. فقد قال صلى الله عليه وسلم: " إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين " <sup>(1)</sup> ، إن لفظ " إمام " في الحديث يدل أن شروطا عدة قد انطبقت عليه في قبيلة أو حزب أو غير ذلك... أو يقع اختيلها على منافق عليم خاف النبي على أمته منه، قال صلى الله عليه وسلم: " أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان " <sup>(2)</sup> . وتحذيرات النبي هذه جاءت بعد أن بين صلى الله عليه وسلم جانب الصواب ولا. ولعلمه بأن الاختلاف واقع كما أخوه ربه. حذر من هذه الجوانب وكأنه يدعو إلى الاتزام بما بين - كما

إن الأمة تدعوا إلى صراط الله المستقيم. نعم. ولكن والله أعلم أن أقرب الطرق إلى غايات الصراط المستقيم. لا يكون فيمن توكيه الأمة. بل فيمن يركيه الله. قال تعالى: (فلا توكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) <sup>(3)</sup> ، فهو سبحانه أعلم بعباده وهم أجنة في بطون أمهاتهم، ويعلم ما هي حقيقة عباده وما هم عليه وما في سؤمهم وإلى ماذا ينتهي أمرهم. فإذا كان الله أعلم من أول أمر. فلا يحق أن يركى أحد نفسه فينسبها إلى الطهارة. فالله وحده أعلم بمن اتقى. ولا يخفى أن تجرئة التوكية وجمع المناقب. في كثير منها مدخل للشيطان، فعلى بعض التوكيات والمناقب زين الشيطان لكثير من الناس حركة أصحاب هذه المناقب فعبوهم، والدليل على ذلك ما قاله اليهود في عزيز وما قاله النصارى في عيسى ابن مريم عليه السلام وغير ذلك من الأمثلة لأجل ذلك سدت الرسالة الخاتمة هذا الباب. فلا توكية إلا لمن زكاه الله ورسوله.

إن الأمة مدعوة من الله ورسوله إلى الصراط المستقيم، فإذا دعت نفسها

(1) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح (الفتح الرباني 23 \ 21).

(2) رواه ابن عدي (كشف الخفاء 16 \ 1).

(3) سورة النجم: الآية 32.

فيجب أن يكون في الحسبان، إن طاعة النبي وتقديمه على الأنفس هو العمل الذي لا يور. وغوه يجعله الله هباء منثورا. والذي يدعو نفسه ويعين قافلته التي تقوده. ربما يتعثر في فهم العمود الفقري الذي تقوم عليه الدعوة. إلا وهو الوآن الكريم. والوآن الكريم به آية ربما تكون والله تعالى أعلم. آية التعجيز لمن رأى أن يختار الطويق لنفسه. قال تعالى: (هو الذي أتول عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) <sup>(1)</sup> .

فهذه داوة أخرى [الذين في قلوبهم زيغ] والزيغ. الميل عن الاستقامة.

والآية تكشف حال الناس بالنسبة إلى تلقي الوآن بمحكمه ومتشابهه. وإن منهم من هوزاغ القلب يتبع المتشابه لهدف هو ابتغاء الفتنة والتأويل. ومنهم من هوراسخ العلم مستقر القلب. يأخذ المحكم ويؤمن بالمتشابه. واشتمال الوآن الكريم على المتشابه هو تمحيص القلوب في التصديق به. والكتاب كما يشتمل على المتشابهات. كذلك يشتمل على المحكمات التي تبين المتشابهات بالروح إليها. وقال ابن كثير في معنى الآية: فأما الذين في قلوبهم زيغ أي ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل إنما يأخذون منه المتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة. ابتغاء الفتنة أي الاضلال وابتغاء تأويله أي تحريفه على ما يريدونه <sup>(2)</sup> وقال صاحب الميزان: ومعنى الآية. يريدون باتباع المتشابه إضلال الناس في آيات الله. وهو الحصول والوقوف على تأويل الوآن. ومآخذ أحكام الحلال والحرام. حتى يستغنوا عن اتباع محكمات الدين. فينتسخ بذلك دين الله من

وكما ذكرنا أن هذه الآية عمودا فقويا يتحطم عليه كل رأي اختار طريقه

(1) سورة آل عمران: الآية 7.

(2) تفسير ابن كثير 345 \ 1.

(3) الميزان 23 \ 3.

الصفحة 90

بنفسه. فكتاب الدعوة لا يمسه أي عقل. فيما أنه كتاب الله. فلا بد أن يختار الله العقل الذي يمسه لينال منه العلم النافع. فالقوان الكريم حجة الله على خلقه. وهو يحتوي على برنامج الفطرة والثواب والعقاب في الدنيا والآخرة. فيه بيان لكل شيء. وجميع الحقائق الموجودة فيه تستند إلى التوحيد. وبما أنه لا يأتيه الباطل ولا يجد إليه طريقا. وبما أنه لا بد أن ينتهي إليه كل رأي ديني. فلا بد أن يكون له عالما يسوق الناس به إلى ربهم. فهو سبحانه مصدر جميع السلطان. وإليه تنتهي جميع القورات. وهو مصدر الخلق والتكوين وواهب الحياة ومقوماتها. فكما أن له سبحانه الخلق ولا بداع. كذلك له الأمر والنهي.

وعالم الويغ هو نفسه عالم الرأي. أو ابنا شعيا للذين اختاروا أن يكون الكشاف الذي يكشفون به الطريق من صنعهم وبأيديهم. وأنت إذا تتبععت البدع والأهواء والمذاهب الفاسدة. التي انحرف فيها الفوق الإسلامية، عن الحق القويم بعد زمن النبي صلى الله عليه وآله. سواء كان في المعرف أو في الأحكام. وجدت أكثر مولدها من اتباع المتشابه والتأويل في الآيات. بما لا يرتضيه الله سبحانه. ففوقه تتمسك من القوان بآيات التجسيم. وأخرى للجبر. وأخرى للتفويض. وأخرى لعزة الأنبياء. وأخرى للتزويه المحصن بنفي الصفات، وأخرى للتشبيه الخالص وزيادة الصفات، إلى غير ذلك، كل ذلك للأخذ بالمتشابه من غير رجاءه إلى المحكم الحاكم فيه. وعلى فروع المتشابه أيضا تسلق المتصوفة وعلماء الكلام. فطائفة ذكرت أن الأحكام الدينية إنما شوعت لتكون طريقا إلى الوصول. فلو كان هناك طريق أقرب منها. كان سلوكه متعينا لمن ركبته. لأن المطلوب هو الوصول بأي طريقة تيسرت. وأخرى قالت: إن التكاليف إنما هي لبوغ الكمال. ولا معنى لبقائها بعد الكمال بتحقق الوصول. فلا تكليف لكامل<sup>(1)</sup> وهكذا وغير ذلك كثير. إن الله تعالى الذي أتول الكتاب هو وحده الذي يحدد من الذي يتعامل مع هذا الكتاب.

(1) الميزان 41 \ 3.

الصفحة 91

ولقد كانت الأحكام والفرائض والحدود والسياسات الإسلامية قائمة ومقامة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا يشذ منها شاذ. ثم لم تزل بعد لرحاله صلى الله عليه وسلم تنقص وتسقط حكما حكما - كما سنبين - يوما فيوم بيد الحكومات

الإسلامية. ولم يبطل حكم واحد. إلا واعتزروا قائلين: إن الدين إنما شوع لصالح الدنيا وإصلاح الناس، وما أحدثوه أصلح لحال الناس اليوم، حتى آل الأمر إلى أن يقال: إن الغرض الوحيد من شوائع الدين. إصلاح الدنيا. والدنيا اليوم لا تقبل السياسة الدينية ولا تهضمها. بل تستدعي وضع قوانين ترتضيها مدنية اليوم. وإذا تأملت في هذه وأمثالها. وهي لا تحصى كثرة.

وتدبرت في قوله تعالى: (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) لم تشك في صحة ما ذكرنا. وقضية بأن هذه الفتن والمحن التي سقطت على المسلمين لم يستقر قولها إلا من طريق اتباع المتشابه وابتغاء تأويل القرآن، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أكثر ما أتخوف على أمتي من بعدي رجل يتأول القرآن يضعه على غير موضعه. ورجل يرى أنه أحق بهذا الأمر من غيره " (1).

إن الذي تخوف منه الرسول ما جاء إلا على أكتاف الذين سلخوا في موضع غير الموضع. ورأوا أنهم أحق بتحديد العلامات على طريق طويل. ومن العجيب أن الذي يقف في أول الطريق لا يرى ما هي نتيجة مقدمته في نهاية الطريق. أما الذي يقف في نهاية الطريق. عند النتيجة. فإنه يرى المقدمة بمنتهى الوضوح. إن الأمة إذا كانت هي الأولى بتحديد قائلتها التي تقودها إلى الصواب المستقيم، لا بد أولاً أن تكون على علم بمن يقفون تحت سقفاها. ولا بد ثانياً أن تعلم كتابها بالعلم الذي يستقيم معه. ومن آيات الله وأحاديث رسول الله الصحيحة تبين أن داخل الأمة نواثر متعددة لمؤسسات الصد عن سبيل الله.

(1) رواه الطبراني في الأوسط (كنز العمال 200 \ 10).

الصفحة 92

وداخل هذه المؤسسات اثني عشر رجلاً لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط. وشهد حذيفة وعمار رضي الله عنهما... أنهم حزب الله ورسوله في الحياة الدنيا. ومعنى في الحياة الدنيا يفيد أن لكل منهم ثقافة لا تصيب الذين ظلموا خاصة. بل تتعداهم إلى غورهم إذا تعاملوا عن فحص المقدمات. فإذا كانت الأمة أولى بالاختيار فما هي الضمانات التي لا تجعل واحد من هؤلاء أو من غورهم من أي دائرة كان أن ينفذ لإحداث الفتنة والتأويل. ثم ما هي الضمانات التي تضمن عدم بغي الأمة واختلافها وافتراقها عن كتاب الله - إن دائرة الوجس لا بد أن يقابلها دائرة طهر. بهذا تقضي الفطرة ويقضي العقل. لقد حاصر كتاب الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وآله وروايج المشركين والمنحرفين من أهل الكتاب. وكما حاصر هؤلاء حاصر دائرة الوجس.

## 2 - دائرة الطهر:

إن المعرف الحق والعلوم المفيدة التي تحقق سعادة الدنيا والآخرة. لا تكون في متناول الإنسان إلا إذا صلحت أخلاقه. وعن أصول الأخلاق: العفة والشجاعة والحكمة والعدالة. ولكل واحدة فروع ناشئة منها وراجعة بحسب التحليل إليها. والأخلاق على امتداد المسورة الإنسانية. لا يمكن بحال أن تسير بمفودها. بل لا بد من عامل يحرسها ويحفظ نواتها.

وأن يكون هذا العامل مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالقوآن الكريم. بمعنى أن العامل إذا دار لا يدور إلا مع القوآن. ويظل في حركته وسكونه مع القوآن حتى يوم القيامة. وعندما يقف القوآن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الحوض يكون هذا العامل مع القوآن على الحوض. فالنفس واحدة والحركة واحدة من الابتداء إلى الانتهاء.

إن حركة مثل هذه نطلق عليها هنا [ داؤة الطهر ].

ولكي نبحث عن هذه الداؤة وعن أصحابها يجب أن تكون البداية من القوآن الكريم ومن الحديث الشريف الصحيح الذي يفسر الآية ويورثد على العامل الذي نبحت عنه. ولتكن البداية من قوله تعالى: (إنه لقوآن كريم \* في

الصفحة 93

كتاب مكنون \* لا يمسه إلا المطهرون) <sup>(1)</sup>. إن المس المذكور في الآية الكريمة أوسع من أن يقال لا بد أن يكون من يمسه على طهارة من الخبث أو الحدث.

فلو اقتصر التعريف على هذا. لاحتج به علينا الكفار والمشركين. الذين يشتركون المصاحف في كل مكان لأسباب عديدة. بل إن المصاحف تطبع في العديد من البلاد غير الإسلامية وتتداولها الأيدي من هنا وهناك. كما أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه في زمن من الأزمنة سيقوآ القوآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر <sup>(2)</sup> فالمنافق كافر به. والفاجر يتأكل منه. والمؤمن يؤمن به <sup>(3)</sup>

، نعم الطهارة مطلوبة ولكن المس الأوسع هو مس العقول له لنيل الفهم والعلم. وفي معنى (لا يمسه إلا المطهرون) قال أبو العالية: ليس أنتم. أنتم أصحاب الذنوب <sup>(4)</sup> والمطهرون هم الذين طهر الله تعالى نفوسهم من رجاس المعاصي وقانونات الذنوب. أو مما هو أعظم من ذلك وأدق. وهو تطهير قلوبهم من التعلق بغوره تعالى، وقال في الميزان: وهذا المعنى من التطهير هو المناسب للمس الذي هو العلم دون الطهارة من الخبث أو الحدث. فالمطهرون هم الذين أكرمهم الله تعالى بتطهير نفوسهم كالملائكة الكرام والذين طهرهم الله من البشر.

قال تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهوا) <sup>(5)</sup> ولا وجه لتخصيص المطهرين بالملائكة كما ذكر بعض المفسرين لكونه تقييداً من غير مقيد <sup>(6)</sup>.

والله جل شأنه ذكر أصنافاً من عباده. وخص كل صنف بوع من العلم والمعرفة. لا توجد في الصنف الآخر. كالموقنين، وخص بهم مشاهدة ملكوت

(1) سورة الواقعة: الآية 77 - 79.

(2) (رواه أحمد، وقال الهيثمي رجاله ثقات مجمع الزوائد 231 \ 6) (رواه الحاكم وأقوه الذهبي (المستترك 507 \ 4) وابن حبان والبيهقي (كقول العمال 195 \ 11).

(3) (رواه الحاكم وأقوه الذهبي (المستترك 507 \ 4).

(4) تفسير ابن كثير 298 \ 4.

(5) (سورة الأحزاب: الآية 33.





السموات والأرض "، قال تعالى: (وكذلك زوي إواهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين) <sup>(1)</sup> وكالمنبيين وخص بهم التذكر قال تعالى:

(وما يتذكر إلا من ينيب) <sup>(2)</sup> ، وكالعالمين بهم الذي يعقل أمثال القآن، قال تعالى: (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) <sup>(3)</sup> ، كأولياء وهم أهل المحبة الذين لا يلتفتون إلى شئ إلا له سبحانه ولذلك لا يخافون شيئاً ولا يحزنون بشئ. قال تعالى: (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) <sup>(4)</sup> وكالمقربين. والمجتبين والصالحين والمؤمنين. ولكل منهم خواص من العلم والإبرك يختصون بها. ونظير هذه المقامات الحسنة. مقامات سوء في مقابلها. ولها خواص رديئة في باب العلم والمعرفة. ولها أصحاب كالكافرين والمنافقين والفاستين وغيرهم. وهؤلاء لهم نصيب من سوء الفهم ورداءة الإبرك لآيات الله ومعلمه الحق.

وعلاقة المطهرين بالقآن هي علاقة الفاهم للقآن. أي العالم بمتشابه القآن ورده إلى محكمه. ودائرة الطهر تقابل الذين قال تعالى فيهم: (أفلا يتدبرون القآن أم على قلوب أقفالها) <sup>(5)</sup> ، وقوله: (أفلا يتدبرون القآن ولو كان من عند غير الله لوجبوا فيه اختلافاً كثيراً) <sup>(6)</sup> ، فالمطهرين خصهم الله بعلم تأويل الكتاب. لينطلق طريق العلم في مواجهة أصحاب المقامات السوء والخواص الودينة. ويجب أن يفهم. إن الطريق إلى فهم القآن غير مسود. فهو حجة على الناس بذاته. ولكن إذا كان للقآن الدلالة على معانيه والكشف عن المعرف الإلهية فإن للمطهرين الدلالة على الطريق وهداية الناس إلى أغراض القآن ومقاصده. فبهذا يحافظ العامل على المسوة وعلى أخلاقها. بعيداً عن

(1) سورة الأنعام: الآية 75.

(2) سورة المؤمن: الآية 13.

(3) سورة العنكبوت: الآية 43.

(4) سورة يونس: الآية 62.

(5) سورة محمد: الآية 24.

(6) سورة النساء: الآية 82.

الأفهام التي امتنع عليها التأويل لأن أفهامها غير مطهورة.

**أولا - من هم المطهرون؟**

هل هم نساء النبي؟ أم بني هاشم كافة؟ أم أنهم جميع الأمة؟ إن الذي حدد نواتر الصد عن سبيل الله هو سبحانه الذي يحدد

دائرة الطهر. قال تعالى:

(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهروا) . لقد قال تعالى في المنافقين: (فأعرضوا عنهم إنهم رجس) (2) ، وقال تعالى (وأما الذين في قلوبهم مرض فإدبتهم رجسا إلى رجسهم) (3) . والرجس كل ما استقدر من عمل. ثم قال تعالى في أهل هذه الآية: (ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)، وهكذا دائرة أمام دائرة. وإذهاب الرجس. رالة كل هيئة خبيثة في النفس. وقوله تعالى: (ويطهركم تطهيرا) أي تجهزهم بإواك الحق في الاعتقاد والعمل. أما من هم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهروا.

فلقد روى الإمام مسلم عن أم المؤمنين عائشة قالت: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود. فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله. ثم قال: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهروا" (4) . وفي أسباب النزول. أن الآية تزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسين رضي الله عنهم خاصة لا يشركهم فيها غيرهم. وليعلم طالب العلم أن هذا الحديث ثابت في كتب الأمة بجميع دروبها ومذاهبها. والروايات كثرة تزيد على سبعين حديثا يروى ما ورد منها من طرق أهل السنة

(1) سورة الأحزاب: الآية 33.

(2) سورة التوبة: الآية 95.

(3) سورة التوبة: الآية 125.

(4) صحيح مسلم ك فضائل الصحابة ب فضائل الحسن والحسين (194 \ 15) ورواه الحاكم وقال هذا حديث صحيح على شوطهما (المستترك 147 \ 7).

الصفحة 96

على ما ورد من طرق الشيعة. فقد رواها أهل السنة بطرق كثيرة (1) عن أم سلمة وعائشة وأبي سعيد الخوري وسعد ووائلة بن الأسقع وأبي الحمراء وابن عباس وثوبان وعبد الله بن جعفر وعلي والحسن بن علي رضي الله عنهم في قريب من أربعين طريقا.

### ثانيا - إعلان الناس بمن هم المطهرون:

علمنا من السورة النبوية أنه صلى الله عليه وسلم كان يكرر جوابه على من يسأله أكثر من مرة وربما يكرر الجواب ثلاث (2) أو سبع مرات (3) . وكان يتحدث بالحديث الواحد في أكثر من موطن. وكل ذلك ليحقق الاستماع والإنصات والفهم لمن حوله كي يبينوا لمن لم ير أو يسمع. وإعلانه صلى الله عليه وسلم بأن هؤلاء أهل بيته المطهرون تم في أكثر من موضع ليعلم الناس أن هؤلاء في عرف القوان هم أهل البيت.

وآية التطهير تزلت في بيت أم سلمة: وإنما أوردنا حديث عائشة في أول حديثنا عنهم لكونه ورد في صحيح مسلم. ومن بيت أم سلمة روى الحديث أم سلمة وعمر بن أبي سلمة (4) وزينب بنت أبي سلمة (5) فعن أم سلمة قالت:

" دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسنا وحسينا وعلي خلف ظهره فجللهم بكساء ثم قال " اللهم هؤلاء هم أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا " فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: " أنت على مكانك

(1) ابن كثير في التفسير 384 \ 3، البغوي في تفسيره 546 \ 6، ابن جرير في تفسيره 5 \ 20 وغيرهم.

(2) كنز العمال 445 \ 4.

(3) سنن أبو داود.

(4) روى الترمذي حديثه (الجامع 351 \ 5).

(5) روى ابن عساکر حديثها (كنز العمال 643 \ 13).

الصفحة 97

وأنت على خير " (1) ، وفي رواية عند أبي حاتم. فقلت: يا رسول الله وأنا من أهل بيتك؟ فقال: " تتحى فإنك على خير " (2) ، وفي رواية عند الإمام أحمد.

فوفعت الكساء لأدخل معهم. فجذبه من يدي وقال: إنك على خير " (3) .

وبعد بيت أم سلمة تكرر المشهد في أماكن أخرى، روى الإمام أحمد، عن شداد بن أبي عمار أنه قال: أتيت فاطمة أسألها عن علي. قالت: توجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حسن وحسين. أخذ كل واحد منهما بيده. حتى دخل فأتى عليا وفاطمة فأجلسهما بين يديه، وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذ ثم لف عليهم ثوبه ثم تلا هذه الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس...) الآية، وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق " (4) .

وعن إسماعيل بن عبد الله قال: لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الوحمة هابطة قال: ادعوا لي ادعوا لي فقالت صفية: من يا رسول الله؟ قال:

أهل بيتي عليا وفاطمة والحسن والحسين. فجئ بهم. فألقى النبي صلى الله عليه وسلم كساء، ثم رفع يده وقال: اللهم هؤلاء آل محمد فصلي على محمد وآل محمد (5) .

وعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم. كان يمر على بيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى الفجر فيقول: الصلاة يا أهل البيت " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم

(1) رواه الترمذي (الجامع 351 \ 5) وأحمد (الفتح الرباني 237 \ 18) وأبي يعلى والطبراني بإسنادين. وذكره ابن تيمية في منهاج السنة (منهاج 250 \ 3) وذكره أيضا في الفتاوى الكبرى 230 \ 1، ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب 27 \ 1.

(2) تفسير ابن كثير 484 \ 3.

(3) الفتح الرباني 338 \ 18.

(4) رواه الإمام أحمد، وقال في الفتح الرباني قال الهنثي، رواه أحمد وأبو يعلى (الفتح 103 \ 22).

تطهروا" (1) ، وقال في الفتح الرباني. قال جماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة أن أهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين. وتمسكوا بحديث الكساء وحديث أنس أن النبي كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر (2) وقال في تحفة الأحراري: قال أبو سعيد الخوري ومجاهد وقتادة والكلبي أن أهل البيت المذكورين في الآية هم: علي وفاطمة والحسن والحسين. والخطاب في الآية بما يصلح للذكور لا للإناث وهو قوله " عنكم " و " ليظهوركم " ولو كان للنساء.

لقال " عنكن " و " ليظهوركن " (3) ، وقال في أسد الغابة أن هذا الحديث. رواه الأوزاعي. ولم يرو في الفضائل حديثا غير هذا. وكذلك الزهري. لم يرو فيها إلا حديثا واحدا. كانا يخافان بني أمية (4) .

فإذا كان الحديث قد تكرر أكثر من مرة في أكثر من مكان في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كي يتذكر من أراد أن يتذكر. وإذا كان قد روى في عالم الخوف. أيام بني أمية. فإنه روى أيضا في أشد الأوقات حديث كانت الدماء تتدفق في كل مكان. فلقد روى أن الحسن بن علي رضي الله عنهما عندما طالبه القوم بإمام الصلح مع معاوية خطب في الناس وقال: " أيها الناس. إنما نحن أوراؤكم وضيغانكم. ونحن أهل بيت نبيكم الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهروا. وكرر ذلك. حتى ما بقي في المجلس إلا من بكى حتى سمع نشيجه " (5) . وإذا كان الحسن رضي الله عنه قد ذكروهم يوما. فإن علي بن الحسين رضي الله عنهم قد ذكر أهل زمانه أيضا. من أبي الديلم قال. قال

(1) أخرجه الإمام أحمد وقال في الفتح الرباني: أورده ابن كثير وعزاه للإمام أحمد وأورده الطيالسي في مسنده (الفتح 103 \ 22)، ورواه الترمذي الجامع الصحيح 352 \ 5 ) وقال في تحفة الأحراري: أخرجه أحمد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه ابن مردويه (تحفة الأحراري 68 \ 9) ورواه الحكم وصححه (المستدرک 158 \ 3) ورواه صاحب الغابة (أسد الغابة 223 \ 7).

(2) الفتح الرباني 238 \ 18.

(3) تحفة الأحراري 67 \ 9.

(4) أسد الغابة 21 \ 2.

(5) ابن الأثير 204 \ 3، تفسير ابن كثير 486 \ 3.

علي بن الحسين رضي الله عنهما لوجل من أهل الشام. أما قأت في الأخواب (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهروا) قال: نعم ولأنتم هم؟ قال: نعم (1) .

فهؤلاء أهل البيت. الذي أذهب الله عنهم الرجس: أي عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا. كما قال ابن عباس (2) الذين قال فيهم النبي: " اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق " (3) ، وقال فيهم: " اللهم أرض عنهم كما أنا عنهم راض " (4) ، وقال لهم: " رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد " (5) ، وقال: " اللهم هؤلاء أهل فصل على محمد وآل محمد " (6) .

هؤلاء قوم تلت الطهارة في قلوبهم. ولم يتولها إلا الله سبحانه. فإنه تعالى ذكروها منسوبة إلى نفسه " إنما يريد الله... "

وليست الطهارة إلا زوال الرجس من القلب. وليس القلب من الإنسان إلا ما يدرك به ويريد به، فطهارة القلب طهارة نفس الإنسان في اعتقادها وإرادتها وزوال الرجس عن هاتين الجهتين. ويرجع إلى ثبات القلب فيما اعتقده من المعارف الحقّة من غير ميلان إلى الشك. وثباته على لوزم ما علمه من الحق من غير تماثل إلى اتباع الهوى ونقض ميثاق العلم. وهذا هو الرسوخ في العلم. فإن الله تعالى ما وصف الراضين في العلم إلا بأنهم مهديون ثابتون على ما علموا. غير زائغة قلوبهم إلى ابتغاء الفتنة.

إن دائرة الذين في قلوبهم زيغ. ما دخلوا دائرتهم إلا بعد أن ضلوا عن

(1) تفسير ابن كثير 486 \ 3.

(2) الفتح الرباني 238 \ 18.

(3) رواه أحمد وأبو يعلى (الفتح الرباني 103 \ 22).

(4) قال الهيثمي رواه الطواني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبيد بن الطفيل وهو ثقة (معجم الزوائد 9 \ 169).

.\*

(5) رواه ابن عساكر (كنز العمال 643 \ 13).

(6) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد (المستدرک 148 \ 3)، ورواه الإمام أحمد (الفتح الرباني 103 \ 22).

الصفحة 100

سبيل الله حيث نسوا هناك يوم الحساب قال تعالى: (لا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) <sup>(1)</sup>، أما الراضون في العلم فإنهم في شوق إلى يوم الحساب. اليوم الذي يقف فيه التابع والمتوع أمام جلال الله وعزته. يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. إن الراضين في العلم يعشقون يوم الحساب ويقولون (بنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد) <sup>(2)</sup>.

وعلى امتداد الدعوة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. كانت تحري أحداث يترتب عليها غرس مفهوم من هم أهل البيت في ذاكرة الذين عاصروا النبي على إعتبار أنهم الجيل الذي سيفتح الأبواب من بعده ووفقاً لحركة هذا الجيل ستسير الحركة على امتداد المسورة. ومن هذه الأحداث التي غرست مفهوم من هم أهل البيت. أحداث يوم المباهلة وملخص القصة التي وردت في كتب التفسير والحديث والتاريخ. إن نصرى نحوان لما وفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: إلى ما تدعوا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: إلى شهادة أن لا إله إلا الله. وأني رسول الله. قالوا: وماذا تقول في عيسى: قال: إن عيسى عبدا مخلوقا. يأكل ويشرب ويحدث. قالوا: فمن أبوه؟ فقول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال. قل لهم: ما تقولون في آدم، أكان عبدا مخلوقا يأكل ويشرب ويحدث وينكح؟ فسألهم النبي. فقالوا: نعم. فقال لهم:

فمن أبوه؟ فبهتوا. فأقول الله: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تواب... الآية). وقوله تعالى: (فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا ونفسكم ثم نبهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين)

فقال رسول الله: فباهلوني فإن كنت صادقا أتولت اللعنة عليهم. وإن كنت كاذبا أتولت علي. فقالوا: أنصفت

(1) سورة ص: الآية 26.

(2) سورة آل عمران: الآية 9.

(3) سورة آل عمران: الآية 61.

الصفحة 101

فتواعوا للمباهلة.

فهذا الحدث. لم يكن ليتم في الخفاء، ولأن هذا الاجتماع سيترتب عليه نتيجة حاسمة. فلا بد أن يشهده كل من سمع بموعده سواء أكان من المكذبين أو من المؤمنين أو غوهم. وبين هؤلاء يوجد الحبشي والفرسي والرومي والنحواني إلى غير ذلك من الأجناس. باختصار كانت العالمية ممثلة بصورة أو بأخرى لمشاهدة هذا الحدث. ويروي أصحاب التفسير بالمأثور. إن رؤساء النصارى قالوا لبعضهم بعد أن انفقروا على موعد المباهلة: إن باهلنا بقومه باهلناه. فإنه ليس نبيا. وإن باهلنا بأهل بيته خاصة لم نباهله. فإنه لا يقدم إلى أهل بيته إلا وهو صادق. فمن هم الذين جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ روى الإمام مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص قال: لما تولت هذه الآية (فقل تعالوا ندع أبناءكم وأبنائكم) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا. فقال: " اللهم هؤلاء أهلي " (1).

فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أهل بيته. قال النصارى: من هؤلاء؟ فقيل لهم: هذا ابن عمه. وهذه ابنته فاطمة وهذان ابناه الحسن والحسين. ففوقوا. فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: نعطيك الوضا. فاعفنا من المباهلة فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية وانصرفوا. قال صاحب تحفة الأرواحي: دعا عليا فتولته نفسه. وفاطمة لأنها أخص النساء. وحسنا وحسينا فمترلتها بمترلة ابنه صلى الله عليه وسلم (2)، وسئل يحيى ابن معمر. هل كان الحسين من نزية النبي صلى الله عليه وسلم. وإذا كانت الإجابة. نعم. فكيف والنبي لم يعقب. وإنما العقب

(1) صحيح مسلم ك، فضائل الصحابة ب، فضل علي، وأصل المباهلة في صحيح البخاري 80 \ 3 . ورواه الترمذي عن سعد بن أبي وقاص، وقال حديث حسن ورواه الحاكم وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخان (المستدرک 150 \ 3).

(2) تحفة الأرواحي 350 \ 8.

الصفحة 102

للذكر لا للأنتى. والحسين ولد البنت: قال: قال تعالى: (ومن نزيته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك

نحزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس) فأخبر عز وجل أن عيسى من نزية آدم بأمه. والحسن بن علي من نزية

(1)

محمد بأمه .

إن حديث المباهلة روي من أحد وخمسين طويقا. وأثبتها لرباب الجوامع في جوامعهم. وأثبتها المفسرون في تفاسيرهم من

غير إعتراض أو لتياب.

كالطوري وابن كثير والسيوطي وغيرهم، وروى القصة أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الدلائل وابن إسحاق وابن هشام في السيرة. وغيرهم. وعلى هذا نقول بأن مفهوم من هم أهل البيت قد غرس غوسا في ذاكرة العديد على زمن النبي صلى الله عليه وآله. وعلم الجميع أن قوله تعالى: (أبناءنا) تعني الحسن والحسين. وإن قوله تعالى: (وأفسنا) تعني كما في حديث جابر: "رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب" (2)، وإن قوله تعالى: (ونساءنا) يعني. فاطمة.

### ثالثا - القوان والمطهرون والحوض:

وبعد تحديد من هم أهل البيت. ربط النبي بينهم وبين القوان الكريم برباط وثيق. وهذا الرباط غرس غوسا في ذاكرة العديد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. روى الإمام مسلم عن زيد بن رقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة. فحمد الله وأثنى عليه. ووعظ وذكر ثم قال أما بعد: ألا أيها الناس. فإنما إنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب. وأنا ترك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله. فيه الهدى والنور.

فحنوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحث على كتاب الله ورغب فيه. ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في

(1) الحاكم (المستدرک 162 \ 3).

(2) تفسير ابن كثير 1 \ 371.

(1) أهل بيتي .

قال النووي: سمى ثقلين لعظهما وكبير شأنهما. وقيل لثقل العمل بهما (2). وهذا الحديث تحدث به النبي صلى الله عليه وسلم بعد حجة الوداع. عند غدیر خم. مما يفيد بأن جمع كبير من صحابة النبي قد سمعوه. وسنبن ذلك في حينه. وروى أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأن أهل بيته والقوان لن يفترقا حتى يردا على حوضه يوم القيامة وهذا يفيد بأن أهل بيته على الصراط المستقيم. يسبرون بالطهر إلى غاية عظمي. فمن أراد الوصول فعليه بالسبيل الذي لا يقضه شيطان. لأنه سبيل القوان الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وسبيل أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهرا. فلا يستطيع الشيطان أن يأتيهم من بين أيديهم أو من خلفهم. وهو الذي أخذ على عاتقه أن يأتي الناس من بين أيديهم ومن خلفهم. إلا من عصم الله. وأحاديث أهل البيت والقوان والحوض.

رواها أصحاب السنن وأثبتها المفسرون في تفاسيرهم. فعن أبي سعيد الخوري. قال: قال صلى الله عليه وسلم: إني ترك



فيكم الثقلين. أحدهما أكبر من الآخر. كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعتوتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض<sup>(3)</sup> ، وفي رواية عن زيد بن ثابت قال

(1) صحيح مسلم ك، فضائل الصحابة 179 \ 15، وفي رواية: قلنا: من أهل بيته نساؤه؟

قال: لا وأيم الله إن العوأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها. أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده، صحيح مسلم 181 \ 15.

وقال النووي في رواية لمسلم: " نسلؤه من أهل المدينة " أي الذين يساكنونه ويعلو لهم والمعروف في معظم الروايات في غير مسلم أنه قال: نسلؤه لسن من أهل بيته (النووي شوح مسلم 181 \ 15).

(2) ( النووي شوح مسلم 179 \ 15 ك فضائل الصحابة ب فضائل على.

(3) ( رواه الإمام أحمد والترمذي وقال حديث حسن. والطواني وقال المنلوي رجاله موثون (الفتح الرباني 186 \ 1) ورواه ابن أبي عاصم (2 \ 644 كتاب السنة) ورواه ابن أبي شيبة وابن سعد وأبو يعلى. وفيه: وإن اللطيف الخبير أخوني أنهم لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما (كنز العمال 186 \ 1).

الصفحة 104

صلى الله عليه وسلم: " إني ترك فيكم خليفتين. كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعتوتي أهل بيتي وإنهما لا يتوقان حتى يردوا علي الحوض<sup>(1)</sup> .

وهكذا حبل من السماء إلى الأرض. سبيل واحد. له مقدمة ونتيجة. وفي رواية عن حبيب بن أبي ثابت وزيد بن رقم معا قالوا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني ترك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي. أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض. وعتوتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما<sup>(2)</sup> .  
لقد أعلن الرسول هذا على الملأ في حجة الوداع وفي غدير خم وفي أكثر من موطن. إنه ترك في أمته من بعده. ثقلين أو خليفتين. من يتمسك بهما لن يضل ومن سار معهما وصل إلى الحوض سالما ولن يكون مع الذين سيقال فيهم إنهم ارتنوا على أعقابهم فيقول الرسول: سحقا سحقا. كما ورد في صحيح البخاري ومسلم. وفي تفسير الحديث قال صاحب تحفة الأحرار: (كتاب الله حبل ممدود) أي هو حبل ممدود من السماء إلى الأرض. يوصل العبد إلى ربه ويتوسل به إلى ربه. (واعتوتي أهل بيتي) بيان لعتوته. فقوله: إني ترك فيكم.

إشارة إلى أنهما بمنزلة التوأمين الخليفتين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأنه يوصي الأمة بحسن المخالفة معهما. وإيثار حقهما على أنفسهما، كما يوصي الأب المشفق الناس في حق ولاده. (ولن يفترقا) أي الكتاب والعتوة في مواقف القيامة (حتى يردا علي الحوض) يعني فيشكرواكم صنيعكم عندي (فانظروا كيف تخلفوني) أي كيف تكونون بعدي خلفاء. أي، عاملين متمسكين بهما. ولعل السر في هذه التوصية. واقتان العتوة بالقوان. إن إيجاب محبتهم لائح في معنى قوله تعالى:

(قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) فإنه تعالى جعل شكر أنعامه

(1) رواه الإمام أحمد وقال الهيثمي إسناده جيد (مجمع الزوائد 193 \ 9) (الفتح الرباني 105 \ 22) ورواه الطبراني وسعيد بن منصور (كنز العمال 186 \ 10).

(2) رواه الترمذي وقال حديث حسن (الجامع الصحيح 663 \ 5) وقال في تحفة الأحوازي، رواه مسلم من وجه آخر (التحفة 10 \ 290).

الصفحة 105

وإحسانه بالوأن منوطاً بمحبتهم على سبيل الحصر، فكأنه صلى الله عليه وسلم يوصي الأمة بقيام الشكر... فمن أقام بالوصية وشكر تلك الصنيعة بحسن الخلافة فيهما. فلن يفرقهما يوم القيامة... ومن أضاع الوصية وكفر النعمة فحكمة على العكس. فقله: " فانظروا كيف تخلفوني فيهما " النظر بمعنى التأمل والتفكير. أي تأملوا واستعملوا الروية في استخلافي إياكم. هل تكونون خلف صدق أو خلف سوء " (1) ، وقال صاحب الفتح الرباني في شوح الحديث: إن إئتوتم بأمر كتابه وانتهيتم بنواهيته واهتديتم بهدي عتوته واقتديتم بسوته.

اهتديتم فلم تضلوا (2) ، وقال الزرقاني في شوح المواهب في شوح الحديث: أما الكتاب. فلأنه معد من العلوم الدينية والأسوار والحكم الشوعية. وكنوز الحقائق وخفايا الدقائق. وأما العتوة. فلأن العنصر إذا طاب. أعان على فهم الدين.

فطيب العنصر يؤدي إلى حسن الأخلاق ومحاسنها يؤدي إلى صفاء القلب وزاهاته وطهرته. لهذا أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن على لزوم اتباع أهل بيته. وإنهم أولى الناس وعاية شئون الأمة. ولهذا جعل مثلهم كمثل سفينة فوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق (3) ، وقال صاحب التاج الجامع للأصول في شوح الحديث: يقول النبي صلى الله عليه وسلم أحسنوا خلافتي فيهما باحترامهما والعمل بكتاب الله. وما راه أهل العلم من آل البيت أكثر من غورهم (4) .

إن مقدمة هذا الاعلان الهام " يا أيها الناس إنني قد تركت فيكم ما أن أخذتم به فلن تضلوا بعدي. كتاب الله وعتوتي " (5) . وفي معنى العتوة، قال في

(1) تحفة الأحوازي في شرح جامع الترمذي (290 \ 10).

(2) (الفتح الرباني في توثيق مسند أحمد (104 \ 22).

(3) ( شوح المواهب 2 \ 8.

(4) (التاج الجامع للأصول 48 \ 1.

(5) رواه أحمد والطبراني وسعيد بن منصور وابن أبي عاصم عن زيد بن ثابت (كنز العمال 172 \ 1، 186 \ 10)

(كتاب السنة 2 \ 351) ، ورواه الترمذي والنسائي والحاكم عن زيد بن رُقْم (كنز العمال 173 \ 1) ، (البداية والنهاية ج 21 \ 5)

(5) ، ورواه أحمد وأبو يعلى

الصفحة 106

لسان العرب: عتوة الرجل أخص أقربه. قال ابن الأعرابي: العتوة ولد الرجل ونريته وعقبه من صلبه. وعتوة النبي

(1)

صلى الله عليه وسلم ولد فاطمة البتول عليها السلام ، وقال في مختار الصحاح: العترة ولد الرجل ونريته وعقبه من صلبه ولا يعرف العرف من العترة غير هذا، وقال في الفتح الرباني: عترة النبي هم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطوهم تطهروا<sup>(2)</sup> وما ذكره أصحاب اللغة. ذكرناه فيما سبق من أن عيسى من نوية آدم بأمه. وأولاد فاطمة من نوية محمد بأمهم. وعلاوة على أنهم رضي الله عنهم عترة النبي فإنه أيضا وليهم وعصبتهم، فعن فاطمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كل بني آدم ينتمون إلى عصابة إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم " <sup>(3)</sup> ، وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل بني أب عصابة ينتمون إليها إلا ولد فاطمة. فأنا وليهم وأنا عصبتهم وهم عتوتي خلقوا من طينتي. ويل للمكذبين بفضلهم من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله <sup>(4)</sup> .

#### رابعا - من حقوق المطهرين:

من الحقوق قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرة إلا المودة في القربى) <sup>(5)</sup> ، لقد ذهبوا في هذه الآية كل مذهب. فقال البعض. إن الخطاب لقريش. والأجر المسؤول هو مودتهم للنبي لقابته منهم، وذلك لأنهم كانوا

وابن أبي عاصم عن أبي سعيد الخدري (الفتح الرباني 115 \ 22)، و (كتاب السنة 644 \ 2)، ورواه الترمذي والنسائي وابن أبي شيبة والخطيب عن جابر (كنز العمال 172، 187 \ 1) ورواه الطبراني وأبو نعيم عن حذيفة ن أسيد (كنز العمال 435 \ 14).

(1) لسان العرب ص 2796.

(2) الفتح الرباني 104 \ 22.

(3) رواه الطواني (كنز العمال 116 \ 12).

(4) رواه الحاكم وابن عساكر (كنز العمال 98 \ 12).

(5) سورة الشورى: الآية 23 ، السورة مكية والآية مدنية.

الصفحة 107

يكذبونه. فأمر الله تعالى رسوله. أن يسألهم. إن لم يؤمنوا به فليؤنوه!! فكيف تعطي قريش الأجر وهم مكذبين له؟ إنهم لم يأخذوا من القآن شيئا - فالنص (لا أسألكم عليه) أي القآن فإذا كانوا لم يأخذوا فيكف يعطوا؟ إن الأجر إنما يتم إذا قوبل به عمل يمتلكه معطي الأجر. فسؤال الأجر من قريش وهم كانوا مكذبين له كافرين بدعوته. إنما يصح على تقدير إيمانهم به. وقيل أيضا:

المعنى. لا أسألكم على دعائي أجرة إلا أن تولوا أقباءكم. فكيف يكون هذا؟

ومودة الأقباء على إطلاقهم ليست مما يندب إليه في الإسلام. قال تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) <sup>(1)</sup> ، وإن الذي يندب إليه الإسلام هو الحب في الله من غير أن تكون للوابة خصوصية في ذلك. نعم هناك اهتمام شديد بأمر القوابة والرحم. لكنه بعنوان صلة الرحم وإيتاء المال على حبه نوي القوي. لا بعنوان مودة القوي، فلا حب إلا لله عز وجل.

وروى أن العواد بالموودة في القوي. مودة قوابة النبي صلى الله عليه وسلم. وهم عوته. فعن ابن عباس رضي الله عنهما. في قوله (لا أسألكم عليه أجرا) قال. قالوا: يارسول الله. من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: " علي وفاطمة وابناهما " (2) ، وروى ابن جرير عن أبي الديلم قال: لما جئ بعلي بن الحسين رضي الله عنه أسوا فأقيم على جرح دمشق. قام رجل من أهل الشام.

فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة، فقال له علي بن الحسن رضي الله عنهما: " أوأت القوان؟ " ، قال: نعم، قال: " أوأت آل حم؟ " قال: أوأت القوان ولم أوأ آل حم. قال: ما أوأت: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القوي) قال: وإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم. وروى الإمام أحمد

(1) سورة المجادلة: الآية 22.

(2) رواه الطواني وقال الهيثمي في موضع رواه الطواني وثقوا جميعا وفي بعضهم ضعف (مجمع الزوائد 103 \ 7) وقال في موضع آخر رواه الطواني وفيه جماعة ضعفاء وقد وثقوا (الزوائد 168 \ 9) ، وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن موديه (تحفة الأحراري 127 \ 9) (الفتح الرباني 275 \ 18).

الصفحة 108

عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا أسألكم على ما أتيتكم من البيئات والهدى أجرا إلا أن توالوا الله تعالى وأن تقربوا إليه بطاعته " (1) وقال ابن كثير: كأنه يقول. إن تعملوا بالطاعة التي تقربكم عند الله زلفى. وفي رواية لسعيد بن جبيرة معناه: إن تودوني في قابتي أي تحسبوا إليهم وتيروهم (2) .

وقال البعض. إن آية: (إلا المودة في القوي) منسوخة!!؟ ورد الحسن بن الفضل على الذين قالوا بذلك. فقال: القول بنسخ هذه الآية غير موزي. لأن مودة النبي وكف الأذى عنه. ومودة أقربيه من فوائض الدين. وهو قول السلف. فلا يجوز القول بنسخ هذه الآية (3) .

وحدث النبي صلى الله عليه وسلم أمته وساقها نحو الصراط المستقيم في أكثر من موضع. فعن ابن عباس. قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

أحوا الله لما يغذيكم (أي يرزقكم به) من نعمه. وأحبوني بحب الله. وأحوا أهل بيتي لحبي " (4) ، وقال: " النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي " (5) ، وقال: " مثل أهل بيتي مثل سفينة فوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق " (6) .

وبعد أن فرض مودتهم ومحبتهم وبين أنهم أمان للأمة من الظلام ومن الغرق. أمر بالصلاة عليهم. ليستقيم البدء مع الختام. فقد أمر الله تعالى بالصلاة على

(2) تفسير ابن كثير 112 \ 4.

(3) تحفة الأهرلي 127 \ 9.

(4) رواه الترمذي وحسنه (الجامع الصحيح 664 \ 5)، والحاكم وأقوه الذهبي (المستدرک 150 \ 3).

(5) رواه الطواني وأبو يعلى وابن عساكر وابن أبي شيبة ومسدد عن سلمة بن الأكوع (كنز العمال 96، 102 \ 12)،

ورواه أبو يعلى والزار والحاكم عن أبي ذر (الخصائص الكبرى للسيوطي 466 \ 2).

(6) رواه الزار عن ابن عباس والزيبر (كنز العمال 95 \ 12)، ورواه الحاكم وابن جرير والزار والطواني عن أبي

ذر، وهذا الطويق فيه من قالوا فيه - متروك. رواه.

الصفحة 109

رسوله في قوله: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما \* إن الذين يؤننوا الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) <sup>(1)</sup>.

فصلاته تعالى. انعطافا عليه بالرحمة انعطافا مطلقا. لم يقيد في الآية بشئ دون شئ. وكذلك صلاة الملائكة عليه انعطافا عليه بالتركية والاستغفار. وقد ذكر تعالى صلته وصلاة ملائكته عليه. قبل أن يقول: (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) دلالة على أن في صلاة المؤمنين له. اتباعا لله سبحانه وملائكته. وقد استفاضت الروايات أن طويق صلاة المؤمنين. أن يسألوا الله تعالى أن يصلي عليه وآله. كما سيأتي. وقوله تعالى: (إن الذين يؤننوا الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا)، من المعلوم أن الله تعالى مژه من أن يناله الأذى وكل ما فيه وصمة النقص والهوان. فذكوه مع الرسول وتشويكه في إيذائه. تشريف للرسول. وإشارة إلى أن من قصدرسوله بسوء. فقد قصده أيضا بالسوء. فقد أوعدهم باللعن في الدنيا والآخرة. واللعن هو الإبعاد من الرحمة.

والرحمة الخاصة بالمؤمنين هي الهداية إلى الاعتقاد الحق وحقيقة الإيمان.

ويتبعه العمل الصالح. فالإبعاد من الرحمة في الدنيا. تحريمه عليه خواء لعمله فوجع إلى طبع القلوب كما في قوله تعالى: (ولكن لعنهم الله بكفؤهم فلا يؤمنون إلا قليلا) <sup>(2)</sup>، وقوله: (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) <sup>(3)</sup>، وأما اللعن في الآخرة فهو الإبعاد من رحمة القوب. وقد قال تعالى: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) <sup>(4)</sup>. ثم أوعدهم بأنه أعد لهم - أي في الآخرة - عذابا مهينا ووصف العذاب بالمهين. لأنهم يقصدون باستكبلهم في الدنيا إهانة الله ورسوله. فقبولوا في الآخرة بعذاب يهينهم <sup>(5)</sup>.

(1) سورة الأحزاب: الآية 56 - 57.

(2) سورة النساء: الآية 46.

(3) سورة محمد: الآية 23.

(4) سورة المطففين: الآية 15.

إن طويق الصلاة على النبي وآله. غير طويق إيذاء الله ورسوله وآله. وقد أورد السيوطي في الدر المنثور ما يقوب من عشرين حديثاً تدل على تشريك آل النبي معه في الصلاة. وروى مسلم عن بشير بن سعد. قال: أمونا الله أن نصلي عليك يا رسول الله. فكيف نصلي عليك؟. فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال صلى الله عليه وسلم: " قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد <sup>(1)</sup> . ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حدد من هم أهل البيت. فإن البخاري روى حديثاً يأمر فيه النبي بالصلاة على أهل البيت. كي لا يظن الناس أن الآل والأهل كل منهم في طويق. وإنما هم واحد. فعن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة. فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي صلى الله عليه وآله. قال: قلت بلى فأهدها لي.

فقال: سألت رسول الله. فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت. فإن الله قد علمنا كيف نسلم. قال: " قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم برك على محمد وعلى آل محمد كما بركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد <sup>(2)</sup> . وروى الحاكم هذا الحديث. قال: وقد روى هذا الحديث بإسناده وألفاظه حرفاً بعد حرف الإمام محمد بن إسماعيل البخاري عن موسى بن إسماعيل في الجامع الصحيح. وإنما أخرجه ليعلم المستفيد أن أهل البيت والآل جميعاً هم <sup>(3)</sup> وروى الديلمي عن واثلة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع فاطمة وعلياً والحسن والحسين تحت ثوبه وقال: " اللهم قد جعلت صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، اللهم إن هؤلاء

(1) تفسير ابن كثير تفسير سورة الأحزاب.

(2) ( البخاري ك، بدء الخلق ب يزفون النسلان 239 \ 2.

(3) المستترك (148 \ 3).

مني وأنا منهم فاجعل صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك علي وعليهم <sup>(1)</sup> ، وروى ابن عساكر وأبو يعلى عن أم سلمة. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة: اتيني بزوجك وابنيك. فجاءت بهم. ثم رفع يده فقال: اللهم إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد <sup>(2)</sup> . وقال في فتح البلي: قال أحد الهاشميين - من غير أهل البيت - للنبي صلى الله عليه وسلم: اتقصدني وأنت تصلي علي في كل صلاة في قولك اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد. فقال: إني أريد الطيبين الطاهرين ولست منهم <sup>(3)</sup> . لقد استقام البدء مع الختام. والتقى عصر إبراهيم عليه السلام مع عصر محمد صلى الله عليه وسلم في صلاة المؤمنين.

وكما جرت يد إراهيم على ولاده إسماعيل وإسحاق عليهم السلام وهو يدعو لهما كذلك جرت يد محمد صلى الله عليه وسلم على الحسن والحسين وهو يعوذهما بمعوذة إراهيم. روى البخاري عن ابن عباس. قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين. ويقول: إن أباكما إراهيم كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق: " أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة " (4) ، إن المعوذة التي جرت على الشجرة الإسرائييلية من القديم هي نفسها التي جرت على الشجرة الإسماعيلية من قديم حتى استقرت في الرسالة عن الحسن والحسين.

ويمكن على هذا الضوء أن نفهم معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم:  
" حسين مني وأنا من حسين. أحب الله من أحب حسيناً. حسين سبط من

(1) رواه الديلمي والطبراني (كنز العمال 603 \ 13، 101 \ 12).

(2) رواه أبو يعلى وابن عساكر (كنز 145 \ 13).

(3) فتح البلي \ ابن حجر 160 \ 11.

(4) البخاري ك بدء الخلق (الصحيح 239 \ 2)، ورواه الحاكم (المستدرک 167 \ 3).

الصفحة 112

الأسباط " (1)

قال في تحفة الأحرادي: " أحب الله من أحب حسيناً " لأن محبته محبة الرسول ومحبة الرسول محبة الله. وقوله: " حسين سبط من الأسباط " أي أمة من الأمم في الخير والأسباط في ولاد إسحاق بن إراهيم بمقتلة القبائل في ولد إسماعيل. وأحدهم سبط. فهو واقع على الأمة. والأمة واقعة عليه (2) وإذا كنا قد فهمنا معنى المعوذة، ومعنى السبط. فإننا يمكن أن نفهم أيضاً معنى الخلفاء فيما رواه أبو هريرة. قال: قال رسول الله صلى الله عليه: إن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء. كلما هلك نبي خلف نبي. وإنه لا نبي بعدي. إنه سيكون خلفاء. فتكثر. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول.

واعطوهم حقهم الذي جعل الله لهم. فإن الله سائلهم عما استوعبهم (3) إن قوله:

" اعطوهم حقهم الذي جعل الله لهم " فيه إن الله جعل الخلفاء الحق حقا. وإن هذا الحق عنوان على امتداد الصراط المستقيم. ولا يجوز أن يسقط هذا الحق على خلفاء الجور والملك العضوض. لأن هؤلاء ليس لهم عند الله حقا، فالحق يكون للأنبياء والرسول. ولأولى الناس بالأنبياء والرسول. وأولى الناس بهم.

أعلمهم بما جاؤا به. وبعد هؤلاء للمؤمنين الذين إتبعوا الخط الرسالي للأنبياء والرسول. ثم لمن صالحوا أو عاهدوا إلى غير ذلك، فعلى هذا الطويق تكون الحقوق. أما على غوه فترتع الأهواء وتعوي الذئاب ويسير اللصوص بالليل والنهار

ففرينون ويعغون ويحتنون بني الإنسان من أجل سرقة حقوقهم التي جعلها الله لهم كي يعيشوا الحياة السعيدة.

وبعد أن أعلن التطهير، وبعد أن أعلن أن المطهرين مع القوان الطاهر على

(1) رواه الترمذي وقال حديث حسن (الجامع 658 \ 5 ) وقال في تحفة الأجواري أخرجه البخاري في الأدب المفرد وابن ماجه والحاكم ورواه أحمد (التحفة 280 \ 10)، (الفتح الرباني 179 \ 23 )، وقال ابن كثير رواه أحمد والطبراني والترمذي عن يعلى بن مرة (البداية 206 \ 8)، ورواه الحاكم وقال صحيح الإسناد (المستدرک 177 \ 3).

(2) تحفة الأهرلي 280 \ 10.

(3) رواه الإمام أحمد وإسناده صحيح وقال في الفتح رواه الإمام مسلم (الفتح 52 \ 23).

الصفحة 113

صراط واحد حتى يردا على الحوض. وبعد أن حث الأمة على مودتهم وفيه دليل على أن عبادتهم حتى قيام الساعة هي عبادة الحق لأن الله لم يفيض مودتهم إلا وقد علم أنهم لا يرتنون عن الدين أبدا ولا يرجعون إلى ضلال أبدا. وبعد أن أمر تعالى بالصلاة عليهم. لتستقيم الصلاة عليهم مع المودة على طريق واحد وبالصلاة والمودة تغرس في النفوس تعظيم شأنهم. بعد كل هذا طهروهم الله من الصدقة وفوض لهم في الأموال فوضا. لتكون دائرة الطهر بذلك دائرة كاملة ناصعة في بياضها قوية في محبتها.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن الصدقة لا تتبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس " (1) وعن أبي هريرة قال: أخذ الحسين بن علي من تمر الصدقة فجعلها في فيه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كخ كخ لم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة " رواه مسلم (2) ، وقال النووي: معنى أوساخ الناس إنها تطهير لأموالهم ونفوسهم. كما قال تعالى: (خذ من أموالهم صدقة تطهروهم وتزكّيهم بها) فهي كغسالة الأوساخ (3) .

لقد حرم الله تعالى الصدقة على النبي وآله " إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة " رواه مسلم (4) . وعوضه سبحانه سهما من الخمس عوضا بما حرم عليه. وضرب لآله معه سهما عوضا مما حرم عليهم. قال تعالى في صدر سورة الأنفال: (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) (5) . والأنفال جمع نفل. وهو الزيادة على الشيء. ولذا يطلق النفل على التطوع

(1) شرح النووي 179 \ 7 مسلم باب تحريم الزكاة.

(2) صحيح مسلم 5، 1 \ 7 باب تحريم الزكاة.

(3) ( النووي شرح مسلم 179 \ 7.

(4) قال في كشف الخفاء رواه أحمد وابن حبان وأبو داود والحاكم (كشف 239 \ 1 ) ورواه مسلم بلفظ " إنا لا تحل لنا

الصدقة "، (صحيح مسلم 176 \ 7).

(5) سورة الأنفال: الآية 1.





لزيادته على الفيضة. وتطلق على ما يسمى فيئا وهي الأشياء من الأموال التي لا مالك لها من الناس. كرؤوس الجبال وبطون الأودية والديار الخربة والقرى التي باد أهلها. وتركة من لا وراث له. وغير ذلك كأنها زيادة على ما ملكه الناس فلم يملكها أحد. وهي لله ولرسوله. وتطلق على غنائم الحرب. كأنها زيادة على ما قصد منها. فإن المقصود بالحرب والغزو. الظفر على الأعداء. فإذا غلبوا وظفر بهم فقد حصل المطلوب والأموال التي غنمها المقاتلون زيادة على أصل الغرض.

فقوله: (يسألونك عن الأنفال) يفيد أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن حكم غنائم الحرب. بعدما زعموا أنهم يملكون الغنيمة واختلفوا فيمن يملكها أو في كيفية ملكها وقسمتها بينهم أو فيهما معا. وتخاصموا في ذلك. وقوله: (قل الأنفال لله والرسول) جواب على مسألتهم. وفيه بيان أنهم لا يملكونها وإنما هي أنفال يملكها الله ورسوله فتوضع حيثما أراد الله ورسوله.

وذكروا في تفسير الآية: أي يسألك أصحابك يا محمد عن هذه الغنائم التي غنمتها. وما حكمها وكيف تقسم فقل لهم. هي لله وللرسول يحكم فيها الله عز وجل بحكمه. ويقسمها الرسول صلى الله عليه وسلم على حسب تشريع الله عز وجل. فاتقوا الله ولا تختلفوا ولا تتلوا في شأنها لأن ذلك يوجب سخط الله وغضبه عليكم<sup>(1)</sup> وبعد أن حدد الشوع الحنيف حكم الأنفال. قال تعالى: (واعلموا إنما غنمتم من شئ فإن الله خمسته وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله...) (2).

والغنم والغنيمة: إصابة الفائدة من جهة تجرة أو عمل أو حرب. وفي الآية ينطبق على غنيمة الحرب. وذو القربى، قرابة النبي أو خصوص أشخاص منهم على ما تفوه الآثار القطعية. ومعنى الآية والله أعلم: واعلموا أن خمس ما غنمتم أي شئ كان. هو لله ولرسوله ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن

(1) تفسير آيات الأحكام الصابوني ص 589 \ 1.

(2) سورة الأنفال: الآية 41.

السبيل. فدوه إلى أهله إن كنتم آمنتم بالله وما أتزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر. وهو أن الأنفال وغنائم الحرب لله ولرسوله. لا يشرك الله ورسوله فيها أحد. وقد أجاز الله لكم أن تأكلوا منها وأباح لكم التصرف فيها. فالذي أباح لكم التصرف فيها. ويأمركم أن تؤدوا خمسها إلى أهله.

والنبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر من يأتيه مسلما أن يؤدي خمس ما غنم. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس: "أمركم أن تؤدوا خمس ما غنمتم"<sup>(1)</sup>، وروى الشيخان عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لوفد عبد القيس لما أمرهم بالإيمان بالله وحده. أتتروا ما الإيمان بالله وحده. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس

"، ومعنى هذا أن الخمس حق شعري لأربابه المذكورين في الآية يجب صرفه إليهم. وقد أجمع أهل القبلة كافة. على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يختص بسهم من الخمس ويخص أقربيه بسهم آخر منه. وإنه لم يعهد بتغيير ذلك إلى أحد حتى دعاه الله إليه. واختلزه إلى الوفيق الأعلى (2).

وسهم ذي القربى كان رباطا وثيقا لهم على امتداد الصراط المستقيم. فالله تعالى كما حصنهم الطهر. جعل سهمهم امتدادا لحصن الطهر. فالمال على مختلف العصور فتنة سقط فيها الأحرار والرهبان من قبل. وعندما سقطوا فسدت قيادتهم. قال تعالى: (إن كثوا من الأحرار والرهبان ليأكلون أموال الناس

(1) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح (الجامع 153 \ 4).

(2) ( الواسع وسهم ذي القربى في تفسير القوطبي 8 \ 10 ، تفسير الطوي 10 \ 4 ، الكشاف للمخشي 2 \ 158 ، تفسير المنار 10 \ 15 ، الأموال أبي عبيد 325 ، أحكام القوان للجصاص 3 \ 60 ، فتح القدير للشوكاني 2 \ 295 ، سنن النسائي الفئ 7 \ 120 ، 122 ، شرح مسلم النووي باب حكم الفئ 12 \ 82 .

الصفحة 116

بالباطل " (1) . قال المفسرون: إن أهم ما يقوم به المجتمع الإنساني على أساسه. هو الجهة المالية التي جعل الله لهم قياما. فجميع المآثم والمسئول والجنايات والتعديت والمظالم تنتهي بالتحليل إما إلى فقر مفوط يدعو إلى اختلاس أموال الناس بالسرقه وقطع الطوق وقتل النفوس والبخس في الكيل والوزن والغصب وسائر التعديت المالية. وإما إلى غنى مفوط يدعو إلى الإتراف والإسراف في المأكول والمشرب والملبس وغير ذلك وينتهي إلى الاسترسال في الشهوات وهتك الحرمات وبسط التسلط على أموال الناس وأعراضهم ونفوسهم. وتنتهي جميع هذه المفاسد التي ذكرناها. بالتحليل إلى ما يعوض من الاختلال على النظام الحاكم في حيلة الأموال واقتناء الثروة والأحكام المشروعة لتعديل الجهات المملكة الممونة لأخذ المال بالحق من أكله بالباطل فإذا اختل ذلك، وأذعنن النفوس بإمكان القبض على ما تحتها من المال. فشئ الفساد وشاع الانحطاط الأخلاقي في المجتمع وانقلب المحيط الإنساني إلى محيط حيواني لا هم له إلا بطنه وما نونها. ولا يملك فيه رادة أحد بسياسة أو تربية. ولا تفقه فيه محكمة ولا إصغاء إلى موعظة.

والأحرار والرهبان الذين تعود إليهم تربية الأمة وإصلاح المجتمع. كان أكثوهم يأكل أموال الناس بالباطل. لتظاهروهم بالزهد والتتسك. وعلى ظلام الباطن وزخرف الظاهر توغلو في سبيل الباطل ومنعوا الناس عن سبيل الله.

وسوا الطريق على الحكومة الدينية العادلة التي غرضها إصلاح الناس. وتكوين مجتمع حي فعال يليق بالإنسان الفطري المتوجه إلى سعادته الفطرية. ولسد الطريق أمام هذه العقبة التي نفذ منها الشيطان. فوض الله تعالى لرسوله وأهل بيته المال الحق الطاهر، ليوأجه خط المال الباطل الدنس للذين يصدون عن سبيل الله، ودائرة القربى الخاصة بسهم ذي القربى. دائرة

واسعة بعض الشئ.

فهي تشمل القيادة ومن حولها من بني هاشم ومن بني المطلب الذين كانوا

ينصرون منهج الفطرة كتفا بكتف مع بني هاشم. وهذه الدائرة التي تحدد الخط الأول فيها ثم الخط الثاني لم يقم بتعيين من فيها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولقد رفض النبي أن يدخل فيها عثمان بن عفان أو غيره ممن لا ينطبق على شروطها. روى الإمام البخاري عن جبير بن مطعم قال: مشيت أنا وعثمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلنا يا رسول الله. أعطيت بني المطلب وتركنا ونحن وهم منك بمثولة واحدة. فقال: إنما بنو المطلب وبنو هاشم واحد<sup>(1)</sup>، وروى أبو داود عن جبير بن مطعم قال: لما كان يوم خيبر وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سهم القوي في بني هاشم وبني المطلب. وترك بني نوفل وبني عبد شمس. فانطلقت أنا وعثمان بن عفان حتى أتينا النبي صلى الله عليه وسلم. فقلنا: يا رسول الله. هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم. فما بال إخواننا بني المطلب أعطيتهم وتركنا وقربنا واحدة. فقال صلى الله عليه وسلم: إنا وبنو المطلب لا نفرق في جاهلية ولا إسلام وإنا نحن وهم شيء واحد وشبك بين أصابعه<sup>(2)</sup>. قال ابن قدامة في المغني: شرك بني المطلب بني هاشم بالنصرة<sup>(3)</sup>.

إنه حكم الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إنما أنا قاسم وخزن الله يعطى"<sup>(4)</sup>، وكان يقول: "ما أعطيكم ولا أمنعكم. أنا قاسم أضع حيث أموت"<sup>(5)</sup>، ولأن الطريق طريق حق يواجهه طريق باطل. ولأن هناك من يعمل لمنع الناس عن سبيل الله ويأكل أموالهم بالباطل. حذر النبي صلى الله عليه وسلم من عثرات الطريق وقال: "إن رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة"<sup>(6)</sup>.

(1) صحيح البخاري (2 \ 196) ك الجهاد والسير.

(2) أبو داود حديث رقم 2980.

(3) المغني 2 \ 657.

(4) رواه البخاري (الصحيح 2 \ 190) ك الجهاد والسير.

(5) رواه البخاري (الصحيح 2 \ 192) ك الجهاد والسير.

(6) رواه البخاري (الصحيح 2 \ 192) ك الجهاد والسير.

إن الدعوة التي يستمد رجالها المال من الناس لا تنوم. وإنما تنوم الدعوة التي يعطينها الله ويقسم لها رسول الله. والدعوة التي تستمد وقودها من الناس الذين تعصف بهم الأهواء كثوا ما يحتك الشيطان قيادتها. أما الدعوة التي يفرض فيها الله على أتباعها فروضاً يتوتب عليها إما ثواب وإما عقاب. هي دعوة يصل من أخذ بحبلها وسار على صراطها إلى حوض الذي قسم ما أمر الله به صلى الله عليه وسلم، لهذا لم يكن المال في الإسلام وجاهه وإنما هو من أجل رسالة. لم يكن المال في الإسلام وقوداً

يوضع في بيت المال. لينال منه هذا ليشعل النار على ذلك ولم يكن زادا يتروذ به كل راشي وكل موتشي في الحكم. إنما المال في الإسلام سدا لطريق الفتن. لهذا وضع في أيدي أمينة حرمت عليها الصدقة. لتفتح طريقا للفتنة في عالم مملوء بالرجس والبخس.

### خامسا - من مناقب أهل البيت:

لما كان أهل البيت هم نزوة الأمة الخاتمة. فإن الله تعالى وضعهم في دائرة خاصة بهم. لهم فيها ما ليس لغوهم ليكون في ذلك لفتنا لأنظار الأمة إليهم. ونحن سنقتبس من نورهم بعضا من مناقبهم التي يحتاجها هذا الموضوع.

\* من مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول من صلى مع النبي بعد خديجة علي بن أبي طالب<sup>(1)</sup>، وعن زيد بن رُقم قال: أول من أسلم علي<sup>(2)</sup>، وعن سلمان قال: أول هذه الأمة ورودا على نبيها. أولها إسلاما علي بن أبي

---

(1) رواه أحمد. وقال في الفتح الرباني: أورده الطيالسي في سنده والهيثمي عن علي وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير حية العرض وقد وثق (الفتح 122 \ 23)، ورواه الترمذي وقال حديث غريب (تحفة الأحوازي 239 \ 10).

(2) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح (الجامع 642 \ 5) ورواه أحمد بسند صحيح (الفتح الرباني 122 \ 23) ورواه الحاكم وأوه الذهبي (المستترك 136 \ 3).

طالب<sup>(1)</sup>، وعن علي قال: كنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني وإذا سكت - أي عن السؤال ابتدأني<sup>(2)</sup>، وعن عبد الله بن جعفر قال:

قال صلى الله عليه وسلم: " علي أصلي وجعفر فوعي"<sup>(3)</sup>، وعن عمر بن عبد الله عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم. آخى بين الناس وتوك عليا حتى بقي آخوهم لا يرى له أخا. فقال يا رسول الله: آخيت بين الناس وتوكتني. قال: ولم تواني توكتك. توكتك لنفسك أنت أخي وأنا أخوك. فإن ذكرك أحد فقل أنا عبد الله وأخو رسوله لا يدعيها بعد إلا كذاب<sup>(4)</sup>. عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: " أنت أخي في الدنيا والآخرة"<sup>(5)</sup>، وقال ابن كثير في هذا الحديث. كان المشايخ يعجبهم هذا الحديث لكونه من رواية أهل الشام<sup>(6)</sup>.

### من مناقب فاطمة رضي الله عنها:

خطب أبو بكر وعمر فاطمة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم " هي لك يا علي"<sup>(7)</sup>، وقال صلى الله عليه وسلم: " إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي"<sup>(8)</sup>، وروى الإمام مسلم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة: يا فاطمة أما توضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين. أو سيدة نساء هذه

---

(1) رواه الطبراني وقال الهيثمي رجاله ثقات (مجمع الزوائد 102 \ 9)، ورواه ابن أبي شيبة (كنز العمال 144 \ 3)، ورواه الحاكم والخطيب (كنز العمال 616 \ 11).

- (2) (رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب (الجامع 637 \ 5) وقال في تحفة الأحراري رواه النسائي وابن خزيمة في صحيحه والحاكم ورواه أبو نعيم في الحلية وسعيد بن منصور (تحفة الأحراري 225 \ 10) (كنز العمال 120 \ 13).
- (3) (رواه الطواني في الكبير. ورواه الضياء بسند صحيح (كنز العمال 602 \ 13).
- (4) (أخرجه الإمام أحمد وأبو يعلى عن علي (كنز العمال 140 \ 13) (تحفة الأحراري 122 \ 10).
- (5) (رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب (الجامع 636 \ 5).
- (6) (البداية والنهاية 336 \ 7).
- (7) (رواه الطواني وقال الهيثمي رجاله ثقات (الزوائد 204 \ 9).
- (8) (رواه الطواني وقال الهيثمي رجاله ثقات (الزوائد 204 \ 9).

الصفحة 120

- (1) الأمانة ، وعن أنس قال. قال النبي صلى الله عليه وسلم: حسبك من نساء العالمين - مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون (2) ، وروى الإمام مسلم عن المسور بن مخرمة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إنما فاطمة بضعة مني يؤذيها ما آذاها" (3) ، وروى البخاري: "فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني" (4) ، وروى الحاكم: "فاطمة شجنة مني يبسطني ما يبسطها ويقبضني ما يقبضها" (5) .
- فإذا كان الذي يؤذي فاطمة يؤذي رسول الله. وإذا كان ما يغضبها يغضبه.
- وإذا كان ما يقبضها يقبضه. فعلى ذلك يمكن أن نفهم قول الله تعالى: (إن الذين يؤننوا بالله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة" (6) ، فمن المعلوم أن الله لا يناله الأذى ولكنه شرك الرسول في إيذائه تشريفاً للرسول. وإشارة إلى أن من قصد رسول الله بسوء. فقد قصده أيضاً بالسوء. لهذا قال لفاطمة ما قال. وقال لعلي بن أبي طالب: "إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك" (7) ، وقال: "يا علي من فرقني فرق الله ومن فرقك يا علي فرقني" (8) ، وقال: "من آذى علياً

(1) (صحيح مسلم في فضل فاطمة (6 \ 16) ، ورواه البخاري بلفظ "أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين (الصحيح 284 \ 2) ، ورواه الحاكم بلفظ مسلم بزيادة "ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين" وقال هذا إسناد صحيح ووافقه الذهبي (المستدرک 156 \ 3).

- (2) (رواه الترمذي وقال حديث صحيح (الجامع 703 \ 5) ورواه الحاكم وقال هذا الحديث في المسند لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (المستدرک 157 \ 3).
- (3) (صحيح مسلم 16 \ 3 ، باب فضل فاطمة.
- (4) (صحيح البخاري ك بدء الخلق ب مناقب قابة النبي 302 \ 2.
- (5) (الحاكم وأقوه الذهبي (المستدرک 3 \ 154).
- (6) (سورة الأحزاب: الآية 57.
- (7) (رواه الطواني وقال الهيثمي إسناده حسن (الزوائد 203 \ 9).

(8) رواه الزوار (كشف الأستار 201 \ 3) وقال الهيثمي رجاله ثقات (الزوائد 135 \ 9)، ورواه الحاكم وصححه (المستترك 121 \ 3).

الصفحة 121

(1) " فقد آذاني " ، وقال للحسن والحسين: " من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني " (2).

إنه خط واحد، لا مجاملة فيه لأحد. فالذين يؤنون الرسول يؤنون الله.

والرسول قام بتحديد دائرة. فمن تقدم إليه بأذى. فإنه يكون في حقيقة الأمر قد خالف الطريق كله. وحمل الفطرة على ما لا يجب أن تحمله.

### \* من مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما:

عن ابن عمر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " هماريحاتاي من الدنيا " (3)، وعن أسامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هذان ابناي وابنا ابنتي.

اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما " (4)، وفي هذا الحديث أطلق عليهما لفظ البنوة التي أطلقها القرآن في قوله تعالى: (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم)، وعن أبي سعيد الخوري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة " (5)، وعن حذيفة: قال النبي

(1) رواه أحمد وقال الهيثمي رجال أحمد ثقات ورواه ابن حبان في صحيحه (الزوائد 129 \ 9).

(2) رواه ابن ماجه وقال البوصوي في الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات (1406 \ 3) (كنز العمال 116 \ 12) ورواه الحاكم وأقره الذهبي (166 \ 3) (المستترك) وقال الهيثمي رواه أحمد والزوار (الزوائد 179 \ 9).

(3) رواه البخاري ك بدء الخلق ب مناقب الحسن والحسين (306 \ 2) وأحمد والتومذي عن ابن عمر. وابن عساكر وابن عدي عن أبي بكوة. والنسائي عن أنس (كنز العمال 113، 114 \ 12) ورواه الزوار عن سعد وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (الزوائد 181 \ 9).

(4) رواه التومذي وقال حديث حسن غريب (الجامع 656 \ 5)، وقال في تحفة الأهرلي رواه الحاكم وصححه وابن حبان في صحيحه (التحفة 274 \ 10) ورواه البخاري ك بدء الخلق ب مناقب المهاجرين 306 \ 2 الصحيح.

(5) رواه التومذي وقال حديث حسن صحيح (الجامع 656 \ 5) وقال في كشف الخفاء أخرجه أحمد وصححه ابن حبان والحاكم (كشف الخفاء 429 \ 1) وقال في تحفة الأهرلي هذا الحديث مروى عن عدة من الصحابة من طرق كثرة ولذا عده السيوطي

الصفحة 122

صلى الله عليه: " جاعني جوبيل بشوني أن الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة " (1)، وبما أنهما في الجنة فلا يمكن أن

يكون من قتلها في الجنة أيضا.

لأن الجنة لا يدخلها القاتل الذي ساعد وساهم في تقييض الصواب المستقيم.  
بدليل أن الشيطان الذي أخذ على عاتقه تقييض الصواب المستقيم. لعنه الله وأخرجه من الجنة.

### سابعاً - تحذرات:

بعد اكتمال الدائرة التي ستقف في مواجهة نواثر الصد عن سبيل الله. وبعد أن بين الله تعالى العزة الطاهرة الذين أذهب عنهم الرجس وطهروهم تطهروا. وأن نزوة ذي القوي هم من حرم الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم نكاحه.  
وبعد أن فوض مودتهم من البداية إلى النهاية. ولم يفوض الله مودتهم إلا لعلمه المطلق بأنهم لا يرتنون عن الدين أبدا ولا يرجعون إلى ضلال أبدا. ومودتهم لا يأتي بها أحد مؤمنا مخلصا إلا استوجب الجنة لقوله عز وجل: (الذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات. قل لا أسألكم عليه أحوا إلا المودة في القوي) (2).  
وبعد أن فوض سبحانه الصلاة على رسوله والحق رسوله آله به. وفي بعض الروايات أن قوله تعالى: (يس والقوان الحكيم) (3)، روى أن يس اسم من أسماء النبي (4). وروى في قوله تعالى: (سلام على آل

= من المتواترات (تحفة 272 \ 3) وقال الهيثمي رواه أحمد وأبو يعلى ورجالها رجال الصحيح (الزوائد 201 \ 9).

- (1) رواه البخاري والضياء في المختلة بسند صحيح (كنز 120 \ 12) وابن سعد والحاكم (كنز 113 \ 12) وأحمد والترمذي وقال حديث حسن والنسائي وابن حبان في صحيحه (كنز 113 \ 12).
- (2) سورة الشورى: الآية 22 - 23.
- (3) سورة يس: الآية 1.
- (4) جلاء الأفهام \ ابن القيم ط دار الكتب العلمية بيروت.

الصفحة 123

(يس) (1)، أن آل يس هم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم (2)، وقيل: إن الله تعالى لم يقل سلام على آل فوح ولم يقل سلام على آل إواهيم ولا قال سلام على آل موسى وهارون وقال: "سلام على آل ياسين" يعني آل محمد لأنهم حراس العقيدة الخاتمة التي ترتبط بالقوان وتلتقي معه عند حوض النبي يوم القيامة. وقيل أيضا إن الله تعالى ذكر الوجود إليهم فيما خفي على الناس في قوله تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) (3). إن القول بأهل الذكر في هذه الآية ليس اليهود والنصرى كما زعم البعض. لأن هذا القول أن يدعونا إلى دينهم للاحتكام إليه، وإن المعنى: إن الذكر هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك مبين في كتاب الله عز وجل. قال تعالى: (فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أتول الله إليكم ذكوا \* رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات) (4)، وقال البعض: المراد بالذكر بالذي أتول هو الرسول. سمي به لأنه وسيلة التذكوة بالله وآياته وسبيل الدعوة إلى دين الحق. وعلى هذا فالمراد بإزال الرسول. بعثه من عالم الغيب. وإظهاره لهم رسولا من عنده.

بعدما لم يكونوا يحتسبون كما في قوله تعالى: (وأقرنا الحديد) (5) . وقال البعض: يحتمل أن يكون "رسولا" منصوبا بفعل

محذوف والتقدير أرسل رسولا يتلو عليكم"، ويكون المراد بالذكر المتول إليهم القآن، وقال البعض: إن "رسولا" هو

جبريل. ولكن ظاهر قوله "يتلو عليكم..." يخالف ذلك. والخاصة: إن الروايات التي فسوت الآية بينت أن الذكر رسول الله

وإن عقرته أهله.

وروى في قوله عز وجل: (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) (6) ، إن الآية مكية وعلى هذا فالمراد بقوله: "أهلك"

بحسب وقت النزول خديجة زوج

(1) سورة الصافات: الآية 130.

(2) تفسير ابن كثير 20 \ 4 ، البغوي في تفسيره معالم التنزيل 164 \ 7 ط المنار 1347 هـ .

(3) سورة النحل: الآية 43.

(4) سورة الطلاق: الآية 10 - 11.

(5) سورة الحديد: الآية 25.

(6) سورة طه: الآية 132.

الصفحة 124

النبى صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب، وكان من أهله وفي بيته أو هما وبعض بنات النبي صلى الله عليه وسلم.

وعلى هذا فإن القول بأن أهله جميع متبعيه من أمته غير سديد. وروى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ظل يأمر أهله

بالصلاة في مكة والمدينة حتى فارق الدنيا. وفي الدر المنثور أخرج الطواني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في

شعب الإيمان بسند صحيح عن عبد الله بن سلام قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تولت بأهله شدة أو ضيق أمرهم

بالصلاة وتلا (وأمر أهلك بالصلاة) وروى أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يجرى إلى باب علي وفاطمة ثمانية أشهر، وفي

رواية تسعة أشهر ويقول: "الصلاة رحمكم الله. إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهروا" (1) ...

وبعد أن فرض سبحانه لذي القربى نصيبهم من المال. فكون سهمهم مع سهمه وسهم رسوله. فجعلهم بذلك في خير. وجعل

الناس في خير دون ذلك.

ورضى لهم ما رضى لنفسه. واصطفاهم فيه فبدأ بنفسه ثم ثنى برسوله ثم بذى القربى. (واعلموا إنما غنمتم من شئ فإن الله

خمسه وللسول ولذي القربى). (2) فهذا النصيب من الفئ والغنيمة حقا لهم إلى يوم القيامة في كتاب الله الناطق. بخلاف

اليتامى والمساكين الذين ورد ذكورهم في الآية. فإن اليتيم إذا انقطع يتمه خرج من الغنائم ولم يكن له فيها نصيب. وكذلك

المسكين إذا انقطعت مسكنته لم يكن له نصيب من المغنم ولا يحل له أخذه. ولكن سهم ذي القربى إلى يوم القيامة. قائم فيهم

للغني والفقير منهم. لأنه لا أحد أغنى من الله عز وجل. فجعل لنفسه منها سهما ولرسوله سهما. فما رضىه لنفسه ولرسوله

رضيه لهم. وكذلك الغني ما رضىه منه لنفسه ولرسوله صلى الله عليه وآله رضيه لذي القربى. وكذلك الصدقة. فكما زه



سبحانه نفسه وزه رسوله. زه أهل بيت النبي عنها. فقال: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغلّمين وفي سبيل الله وابن السبيل فبيضة من

(1) أخرجه ابن مردويه وابن عساكر وابن النجار عن أبي سعيد الخدري.

(2) سورة الأنفال: الآية 41.

الصفحة 125

(1) الله ، فلا يوجد في شيء من ذلك أنه عز وجل سمي لنفسه أو لرسوله أو لذي القربى. لأنه لما زه نفسه من الصدقة وزه رسوله زه أهل بيته. بل حرمها عليهم لأن الصدقة محرمة على محمد وآله. وهي أوساخ أيدي الناس. لا تحل لهم. لأنهم طهروا من كل دنس ووسخ. فلما طهروهم الله عز وجل. رضي لهم ما رضي لنفسه وكوه لهم ما كوه لنفسه.

بعد كل هذا التطهير. وبعد رباط القآن الذي لا ينفك عنهم حتى يوم القيامة.

بعد كل هذا حذر ثم حذر وحذر. فقال: " سبعة لعنتهم ولعنهم الله " ومنهم:

" المتسلط على أمتي كالجيروت ليزل من أعز الله، ويعز من أذل الله عز وجل.

والمستحل من عترتي ما حرم الله عز وجل " (2) ، وعن زيد بن رُقم. أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين. أنا حرب لمن حربتم وسلم لمن سالمتم (3) .

قال في تحفة الأرواحي: أي أنا محارب لمن حربتم. جعل النبي صلى الله عليه وسلم نفسه نفس الحرب مبالغة كرجل عدل (4) ، وعن أبي

(1) سورة التوبة: الآية 60.

(2) رواه ابن أبي عاصم وقال الألباني له طريق عن عائشة إسناده حسن (كتاب السنة 24 \ 1).

(3) رواه الترمذي وقال حديث غريب. وقال في تحفة الأرواحي. قول الترمذي صبيح مولى أم سلمة ليس عوف ذكره ابن حبان في الثقات. ورواه أحمد والطواني عن أبي هريرة وفيه تليد بن سليمان وفيه خلاف (التحفة 372 \ 10) (الفتح الرباني 106 \ 22) (كنز العمال 96، 97 \ 12)، (مجمع الزوائد 169 \ 9)، ورواه الحاكم وقال هذا حديث حسن من أحاديث أبي عبد الله أحمد بن حنبل، ورواه الحاكم أيضا عن طويق زيد بن رُقم (المستترك 149 \ 3)، وقال في كتّول العمال، رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم عن زيد بن رُقم وأحمد والطواني والحاكم عن أبي هريرة (كنز العمال 96 \ 97 \ 12)، ورواه الضياء بسند صحيح عن زيد بن رُقم، ورواه عنه ابن أبي شيبة وابن حبان في صحيحه (كنز العمال 640 \ 13)، وذكره ابن كثير في البداية، وقال رواه أحمد (البداية 38 \ 5).

(4) تحفة الأرواحي 372 \ 10.

الصفحة 126

سعيد الخوري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار " .  
وعلى ذلك تكون الحجة قد أقيمت. فالله سبحانه هو الذي حذر من خطوات الشيطان. وهو سبحانه الذي بين أهداف المشركين في دائرة البخس.

وهو سبحانه الذي بين أهداف المنافقين في دائرة الوجدس. كما بين أهداف تيار الذين في قلوبهم مرض. وتيار الذين في قلوبهم زيغ. ولما كانت الأمة ستجد مشاكل على الطريق يضعها أناس من جلدتهم يتكلمون بألسنتهم ويدعون إلى النار من أجابهم قذفوه فيها. ولما كان عدم وجود دليل للأمة يرشدها مع كتاب الله إلى الطريق الحق. يعتبر حجة لهم يوم القيامة. أقام الله حجته حتى لا يكون للناس عليه حجة يوم القيامة، ولا إكراه في الدين. فالحق حق وإن توكه الناس. والباطل باطل وإن الترموا به.

---

(1) رواه الحاكم وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستدرک 150 \ 3).

الصفحة 127

## رابعا - النور والولاية

بعد تحديد دائرة الطهر. هل كان لهذه الدائرة نروة بعد الرسول صلى الله عليه وآله سلم؟ بمعنى هل كان فيها الرجل الذي يبلغ عن الرسول من بعده أم أن الدائرة وجدت ليتبرك بها الناس فيحمل أحدهم الحسن ويقبل الآخر الحسين وبيتهم الجميع في وجه فاطمة وعلي رضي الله عنهما؟ فإذا كانت الإجابة. أن الدائرة بركة. ولا يوجد ما يسمى بالخلافة. ولم يقوم الرسول بتعيين من يبلغ من بعده. فإن من خالف يقول: فهل من المعقول أن يجعل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه دون استثناء قوة للبشر وفي أصحابه دائرة المنافقين وتيار الذين في قلوبهم مرض؟ كيف وقد أظهرت حركة التزيخ أن الصحابة اختلفوا في الرواية والقيادة والسورة والأخلاق، وفي طويق الهداية والإرشاد وفي كل شيء.

وسبب هذا الاختلاف أن المحتاج إلى التعليم والإرشاد. أصبح قوينا للقوان الذي لا يستغني عن المفسر العالم به. ولو كان القوان لا يحتاج إلى تأويل لأجمع الناس على مدلوله ولم تفترق الأمة. وإذا كانت الخلافة ليست أصلا إسلاميا. ولم يأمر الرسول بها. فلماذا قامت بعده؟ بمعنى لماذا أوصى الذين جاؤا من بعده وحتى يومنا هذا بمن يخلفهم. هل كان معاوية بن أبي سفيان أحرص على الدعوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلها لابنه من بعده وسار بها بعد ذلك لتستقر في إناء الكسروية والقيصرية؟ لماذا حرصوا على الخلافة ولم يتوكلوا الأمر اقتداء بسنة رسول الله إذا اعتونا أنه ترك أمته كهباء ضائع في خلاء. وحاشاه أن

---

الصفحة 128

يفعل ذلك فإذا قيل: إن الخلافة مجرد اجتهاد وتطبيق لتضاه المسلمون الأوائل.  
وإنها تقوم على الاجماع أو الانتخاب. فإن من خالف يقول: إذا كانت الخلافة بالاجماع فما معنى عقد أبي بكر لعمر رضي

الله عنهما. وما معنى وصية عمر وجعلها شورى، وما معنى جعل الخلفاء إياها كسروية. إن كل حلقة تختلف عن الأخرى. وانتهت الحلقات إلى الجبرية حيث الاجماع الذي على رأسه السيف.

وكل حلقة لم تحقق الاجماع الكامل ويوم السقيفة شاهد بخروج سعد بن عباد و من معه على هذا الاجماع وعلى امتداد التاريخ تشهد الأحداث أن الاجماع لم يتحقق يوما وأن المعرك بين المسلمين وبين أنفسهم كان عمودها الفقوي الخروج على الحكم وطلب الكرسي. فأين الاجماع في هذه الأحداث؟ وإذا كانت الخلافة بالانتخاب. فمن المعلوم أن الأمة ليست متفقة في الرأي وأن لكل فرد فيهما رأي يخالف الباقيين. فأى انتخاب؟ وهل المرشح الذي تخرج دنانوه من بيت المال لتلمع في عيون الناخبين. هل يكون هذا مرشحا، مهمته السير بالدعوة الحق على الصراط الحق. هل اللائحة التي تحافظ على الأهواء وتزين وتغوي الناخبين بأحقية حزب ما أو قبيلة ما. وما يقابلها من لوائح تزين وتغوي بالأموال والقرب والجاه. هل هذه اللوائح. لوائح حق تسير بالدعوة الحق على الصراط الحق. أن الخليفة بحكم العقل والنقل مطلوب منه المحافظة على كيان الإسلام.

وراحة الشبهات وقطع دابر الكفار والمنافقين ونشر الأحكام الإلهية. فهل يا ترى يمكن للناس الوصول إلى من يتصف بهذه الصفات المذكورة وهل في وسعهم الاتجاه والاتفاق على اختياره. مع الوضع في الاعتبار أن في الأمة نواثر عديدة هدفها الصد عن سبيل الله. وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أن في أمته أئمة مضلون ومنافق عليم اللسان إلى غير ذلك. فهل يمكن للناس تفادي كل هذا؟

فإن قيل: إن الخلافة في عصورها المتأخرة تختلف عنها في عصورها الأولى حيث كان الصحابة يتحرون الدقة. وهم بالإجماع أهل عدل وصلاح.

وبموت الرسول صلى الله عليه وسلم. لم يعد هناك منافقون ولم يعد لتيار الذين في قلوبهم مرض وجود. فإن المخالف يقول: إذا كانوا جميعا عدو. فبمن

الصفحة 129

نفتدي. بأبي بكر رضي الله عنه. أم بالصحابة الذين تخلفوا عنه وعلى رأسهم سعد بن عباد الذي قال يوم السقيفة: " لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي " (1) ، وكان سعد لا يصلي معهم (2) ألم يكن سعد يعلم أن من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية؟. هل نفتدي بسعد بن عباد أم بعمر بن الخطاب رضي الله عنهما. وعمر أمر يوم السقيفة بقتل سعد وقال: " اقتلوه اقتلوه. ثم قام على رأسه وقال: لقد هممت أن أطأك حتى تنذر عضوك (3) ، وعندما تكاتفوا على سعد. قال قائل فيما روى البخاري: " قتلتم سعد بن عباد. فقال عمر: قتله الله (4) ، وبعد ذلك قال سعد لعمر في خلافته بعد وفاة أبو بكر " والله لقد كرهت جورك " (5) ، وخروج سعد مهاجرا إلى الشام ولم يلبث إلا قليلا. حتى قتل. وقيل: إن الجن هم الذين قتلوه!! (6) .

وبمن نفتدي بخلافة أبي بكر رضي الله عنه. أم بقول علي بن أبي طالب له: " أفسدت علينا أمورنا ولم تستشر ولم توع لنا حقا " (7) ، وفي رواية عند البخاري قال: " ولكنك استبدت علينا بالأمر. وكنا نرى لوابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم (8) (9)

نصيباً " ، أم بوصف عمر فيما بعد لخلافة أبي بكر بأنها فلتة ومن عاد إليها فيجب قتله ، وبمن نقندي يوم جعلها عمر بعد إصابته شوري بين ستة روى أنهم من أهل الجنة. فقد قال: " إن خالف اثنان لأربعة فاقتلوا الاثنيين. وإن خالف ثلاثة فاقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم

(1) الطبري 210 \ 3.

(2) الطوي 210 \ 3.

(3) الطوي 210 \ 3.

(4) البخاري (الصحيح 291 \ 2) لبدء الخلق.

(5) ابن سعد في الطبقات (كنز العمال 628 \ 5).

(6) راجع ابن كثير وابن الأثير في أحداث السقيفة.

(7) مروج الذهب \ المسعودي (1 \ 414).

(8) البخاري (الصحيح 56 \ 3) ك المغزي.

(9) رواه الإمام أحمد (الفتح الروابي 59 \ 23) وابن أبي شيبة (كنز العمال 649 \ 5)، الطوي (200 \ 3).

الصفحة 130

عبد الرحمن بن عوف (1) . بمن نقندي بمن يأمر بقتل أهل الجنة أم بمن بقي من أهل الجنة. ومارأي المسلمين لو سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر يقول: اقتلوا أهل الشورى الذين روى بأنهم من أهل الجنة. فأى رضا وأي إجماع في الشورى، وكيف يكون مختلرا من تهدد بالقتل؟ وبمن نقندي بعثمان بن عفان أم بالذين خرجوا عليه وهم صحابة. وفيهم من ألب عليه.

وفيهم من قال: " اقتلوا نعتلا فقد كفر " وفيهم من كان يلعنه كما سنبين ذلك في حينه... بمن نقندي بأه المؤمنين عائشة رضي الله عنها أم بالناكثين وفيهم صحابة. أم بالقاسطين وفيهم صحابة. أم بالملقين وفيهم صحابة. أم بعلي بن أبي طالب ومن معه وهم صحابة. بمن نقندي. بمعوية ابن أبي سفيان أم بعمر بن العاص وهما من الصحابة؟ من المسؤول عن الدماء التي أريقت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بمدة قليلة. والذين كانوا في صدر المسؤولية جميعا من الصحابة، ويبقى السؤال قائما. هل أوصى الرسول الأكرم لأحد أصحابه بأن يبلغ من بعده. أم ترك الأمة كهباء ضائع في خلاء بعد جهاد طويل في عالم الحرب والسياسة والنفس. هل تركها لتستقر بعد ذلك عند أقدام يزيد بن معاوية ومن على شاكلته. حيث تقطع رؤوس الذين آمنوا وتجلد ظهورهم بكل قسوة وبلا أدنى رحمة. وينتهي الأمر بأن تدخل الأمة في نوائر الذين سبقوها وتتبع سننهم شوا بشبر ونواعا بنواع؟ إن الذي يقول بذلك. يكون قد تساهل تساهلا كبيرا في حق الله وحق كتابه وحق رسوله.

نحن لا نقلل من شأن الصحابة رضي الله عنهم. ولكن هناك حقيقة لا يجب أن نتعامى عنها: هي إن النبي صلى الله عليه وسلم أوجب محبة أصحابه لطاعتهم لله. فإذا عصوا الله وتركوا ما أوجب محبتهم. فإن النبي لا يجامل أحدا.

لقد قيل. أنه صلى الله عليه وسلم أشاد بالصحابة وأنهم كالنجوم وعلى الهدى. وليس معنى ذلك أن أهل الشام على هدى. وإنهم بهداهم حلوا علي بن أبي طالب وأن قاتل عمار بن ياسر على هدى، والصحيح

(1) قصة الشورى الطبري (33 / 5).

الصفحة 131

في عمار أن الفئة الباغية تقتله. وقال القآن: (فقاتلوا التي تبغي حتى تفي إلى أمر الله<sup>(1)</sup>، وهذا يدل على أنها ما دامت موصوفة بالمقام على البغي. فهي مفارقة لأمر الله. ومن فرق أمر الله لا يكون مهتديا. فكيف يكون كل واحد من الصحابة على هدى ولا يخطئون والله تعالى يقول لرسوله: (قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم)<sup>(2)</sup>، وقال: (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)<sup>(3)</sup>، فكيف يقول الرسول هذا ونحن نقول الصحابة لا يخطئون؟! إن خير القرون التي جاء ذكرها في الحديث. تصورها القرون الذي دلت أحداثه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. وهذه الأحداث هي شر الأحداث. ففي هذا القرون قتل الحسين.

واجتاحت خيول يزيد المدينة. وحصوت مكة. وشرب الخلفاء الخمر وارتكوا الفجور وأريقوا الدماء. وقتل المسلمون وسبي الحريم. واستبعد أبناء المهاجرين والأنصار. وما كان هذا إلا بسياسة من بعض الصحابة وما جرى إلا تحت أعينهم. ولكي لا تختلط الأمور فنحن نعرف هنا ما هي الصحبة.

## 1 - تعريف من هو الصحابي:

الصحبة لغة. هي المعاونة، وتطلق على المعاونة في الزمن القليل والكثير. ولذلك يقال صحبت فلانا حولا وشهرا ويوما وساعة. وتقع الصحبة بين المؤمن والكافر. كما تقع بين المؤمن والمؤمن. قال تعالى في محاضرة بين مؤمن وكافر: (قال له صاحبه وهو يحلوه أكفوت الذي خلقك)<sup>(4)</sup>، وقال تعالى لكفار المشركين (ما ضل صاحبكم وما غوى \* وما ينطق عن الهوى)<sup>(5)</sup>، وقال سبحانه لهم: (ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير

(1) سورة الحجرات: من الآية 51.

(2) سورة الزمر: الآية 13.

(3) سورة الزمر: الآية 65.

(4) سورة الكهف: الآية 37.

(5) سورة النجم: الآية 2 - 3.

الصفحة 132

(1) لكم، واسم الصحبة يطلب أيضا بين العاقل وبين البهيمة. فالعوب سموا الحمار صاحبا فقالوا:

إن الحمار مع الحمار مطية \* فإذا خلوت به فبئس صاحب

وسموا الجماد مع الحي صاحباً فقالوا في السيف:

زرت هنذا وذاك غير اختيان \* ومعني صاحب كتوم اللسان

وأطلقت كلمة الصحابي على كل من أسلم في حياة النبي ولقيه مسلماً.

ومن هؤلاء المنافقون والذين في قلوبهم مرض والموجفون الذين كانوا يعملون على إحداث الاضطراب في المدينة. ومنهم الذين قال فيهم تعالى: (ومنهم الذين يؤذون النبي) <sup>(2)</sup> ، وقوله: (ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) <sup>(3)</sup> ، وقوله: (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم) <sup>(4)</sup> . فإذا كان في الصحابة من يبطن الكفر ويظهر الإيمان بنص الكتاب. فكيف يجوز الاقتداء بكل فرد منهم دون أن يوثق بإيمانه ويعرف صحة إسلامه ورسوخ عقيدته.

لقد قال تعالى في صحابة النبي صلى الله عليه وسلم: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار) إلى قوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجر عظيم) <sup>(5)</sup> ، فقوله تعالى: "منهم" أي لو كان منهم من لم يؤمن أصلاً كالمنافقين والذين في قلوبهم مرض. أو منهم الذي آمن ولا ثم أشرك وكفر كما في قوله تعالى: (إن الذين ارتدوا على أذيابهم من بعدما تبين لهم الهدى) إلى قوله تعالى: (ولو نشاء لأريناكم لهم فلعرفتمهم

(1) سورة سبأ: الآية 46.

(2) سورة التوبة: الآية 61.

(3) سورة التوبة: الآية 58.

(4) سورة التوبة: الآية 64.

(5) سورة الفتح: الآية 29.

الصفحة 133

بسيماهم) <sup>(1)</sup> ، أو منهم الذي آمن ولم يعمل الصالحات كما يستفاد من آيات الإفك. ومن أهل الإفك من هو صحابي بوي. وقد قال تعالى: (إن الذين يؤمنون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) <sup>(2)</sup> ، فأمثال هؤلاء لا يشملهم وعد المغفرة والأجر العظيم الذي وعد الله به في صدر الآية.

وقال تعالى: (إن الذين يباعدونك إنما يباعدونك الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) <sup>(3)</sup> ، فمن ينكث لا معنى للقول بأن له عند الله أجراً عظيماً. ولقد دلت الحوادث أن هناك من نكث ببعته. وبالجملة الصحابة ناس كغورهم - مع فضل الصحبة - فيهم العدول الثقة والقادة الهداة. وشهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام مالك. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لشهداء أحد: " هؤلاء أشهد عليهم " فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ألسنا يارسول الله إخوانهم. أسلمنا كما أسلموا.

وجاهدنا كما جاهدوا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بلى ولكن لا أروي ما تحدثون بعدي " فبكى أبو بكر ثم بكى

ثم قال: ائنا لكائون بعدك! (4)

لقد كان في الصحابة أعظم الرجال في تزيخ البعثة إذ لم يكن في تزيخ الإنسانية منهم عبيدة بن الحرث. وعمير بن أبي وقاص. وعاقل بن أبي البكير.

ومهجع مولى عمر بن الخطاب. وصفوان بن بيضاء. ومبشر بن عبد المنذر.

وسعد بن خيثمة. وحلثة بن سواقة. وعمير بن الحمام بن الجوع. ورافع بن المعلي. ويؤيد بن الحرث. وغير هؤلاء من

أبطال بدر. وحفزة بن عبد المطلب. وعبد الله بن جحش. ومصعب بن عمير. وشماس بن عمر.

والحرث بن أس وعمر بن معاذ. وعمرة بن زياد بن السكين، وعمرو بن

(1) سورة محمد: الآية 30.

(2) سورة النور: الآية 23.

(3) سورة الفتح: الآية 10.

(4) موطأ مالك كتاب الجهاد ص 371.

الصفحة 134

الجوح، وخلاد بن عمر بن الجوح، وعتبة بن الربيع، ومالك بن سنان والد أبي سعيد الخوي. وسعد بن الربيع، وأنس

بن النضر. وأويس بن ثابت، وغير هؤلاء من شهداء أحد. وأبو ذر الغفلي. وعمار بن ياسر. وأبو أيوب الأنصلي. وخزيمة

بن ثابت. وسلمان الفارسي. وأبو سعيد الخوي. وزيد بن رقم، وبريدة الأسلمي، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعبد

الله بن عباس، والمقداد وأبو الهيثم التيهان، وسهل وعثمان ابنا حنيف، والواء بن عزب. وزيد بن صوحان، وحذيفة بن

اليمان، وعمران بن حصين، وأبورافع مولى رسول الله.

وغير هؤلاء من الصحابة العظام، وفي الصحابة من نكث ومن مرق ومن بغى. وفيهم من لعبت به الأهواء، وفيهم من

خرج عن الحق، وفيهم من رجع إليه. والنفاق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. لم ينتهي بموته. ولم ينقطع بمجرد انقطاع

الوحي. ومن قال بأن النفاق قد انتهى بعد موت الرسول.

فعليه أن يقول لنا. هل كانت حياة الرسول سببا في نفاق المنافقين. وموته سببا في إيمانهم وعدالتهم، وحتى صاروا أفضل

الخلائق بعد الأنبياء. كيف انقلبت بواؤهم وحقائقتهم بعد وفاته. وأصبحوا ثقلا مع الوآن كما قال البعض. إن في الكتاب

العزيز وسنة النبي المطهرة ما يثبت بقاء المنافقين على نفاقهم بشهادة حذيفة رضي الله عنه وسنبلين ذلك في موضعه. لقد كان

النبي وهو بين أصحابه يود أن يلقي إخوانه كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: "وددت أني رأيت إخواني - قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: بل أنتم أصحابي وإخواني الذين لم

يأتوا بعد" (1)، وفي رواية: "وإخواني الذين آمنوا بي ولم يروني أنا إليهم بالأشواق" (2)، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: "

مثل أمتي مثل المطر لا يورى أوله خير أم

---

(1) رواه مسلم (الخصائص الكبرى للسيوطي 260 \ 2).

(2) رواه أبو يعلى وأبو الشيخ عن أنس. وابن عساكر عن الواء (كنز العمال 184 \ 12) رواه أحمد بلفظ " وددت أني لقيت إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني (كنز العمال 164 \ 12).





آخره " (1) ، إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحصر الخبر في جهة. لقد أقام الحجة وبلغ عن ربه وهو في شوق إلى إخوانه وربما يكون عندهم الخير كما كان في عهده صلى الله عليه وسلم. فالمقياس الحقيقي لا يكون أبداً بالمتاجرة بالشعرات. وإنما باقتفاء أثره صلى الله عليه وسلم على الصواب المستقيم. فهنا وهنا فقط يكون الخير. ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة. قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: أي الناس خير؟ قال: أنا ومن معي. فقيل له: ثم من؟

قال: الذي على الأثر. قيل له: ثم من يارسول الله؟ قال أبو هريرة: فوفضهم رسول الله (2).

إن الذين مع النبي هم الذين لن يقال لهم عند الحوض سحقا سحقا.

لأنهم بدلوا وغيروا وارتوا بعده كما في الأحاديث الصحيحة. روى البخاري ومسلم: " أنا فوطكم على الحوض من ورد شوب ومن شوب لم يظماً أبداً ولوردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني. ثم يحال بيني وبينهم " (3) ، وفي رواية " لوردن علي الحوض رجال ممن صحبني ورآني فأقول أي رب أصحابي أصحابي. فليقالن إنك لا توري ما أحدثوا بعدك " (4) ، وفي رواية: " فيقال: إنك لا توري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقا " (5).

وقوله صلى الله عليه وسلم: " سحقا " أي بعد بعدا ومكان سحيق

(1) رواه الإمام أحمد عن أنس ورواه الترمذي وقال: حسن غريب. وقال في كشف الخفاء:

رواه الترمذي وأبو يعلى والدلقطني والخطيب وابن حبان في صحيحه وقال ابن حجر:

حديث حسن له طوق (الفتح الروباني 203 \ 23، كشف الخفاء 258 \ 2).

(2) رواه أحمد وقال في الفتح الروباني الحديث صحيح الإسناد (الفتح 219 \ 23) وقال في الفتح رواه مسلم بإسنادين.

(3) ( البخاري (الصحيح ك. الدعوات باب الصواب 141 \ 4) مسلم (الصحيح 53 \ 15) له الفضائل ب حوض نبينا صلى

الله عليه وآله.

(4) رواه أحمد (195 \ 1 الفتح الروباني) ومسلم (الصحيح 65 \ 15) ك الفضائل ب حوض نبينا صلى الله عليه وآله.

(5) رواه مسلم (الصحيح 56 \ 15) ك الفضائل ب حوض نبينا صلى الله عليه وآله).

بعيد. فيه دليل على أنهم ليسوا عصاة. لأن العصاة يشفع لهم. وفي هؤلاء وغورهم قال النبي صلى الله عليه وسلم: " مثلي

كمثل رجل استوقد نرا.

فلما أضاعت ما حولها جعل الفواش وهذه النواب التي يقمن في النار يقعن فيها. وجعل يحزرن ويغلبنه فيقتحمن فيها.

فذلك مثلي ومثلكم. أنا آخذ بحزركم عن النار. هلم عن النار! هلم عن النار! فتغلبوني فتقتحمنون فيها (1).

إن الدعوة الخاتمة جاءت لتقيم حجتها وتذكر الناس بمخزون الفطرة وتدعوهم للتفكر في الآيات من حولهم وتسوقهم إلى

الصواب المستقيم كي يتقنوا العقبات التي وضعها الشيطان ومؤسساته على الأرض وفي الأهواء. إن الشيطان دق أوتاد خيمة

مهمتها عبادة السلف الصالح. ولقد سقط العديد داخل هذه الخيمة منذ فجر التزيخ وعلى هذه العبادة نشأت عبادة الأوثان. وعبادة السلف كانت سببا أساسيا في منع الباحثين والدلسين عن سلوك طريق العلم. لقد وجد الباحثون أن السلف كان ينتقد بعضه بعضا. بل يقتل من خالفه في الرأي من معاصويه. فلما جاء الخلف رفع راية تحرم النقد ولو كان للنقد جنور في كتاب الله. وعندئذ أغلق الباحثون والدلسون على أنفسهم الأبواب. وطويت صفحات العلم والمعرفة. وجرت الفتنة فلم تصب الذين ظلموا خاصة. بل تعدتهم إلى الحاضر والمستقبل. تلقي بالتعصب الذميمة وتهلك ضحاياها في كل عصر. وتشد في كل وادي آلهة جدد.

وما زال السؤال يجري: هل أوصى النبي صلى الله عليه وسلم لأحد أصحابه بأن يبلغ من بعده ويسوق الناس إلى صراط الله المستقيم. هل صوح الرسول باسم الخليفة من بعده؟ أم كانت هناك رموز وإيماء وكناية وتعمير. وكان للرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك عذر لا نعلمه نحن. خشية من فساد الأمر أو لجاف المنافقين. أم أن الرسول لم يوص ولم يصوح ولم تكن هناك رموز وإيماء. وترك أمته كي يسوقها معاوية وعمر بن العاص وبسر بن

---

(1) رواه البخاري كتاب الدعوات (الصحيح 4 / 127) وأحمد والبيهقي والترمذي عن أبي هريرة. واللفظ لأحمد (الفتح الرباني 284 / 21)، وكنز العمال (1 / 177).

---

الصفحة 137

رطأة وأبو الأعور السلمي ومروان بن الحكم والجماح بن يوسف؟ وإذا كانت الإجابة: نعم تركها لئلا الصحابة العول الذين إذا أصابوا لهم أحران وإذا أخطأوا فلهم أحر واحد. فنقول: وهل تستقيم مقدمات بدر وأحد مع هذه النتيجة؟ أي تفسير هذا الذي سيقدمه ابن أبي سفيان وهو يتحدث عن آيات القتال في بدر وفي أحد؟ وأي تفسير سيقدمه للمسجد الضرار ومحاولة اغتيال الرسول.

إن الحقيقة مرة. والمقدمات لا تستقيم مع النتائج. ويبدو أمام الباحث أن أمورا قد جرت. وللحقيقة نقول: إن الأمور الماضية يتعذر الوقوف على عللها وأسبابها ولا يعلم حقائقها إلا من شاهدها ولا يسها. وللحقيقة أيضا نقول إن الأمور إذا اشتبهت. اعتبر آخرها أولها. أي يقاس آخرها على أولها. فحسب البدايات تكون النهايات. والقوان الكريم يهدي العقول إلى استعمال ما فطرت على استعماله. وسلوك ما تألفه وتعرفه بحسب طبعها. وهو ترتيب المعلومات لاستنتاج المجهولات. والذي فطرت العقول عليه هو. أن تستعمل مقدمات حقيقية يقينية لاستنتاج المعلومات التصديقية الواقعية. وهو الوهان.

إننا إذا وضعنا أيدينا على الحقيقة الأولى عند المقدمة. ظهر لنا سلوك الحقيقة عند الخاتمة. وعلى السلوك نعرف الوائف والذخرف الذي تاجر بالحقيقة ولم يسلك سلوكها. ويتم استبعاده. وإذا كان قد قيل: بأن العاقل هو الذي يضع الشيء في موضعه. فإن القوان الكريم اشترط التقوى في التفكير والتذكر والتعقل. وقرن العلم العمل للحصول على استقامة الفكر وإصابة العلم وخلوصه من شوائب الأهام الحيوانية والإلقاءات الشيطانية، ونحن في بحثنا هذا لا ندعي كمال البحث ولا ندعي أننا حسنا موقفا. إن الذي أقدمنا عليه هنا. يخضع في المقام الأول. للبحث العلمي المجرد الذي يتناول الأفكار والمبادئ. ولا شأن له

بالمناسبات التي صدر فيها هذا الحكم أو ذاك، نحن هنا نقوم بالقراءة المنصنة للمصادر. قراءة نقدية متفحصة تقييمية تعتمد على الطريقة السودية التي تقوم على القآن والحديث والرواية التاريخية. وتمنح القواء خيطا يقودهم إلى البحث عن الحقيقة. ونحن وراء قوائمتنا هذه مصممون على تقديم تزيخ يجتمع فيه جميع الخيوط السياسية ودينية واجتماعية واقتصادية. وبناءا على

الصفحة 138

هذا فإن البحث عن الرجل الذي قدر له أن يقود الأمة بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم. يجعلنا في البداية أن نجتمع مواد البناء أولاً، على أن تكون مواد البناء لا خلاف على صحتها عند أهل القبلة. والنقاط مواد البناء هذه من وسطركام طويل عريض مرس أصحابه سياسات التعظيم والتشهير والقتل. ليس بالأمر السهل. ورغم صعوبته إلا أن اليسر في خاتمته. وذلك أن مواد البناء لن تكون في حاجة إلى الخطوة التالية التي هي عملية البناء. لأن المواد في حد ذاتها بناء. ولتكن البداية من عند ولاية الله.

## 2 - ولاية الله عز وجل:

لقد أقام الله تعالى حجته على الخلق في عالم الغيب بميثاق الفطرة المغروس في داخل الكيان الإنساني بأنه تعالى رب كل شئ. وأقام حجته في عالم الاحساس الإنساني بأن زود الإنسان بما يهديه إلى طريق التقوى وابتعد به عن طريق الفجور. وزوده في عالم المشاهدة المنظور بما يقويه إليه حيث الوجود كله من حوله يهتف بأنه لا إله إلا الله. وفي النهاية جعله مختاراً. له أن يختار أي طريق يسلك. وعلى سلوكه سيترتب الثواب والعقاب يوم القيامة. فالفائز هو فقط من احترم المخزون الفطري وما زوده الله به واتبع الهدى الذي جاء به الأنبياء والرسول عليهم السلام، فهذا الهدى الذي جاء به الأنبياء يرشده ويسوقه إلى الصراط المستقيم الذي يتقن الشيطان في كل عصر ومكان في وضع العواقل عليه. فالهدى يتعامل مع كل حالة وفقاً للزمان والمكان. ولهذا تتابع الوسل عليهم السلام في كل زمان ومكان من أجل أن يسوا منافذ الشيطان الذي أمهله الله حتى يوم الوقت المعلوم. ومن أجل هذا تحتم على من أراد الفوز بالنجاة والثواب أن يقف تحت ولاية الله ورسوله. لأنها الولاية الوحيدة التي في ظاهرها وباطنها الرحمة وتقود من استظل بها إلى ساحة القرب يوم القيامة، ومن فضله سبحانه على خلقه أنه حذر من اتخاذ الشيطان ولياً. ونهى عن مودة اليهود والنصرى - يعني نهى المحبة والاتحاد معهم - لأن هذا الطريق بكل ما عليه من رموز يصب في النهاية في ساحة الخاسرين.

الصفحة 139

والقآن الكريم أخبر ولاية الله وأن الأمر كله إليه سبحانه في أكثر من موضع منه قوله تعالى: (أم اتخووا من دونه أولياء والله هو الولي وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير \* وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه إلى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت وإليه أنيب \* فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يزرؤكم فيه ليس كمثل شئ وهو السميع البصير) (1)، قال المفسرون: إنه تعالى ولي تتحصر فيه الولاية. فمن الواجب على من يتخذ ولياً. أن لا يتعداه إلى غيره. إذ لا ولي غيره. وقوله: (وهو يحيى ويميت) حجة على وجوب اتخاذه تعالى وحده ولياً. لأن الغرض من اتخاذ الولي والتدين له.

هو التخلص من عذاب السعير والفوز بالجنة يوم القيامة. ولما كان ذلك كذلك فإن المثيب والمعاقب يوم القيامة هو الله. فهو وحده الذي يحيي الموتى فيجمعهم فيجلزهم بأعمالهم. وعلى هذا فهو الذي يجب أن يتخذ وليا. وأن لا يلتفت الناس إلى أولياء من نونه لأنهم أموات غير أحياء ولا يشعرون أيا ن يبعثون.

وقوله تعالى: (وهو على كل شئ قدير) حجة أخرى، على وجوب اتخاذه تعالى وليا دون غيره، لأنه من الواجب في باب الولاية. أن يكون للولي قوة على ما يولاه من شؤون من يولاه وأموره. والله تعالى على كل شئ قدير ولا قوة لغوه إلا مقدار ما أقوه الله عليه. فهو المالك والقادر على ما ملكه وأقوه عليه. فهو سبحانه الولي لا ولي غوه تعالى، وقوله سبحانه: (وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه إلى الله)، حجة أخرى على كونه تعالى وليا لا ولي غوه، فالاختلاف ربما كان في عقيدة في أن الإله واحد أو كثير، أو كان في نوبة أو إمامة. وربما كان في عمل أو ما يرجع إليه كالاختلاف في أمور المعيشة. أمور المعيشة. باختلافات الناس في عقائدهم وأعمالهم اختلاف تشريعي لا يرفعه إلا الأحكام والقوانين التشريعية ولولا الاختلاف لم يوجد قانون.

(1) سورة الشورى: الآية 9 - 11.

الصفحة 140

والله تعالى هو المالك لكل شئ. لا مالك سواه. فكل شئ بوجوده وآثار وجوده قائما به تعالى. فله سبحانه الحكم والقضاء بالحق قال تعالى: (كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) <sup>(1)</sup> ، وقال (والله يحكم ما يريد) <sup>(2)</sup> ، فالولي الذي يعبد يجب أن يكون رافعا لاختلافات من يتولونه، مصلحا لما فسد من شؤون مجتمعهم، سائقا لهم إلى سعادة الحياة الدائمة بما يضعه عليهم من الحكم وهو الدين. والحكم في ذلك كله إلى الله عز وجل. فهو الولي الذي يجب أن يتخذ وليا لا غير. وبعد أن أقام الله الحجج في الآية أمر النبي أن يقول لهم: (ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب) إعلاما لهم بأنه تعالى هو الولي معتوفا له بالو بوبية التي هي ملك التدبير راجع إلى حكمه في كل واقعة تستقبل الإنسان في مسير حياته ففي هذا كله تكمن الإنابة وتظهر (عليه توكلت وإليه أنيب أنيب) أي رجع في جميع أموري إليه. تكويننا وتشريعنا. (فاطر السموات والأرض. جعل لكم من أنفسكم أزواجا...)، أي أنه تعالى موجب الأشياء وفاطرها من كتم العدم إلى الوجود. وقد جعلكم أزواجا فكثركم بذلك وجعل من الأنعام أزواجا فكثرها بذلك لتنتفعا بها. وهذا خلق وتدبير. وهو سميع لما يسأله خلقه من الحوائج، وبصير لما يعمل خلقه من الأعمال. وهو الذي يملك مفاتيح خزائن السموات والأرض! وهو الذي يرزق المرزوقين فيوسع في رزقهم ويضيق ممن علم منه بذلك. وهذا كله من التدبير. فهو الرب المدبر للأمر ليس مثله شئ.

إن الله هو الولي. (ما لكم من نونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) <sup>(3)</sup> ، إن الله هو الولي: (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) <sup>(4)</sup> ، إن الله هو الولي: (إن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي

سورة القصص: الآية 88.

( 2 ) سورة المائدة: الآية 1.

( 3 ) سورة السجدة: الآية 4.

( 4 ) سورة البقرة: الآية 257.

الصفحة 141

(1) ، (ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا) (2) ، إنه سبحانه مصدر جميع السلطات وإليه تنتهي جميع القورات. وهو مصدر الخلق والتكوين وواهب الحياة ومقوماتها فكما أن له سبحانه الخلق والإبداع، كذلك له الأمر والنهي.

### 3 - ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لقد شرع الله ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل ولاية الرسول على المؤمنين شوط في الإيمان بالله. قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله) (3) ، فالإخلاص لله في دينه خطوته الأولى لا تكون إلا بحبه تعالى. ومن أراد أن يخلص في عبوديته على الحب فعليه أن يتبع هذه الشريعة التي هي مبنية على الحب، ولا حب حقيقي إلا في اتباع سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالأخذ عنه والتأسي به. فمقدمة ولاية الرسول هي الحب الذي هو في الحقيقة الوسيلة الوحيدة لارتباط كل طالب بمطلوبه وكل مرید بمواده. فالواجب على من يدعي ولاية الله بحبه. أن يتبع الرسول حتى ينتهي ذلك إلى ولاية الله له بحبه. والآية ذكرت حب الله دون ولايته. لأنه الأساس الذي تبني عليه الولاية. وإنما ذكر حب الله تعالى فحسب لأن ولاية النبي والمؤمنين تؤول بالحقيقة إلى ولاية الله.

وباب الحب هنا إعجاز بخلق الباب أمام المتأخرين في نواثر الرجس والبخس ويبشورهم بالعذاب الأليم إذ لم تخضع قلوبهم وتخضع ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم إذا كان خيطها الأول يبدأ من القلوب. فإن هذا الخيط يمر في عالم المشاهدة حيث العلم وبيان المعرف الإلهية التي أولها الله للناس.

لتدخل الولاية من باب الحجة. قال تعالى: (وأقولنا إليك الذكر لتبين للناس ما

(1) سورة الجاثية: الآية 19.

( 2 ) سورة الكهف: الآية 17.

( 3 ) سورة آل عمران: الآية 31.

الصفحة 142

(1) ، قال المفسرون: إن القصد بتزول هذا الذكر إلى عامة البشر. وإنك والناس في سواء. ولقد اخترناك من بين الناس لتوجيه الخطاب وإلقاء القول. ولا نملك بهذا قوة غيبية أو رادة تكوينية إلهية. بل لأموين: أحدهما: أن تبين للناس ما قول تدرجيا إليهم. لأن المعرف الإلهية لا ينالها الناس بلا واسطة فلا بد من بعث واحد منهم للتبيين والتعليم. وهذا هو غرض الرسالة. يقول الوحي فيحمله الرسول. ثم يؤمر بتبليغه وتعليمه وتبيينه.

والثاني: رجاء أن يتفكروا فيك فيتبصروا إن ما جئت به حق من عند الله.

فالأوضاع المحيطة بك والحوادث والأحوال الوردية عليك على مدى حياتك من اليتيم وحمود الذكر والحرمان من التعلم والكتابة، وغير ذلك كانت جميعا أسباب قاطعة أن لا تنوق من عين الكمال قطرة. لكن الله أتول إليك ذكرا تتحدى به على الجن والإنس. مهيمنا على سائر الكتب السماوية. والتفكر فيك نعم الدليل الهادي. على أنه ليس لك فيما جئت به صنع، ولا لك من الأمر شيء. وإن الله أتول به بعلمه وأيدك لذلك بقدرته.

فالرسول الله صلى الله عليه وسلم له الولاية في أن يبين للناس ويربي الأمة ويحكم فيهم ويقضي في أمرهم. لأن الله الذي أتول الكتاب. علمه أحكامه وشوائعه. والرسول بهذه الولاية يبث الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة لتكتمل البشرية ويستقيم حالهم في دنياهم وأخراهم. فيعيشون سعداء ويموتون سعداء.

ولأنه صلى الله عليه وسلم كذلك لوجب الله الأخذ عنه والتأسي به وفرض طاعته طاعة مطلقة. لأن طاعته طاعة لله. قال تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) <sup>(2)</sup> ، ومن اتخذ الرسول مولى له. له يصل إلى الكمال في الحب والطاعة إلا إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه قال تعالى: (النبى أولى بالمؤمنين من

(1) سورة النحل: الآية 44.

(2) سورة النساء: الآية 59.

الصفحة 143

(1) ، روى البخاري عن أبي هريرة. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقروا إن شئتم " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم " <sup>(2)</sup> ، وقال المفسرون: إنه أولى بهم منهم. ومعنى الأولوية. هو رجحان الجانب إذا دار الأمر بينه وبين ما هو أدنى منه.

فالمحصل: إن ما راه المؤمن لنفسه من الحفظ والمحبة والكرامة واستجابة الدعوة. فالنبي أولى بذلك من نفسه. ولو دار الأمر بين النبي وبين نفسه في شيء من ذلك. كان جانب النبي أرجح من جانب نفسه. وعلى هذا فإذا توجه شيء من المخاطر إلى نفس النبي. فليلقه المؤمن بنفسه ويفده نفسه. وليكن النبي أحب إليه من نفسه. وأكرم عنده من نفسه. ولو دعت نفسه إلى شيء والنبي إلى خلافه. أو رادت نفسه منه شيئا وراد النبي خلافه. كان المتعين استجابة النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته وتقديمه على نفسه.

فمن قدم نفسه على النبي فهو في الحقيقة غير مؤمن حتى يقدم النبي على نفسه ويحسب إيمانه فقط من وقت تأخره وتقدم النبي. وعمر بن الخطاب رضي الله عنه خاض هذه التجربة. فيما رواه البخاري عن عبد الله بن هشام قال:

كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر. فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي: لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك. فقال عمر: فإنه الآن لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي: " الآن يا عمر " <sup>(3)</sup> ، فتقديم النبي على النفس والولد والوالد والقبيلة والحزب وأي مصلحة هو مفتاح الإيمان الحقيقي.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين " (4) ، ولأن النبي جعل نفسه هي نفس علي ابن أبي طالب رضي عنه في قوله تعالى: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا

(1) سورة الأحزاب: الآية 6.

(2) تفسير ابن كثير 4 / 468 .

(3) البخاري ك الإيمان والنور (الصحيح 4 / 149) وتفسير ابن كثير 4 / 467 .

(4) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه عن أنس (كنز العمال 1 / 37) .

الصفحة 144

ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) (1) ، روي عن جابر قال: " أنفسنا وأنفسكم " رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب (2) تقديم خط دائرة الطهر أي أصحاب الكساء والمباهلة الذين فرض الله مودتهم والصلاة عليهم وجعل لهم سهما مع سهمه وسهم رسوله في مال الله، فتقديم هؤلاء، هو في حقيقة الأمر تقديم للرسول. قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهلي أحب إليه من أهله. وعترتي أحب إليه من عترته ونزيتي أحب إليه من نزيته " (3)

ولاية الله ورسوله. إذا كانت في أعمال المؤمنين. لا يحق للمؤمنين أن يعتبروا أنفسهم أصحاب الاختيار. وكيف يكون المؤمن صاحب اختيار في دائرة وليها الله ورسوله. إن الله ولي عبده المؤمن. لأنه يلي أمره ويدبر شأنه. فيهديه إلى صراطه المستقيم. ويأمره وينهاه فيما ينبغي له أو لا ينبغي. وينصوه في الحياة الدنيا وفي الآخرة. المؤمن في دائرة ولاية الله ورسوله. لا يرى لغير الله استقلالاً في التأثير. ويقصر الملك والحكم فيه تعالى. فلا يخاف إلا إياه أو ما يحب الله ويريد أن يحذر منه أو يحزن عليه... قال تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخوة من أمرهم ومن يعصي الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) (4) .

والخلاصة: ذكر سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم من الولاية التي تخصه الولاية التشريعية. وهي القيام بالتشريع والدعوة وتبوية الأمة والحكم فيهم والقضاء في أمرهم، قال تعالى: (إننا أتولنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) (5) ، وقال تعالى: (وانك لتهدي إلى صراط مستقيم) (6) ،

(1) سورة آل عمران: الآية 61.

(2) تفسير ابن كثير 1 / 371 .

(3) رواه الطواني والبيهقي عن عبد الرحمن بن أبي يعلى عن أبيه (كنز 1 / 41) .

(4) سورة الأحزاب: الآية 36.

(5) سورة النساء: الآية 105.

وللنبي صلى الله عليه وسلم الولاية على الأمة في سوقهم إلى الله والحكم فيهم والقضاء عليهم في جميع شؤونهم وله عليهم الإطاعة المطلقة. فترجع ولايته إلى ولاية الله سبحانه بالولاية التشريعية. ونعني بذلك أن له صلى الله عليه وسلم التقدم عليهم. باقتراض الطاعة. لأن طاعته طاعة الله. فلايته ولاية الله كما يدل عليه بعض الآيات السابقة كقوله... (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)، الآية.

وقوله: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً) الآية. وهذا المعنى من الولاية لله ورسوله هو الذي تذكره الآية للذين آمنوا بعطفه على الله ورسوله في قوله تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) (1) ، فالولاية في هذه الآية واحدة. هي لله سبحانه بالأصالة. ولرسوله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا بالتبع وبإذن منه تعالى.

ولما كان الذين آمنوا لهم الولاية بالتبع لرسول الله وبإذن من الله. فإن للذين آمنوا الذين يحملون الولاية شروط أهمها أن يكون فيه نص إن الوجس لا يعرف له طريقاً وإن الطهارة له رداء إلا أنه سيتعامل مع كتاب الله الذي لا يمسه إلا المطهرون والذي يكون فيه نصوص بأنه على علم بأحكام القرآن وشوائبه.

ولأنه بعلمه سيفزع الاختلاف بين الناس. وأن يكون هذا العلم قد أخذ من رسول الله، فعن علي بن أبي طالب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جؤوا به. ثم تلى قوله تعالى: (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي) (2) ، وقال صلى الله عليه وسلم: " إن للقرآن منزلاً كمنار الطريق فما عرفتم فخزوه وما أنكرتم فدوه إلى عالمه " (3) ، وأن تكون فيه نصوص تثبت بأن يتمتع بقوة العفة والشجاعة والحكمة. لأن من يمتلك هذا تكون لديه ملكة العدالة.

(1) سورة المائدة: الآية 55.

(2) اللالكائي (كنز العمال 379 / 1).

(3) رواه الطبراني (مجمع الزوائد 187 / 1).

ومن أهم الشروط أيضاً أن تكون حرمة جزء لا يتجزأ من الدعوة. بمعنى أن أخطر أعداء الدعوة هم المنافقون. فيجب أن يكون على علم بحركتهم. ولا يتحقق هذا العلم إلا بنص قاطع بأنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق.

فالإخبار بأن المنافق يبغضه فيه أن النص من عند الله العليم بذات الصدور. وفيه أن سياسته تحت ضوئها ستظهر جحافل النفاق. فإذا قطع الطريق على سياسته فحدث ولا حرج. لأن النفاق عاجل أو آجل سيثيق طريقه إلى سنن الأولين.

فيأخذ بذيلهم شوا بشبر وفواعا بفواع. فالإخبار بأن حبه رداء على المؤمن حجة على المنافق في نهاية الطريق. وإن عذاب

الله أليم شديد.



باختصار يجب أن تكون فيه نصوص صريحة صحيحة متفق عليها عند أهل القبلة. تبين أن الله اختاره في مواطن وأن الرسول أعطاه الولاية. وأن تكون حركته تسير مع أخبار الرسول بالغيب عن ربه سوا واحدا. بمعنى أن الرسول قد أخبر بأن أمته ستفترق وأنها ستتبع سنن اليهود والنصرى شوا بشبر وفواعا بفوا. وأمة اليهود وضعت أول بنور الافتراق يوم اتخذوا العجل وكانوا أن يقتلوا نبي الله هارون. وظل خط العجل يعمل من بعد موسى وهارون عليهما السلام. فإذا كان هذا الشذوذ سينتقل إلى الأمة بصورة أو بأخرى. فلا بد أن تكون هناك نصوص قاطعة. بأن حركة ولي رسول الله في أول الطويق هي نفسها حركة هارون في أول الطويق. وعلى هذا يتم التطابق بين أم استخلفها الله لينظر كيف يعملون. يتم التطابق بين فعل ولي الله وهارون وبين حركة أمة فنية أخبر رسولها بالغيب عن ربه أنها على أثر الماضين ساورة إلا من رحم الله. وعلى هذا النص إذا وقفنا في آخر الطويق. ونظونا إلى أول الطويق. سنعلم أن النص حق وسوى شعاع النور رغم السحب الداكنة.

#### 4 - ولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

هذا العنوان وضعته عندما لم أجد أحدا غير علي بن أبي طالب ينطبق عليه ما ذكرت سابقا. فعلي رضي الله عنه فيه نصوص قاطعة. وأن يفوه حديث.

وحديث يشهد للحديث الذي فسر القرآن. وحركة تزيخ تشهد للحديث وللنص

الصفحة 147

القرآني. وأمام القرآن والحديث والتزيخ والواقع لم يجد الباحث إلا أن يكتب هذه الحقيقة. وما وجدناه من نصوص سنقدمه على امتداد هذا البحث. كل في موضعه.

#### أولا - علي بن أبي طالب والعلم:

قدمنا فيما مضى كيف أنه من أهل الكساء. ومن الذين باهل بهم النبي صلى الله عليه وسلم نصرى نجران وأنه كنفس النبي وأول من أسلم وأول من صلى معه صلى الله عليه وسلم. أما ما ورد في علمه فإن البداية عندنا من قوله تعالى: (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجلية \* لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) <sup>(1)</sup> ، فهذه الآية إشارة إلى طوفان فوح. والجليزية هي السفينة.

والمحمول في الحقيقة أسلاف الدين في السفينة. لكون الجميع نوعا واحدا ينسب حال البعض منه إلى الكل. وضمير (لنجعلها) للحمل باعتبار أنه فعله.

والمعنى: أي فعلنا بكم تلك الفعلة لنجعلها لكم أمرا تتذكرون به. وعوة تعتبرون بها وموعظة تتعظون بها: وقوله تعالى: (وتعيها أذن واعية) المراد بوعي الأذن لها. تقورها في النفس وحفظها فيها. لتترب عليها فائدتها وهي التذكر والاتعاظ. وفي الآية إشارة إلى الهداية الربوبية.

وروى الضياء بسند صحيح وابن مردويه وأبو نعيم عن علي بن أبي طالب <sup>(2)</sup> ، وفي الدر المنثور أخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مكحول قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سألت ربي أن يجعلها أذن علي.

قال مكحول: فكان علي يقول: ما سمعت عن رسول الله شيئاً فنسيته<sup>(3)</sup>.

وانظروا الدر المنثور أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والواحدي وابن مردويه وابن عساكر وابن النجار عن يودة قال: قال

رسول الله صلى الله عليه

(1) سورة الحاقة: الآية 12.

(2) (كنز العمال 177 / 13).

(3) تفسير ابن كثير 413 / 4.

الصفحة 148

وسلم لعلي: إن الله أموني أن أدنيك ولا أقصيك وأن أعلمك. وأن تعي وحق لك أن تعي. فقلت هذه الآية: (وتعيها إذن

واعية).

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن علي. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. يا علي. إن الله أموني أن أدنيك وأعلمك لتعي.

فأولت هذه الآية:

(وتعيها إذن واعية) فأنت إذن واعية لعلمي.

وهذا الحديث روي من عدة طرق. بلغت ستة عشر حديثاً. فإذا كانت البداية مع آية تدل على أن ما سمعه من النبي صلى

الله عليه وسلم لا ينساه. فإن دخوله على النبي لأخذ العلم أمر لا جدال فيه، روى الإمام النسائي عن علي بن أبي طالب. قال:

كان لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة أتية فيها، فإذا أتيتها استأذنت إن وجدته يصلي فتنحج دخلت. وإن وجدته

فلرغا إذن لي...

وفي رواية - كان لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم مدخلان مدخل بالليل ومدخل بالنهار<sup>(1)</sup>.

وعلي رضي الله عنه، توى في بيت النبوة. فالذي سهر على تربيته هو النبي صلى الله عليه وسلم. وأصح ما ورد من

الأخبار. إن النبي أخذ علياً من أبيه وهو صغير. وأخذ العباس طالباً. ليخففاً عن أبي طالب ثقلهم. ومن بيت النبوة شق علي بن

أبي طالب طريق العلم حتى قيل فيه في رواية صحيحة "أفضلنا علي"<sup>(2)</sup>، وشهد أكثر من واحد أن علياً كان أوى الناس بعد

رسول الله بالقوان.

عن أبي الطفيل قال: قال علي: "سلوني عن كتاب الله فإنه ليس فيه آية إلا وقد عرفت بليل تولت أم بنهار في سهل أم في

جبل"<sup>(3)</sup>، وعن سليمان الأحمسي.

(1) النسائي باب السهو 2 / 12.

(2) قال في كشف الخفاء رواه البخاري في التفسير وأبو نعيم عن ابن عباس. والحاكم عن ابن مسعود: ورواه البخاري في

شرح السنة عن أنس، ورواه عبد الله بن أحمد بن حنبل عن ابن عباس وعبد الرزاق عن قتادة، وروى البخاري، وأبو نعيم

على أفضانا (كشف الخفاء 184 / 1).  
(3) الطبقات الكبرى 338 / 2.

الصفحة 149

قال علي: "إن ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا صادقا" <sup>(1)</sup> ، وفي رواية: "والله ما تركت آية إلا وقد علمت فيم تولت وأين تولت وعلى من تولت إن ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا صادقا" <sup>(2)</sup> ، وفي خلافته كان رضي الله عنه يقول: "أسألوني قبل أن تفتقوني" <sup>(3)</sup> . قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: قد أجمع الناس كلهم أنه لم يقل أحد من الصحابة ولا أحد من العلماء هذا غير علي بن أبي طالب عليه السلام.

وشهادة النبي لعلي بأنه أكثر أمته علما وردت في أحاديث كثيرة ومنها حديث "أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب" ، الذي رواه ابن عدي عن ابن عباس وابن عساكر عن جابر، والذي تعددت طوقه، فإن القوم ضعفوه ولهم أسبابهم في تضعيف الأحاديث الواردة في علي بن أبي طالب، وكذلك حديث "أنا دار الحكمة وعلي بابها" الذي رواه الترمذي عن علي ورواه بعضهم عن ابن عباس. فلقد قالوا فيه ما قالوا <sup>(4)</sup> . ونحن هنا نقدم حديثا لا خلاف عليه يشهد لعلي بالعلم والحلم وهذا الحديث.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: وجدت في كتاب أبي بخط يده هذا الحديث: عن معقل بن يسار. قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها: "أوما توضين أنني زوجتك أقدم أمتي سلما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما" <sup>(5)</sup> ، فهذا الحديث أثبت سبقه إلى الإسلام. وأثبت له العلم والحلم. وكفى بهما لإثبات ملكة العدالة.

(1) الطبقات الكبرى 338 / 2.

(2) تزيخ الخلفاء، السيوطي 173.

(3) راجع ابن كثير في البداية والنهاية 358 / 7.

(4) الحاكم (المستترك 466 / 2)، ابن حجر في الإصابة (509 / 2)، فالسيوطي في تزيخ الخلفاء ص 124.

(5) رواه أحمد وقال الهيثمي رجاله ثقات (الفتح الروباني 133 / 23) (مجمع الزوائد 101 / 9) ورواه ابن جرير عن علي

بسند صحيح (114 / 13 كنز العمال)، ورواه الخطيب في المتفق عن بريدة (كنز العمال 135 / 13).

الصفحة 150

### ثانيا - أضواء على اختيار الله لعلي:

لقد كان للصحابة مناقب، ولكن مناقب علي بن أبي طالب فاقت جميع المناقب. لأن طرفها الآخر كان الله ورسوله. وكان

وراء المناقب هدف من ورائه حكمة سنتركها لفظنة القلئ.

روى الطواني عن جابر. لما سأل أهل قباء النبي صلى الله عليه وسلم أن يبني لهم مسجدا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليقم بعضكم فركب فركبها فلم تتبعث. فوجع فقعد. فقام علي. فلما وضع رجله في غرز الركاب وثبت به. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا علي رخ مامها وأبوا على مدلها فإنها مأمورة (1) .  
والذي نشير إليه في هذا الحديث أن الناقة مأمورة. وأن الذي أمرها هو خالقها. وعن زيد بن رُقم قال: كان لنفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبواب شلعة في المسجد. فقال يوما: سوا هذه الأبواب إلا باب علي.  
فتكلم في ذلك الناس. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنني أموت بسد هذه الأبواب إلا باب علي. وقال فيه قائلكم وأني والله ما سددت شيئا ولا فتحتة. ولكني أموت بشئ فاتبعته (2) .  
وفي رواية عن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم: " ما أخرجتكم من قبل نفسي. ولا أنا تركته. ولكن الله أخرجكم وتركه إنما أنا عبد مأمور. ما أموت به فعلت. إن اتبع إلا ما يوحى إلي " (3) .

(1) رواه الطبراني في الكبير (كنز العمال 139 / 13).

(2) رواه الإمام أحمد (الفتح الروابي 118 / 23) ، وقال الهيثمي رجاله ثقات (الزوائد 114 / 9) ورواه الضياء في المختلة بسند صحيح (كنز العمال 598 / 11) ورواه الحاكم وأوه الذهبي (المستترك 125 / 3).  
(3) رواه الطواني (كنز العمال 600 / 11).

الصفحة 151

وهذا الحديث رواه تسعة من الصحابة (1) ، ورغم صحته حكم عليه ابن الجوزي بأنه لا يصح لأنه يعرض حديث ورد في أبي بكر. ولقد تصدى غير واحد من الأئمة لابن الجوزي لتساهله والحكم على الأحاديث الصحيحة بالوضع. وقال ابن كثير: هذا الحديث لا ينافي ما ثبت في البخاري في حق أبو بكر (2) .  
والذي نحب أن نشير إليه في هذا الحديث إن الله هو الذي سعى وهو الذي فتح، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قوم عند النبي. فجاء علي. فلما دخل علي بن أبي طالب خرجوا. فلما خرجوا تلاموا، فقال بعضهم لبعض: والله ما أخرجنا فلرجعوا. فلما رجعوا قال النبي صلى الله عليه وسلم: " والله ما أدخلته وأخرجتكم ولكن الله أدخله وأخرجكم " (3) .

في هذا الحديث. الله هو الذي أخرج وأدخل. وعن جابر قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا يوم الطائف، فانتجاه. فقال الناس: لقد طالت نجواه مع ابن عمه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما انتجيتة ولكن الله انتجاه (4) ، قال في تحفة الأرواحي: ناجاه سلة وخصه بمناجاته. وقوله: " ما انتجيتة " أي ما خصصته بالنهي. ولكن الله انتجاه: أي. إني بلغت عن الله ما أمرني أن أبلغه إياه. على سبيل النهي. فحينئذ انتجاه الله ولا انتجيتة، وقال الطيبي: كان ذلك أسوار إلهية وأمور غيبية جعله من

(2) قال في تحفة الأحوازي. حكم ابن الجوزي على هذا الحديث بالوضع. لأنه يعرض حديث أن النبي أمر بسد الأبواب إلا باب أبي بكر. ورد ابن حجر عليه وقال: لحديث علي طرق كثرة بلغت بعضها حد الصحة وبعضها مرتبة الحسن (التحفة 237 / 10) وعاب على ابن الجوزي لتساهله في وصم بعض الأحاديث بالوضع الشيخ ابن الصلاح وقال: لا يعبأ بما قاله ابن الجوزي. كما عقب عليه الحافظ السيوطي بكتاب أسماء النكت البديعات في الرد علي الموضوعات. (البداية والنهاية 342 / 7).

(3) رواه الزوار وقال الهيثمي رجاله ثقات (الزوائد 115 / 9).

(4) رواه التومذي وحسنه (الجامع 639 / 5) وأورده ابن كثير في البداية (البداية 357 / 7).

الصفحة 152

قوانها (1) ، وفي رواية عند الطواني أن الذي قال: طالت نجاه مع ابن عمه. أبو بكر رضي الله عنه. فعن جندب بن ناجية. قال أبو بكر: يا رسول الله. قد طالت مناجاتك عليا منذ اليوم. فقال رسول الله: ما انتجيته ولكن الله انتجاه " (2) .

وفي هذا الحديث أيضا الله هو الذي انتجاه، وعن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه. قال عمر بن الخطاب ما أحببت الإمارة إلا يومئذ. قال: فتسلورت لها رجاء أن أدعى لها. فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف ولم يلتفت. فصوخ. يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهروا لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فإن فعلوا ذلك. فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم لا يحقها على الله (3) . وروى ابن جرير بسند صحيح والضياء عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن علي. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر فسار بالناس فانهم حتى رجع إليه. وبعث عمر فانهم بالناس حتى رجع إليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله له ليس بؤار الحديث (4) ، وروى ابن كثير في البداية: " بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر فلم يكن فتح. ثم بعث عمر فلم يكن فتح... (5) الحديث "، وقال رواه ابن إسحاق والبيهقي ، ومن بعض الروايات يستفاد أنه بعد هزيمة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وعندما سمع قول الرسول

4) ابن جرير والضياء بسند صحيح ورواه ابن أبي شيبه وأحمد وابن ماجه والزار والطواني في الأوسط والحاكم والبيهقي في الدلائل (كنز العمال 112 / 3) (البداية والنهاية 337 / 7).  
(5) البداية والنهاية 186 / 4.

الصفحة 153

صلى الله عليه وسلم بعد ذلك: " لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله "، أراد أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أن ينال كل واحد منهما هذه الموتبة، وهذا أمر طبيعي فالجميع يريدون لضاء ربهم ونيل رضاه، ولكن الرسول أعطاها لعلي. ورغم هذا فإن فضل الذين لم يأخذوا الراية لا يستطيع أن ينكوه أحد.  
ومن الروايات التي تثبت أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد كررا المحاولة لأخذ الراية ما ثبت في إصحاح كما ذكر ابن كثير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: " لأعطين الراية غدارجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله بوار يفتح الله على يديه "، فبات الناس يدركون أيهم يعطاها حتى قال عمر: ما أحببت الإمرة إلا يومئذ. فلما أصبح أعطاها عليا ففتح الله على يديه (1). فهذه الرواية تثبت أن عمر قد أراد أن يقوم بالمحاولة مرة أخرى. بعد المحاولة الأولى التي وردت في الصحاح عن بريدة بن الحصيب قال: حاصونا خيبر. فأخذ اللواء أبو بكر فانصوف ولم يفتح له. ثم أخذه من الغد عمر فخرج ولم يفتح له. وأصاب الناس يومئذ شدة وجه ففعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " إني دافع اللواء غدا إلى رجل يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله.  
لا يرجع حتى يفتح له... " الحديث (2).  
فالحديث يبشر بأمرين:

الأول: إن الراية غدا سيأخذها رجل يحبه الله ورسوله. ولهذا ود كل فرد أن يكون هذا الرجل. حتى أنهم تسرعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ورد عن أبي سعيد الخوي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الراية فهوها. ثم قال: " من يأخذها بحقها. فجاء فلان!! فقال: أنا، فقال النبي: امض. ثم جاء رجل آخر! فقال: أنا. فقال: امض. ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: والذي كرم وجه محمد لأعطينها رجلا لا يقر. فجاء

(1) أخرجه مسلم (البداية والنهاية 337 / 7).

(2) أخرجه أحمد والنسائي (البداية والنهاية 338 / 7).

الصفحة 154

(1) علي فانطلق حتى فتح الله عليه .

والثاني: فإن الحديث بشر بالنصر وكان لهذا التبشير أثره على الصحابة، فعن أبي بريدة بن الخطيب قال: فبتنا طيبة أنفسنا أن الفتح غدا (2)، فالبشارة الأولى والثانية كانت لهدف من ورائه حكمة وفيهما إعجاز حيث أخبر النبي بفتح كان مازال في عالم الغيب.

وعلى الرغم من أن الحديث الماضي يخبر صراحة أن الله تعالى يحب عليا. إلا أن بعض علماء الحديث ضعف حديث الطير، فعن أنس قال: أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم طائر. فقال النبي: اللهم ائتني بأحب الخلق إليك وإلي يأكل معي من هذا الطير. فدخل علي بن أبي طالب. فقال:

اللهم والي<sup>(3)</sup>. فهذا الحديث كما قال ابن كثير: صنف الناس فيه وله طرق متعددة. ورواه عن أنس أكثر من ثلاثين نفسا.

وقد جمع الناس في هذا الحديث مصنفات منهم أبو بكر بن مروييه والحافظ أبو الطاهر محمد بن أحمد ورأيت فيه مجلدا في جميع طرقه وألفاظه لابن جرير الطوي<sup>(4)</sup>، فعلى الرغم من كل هذا وضعه ابن الجوزي في الموضوعات ورفضه ابن كثير.

لسبب واحد يكمن في القلب ولا يستند على أي أساس علمي قال ابن كثير في هذا السبب: وبالجملة ففي القلب من صحة هذا الحديث وإن كثرت طرقه<sup>(5)</sup>، وفي هذا الحديث قال

---

(1) رواه أحمد وقال الهيثمي رجاله ثقات (الزوائد 6 / 151)، وقال ابن كثير رواه أحمد وأبو يعلى (البداية 7 / 339).

(2) رواه أحمد (البداية 7 / 238).

(3) رواه الترمذي وقال حديث غريب وقال: وقد روى من غير وجه عن أنس وعيسى بن معمر والسدي إسماعيل بن عبد

الرحمن وسمع عن أنس بن مالك، ورأى الحسين بن علي. وثقه شعبة وسفيان الثوري وزائده ووثقه يحيى بن سعيد القطان

(الجامع 5 / 636) وقال الهيثمي رواه الزار والطواني ورجال الطواني رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة

(الزوائد 9 / 126) ورواه ابن عساكر عن ابن عباس وعن أنس بطرق مختلفة ورواه ابن النجار (كنز العمال 13 / 167).

(4) البداية والنهاية 7 / 351.

(5) البداية والنهاية 7 / 351.



صاحب تحفة الأحوازي: الحديث له طوق كثرة كلها ضعيفة. وقد ذكره ابن الجزري في الموضوعات. وأما الحاكم فأخرجه في المستترك وصححه، وحديث الطير له طوق كثرة جدا أفردتها بمصنف ومجموعها يوجب أن يكون للحديث أهل<sup>(1)</sup>.

### ثالثا - أضواء على قيادة علي:

مما سبق علمنا أن اختيار الله تعالى لشخص علي بن أبي طالب قد حدث في أماكن عديدة على امتداد الوسالة المحمدية. ففي المسجد سد النبي جميع الأبواب إلا باب علي. وعند بناء قباء لم تسر الناقة إلا بعلي. وفي ميدان من ميدان الحرب ناجى رسول الله عليا. وفي منزل الرسول أخرج الله أناس وأدخل عليا. وفي خيبر أخذ الراية عليا. فهذه الأحداث تدل حركتها على أن هناك ضوءا محددًا على شخص محدد وهذا الضوء يبتغي ثقافة محددة للناس.

وعلى امتداد هذا الطريق كان هناك طريق آخر يسير بجانبه. هدفه أيضا الوصول إلى هذه بثقافة التي ينبغي في النهاية تكوين رأي عام. ومن أحاديث هذا الطريق. الحديث الصحيح عن علي قال: لما تزلت هذه الآية: (وأندر عشيرتك الأقبين)<sup>(2)</sup> ، جمع النبي عشيرته. فاجتمع ثلاثون. فأكلوا وشربوا. فقال لهم النبي: من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة، ويكون خليفتي في أهلي. فقال رجل: يا رسول الله أنت كنت بحوا. من يقوم بهذا. فعرض الرسول هذا عليهم واحدا واحدا. فقال علي: أنا<sup>(3)</sup> ، وفي رواية: أيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي وورثي. فلم يبق إليه أحد فقامت إليه وكنت أصغر

(1) تحفة الأحوازي 124 / 10.

(2) سورة الشعراء: الآية 214.

(3) رواه الإمام أحمد (الفتح الروباني 122 / 23) وقال الهيثمي رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير حبة العوفي وقد وثقه. ورواه ابن جرير وصححه والضياء وصححه، ورواه الطحاوي (كنز العمال 129 / 13) وذكره ابن كثير في التفسير (3 / 350).

(1) القوم ، وفي رواية: " قال النبي: من يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووليكم من بعدي. فمددت وقلت: أنا أبايعك. وأنا يومئذ أصغر القوم. فبايعني على ذلك"<sup>(2)</sup> ، وفي رواية عند ابن إسحاق وابن جرير وابن حاتم وابن موديه وأبو نعيم أن النبي قال عندما بايعه علي: " إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن نسمع ونطيع لعلي "<sup>(3)</sup>.

فالآية تصوح إنذار العشوة الأقبين. ولم تصوح بإنذار قريش. والعشوة الأقبين إما بنو عبد المطلب أو بنو هاشم، وفي مجمع البيان " عشوة الرجل.



قوابته سموا بذلك لأنه يعاشروهم وهم يعاشرونه "، وخص عشيرته وقوابته الأقربين بالذكر. تنبيهها على أنه لا استثناء في الدعوة الدينية. ولا مهادنة ولا مساهلة. فلا فرق في تعلق الانذار بين النبي وأمته. ولا بين الأقراب والأجانب. فالجميع عبيد الله والله هولاهم.

وانذار العشوة الأقربين. كان هو المقدمة الأولى لإلقاء الضوء على علي بن أبي طالب - ضوء في مركز الدائرة التي قدر لها أن تتسع شيئاً فشيئاً.

اتساع يواكب حركة الدعوة ويضع في اعتباره النفس القبائلية العشائرية التي ترفض فرض أي قيادة عليها وفقاً للتصور الجاهلي. وإذا كان علي بن أبي طالب قد أصبح بعد مبايعته الرسول رأس القوم رغم صغر سنه<sup>(4)</sup>. فإنه بنص آية أخرى لرتقى إلى مرتبة أعلى، قال تعالى لرسوله: (إنما أنت منذر ولكل قوم

---

(1) رواه أحمد وابن جرير والضياء بسند صحيح (كنز العمال 13 / 174) (الفتح الرباني وقال إسناده (224 / 20).

(2) رواه أحمد وابن جرير والضياء بسند صحيح (كنز 13 / 175) وذكره ابن كثير في التفسير (3 / 350).

(3) (كنز العمال 13 / 133) تفسير ابن كثير (3 / 350).

(4) من العجيب أن هناك العديد يرفضون كون عليارغم صغر سنه هو رأس القوم. في حين أن هؤلاء الراضين يخضعون لفقهِه يجيز ولاية الفاسق. بل وعلى امتداد التاريخ الإسلامي كانوا يبايعون لابن الخليفة وهو في بطن أمه.

(1) هاد ، قال المفسرون: إنما أنا وأنت يا محمد هاد تهديهم من طريق الانذار. وقد جرت سنة الله في عبادته أن يبعث في كل قوم هادياً يهديهم. والآية تدل على أن الأرض لا تخلو من هاد يهدي الناس إلى الحق. إما نبي منذر وإما هاد غوه يهدي بأمر الله. وفي الدر المنثور أخرج ابن جرير وابن موديه وأبو نعيم في المعرفه والديلمي وابن عساكر وابن النجار. قال: لما تولت: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد)، وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صوته فقال: أنا المنذر. وأوماً بيده إلى منكب علي فقال: " أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي " (2) ، وروى الحاكم عن بريدة الأسلمي قال: " دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهور وعنده علي بن أبي طالب فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد علي بعدما تطهر. فألصقها بصوته ثم قال: " إنما أنت تنذر " ويعني نفسه. ثم ردها إلى صدر علي ثم قال: " ولكل قوم هاد " ثم قال له: أنت منار الأنام وغاية الهدى وأمير القواء وأشهد على ذلك إنك كذلك. وفي تفسير ابن كثير عن علي قال: " ولكل قوم هاد " الهادي رجل من بني هاشم. قال الجنيد: هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه (3) .

لقد كان الضوء يتسع شيئاً فشيئاً. اتسع بيوم المباهلة ويوم الكساء ويوم سد الأبواب إلا باب علي. ويوم إن دعا الكتاب إلى مودة ذو القوي وسهم ذي القوي. إلى غير ذلك. حتى جاء اليوم الذي وضع فيه حول علي منقبه من أعظم المناقب لأن عليها تنور الحركة الواسعة للدعوة الإسلامية. روى الإمام مسلم عن علي قال: " والذي فلق الحبة ورأى النسمة أنه لعهد النبي الأمي إلي. أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق " (4) ، وعن أم سلمة قال: كان رسول الله

(1) سورة الرعد: الآية: الآية 7.

(2) راجع تفسير ابن كثير 502 / 2.

(3) تفسير ابن كثير 502 / 2.

(4) ( رواه مسلم ك الإيمان ب حب علي بن الإيمان (الصحيح 64 / 2 )، وأحمد (الفتح الرباني 122 / 23) وابن أبي شيبة والنسائي وابن ماجة وابن حبان وابن أبي عاصم (كنز العمال 20 / 12) (كنز 598 / 11).

الصفحة 158

صلى الله عليه وسلم يقول: " لا يحب عليا منافق ولا يبغضه مؤمن " (1) ، وعن أبي سعيد الخوري قال: " إنا كنا نعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب " (2) ، فهذه المنقبة هي عين المواجهة بين الدعوة وبين داوة الرجس التي تسترت بجلباب الدين وما هي من الدين.

وبدأت داوة الضوء تتسع. حتى كان يوم تبوك. اليوم الذي عزم فيه التيار التخريبي لداوة الرجس وداوة البخس على اغتيال الرسول. وافتتاح المسجد الضوار. وفتح الأبواب لاستقبال الغزو الخرجي الذي تحمل أعلامه جيوش قيصر (3). وما بين أيدينا من روايات. يؤكد أن المنافقين ما كانوا يريدون علي بن أبي طالب في المدينة. لقد استعملوا أسلوب الحرب النفسية ضد علي عندما علموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم سيخلفه على المدينة. ولكن النبي قطع عليهم حبل تفكروهم ووضع حول علي منقبة لتبطل بمنقبة لا يحب عليا منافق ولا يبغضه مؤمن ورباط وثيق. قال له النبي كما وردت في صحيح مسلم " أما ترضى أن تكون مني بمتولة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي " (4) ، وفي رواية عن ابن عباس: " أما ترضى أن تكون مني بمتولة هارون من موسى إلا أنك لست مني أنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي " (5) ، وفي رواية: " إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي في كل مؤمن بعدي " (6).

لقد أشاعوا أن النبي ترك عليا بين النساء والصبيان كما ورد في أحاديث

(1) رواه الترمذي وحسنه (الجامع 635 / 5) ورواه أحمد (الفتح الرباني 121 / 23).

(2) رواه الترمذي وقال حديث غريب (الجامع 635 / 5). ورواه الخطيب عن أبي ذر بلفظ.

ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا بثلاث:

بتكذيبهم الله ورسوله. والتخلف عن الصلاة. وببغضهم علي بن أبي طالب (كنز العمال 106 / 13).

(3) ذكرنا ذلك فيما سبق عند الحديث عن داوة الرجس.

(4) رواه مسلم (الصحيح 174 / 15).

(5) رواه الإمام أحمد (الفتح 204 / 21) والحاكم وأقوه الذهبي (المستدرک 133 / 3).

(6) رواه ابن أبي عاصم وقال الألباني إسناده حسن ورجاله ثقات (كتاب السنة 565 / 2).

صحيحة وأشاعوا غير ذلك كما ورد في تزيخ الطوي، قال علي للنبي: "زعم المنافقون إنك إنما خلفتني إنك استقلتني وتخفت مني"، فقال له النبي:

كذبوا... أما ترضي يا علي أن تكون مني بمقالة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" (1). لقد كان عليا مقياسا لما يجري على طريق تبوك. به يظهر النفاق ويشع. ووجوده في المدينة في غياب الرسول صلى الله عليه وسلم يحدد الخنادق بدقة. فأى ثقافة تخرج من المسجد الضوار لا يرضى عنها علي فهي ثقافة نفاق. وأي حشد في اتجاه المدينة لا يرضى عنه علي فهو حشد نفاق. وأي معرض يعرض أمرا لعلي فهو في دائرة النفاق. كما ذكر أبو سعيد الخوي "كنا نعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب" (2).

"حديث المقالة رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم. وقال ابن عساكر. وقد روى هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وعلي وابن عباس وغيرهم. وقد تصدى ابن عساكر هذا الحديث في ترجمة علي في تزيخه فأجاد وأفاد وبرز مع النظراء والأشباه والأنداد" (3).

ولقد ناقش العديد من الأفاضل هذا الحديث على خلفية أن هارون (ع) مات قبل موسى (ع) وتركوا لفظ "مقالة" وهو الذي يدور عليه الحديث. ومقالة هارون ينبغي أن تناقش في ضوء الآيات القوانية وليس في ضوء التوليف الإسرائيكية. فقد قال تعالى: (ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده) (4)، فالآية تخبر أن موسى عليه السلام جاءهم بالبينات. واتخاذهم العجل من بعده، استعروا لعلهم. فهم في الحقيقة اتخذوا العجل في حياة موسى. وهارون عليه السلام كان عليه شعاع من الضوء في حياة موسى عليه السلام.

(1) تاريخ الأمم والملوك 3 / 144.

(2) سبق التخريج.

(3) البداية والنهاية 342 / 7.

(4) سورة البقرة: الآية 92.

فقبل ذهاب موسى لميقات ربه قال لأخوه كما أخبر تعالى: (قال موسى لأخيه هارون أخلفني في قومي وأصلح) (1)، فهارون عليه السلام نبي وخليفة (أخلفني في قومي) والشعاع الذي حول علي بن أبي طالب يطول مقالة الخلافة التي تقلدها هارون بنص الحديث الذي رواه الشيخان ولا يطول مقالة النبوة حيث لا نبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب المسجد الضوار في بني إسرائيل نصوا العجل في دائرته. ولما حاول هارون الإصلاح استضعفوه. قال هارون عليه السلام كما أخبر تعالى: (إن القوم استضعفوني وكانوا يقتلونني) (2)، ولأن القاعدة الأساسية في دين الفطرة أنه لا إكراه في الدين، وأن الله غني عن العالمين. فإن هارون بعد أن أقام عليهم الحجة اعتزل هو ومن آمن معه. وبعد عودة موسى عليه السلام قال

لأخيه كما أخبر تعالى: (قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا \* ألا تتبعن أف عصيت أمري \* قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا وأسي إني خشيت أن تقول فوكت بين بني إسرائيل ولم توقب قولي) (3) ، لقد عمل هارون من أجل المحافظة على الومز والشعار الإسلامي وكفى به في عالم المعابد الضوار .

أما موسى عليه السلام. فلقد كان له رأي فيهم بعد أن خرجوا عن خط الخلافة الذي حدده. قال لهم فيما أخبر الله: (قال بئسما خلفتموني من بعدي) (4) . ثم دعا موسى ربه: (قال رب اغفر لي ولأخي وادخلنا في رحمتك وأنت رُحم الواحمين) (5) . أما الذين اتخنوا العجل فضوبهم الخاء العادل بعد أن أشوبوا في قلوبهم حب العجل، قال تعالى: (إن الذين اتخنوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نخزي المفتقرين) (6) ،

(1) سورة الأعراف: الآية 142.

(2) سورة الأعراف: الآية 150.

(3) سورة طه: الآية 92 - 94.

(4) سورة الأعراف: الآية 150.

(5) سورة الأعراف: الآية 151.

(6) سورة الأعراف: الآية 152.

الصفحة 161

فهذه مقولة هارون أخو موسى عليهما السلام وعلى هذا يجب أن تقاس مقولة علي بن أبي طالب أخي رسول الله - كما جاء في الحديث الصحيح قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: " أنت أخي وأنا أخوك فإن ذكرك أحد فقل أنا عبد الله وأخو رسول الله لا يدعيها بعد إلا كذاب " (1) .

فموسى عليه السلام في أول الأيام يتلقى كلمات ربه جل وعلا وخلف أخاه هارون بعده على قومه. ومحمد صلى الله عليه وسلم في البعثة الخاتمة ذهب ليضوب من أجل. كلمة ربه. وخلف أخاه عليا بعده على قومه. وبعد عودة موسى عليه السلام أبلغه هارون بالأحداث فحرق العجل ونسفه في اليم نسفا.

وبعد عودة محمد صلى الله عليه وسلم حرق المسجد الضوار. وبعد موسى جرى حب العجل في الدماء، وبعد محمد صلى الله عليه وسلم جرت الريبة في قلوب الذين اتخنوا المسجد الضوار. والله في خلقه شؤون.

ومناقب علي بن أبي طالب ومقرنته لم تقف عند تدمير المسجد الضوار.

فالأحاديث الصحيحة تبين أن دائرة النور حول علي بدأت تتسع على شكل لم يسبق له مثيل بعد تبوك. ويبدو والله أعلم أن هناك أحداثا جرت بعد فشل عملية اغتيال الرسول وثقافة المسجد الضوار، فمجموعة التخريب التي تتكون من اثني عشر رجلا والتي حملت على عاتقها عملية قتل الرسول. كان من بينهم رجال من قريش. والأحداث بعد ذلك تقول أن الأمور حول مكة لم تكن تجري على الوضع الطبيعي.

ومن المعروف أن فتح مكة كان في العام الثامن الهجري. وفي هذا العام دخل الإسلام مجموعة تسوت بوءاء الإسلام وكان لها الأثر البالغ في إيجاد الانحافات التي حوت في الجسد الإسلامي حفر نرفة سنتعرض لها في حينه، وبعد فتح مكة وفي العام التاسع كانت فرة النفاق. حيث دوت حادثة اغتيال

(1) رواه الترمذي وقال حديث حسن بلفظ " أنت أخي في الدنيا والآخرة " (الجامع 636 / 5 ) ورواه أحمد عن عمر بن عبد الله عن أبيه عن جده (222 / 10 تحفة الأحوازي) ورواه أبو يعلى عن علي (كنز العمال 140 / 13) ورواه الحاكم عن ابن عمر (598 / 11 كنز).

الصفحة 162

الرسول وبناء المسجد الضوار. وعلى إثر هذه التطورات كان للدعوة موقفها الجلم من خدمة النفاق والشوك. فقبل نزول سورة واءة كانت سوة الرسول. أن لا يقاتل إلا من قاتله ولا يحرب إلا من حربه ورأده. وقد كان أول عليه في ذلك: (فإن اعتلوكم فلم يقاتلوكم وألوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا)، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يقاتل أحدا قد تتحى عنه واعتوله. حتى توت عليه سورة واءة وأمره بقتل المشركين. من اعتوله ومن لم يعتوله إلا الذين قد عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة إلى مدة. ومنهم: صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو. فقال تعالى: (واءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين \* فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) (1) ، لقد جعلهم في مأمن من هذه الوهة من الزمان. وتوكهم بحيث لا يتعرض لهم بشر حتى يختاروا ما يرونه أنفع بحالهم من البقاء أو الفناء. وأخوهم أن الأصلح بحالهم رفض الشوك فإذا انتهت المدة ولم يستقروا على الأصلح. فالفناء (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخنوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) (2) ، فالواءة بعد العهد لا بد أن يكون سببها التعدي من جانب المخلوق. وسورة واءة توت بعد عودة النبي صلى الله عليه وسلم من غوة تبوك سنة تسع من الهجرة. وكان الصحابة يسمونها السورة الفاضحة. نظرا لأنها كشفت المخططات ووضعت الجهاز التخويبي في مرق كما يستفاد من رواية ابن عباس في صحيح مسلم. فعن سعيد بن جبير قال. قلت لابن عباس: سورة التوبة. قال: التوبة!!

بل هي الفاضحة!! مازالت تتول. ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى منا أحدا إلا ذكر فيها (3) .

فما هي الأحداث التي أدت إلى نزول الوحي بقوله تعالى: (كيف يكون

(1) سورة التوبة: الآية 1.

(2) سورة التوبة: الآية 5.

(3) رواه مسلم (كنز العمال 420 / 2).

الصفحة 163

للمشركين عهد عند الله وعند رسوله - إلى قوله تعالى - قاتلهم يعذبهم الله بأيديكم... (1) ، ومن المعلوم أن أبا عامر مؤسس المسجد الضوار كان على علاقة وطيدة بمشركي المغرب والمنافقين في كل مكان. ولقد اتفق مع الجميع على أن يتوجه إلى قيصر الروم ويحثه على غزو المدينة، وعلى امتداد هذه المساحة تمت محاولة اغتيال الرسول وبناء المسجد الضوار ويبدو

أن هناك مؤامرة اتفق عليها الحاقنون على الإسلام في مكة بعد فتحها وطائفة المشركين وتبيلات النفاق - والدليل على ذلك فورة الصد عن سبيل الله التي تحدث القآن والسنة عنها بعد فتحة مكة. تلك الفورة التي اختفت وراء جدار يرتدي ثياب الإسلام. ومن الدليل أيضا أن هذه الفورة استهدفت علي بن أبي طالب أيضا.

وذلك حينما أشاعوا يوم أن تركه النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة يوم ذهابه إلى تبوك. إن النبي تركه مع النساء والصبيان وأنه قد استنقله وتخفف منه. وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر مشوكي مكة بعد صلح الحديبية. أن لهم يوما من علي بن أبي طالب حيث سيقانهم على تأويل القآن كما قاتلهم على تنزيهه.

وستحدث عن هذه الأخبار في حينه. فدائرة الحقد على الإسلام كانت تخترن في ذاكرتها ما تخبئه لهم الأيام. وظل اتباع هذه الدائرة يكيون للدعوة في حياة الرسول وبعد مماته صلى الله عليه وسلم على هذا الأساس فضلا على كراهيتهم الأصلية للدعوة.

ومن الواضح أن دائرة الوجس ودائرة الدنس. اتفقتا على ثقافة يقتحمون بشنودها المجتمع الإسلامي. ويتبين هذا من الحكم الذي بعث به النبي صلى الله عليه وسلم مع علي بن أبي طالب إلى المشوكين. حيث قال: " لا يطوفن بالبيت عريان"، وكانت سنة العرب في الجاهلية عندما يقصدون البيت الحرام. إن من دخل مكة وطاف البيت في ثيابه. لم يحل له إمساكها. وكانوا يتصدقون بها ولا يلبسونها بعد الطواف. فكان من جاء إلى مكة يستعير ثوبا ويطوف فيه ثم يرده.

ومن لم يجد من يعوره ولم يكن إلا ثوبا واحدا. طاف بالبيت عريانا.

(1) سورة التوبة: الآية 7 - 14.

الصفحة 164

والأحاديث الصحيحة تخبر بأن الفورة الأخيرة - بعد تبوك - إن امرأة طافت بالبيت عريانة وأشرف لها الناس. فوضعت إحدى يديها على قبلها والأخرى على دوما. وقالت شوا:

اليوم ييدو بعضه أو كله \* فما بدا منه فلا أحله

فلما فغت من الطواف هول إليها جماعة من الناس. ومن هذا يظهر والله أعلم أن فروع التامر كانت كثرة، وعندما تولت السورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بها مع أبي بكر إلى المشوكين. فلما خرج أبو بكر قول جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد لا يؤدي عنك إلا لرجل منك. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب في طلب أبي بكر. فلحقه بالروحاء وأخذ منه الآيات - وفي رواية - قال أبو بكر يا رسول الله قول في شيء؟

قال: لا ولكن جبريل جاني فقال: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك<sup>(1)</sup>، وفي الدر المنثور أخرج عبد الله بن أحمد بن

حنبل وأبو الشيخ وابن مروي عن علي قال: لما تولت عشر آيات من راءة على النبي صلى الله عليه وسلم. دعا أبا بكر

رضي الله عنه ليؤأها على أهل مكة. ثم دعا لي فقال لي: ادرك أبا بكر فحينما لقيته فخذ الكتاب منه، ورجع أبو بكر إلى

النبي فقال: يا رسول الله قول في شيء؟ قال: لا ولكن جبريل جاني فقال: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك<sup>(2)</sup>.

وفي الدر المنثور أخرج ابن موديه عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر رضي الله عنه بواءة إلى أهل مكة ثم بعث

(1) رواه الإمام أحمد (البداية والنهاية 7 / 358 ، في تفسير ابن كثير 2 / 331) ، ورواه بلفظ آخر الترمذي وحسنه ، (الجامع 5 / 275) ، وقال في الفتح الرباني ، الحديث سنده صحيح وله شواهد كثيرة تعضده منها عند البخاري والإمام أحمد أيضا من حديث أبا هريرة ومنها حديث أنس عند الترمذي وحديث ابن عباس عنده أيضا (الفتح الرباني 18 / 157) .

(2) ( الفتح الرباني ، وقال : وقال الهيثمي رجاله ثقات . وأورده ابن كثير في التفسير والحافظ السيوطي في الدر المنثور وروى نحوه الترمذي وحسنه (7 / 158) .

الصفحة 165

عليارضي الله عنه على أژه . فأخذها منه . فكان أبا بكر وجد في نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر إنه لا يؤدي عني إلا أنا أورجل مني .

وفي الدر المنثور أخرج ابن موديه عن أبي رافع قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله بواءة إلى الموسم . فأتى جبريل عليه السلام . فقال : إنه لا يؤديها إلا أنت أورجل منك ، فبعث عليارضي الله عنه على أژه . حتى لحقه بين مكة والمدينة فأخذها فوأها على الناس في الموسم .

فذهاب علي بن أبي طالب ، علاوة على أنه لا يؤدي عن النبي إلا هو كما ورد في الحديث الصحيح عن حبشي بن جنادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي " (1) ، إلا أنه يستقيم مع الأحداث حيث فرة النفاق ، وحيث إخبار النبي لقريش يوم الحديبية بأن لهم من علي بن أبي طالب يوما فعن ربعي بن علي ، أن النبي قال لهم يومئذ : يا معشر قريش لتنتهين أو ليعثن الله عليكم من يضوب رقابكم بالسيف على الدين .

قد امتحن الله قلبه على الإيمان . قالوا : من هو يارسل الله؟ وقال أبو بكر : من هو يارسل الله؟ وقال عمر : من هو يارسل الله؟ قال : هو خاصف النعل . وكان قد أعطى عليا نعله يخصفها (2) .

لهذا نقول أن بعث علي بن أبي طالب بسورة واءة له أبعاد متعددة . فأبو بكر لم يثبت أن له قنيل في الإسلام . ولم يكن رضي الله عنه مشهرا بالشجاعة ولقاء الحروب . وأيضا لم يكن جبانولا خورا . وإنما كان رجلا عاقلا ذارأي وحسن تدبير ، والآيات تحمل منهجا لا مهادنة فيه ولا مساهلة . فأعطوها لأبي بكر ولا ثم إعطوها لعلي بعد ذلك فيه تلويح بالعصا الغليظة . وحول هذا الحديث أدلى كل منهم بدلوه ، فقال البعض : إن النبي بعث عليا بالسورة لأن من عادة العرب أن لا يحل ما عقده الرئيس منهم . إلا هو أو

(1) سبق التخريج .

(2) رواه الترمذي وصححه (الجامع 5 / 634) وابن جرير وصححه والضياء (كنز العمال 13 / 173) .

الصفحة 166

المتقدم من رهطه. فإذا كان كذلك. فهل يجوز أن يجزي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سنته وأحكامه على عادات الجاهلية؟ ثم لو كانت سنة عربية جاهلية فما وزنها في الإسلام وما هي قيمتها عند النبي، وقد كان ينسج كل يوم سنة جاهلية وينقض كل حين عادة قومية. ثم إذا كانت سنة عربية ومعروفة للنبي قبل بعثه أبا بكر بسورة واءة. فما باله لم يعتمدها في الابتداء، ويبعث إليهم بمن يجوز أن يحل عقده من قومه؟ هل نسيها النبي حين سلم الآيات إلى أبي بكر.

وعندما خرج أبو بكر ذكر النبي ما نسيه. هل يجوز ذلك وهو صلى الله عليه وآله وسلم المثل الأعلى في مكرم الأخلاق واعتبار ما يجب أن يعتبر من الحزم وحسن التدبير. ثم إذا كانت سنة عربية فلماذا لم يذكر النبي ذلك عندما رجع إليه أبو بكر ليسأله. وقال له: إنه وحي إلي أن لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني."

إن كلمة " وحي إلي " أو " أخونني جويل " في الحديث. هي المحك في الحدث. والذي يمكن أن يقال عند الجمع بين الروايات. أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سلم إلى أبي بكر السورة. بإذن الله. إلا أنه لم يأمر بأدائها ولا كلف بقواتها على أهل الموسم. سلمت إليه وأمر بالتوجه إلى أن يأذن الله فيها. وقد قال البعض: إن الفائدة في ذلك ظهور فضل علي بن أبي طالب ومرتبته. ولكنني أميل أن ظهور الفضل في مساحة الأحداث كلها علاوة على المناقب التي وضعت حول علي على امتداد الرحلة أوقع من ظهوره في هذه المساحة الضيقة. فعلي لم يذهب ليبلغ واءة فقط وإنما ليبلغ أحكاما أيضا. فهو يبلغ كلمة الوحي وكلمة الرسول عن الوحي. فعن زيد بن يثبع قال سألتنا عليا بأي شئ بعثت في الحجة.

قال: بعثت برُبيع أن لا يطوف بالبيت عريان. ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر. ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة. ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا (1).

---

(1) رواه الترمذي وصححه (الجامع 276 / 5) وأحمد وابن جرير بسند صحيح (الفتح الرباني 159 / 18).

الصفحة 167

من هذا نعلم أن علي بن أبي طالب كان يتحرك في ساحة واسعة تجزي عليها أحداث متعاقبة في العام التاسع الهجري، ترى ماذا يقول أصحاب الرأي القائل أن من عادة العرب أن لا يحل ما عقده الرئيس إلا المتقدم من رهطه. إذا قلنا لهم. إذا كان علي بن أبي طالب هو الذي أناب عن الرسول في حل عقدة من قومه. باعتبار أنه المتقدم في رهطه والذي يؤدي عنه. فمن غير علي بن أبي طالب بعد وفاة الرسول يحسم ما أعلنه علي على القوم في حياة الرسول. والسنة العربية تقول أن التفاوض لا يكون إلا مع الرئيس أو المتقدم من رهطه.

وخصوصا أن الآيات التي رفعت الأمان في سورة واءة عن المشركين لم تهمل أي طريق يوجب فيه الوصول إلى الهداية. قال تعالى: (وإن أحد من المشركين استجرك فأجوه حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) (1)، قال ابن كثرة: وإن أحد من المشركين الذين أمرتكم بقتالهم وأحللت لك استباحة نفوسهم وأموالهم استأمنك فأجبه إلى طلبه حتى يسمع القرآن ففروه عليه وتذكر له شيئا من أمر الدين تقيم به عليه حجة الله. ثم اعطه الأمان حتى يرجع إلى بلاده ودره. وإنما شوحننا أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله وتنتشر دعوة الله، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي الأمان لمن جاء



إذا فهناك عقود أمان. فإذا كان علي بن أبي طالب حل عقد رسول الله من قومه - فحسب عادة العرب - من الذي ينظر في عقود الأمان الجديدة. فبئس ما حدثها أو يحلها؟ لهذا نقول أن القول بأن بعث علي بن أبي طالب بسورة واءة خرجت شجرته من عادات العرب. قول لا يلتفت إليه لما سيترتب عليه من إشكال.

(1) سورة التوبة: الآية 6.

(2) تفسير ابن كثير 337 / 2.

الصفحة 168

## 5 - حجة الوداع وإعلان الولاية:

في العام التاسع الهجري كانت فرة النفلور والشوك. فمن تحت جلباب الإسلام تحركت داؤة الوجدس لتكيد للإسلام. ومن تحت لافتة المعاهدات تحركت داؤة البخس لتعقل المسورة. ولكن الله رد كيدهم في نحورهم بإزال سورة واءة التي جعلت جميع نوائر الصد عن سبيل الله تقف لتحكم المخزون الفطوي عند كل إنسان فيهم. وإلا فالسيف، ولا يتصور عاقل أن نوائر الصد بعد سورة واءة. قد ألقوا بسلاحهم وهروا في إتجاه الإسلام تائبين عابدين. فقد يكون هناك من أسلم وحسن إسلامه. وقد يكون هناك من أسلم إلي حين تأتيه الفوصة. أو أسلم ثم رند وكنتم رنداده أو لم يسلم أصلا، وهوب حتى يشتد عوده. فهؤلاء وغورهم لم ينتهوا بنزول سورة واءة أو وحيل النبي صلى الله عليه وسلم. لأن جنورهم في الأرض منذ أن طرد إبليس اللعين. وفي كل جيل تخوج الفروع وأوراق الفتنة من الجنور، ثم يستأصلها الله من عنده أو بأيدي الذين آمنوا، ثم تخوج لتستأصل ليكون استئصالها عنوانا لهزيمة الباطل على امتداد التاريخ الإنساني. وسورة واءة أشلرت إلى أعلام هؤلاء، قال تعالى:

(فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم) (1) ، وكان حذيفة بعد وفاة الرسول يقول: " ما قوتل أهل هذه الآية بعد " (2) ، وقوله تعالى: (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) (3) ، وكما أن جنور هؤلاء ممتدة في طين الشنوذ. وكذلك جنور البغي. فالبغاة لم يقاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم. لأن جنورهم في عهدهم لم تكن قد أخرجت فروعها العتية بعد. والوآن أخبر بهم فقال تعالى: (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ إلى أمر الله) (4) ، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم بمقتضى هذه الآية. إنه سيكون بغي. ولذا أخبر عن

(1) سورة التوبة: الآية 12.

(2) أخرجه ابن أبي شيبة (كنز العمال 426 / 1) وسيأتي الكلام عنه في موضعه.

(3) سورة التوبة: الآية 36.

(4) سورة الحوات: الآية 9.

أعلامه. وأقام الحجة على كل من له عينيّن ولسانا وشفّتين. ودثرت حجته التلّيح كله. كما أخبر عن ربه بكيفية قتال المشوكين كافة. وحذر من اتباع سننهم التي تقود من ركبها إلى الوحل. فإذا كان امتداد المسوة أمام الرسول في عالم الغيب. امتدادا مكشوفاً. وعلى امتداده رى الرسول العوائق والسحب الداكنة. إذا كان هذا ثابتاً فكيف يسوغ لمؤهم أن الدين لا يحتاج إلى حافظ يحفظه حق الحفظ. الدين الذي يحوي على جميع ما يتعلق بالمعرف الأصلية والأصول الخلقية والأحكام الوعية العامة بجميع حركات الإنسان وسكناته. ليس في حاجة إلى حفظ من الذين أخبر الله عنهم أنهم يقاتلون الإسلام كافة؟ هذا الدين ليس في حاجة إلى قيادة تأمر المسلمين كافة بقتال من يقاتلونهم كافة. هل الأمة الإسلامية والمجتمع الديني مستثنى من بين جميع المجتمعات الإنسانية ومستغنية عن وال يتولى أموها ومدبر يدوها ومجر يجريها... إن الحشوات فطرت على أمير. وفي عالم النحل والنمل وفي عالم الطيور والوحوش ألف ألف دليل. وبأي غرر يمكن أن يعتذر إلى الباحث في سوة النبي صلى الله عليه وسلم. حيث رى أنه كان إذا خرج إلى غزوة. خلف مكانه رجلاً يدير رحي المجتمع. ألم تر أنه خلف علياً مكانه على المدينة عند مسوه إلى تبوك؟

ويؤمر رجلاً على السوايا والجوش التي يبعثها إلى الأطراف. لقد كان في حياته يفعل ذلك. وأي فرق بين زمان حياته وما بعد مماته في حين أن إخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب عن ربه. يفيد بأن تعيين حرس للدين بعد موته أشد والضرورة إليه أمس ثم أمس. والنبي صلى الله عليه وسلم هو القائل:

"الإسلام والسلطان أخوان توأمان. لا يصلح واحد منهما إلا بصاحبه. فالإسلام أس<sup>(1)</sup> والسلطان حرث. وما لا أس له يهدم وما لا حرث له ضائع"<sup>(2)</sup> ، قد يقال: لقد كان الحفظ في أيدي أهل الحل والعقد. فنقول: ونحن لا نقلل من وزن أهل الحل والعقد ولا من هيبتهم. ولكن الأحاديث الصحيحة أشرت إلى وجود أئمة مضلين في بطن الزمان يتكلمون بأسنتنا ويدعون إلى النار. ونحن

(1) أس / أي أصل البناء.

(2) رواه الديلمي (كنز العمال 10 / 6).

ليست لدينا القوة على تمييز الصالح من الطالح. إنما القادر هو الله. والناظر في التلّيح والمتدبر في الأحداث بعد رحلة النبي صلى الله عليه وسلم رى كم من دائرة إسلامية اجتمع فيها أهل الحل والعقد من المسلمين على ما اجتمعوا عليه. ثم سلخوا طويقا يهديهم إلى رأيهم. فلم يؤيوا إلا ضلالاً. ولم يزد اسعادهم المسلمين إلا شقاء. ولم يمكث الاجتماع الديني بعد النبي صلى الله عليه وسلم. دون أن عاد إلى امواطورية ظالمة. إن التلّيح أماناً والأحاديث التي تخبر بما في بطن التلّيح إذا انحرفت الأمة بين أيدينا. والقآن شاهد على الحديث وعلى حركة التلّيح. فليبحث الناقد في الفتن الناشئة منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم. وما استتبعته من دماء مسفوكة.

وأعراض مهتوكة وأموال منهوبة. وأحكام عطلت. وحدود أبطلت. ثم ليبحث الناقد في منشئها وأصولها وأوقافها...

وسوى أن الأسباب العاملة فيها تنتهي إلى مارآه أهل الحل والعقد من الأمة. ثم حملوا مارؤه على أكتاف الناس.

وقد يقال: إذا كان الطالح له أثر فإن هذا لا يعني أن الصالح في أهل الحل، والعقد ليس له أثر. ولقد كان النبي صلى الله

عليه وسلم يشلورهم في الأمر في قوله تعالى: (وشلورهم في الأمر. فإذا عزم فتوكل على الله) <sup>(1)</sup> ، فنقول:

لقد كان في الصحابة عظماء أفاضل قاتلوا وقتلوا في سبيل الله ومنهم من انتظر بوره ليفدي الدين بما عاهد الله عليه. ولكن

من الذي كان يشلورهم؟ إنه الرسول الأعظم الذي لا ينطق عن الهوى. ويخطئ من يظن أن مشلورته كانت عن قلة في علم

ما. فمعاذ الله أن يكون هذا في من وضع الله على عاتقه تعليم البشرية.

لقد كانت المشلورة أحيانا فيما يتعلق بحركة الدعوة بين القبائل. وأحيانا لإرساء قاعدة التآلف بين القلوب. وفي الآية

الكريمة. أشركهم الله بالنبي في المشلورة " وشلورهم في الأمر " ثم وحده في الغوم " فإذا عزم فتوكل على الله ". إن

المشلورة حق فطوي. والذي يسوق الناس إلى الصواط المستقيم أمر فطوي.

وداؤة الغوم لا يجلس فيها إلا من كان على علم بكتاب الله. وإلا فالطريق إلى

(1) سورة آل عمران: آية 159.

الصفحة 171

اختلاف الأمة إلى أكثر من سبعين شعبة. طريق مفقوح. لهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يقوم بدين الله إلا من

حاطه من جميع جوانبه "، فإذا كان للطالح أثرا على امتداد التاريخ. فإن هذا يؤيد وجود الصالح. ولا شك في هذا. لأن وجود

الصالح حجة على وجود الصالح. والصالح في داؤة الغوم لا بد أن يشير إليه نص. فكم من إنسان، فادى ومجتمعين. ظنوا

أنهم يحسنون صنعا.

وبصنيعهم تربعوا في داؤة الصلاح. وفي الحقيقة إنهم في داؤة الأخسرين أعمالا. والسبب أنهم ضلوا. والضلال لا يستقيم

مع الصلاح. ولأن الله تعالى يقول: (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) <sup>(1)</sup> ، فإنه تعالى أولى بتحديد

من يسوق الناس إلى صواط الله بعد رحيل رسوله. وخاصة أن النوائر في حياة رسوله قد تكاثفت على عوقلة المسوة التي

يختبر الله تعالى الناس فيها لينظر كيف يعملون. فالذي يختبر لا بد أن يحدد الطوق ويقم الحجج. حتى لا يكون للناس على الله

حجة. أما أن نقول إن الأمر كله في أيدي أهل الحقل والعقد. فإن هذا القول فيه تساهل كبير. ونحن هنا سنتتبع مكان القمة في

موضعين: في حجة الوداع. وفي غدير خم. لنرى بماذا أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

## أولا - حجة الوداع:

في العام التاسع الهجري، كانت فورة الشرك والنفاق. وكان علي بن أبي طالب في المدينة وكان من الرسول بمقتلة هارون

من موسى عدا النوة. وفي هذا العام قرئت سورة واءة وقوأها علي بن أبي طالب وما معها من أحكام على أهل مكة وما

حولها. وجاء العام العاشر الهجري وفيه بعث النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل

حجة الوداع وفي هذا العام تزلت سورة المائدة فكانت آخر ما قول من القرآن. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما

خرج إلى حجة الوداع من المدينة. خرج إليها علي بن أبي طالب من اليمن وقال: لبيك يا هلالا كاهلال

(1) سورة القلم: الآية 7.

الصفحة 172

النبي (1) ، وحضر الحج في هذا العام نحو أربعين ألفا من المسلمين (2) ، وروي أن عليا أتى من اليمن بهدي بلغ مجموعها مع ما أتى مع النبي صلى الله عليه وسلم مائة. فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثلاثا وستين. ثم أعطى عليا فنحر ما تبقى. وأشركه في هديه. ثم أمر من كل بدنة ببضعة (قطعة من اللحم) فجعل في قدر. فأكل هو وعلي من لحمها وشربا من مرقها (3) ، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما هم بذبح الهدي قال: إدع لي أبا حسن.

فدعى له علي. فقال: خذ بأسفل الحربة. وأخذ رسول الله بأعلاها ثم طعنا بها البدن. فلما فرغ ركب بغلته وأرذف عليا (4) ، وعندما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس. كان علي بن أبي طالب يعبر عنه (أي يبلغ حديثه) - عليهم السلام - ، قال القلبي: وقف علي حيث يبلغه صوت النبي صلى الله عليه وسلم فيبلغه للناس ويفهمهم من غير زيادة ولا نقصان. كان علي بن أبي طالب يبلغ عنه والناس بين قائم وقاعد. والناس شاهوا الرسول وعلي منذ بداية الشعائر ينحر معه، وتبركة في الهدى ويأكل معه. ويعبر عنه، ومن قبل سمعوا بقصة تبليغ واءة وبموتة هارون من موسى. وبغض المنافقين لعلي. وقبل ذلك سمعوا يوم خيبر أن عليا يحبه الله ورسوله. وشاهوا يوم أن ناجاه رسول الله وطالت نجواه. وعانوا يوم أن سد النبي جميع الأبواب إلا باب علي. وعلما وشاهوا حديث الكساء وحديث المباهلة. وتأكلوا أن عليا أقدمهم سلما وأكثرهم علما وأوسعهم حلما. وأن سيفه لا تخشى في الله لومة لائم. كل هذا وغره علموه وشاهوه. فأى إشارة من النبي إلى علي يجب أن تفهم على بساط الفطرة. لأنها لن تفهم على طريق الحفائر والارتياح والجدل العقيم. فإذا وقف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وقال فيما رواه

(1) رواه ابن حبان في صحيحه (البداية والنهاية 130 / 5).

(2) رواه أحمد ومسلم (الفتح الوباني 137 / 5) (تفسير ابن كثير 77 / 2).

(3) رواه الإمام أحمد (الفتح الوباني 81 / 11) ، ورواه ابن حبان (البداية 118 / 5).

(4) رواه أبو داود (البداية 189 / 5).

الصفحة 173

جابر بن عبد الله. رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعتة يقول: " يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي " (1) ، إن هذا الاعلان لا يحتاج إلى جدل طويل على بساط الفطرة. حيث أن الساحة عليها دائرة رجب لا بد أن تجابهها دائرة تطهير. وإذا علمنا أن النبي صلى الله

عليه وسلم قال في حجة الوداع فيما روي عن يحيى بن آدم السلولي، وكان قد شهد يوم حجة الوداع. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي " (2) ، فهذا الاعلان أيضا لا يحتاج إلى جدل طويل. لأنه من قماشة واحدة بدأت عندما تول قوله تعالى: (وأندر عشوتك الأقربين)، لقد كانت البداية من هنا. ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم منذ البداية لعشيرته كما ورد في الحديث الصحيح " أياكم يباعدني على أن يكون أخي وصاحبي وورثي " (3) ، فلم يبق إليه أحد وقام علي بن أبي طالب وبايعه على ذلك. وليس هذا من قماشه حديث: " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي " ، وذلك بعد أن اتسعت دائرة الضوء وفقا لحركة الدعوة. ثم ألا يتفق ذلك مع قماشة يوم تبليغ سورة راءة حيث قال النبي: " جاءني جبريل فقال، لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك " فما الغاية إذن في فهم الموقف يوم حجة الوداع. حيث قال النبي: " علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي " ، وجميع ذلك من نسيج قوله تعالى يوم المباهلة. (وأفسنا وأنفسكم).

فإذا كان هذا البلاغ قد تم في حجة الوداع. وإذا كان في نفس الحجة قد تول عشية يوم عرفة (4) ، قوله تعالى: (اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فلا

---

(1) رواه أبو داود والنسائي أحمد (البداية والنهاية 198، 199 / 5).

(2) رواه الترمذي وحسنه (الجامع 662 / 5) والنسائي (كنز العمال 172 / 1).

(3) (أخرجه أحمد (الفتح الرباني 121 / 23) والترمذي وقال حديث حسن (الجامع 299 / 2) ولورده ابن كثير في البداية والنهاية 357 / 5.

(4) رواه أحمد وابن جرير والضياء بسند صحيح (كنز العمال 174 / 13) وقال في الفتح الرباني رواه أحمد وإسناده ص (الفتح 224 / 23).

---

الصفحة 174

(1) تخشوم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) ، علمنا أن الكفار قد يأسوا في اليوم الذي أكمل الله فيه الدين وأنتم فيه نعمته. فماذا كان يريد الكفار قبل أن يضربهم اليأس؟ لقد كان الدين هو المبعوض عند نواثر الصد من سبيل الله. فالشيطان منذ اليوم الأول وضع في برنامج عرقله الصواب المستقيم. وعلى امتداد التاريخ سارت جحافل الليل نحو هذه الغاية. فحاولوا في الرسالة الخاتمة هدم البنيان الرفيع من أسر بتفنين المؤمنين. وبث النفاق في جماعتهم وإلقاء الخرافات بينهم لإفساد دينهم. في بداية الأمر صنوا بالمال والجاه والجلد بالسياط والطرود من الأوطان. ثم طوروا الصد إلى محاولة قتل النبي. لقد كانوا يرون أنه ملك في صورة النبوة. وسلطنة في لباس الدعوة والرسالة. ولقد كان موته آخر ما يروونه في زوال الدين وموت الدعوة. وذلك لأنه لا عقب له. ومن لا عقب له في قانونهم إذا مات أو قتل انقطع أثره ومات ذكوه وذكر دينه. على ما هو المشهود عادة من حال السلاطين والجباة. فيؤلاء مما بلغ أمرهم. فإن ذكوه يموت بموتهم وقوانينهم تدفن معهم في قبورهم. ولذلك كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " دعوه، فإنه رجل

أبتر لا عقب له فإذا هلك انقطع ذكوه فأقول الله تعالى: (إن شأنك هو الأبتر) <sup>(2)</sup> .

فإذا كانت ثقافة الكفر تنطلق من هذا المفهوم. فكيف يكون الحال إذا بلغهم قول النبي " علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي "، أو تحديد النبي لدائرة الطهر التي لا تفرق القآن ولا يفرقها. ألا يكون اليأس لهم عنوانا على امتداد التريخ الإنساني. وذلك لأن الصراط المستقيم أصبح له من يسوق الناس إليه بعد وفاة الرسول. ثم أليس إغلاق الباب في وجوههم إكمالا للدين وإتماما للنعمة وإقامة للحجة. لينظر الله كيف تعمل الأمة الخاتمة تحت قانون سنة الابتلاء الجلوية. فقله تعالى: (فلا تخشوهم واخشون)، يفيد هذا

---

(1) سورة المائدة الآية 3، نزول الآية يوم عرفة رواه أحمد والشيخان والترمذي (الفتح الرباني 126 / 18).

(2) سورة الكوثر: آية 3.



المعنى. قال المفسرون: أي لا موجب للخشية بعد يأس الذين كنتم في معرض الخطر من قبلهم. فأنتم في مأمن من ناحية الكفار. ولا ينبغي لكم مع ذلك الخشية منهم على دينكم. فلا تخشوهم واخشوني. فالدين مصون من الخطر المتوجه من قبلهم. وإنه لا يتسرب إليه شيء من طروق الفساد والهلاك إلا من قبل المسلمين أنفسهم. وإن ذلك إنما يكون بكفهم بهذه النعمة التامة.

ورفضهم هذا الدين الكامل الموضي. وبومئذ يسلبهم الله نعمته ويغورها إلى النعمة ويذيقهم لباس الروع والخوف. ومن أراد الوقوف على مبلغ صدق هذه الآية من قوله: (فلا تخشوهم واخشون)، فعليه أن يتأمل فيما استقر عليه حال العالم الإسلامي اليوم. ثم يرجع القهوى بتحليل الحوادث التاريخية حتى يحصل على أصول القضايا وأوقافها. لقد يأس الكفار عندما أيقنوا أن الدين بعد النبي صلى الله عليه وسلم خرج عن مرحلة القيام بالحامل الشخصي. إلى مرحلة القيام بالحامل النوعي. والحامل الشخصي عمود قوي للحامل النوعي. ولقد ضربهم اليأس عندما علموا أن الدين خرج من صفة الظهور والحدوث. إلى صفة البقاء والوأم. وصفة الظهور والحدوث رحي تنور عليها صفة البقاء والوأم. وفي عالم اليأس قوقعت أنياب الحيتان. وسوى صوتها ليلا في الوادي الواسع العريض.

### ثانيا - يوم غدیر خم:

بعد حجة الوداع عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة هو ومن معه. وكان قد أحت يوم الحج على التمسك بالكتاب والعترة وحذر الأمة من الاختلاف والافتراق وقتل بعضهم بعضا. وفي هذا الحج أخذ الناس عنه صلى الله عليه وسلم مناسكهم. وما أعلنه الرسول وما حث الناس عليه، كان على مستوى المساحة الواسعة للأمة. وهذه المساحة تختلف عن المساحة الأم. بمعنى أن الأمور التي تتعلق بالقيادة لا تعلن إلا في داوة مساحة القيادة. لذا زاه صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة عندما قول قوله تعالى: (وأندر عشيرتك الأقربين) لم يأت بأواد المساحة الواسعة وإنما تحدث أمام ناس

بأعينهم. وقال كما في الحديث الصحيح: "أيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي وورثي"، كما مر من قبل. والأمر التي تتعلق بالقيادة بعد حجة الوداع تقام الحجة فيها على ساحة القيادة وألا. وهذه المساحة هي رؤوس قريش بالمدينة. وذلك لأن قريشا هي النواة التي تنور حولها المساحة الواسعة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافوهم تبع لكافوهم" (1)، وفي رواية: "صالحهم تبع لصالحهم وشولهم تبع لشولهم" (2)، فقريش بنور منها شجر. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "البرء مع من أحب" (3).

والنبي في طريقه من حجة الوداع. كان على علم تام من ربه. مما سيحدث لأمتة من بعده. كان يعلم أن في أمتة من سيستمع كما استمتع الذين من قبلهم وسيخوض كما خاضوا. وسيوتتب على ذلك الحبط والخسوان والبغي والافتراق، وكان يعلم أن مقدمة هذا كله ستكون من داوة قريش وليس من الداوة الواسعة، لذا زاه صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وجه إشاعات من الضوء على سبيل الخير ليهوع الناس إليه، فأوصى بالكتاب والعترة، وأعلن أن عليا منه وهو منه ولا يؤدي عنه

إلا هو أو علي. وهذا الاعلان. هو نفس الاعلان يوم سورة واءة في العام التاسع الهجري. وبعد أن سلط الضوء على سبيل الخير. سلطه على الجانب الآخر كي يحذر الناس من مقدمات الوقوع قبل الوقوع. ثم بين كيفية النهوض بعد الوقوع. كما سنبين فيما بعد.

ومن أشعة الضوء على الجانب الآخر من قريش. عن أبي مطير قال:

أخبرني من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وهو يعظ الناس ويأمرهم وينهاهم فقال: أيها الناس خنوا العطاء ما كان عطاء. فإذا

(1) رواه البخاري عن ابن عمر ك بدء الخلق ب، مناقب قريش (الصحيح 264 / 2) وابن أبي عاصم عن أبي هريرة (كتاب السنة 534 / 2).

(2) رواه أحمد عن علي وقال الهيثمي رجاله ثقات (الفتح الوباني 226 / 24).

(3) رواه البخاري ك الآداب (الصحيح 77 / 4) وصححه الترمذي (الجامع 596 / 4).

الصفحة 177

تجأفت قريش على الملك وكان عن دين أحدكم فدعوه " (1) ، فهو في حجة الوداع كان يعلم أن قريشا ستدفع لتشتوي الدين من الناس. أليس هذا في حاجة إلى إقامة حجة دافعة عليها؟ وفي رواية: " خنوا العطاء ما دام عطاء، فإذا كان إنما هو رشا فاتوكوه. ولا أراكم تفعلون. يحملكم على ذلك الفقر والحاجة. ألا إن رحي بني هوج قد دلت. وإن رحي الإسلام داؤة. وإن الكتاب والسلطان سيفتوقان. فنوروا مع الكتاب حيث دار. وستكون عليكم أئمة أن أطعتوهم أضلوكم. وإن عصيتوهم قتلوكم. قالوا: فكيف نصنع يا رسول الله؟ قال.

كونوا كأصحاب عيسى نصبوا على الخشب ونشروا بالمناشير. موت في طاعة.

خير من حياة في معصية (2) ، قال صاحب عون المعبود في شرح سنن أبو داود: معنى حديث ترك أخذ العطاء. إذارأيت قريش تخاصموا على الملك.

وتقاتلوا عليه. وقال كل واحد منهم: أنا أحق بالملك أو الخلافة منك. وتتلعوا في ذلك وأصبح هذا العطاء عن دين أحدكم، أي يعطوه لكم عوضا عن دينكم. فاتوكوا أخذه " (3) .

باختصار الحديث عن القيادة لا يكون تفصيله إلا على أرضية قريش. فإذا كان علي ولي كل مؤمن بعدرسول الله. فلا بد أن يعلن هذا ولا عند الأعقاب التي ستتصلع على الملك ليكون في ذلك حجة عليها. ومن أراد أن يفهم هذا المعنى عليه ولا أن يسلم بأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث في قوم من البشر وليسوا من الملائكة. وهذا القوم كان النبي يتعامل معه وفقا لمصلحة الإسلام وكان لا يخاف إلا على الدعوة. ومن الدليل على ذلك. أن زيد بن حرثة كان عبدا للنبي صلى الله عليه وسلم. ثم حرره واتخذ ابنه له.

وكان تحتة زينب بنت جحش بنت عمه النبي. وكان النبي يعلم من ربه أن زينب ستكون من أزواجه. فجاء زيد إليه



(1) رواه أبو داود حديث 2958.

(2) رواه الطواني عن معاذ، وابن عساكر عن ابن مسعود (كنز العمال 216 / 1).

(3) عون المعبود 8 / 173.

الصفحة 178

الطلاق. ثم طلقها زيد بعد ذلك وتزوجها النبي. يقول تعالى: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) (1) ، أي: لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك؟ إن النبي قال هذا خوفا من المنافقين والذين في قلوبهم مرض. ولقد أخفى في نفسه ما أخفاه استشعورا منه أنه لو أظهره. عابه الناس وطعن فيه تيار الذين في قلوبهم مرض. فيؤثر ذلك أذا سيئا في إيمان العامة وحركة الدعوة. والنبي صلى الله عليه وسلم لم تكن خشيته للناس خشية على نفسه. بل كانت خشية في الله. وهذا الخوف ليس خوفا مذموما لأن الخوف في الله هو في الحقيقة خوف من الله تعالى. ومن المعلوم أن الله تعالى. فوض للنبي أن يتزوج زينب زوج زيد. ليرتفع بذلك الحرج من المؤمنين في الترويج بأزواج الأعداء.

ألم يكن هذا الخوف على رضية الصحابة؟ نعم كان على رضيتهم لأن كل من سمع من النبي أوراها فهو صحابي. فالنبي خاف من بعضهم على الدعوة.

فإذا كان قد خاف منهم في موقف كهذا. فكيف بموقف يترتب عليه قيادة هم من صاحبها في غليان؟ لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في بشر فيهم الصالح والطالح والمحسن والمسيء. والنبي صلى الله عليه وسلم كان ينتظر الوقت المناسب الذي يعلن فيه ولاية علي بن أبي طالب أمام قريش ومن حولهم في المقام الأول لأنهم خمرة الاختلاف وطلب الملك.. وفي أثناء ذلك قول قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أتول إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين) (2) .

فالآية تكشف عن أمر قد أتول على النبي. وكان النبي يخاف الناس من تبليغه ويؤخره إلى حين يناسبه. ولولا مخافته. لم يحتاج إلى تهديده بقوله:

" وإن لم تفعل فما بلغت رسالته " ، النبي كان يخاف ولكن لم تكن مخافته على

(1) سورة الأحزاب: الآية 37.

(2) سورة المائدة: الآية 67.

الصفحة 179

نفسه. وكيف يخاف على نفسه وهو الذي بلغ عن ربه. (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله) (1) ،

(2)

كيف وهو الذي بلغ قوله تعالى: (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) ، كيف؟ وهو الذي تلى قوله تعالى: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فإداهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)<sup>(3)</sup> ، إن النبي لم يخف على نفسه. وإنما يخاف أن يتهموا الدعوة اتهاماً يفسدها ويترب على ذلك اختلافها واخترامها، وقد علم من ربه أن هذا سيحدث. ولذا فهو صلى الله عليه وسلم يأخذ بأسباب النجاة ليقيم الحجة. فهو يخاف على الدعوة وعلى الذين قدر لهم أن يعيشوا في زمانه، وى فيه الإنسان الخير والنشر فلا يوري أيهما يركب. والله في عباده شئون.

قال المفسرون: قوله: "وإن لم تفعل فما بلغت رسالته" تفيد التهديد بظاها. وإعلامه صلى الله عليه وسلم وإعلام غوه ما لهذا الحكم من الأهمية. فالكلام في صورة التهديد. لبيان أهمية الحكم. بحيث أن هذا الحكم لو لم يصل إلى الناس. ولم رع حقه. كان كأن لم رع حق شئ من أجزاء الدين. والتهديد كما في ظاهر الآية. لا يعني أن القوان يذكر في حق النبي احتمال أن يبلغ الحكم أو لا يبلغ. حاشا ساحة النبي صلى الله عليه وآله من ذلك. فإله تعالى يقول: (الله أعلم حيث يجعل رسالته)<sup>(4)</sup> . فإذا كانت سورة المائدة آخر سور القوان نزولا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فما هو هذا الحكم النزل؟ إذا كان يختص بالوضوء والصلاة.

فالناس قد توضعوا وصلوا. وإذا كان يختص بصيام رمضان وإيتاء الزكاة. فالناس صاموا من قبل وزكوا. وإذا كان يختص بتعليم الناس مناسك الحج. فالرسول قد فوع من حجة الوداع وأخذ الناس عنه مناسكهم والجميع تحت مظلة لا إله إلا الله

(1) سورة الأحزاب: الآية 39.

(2) سورة آل عمران: الآية 175.

(3) سورة آل عمران: الآية 173.

(4) سورة الأنعام: الآية 124.

الصفحة 180

محمد رسول الله. فما هو هذا الحكم الذي واكبه تهديد من الله تعالى إذا لم يبلغ؟ قال المفسرون: لم يصوح القوان باسم هذا الشئ الذي أتول على النبي من ربه. وعبر عنه بالعنت وأنه شئ أتول إليه. إشعرا بتعظيمه ودلالة على أنه أمر ليس فيه لوسول الله صنع ولا له من أهوه شئ. ليكون هذا الوهان على عدم اختيار من النبي في كتمانته وتأخير تبليغه. ويكون له عذر في إظهاره على الناس.

وتلويحا إلى أنه مصيب في ما نفوس منهم وتخوف عليه. وإيحاء إلى أنه مما يجب أن يظهر من ناحيته صلى الله عليه وآله وبلسانه وبيانه.

هذا عن الحكم. أما قوله تعالى: (والله يعصمك من الناس)<sup>(1)</sup> ، قال المفسرون: أخذ لفظ الناس. اعتبرا بسواد الأواد. الذي

فيه المؤمن والمنافق والذي في قلبه مرض. وقد اختلطوا من نون تمايز، فإذا خيف خيف من عامتهم. والعصمة في الآية.

بمعنى الحفظ والوقاية من شر الناس المتوجهة إلى النبي أو مقاصده الدينية أو نجاح تبليغه.

والذي يجب أن تذكر به إن طريق تبوك في العام التاسع الهجري. أنتج جماعة من اثني عشر رجلا، أخبر الحديث الصحيح أنهم لن يدخلوا الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وإنهم حرب على الله وعلى رسوله في الحياة الدنيا <sup>(1)</sup>، وأن الطريق من حجة الوداع إلى المدينة وزمنه ومكانه ضمن الحياة الدنيا...

وآية سورة المائدة التي نحن بصددھا. ذهب في أسباب تولھا إلى كل مذهب. فهناك من قال إنها مكية. وهذا القول لا يلتفت إليه. لأن الآية بتمامھا لا تنطبق على الأحداث التي ذكرھا. فلم يكن من شأن اليهود ولا النصرى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. أن يتوجه إليه من ناحيتهم خطر يجعله يمسك عن التبليغ أو يؤخره إلى حين. ولم يكن من شأن كفار قريش ومشركي مكة أن يفعل النبي ذلك أيضا. وهم أغلظ جانبا وأشد بطشا وأسفك للدماء

(1) سورة الأنعام: الآية 124.

الصفحة 181

وأفتك من اليهود وسائر أهل الكتاب. فھؤلاء لم يمسك النبي صلى الله عليه وسلم عن تبليغهم أو أخوه. وإنما تعامل معهم على امتداد الرحلة بالذي تظھرھ كتب التفسير والحديث والتاريخ. وھؤلاء قد يأتي منهم خطر. ولكن هذا الخطر لا يأتي إلا بعد أن يتآكل الأساس. وتآكل الأساس مهمة المنافقين والذين في قلوبهم مرض - في المقام الأول - لقدرد ابن كثير على القول بأن الآية مكية فقال في تفسيره: إن هذه الآية مدينة. بل هي من أواخر ما قول بها <sup>(1)</sup>.

وقول ابن كثير بأن الآية آخر ما قول. قد يفتح الأبواب على سؤال هو، ما هو الحكم الذي أتول الله في آخر آية تولت على رسوله وقال له: (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) إن القول بأن هذا الحكم يتعلق بالطهارة والغسل والتكفين. قول لا يلتفت إليه. وعلى أي حال. فهناك نبذة من الأخبار تدل على نزول هذه الآية في حق علي بن أبي طالب يوم غدير خم. وقبل أن نقدم أحداث يوم الغدير. حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه أئمة الحفاظ عن جمع من الصحابة " من كنت مولاه فعلي مولاه " نقلني الضوء على الحديث ورواته.

قال ابن كثير في البداية: لما توغ النبي من بيان المناسك ورجع إلى المدينة. خطب خطبة عظيمة الشأن في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة. بغدير خم تحت شجرة هناك. فبين فيها أشياء. وذكر في فضل علي بن أبي طالب وأمانته وعدله وقوبه إليه. وأراح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه. وقد اعتنى بأمر حديث غدير خم أبو جعفر الطوي فجمع فيه مجلدين وأورد فيها طوقه وألفاظه. وكذلك الحفاظ الكبير أبو القاسم بن عساكر أورد أحاديث كثرة في هذه الخطبة <sup>(2)</sup>.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: حديث من كنت مولاه. سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثون صحابيا. شهنوا به لعلي

بن أبي طالب عندما

(1) تفسير ابن كثير 2 / 79.

(2) البداية والنهاية 408 / 5.

نزع أيام خلافته. وصرح بتواتر هذا الحديث العديد من العلماء... وقال ابن حجر: حديث من كنت مولاه، كثير الطرق جدا، وقد استوعبها ابن عقدة في مؤلف مفرد وأكثر أسانيدھا صحيح وحسن<sup>(1)</sup>، وقال الألباني في كتاب السنة: حديث من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه حديث صحيح جاء من طرق جماعة من الصحابة. خرجت أحاديث سبعة منهم.

ولبعضهم أكثر من طريق واحد. وقد خرجتها كلها وتكلمت على أسانيدھا في سلسلة الأحاديث الصحيحة<sup>(2)</sup>.

وحديث الغدير رواه جمع من الصحابة منهم: زيد بن رُقْم، ومالك بن الحويرث، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخوري، وأبو أيوب الأنصلي.

وجرير. وجندب الأنصلي، وطلحة وغوهم، وسجل هذا الحديث في كتبهم العديد من الأئمة والحفاظ منهم: أحمد بن حنبل والتومذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان والحاكم والضياء وابن أبي شيبة. وابن جرير. وابن عساكر وأبو نعيم وسموية والخطيب والوار وأبو يعلى والطواني وابن رهوية. وابن أبي عاصم والمحاملي وأورده الهيتمي في مجمع الزوائد في سبع صفحات.

وذكر الفخر الوري عند تفسيره الآية (يا أيها الرسول بلغ ما أتول إليك)، قال: تولت هذه الآية في فضل علي بن أبي طالب. فلما تولت أخذ النبي بيده وقال: " من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعادي من عاداه"، فلقبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: " هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت هولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة"، وهو قول ابن عباس والواء بن عزب ومحمد بن علي<sup>(3)</sup>. وروى الواحدي في كتابه أسباب النزول عن أبي سعيد الخوري قال: تولت هذه الآية: (يا أيها الرسول بلغ...)، يوم غدير خم في

(1) نظم المتناثر من الحديث المتواتر / الكنانى ص 194.

(2) كتاب السنة / ابن أبي عاصم تحقيق نصر الدين الألباني 566 / 2.

(3) ( الفخر الوري ص 48، 49 / 12.

علي بن أبي طالب.

وغدير خم يقع على الطريق بين مكة والمدينة. وهو على بعد ثلاثة أميال من الجحفة. وهناك حكمة بالغة في اختيار هذا الموقع لإقامة الحجة على قویش ومن حولهم. فالمنطقة صحراوية إلا من بعض الشجر. وقيل، كان هناك غيطة الغدير مضاف إليها، فالمكان معد لاستقبال من أراد الراحة من عناء سفر طويل.

واختيار هذا المكان لإبلاغ الحكم النزل. كي يكون المكان فريداً لإعلان حكم فريد. بمعنى. لو أعلن الحكم في حجة الوداع مثلاً. وسئل الناس بعد ربع قرن على سبيل المثال. ماذا قال الرسول في حجة الوداع: سيقولون. قال كذا عند الحلق والتقصير

وذبح الهدى ورمي الجمار وأوصى بكذا وكذا، وأما إذا كان المكان قد خصص لحكم واحد كغدير خم. فلو قيل: ماذا قال الرسول في الغدير؟ فلن تكون هناك إلا إجابة واحدة على سؤال محدد. وهذا ما فعله علي بن أبي طالب أيام خلافته فكان لا يقول إلا " نشدت الله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم ما قال لما قام.. " (1) ، فيؤاد المكان بحكم. لهدف ومن وراء الهدف حكمة. وأما حديث الغدير فإننا نسوق منه ما رواه الإمام مسلم عن زيد بن رُقم رضي الله عنه. قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خمأ بين مكة والمدينة. فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر. ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس. فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا ترك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله. فيه الهدى والنور.

فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحث على كتاب الله ورغب فيه. ثم قال:  
وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي (2) .  
هذه رواية مسلم وفيها الخطوط العريضة. ومنها نعلم أن النبي يودع ويخبر

(1) رواه أحمد وقال الهيثمي رجاله ثقات (مجمع الزوائد 104 / 9).

(2) رواه مسلم ب فضائل علي (الصحيح 179 / 15) وأحمد (الفتح الوباني 185 / 1) وابن أبي عاصم (كتاب السنة 644 / 2).

الصفحة 184

بأنه أوشك على الوحيل من هذه الحياة الدنيا. ولهذا أوصى بالطويق الذي يسوق الناس إلى الصواط الذي يوصلهم إلى ربهم حيث السعادة الحقيقية، وروى الإمام النسائي رواية بزيادة: " إني قد تركت فيكم الثقلين. كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما. فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. ثم قال: الله هولاي وأنا ولي كل مؤمن. ثم أخذ بيد علي فقال: من كنت هولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وواد من عاداه (1) ، وعن عمرو ذي مر وزيد بن رُقم معا. روى الطواني: " من كنت هولاه فعلي هولاه اللهم وال من والاه وواد من عاداه وانصر من نصره وأعن من أعانه " (2) ، وروى ابن جرير عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيها الناس. إنه قد نبأني اللطيف الخبير. إنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر النبي الذي قبله.

وإني لأظن إني موشك، وإن أدعى فأجيب. وإني مسؤول، وإنكم مسؤولون.

فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك بغلت ونصحت فجزاك الله خرا. قال:

ألستم تشهون أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن جنته حق وناره حق وإن الموت حق وإن الساعة آتية لا ريب فيها. وإن الله يبعث من في القبور.

قالوا: نشهد بذلك وقال: اللهم فاشهد. ثم قال: أيها الناس إن الله هولاي، وأنا مولى المؤمنين. وأنا أولى بالمؤمنين من

أنفسهم. فمن كنت هولاه فعلي هولاه.

اللهم وال من والاه وعداد من عاداه. أيها الناس. إني فوطكم وأنتم ولدون علي الحوض. حوض عرضه ما بين بصوى وصنعاء. فيه عدد النجوم قدحان من فضة. وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين. فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

(1) قال ابن كثير رواه النسائي وقال الذهبي وهذا حديث صحيح (البداية والنهاية 209 / 5) ورواه الحاكم وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله (المستدرک 109 / 3) ورواه الطبراني عن ابن عمر وابن أبي شيبه عن أبي هريرة وأحمد والطبراني وسعيد بن منصور عن أبي أيوب. والحاكم عن علي وأبو نعيم عن سعد (كنز العمال 610 / 11)، وقال ابن كثير رواه أحمد وهذا إسناد جيد رجاله ثقات (البداية 212 / 5).

(2) رواه الطواني (الزوائد 104 / 9) والخطيب في الإفراد عن علي (كنز 131 / 13) والزار وابن جرير وقال الهيثمي رجال إسناده ثقات (كنز العمال 158 / 13).

الصفحة 185

الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم. فتمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا. وعترتي أهل بيتي. وإنه قد نبأني اللطيف الخبير إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض .<sup>(1)</sup>

ولقد وردت روايات تفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أخذ البيعة لعلي. كان يذكر كل من يدخل عليه خيمته أو من واه في منطقة الغدير .

عن جابر بن عبد الله قال: كنا بالجحفة بغدير خم. وثم ناس كثير من جهينة ومزينة وخفار. فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خباء أو فسطاط. فأشار بيده ثلاثا. فأخذ بيد علي. فقال: من كنت هولاه فعلي هولاه<sup>(2)</sup> وعن الواء بن عزب أن عمر بن الخطاب لقي بن أبي طالب بعد ذلك فقال:

هنيئا لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة<sup>(3)</sup> .

باختصار. شهد الغدير إعلان الحكم. وسمعه قريش ومن ناصوهم.

وانفرد المكان بهذا الحكم لتكون الحجة دامغة، وشاء الله أن تتفق الأمة على صحة هذا الحديث. وإذا كانت مقدمة الطويق مكة. حيث كانت حجة الوداع.

فإن مقدمة الطويق شاهد من فيها وسمع البلاغ الذي يستقيم مع المساحة الواسعة. وشاء الله أن يشهد غدير خم ما أعلنه الرسول في مكة أمام هذه المساحة مضافا إليه ما أعلنه أمام قريش، وأئبل الناس في الخير والنشر كما ورد في الحديث. قال ابن كثير: قال الذهبي: وجدت نسخة مكتوبة عن ابن جرير

(1) رواه ابن جرير الطبري (كنز العمال 290 / 5) والطبراني (كنز العمال 189 / 1) وابن أبي عاصم عن علي باختصار (كتاب السنة 605 / 2) وقال في كنز العمال رواه ابن راهويه وابن جرير وابن أبي عاصم والمحاملي في أماليه عن علي وإسناده صحيح (كنز العمال 140 / 13) ورواه ابن عساکر (البداية والنهاية 249 / 5).

(2) رواه الزار (كنز 137 / 13) وقال ابن كثير قال الذهبي إسناده حسن (البداية والنهاية 213 / 5).

(3) رواه ابن أبي شيبه (كنز العمال 134 / 13) ورواه أبو يعلى (البداية والنهاية 210 / 5)، وقال ابن كثير رواه ابن

ماجة عن الواء وقد روى هذا الحديث عن سعد وطلحة وجابر وأبي سعيد الخوري وجرير وعمر وأبي هرة (البداية 350 /

عن عائشة بنت سعد سمعت أباها يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الجحفة. وقد أخذ بيد علي فخطب يوم قال: " أيها الناس إني وليكم.

قالوا: صدقت. فرفع يد علي فقال: هذا وليي والمؤدي عني. وإن الله مولى من والاه ومعادي من عاداه <sup>(1)</sup> ، لقد استنقمت البدء مع الختام. ففي حجة الوداع قال صلى الله عليه وسلم: " لا يؤدي عني إلا أنا أو علي " <sup>(2)</sup> ، وفي غدير خم قال كما مر: " هذا وليي والمؤدي عني " ، لقد استقبلت مساحة القيادة الاعلان التام للبدء والختام. ودلت الرحي.

### ثالثا - الحجة على من لم يشهد الغدير:

لم يكن إعلان النبي في غدير خم في خطبة واحدة. وإنما بعد خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقل صلى الله عليه وسلم من قبيلة إلى قبيلة على امتداد الغدير وجاءوا إليه من هنا وهناك وهو في خيمته. وذكرهم وأخذ البيعة لعلي كما يستفاد من الأحاديث الواردة. وبعد وصول ركب النبي إلى المدينة بأيام. وصل أواد سوية اليمن. التي بعثها النبي إلى هناك تحت قيادة علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد. وكان علي قد فرقه لحضور حجة الوداع وعاد مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى شهد يوم الغدير.

ويوم أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا إلى اليمن. روى عن أبي رافع أنه قال: لما مضى علي قال النبي صلى الله عليه وسلم: " يا أبا رافع الحقه ولا تدعه من خلفه. وليقف ولا يلتفت حتى أجيئه " فاتاه. فأوصاه بأشياء فقال: يا علي لأن يهدي الله على يديك رجلا خيرا لك مما طلعت عليه الشمس " <sup>(3)</sup> . ولقد كان لهذا الدعاء أثرا بالغا فيما بعد. فلقد كان مع علي في هذه الرحلة من يبغضه أشد البغض. وعندما عادت القافلة ورأد بعضهم أن يشكو عليا لرسول الله. خرجوا من عند النبي وحب علي يجري في عروقهم محروى

(1) قال ابن كثير رواه ابن جرير وقال شيخنا الذهبي وهذا حديث حسن (البداة 213 / 5).

(2) تم تخرجه من قبل.

(3) رواه الطواني (كنز العمال 107 / 13).

الدم. وسجل التاريخ لولاء أعظم الأثر على امتداد الرحلة بعد وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم. ومن هؤلاء بريدة الأسلمي والواء بن عزب وعوران بن حصين وغروهم، وروي أن خالد بن الوليد كان على رأس المبغضين لعلي والمعرضين عليه <sup>(1)</sup> ، فعن الواء قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم جيشين فأمر على أحدهما علي بن أبي طالب، ومع الآخر خالد بن الوليد. وقال: إذا كان القتال فعلي <sup>(2)</sup> . فافتتح علي حصنا فأخذ منه جلية. فكتب معي خالد كتابا إلى النبي يشي

به. فقدمت على النبي فوقاً الكتاب. فتغير لونه. ثم قال: " ما ترى في رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله " قلت: أعوذ بالله من غضب الله وغضب الرسول. وإنما أنا رسول، فسكت النبي <sup>(3)</sup> ، وبعد هذه المقابلة كان الواء من المخلصين لعلي. وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه بريدة قال: أبغضت علياً بغضاً لم يبغضه أحد قط، وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بغضه علي - هو خالد - <sup>(4)</sup> ، فبعث هذا الرجل على خيل فصحبته ما أصحابه إلا على بغض علياً. فأصابتنا سبياً. فكتب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم. ابعث إلينا من يخدمه. فبعث علياً، فأخذ منه جارية. فكتب الرجل - خالد - إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم.

فقلت: ابعتني فبعثني مصدقاً. فجعلت أقرأ الكتاب. وأقول: صدق. فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي والكتاب. وقال: أتبغض علياً؟ قلت: نعم، قال: لا تبغضه وإن كنت تحبه فزدد له حبا، فالذي نفسي بيده. لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة. قال فما كان من الناس أحد بعد قول النبي صلى الله عليه وسلم أحب إلي من علي.

(1) قتل علي يوم بدر أخوه قيس بن الوليد ثلاثة من أبناء أعمامه.

(2) أي إذا كان قتالاً فالقيادة لعلي.

(3) رواه الترمذي وحسنه (الجامع 638 / 5) وابن أبي شيبة (كنز 134 / 13).

(4) صوح باسمه في رواية أخرى عند الإمام أحمد (الفتح الوباني 55 / 17)، وأيضاً (كنز العمال 135 / 13).

الصفحة 188

قال عبد الله بن بريدة: فالذي لا إله غيره ما بيني وبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث غير أبي بريدة <sup>(1)</sup> ، وعن بريدة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: يا بريدة. أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه <sup>(2)</sup> - وفي لفظ - من كنت وليه فعلي وليه <sup>(3)</sup> ، وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي. وإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي " <sup>(4)</sup> . وعن عمرو بن شاس الأسلمي قال: خرجت مع علي إلى اليمن. فجأفاني في سوي ذلك. حتى وجدت في نفسي عليه. فلما قدمت أظهرت شكايته في المسجد. حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم. فدخلت المسجد ذات غوة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه. فلما رأني أبدى عينيه (أي: حدد إلي النظر) حتى إذا جلست قال: يا عمرو والله لقد آذيتني! قلت: أعوذ بالله أن أؤذيك يا رسول الله. قال: بلى من آذى علياً

(1) رواه أحمد (الفتح 56 / 17) والبخاري في مختصره (الصحيح 73 / 3) وأبو نعيم (كنز العمال 135 / 13) وقال في الفتح أقسم ابن بريدة أنه تلقى هذا الحديث من والده بريدة مباشرة. وهو يفيد أن والده تلقاه من النبي مباشرة بغير واسطة بشير بذلك إلى علو السنن (الفتح 214 / 22).

(2) رواه أحمد وقال في الفتح قال الهيثمي رجال أحمد ثقات. وقال في موضع آخر رجاله رجال الصحيح (الفتح الوباني

21 / 213) ورواه ابن حبان وسموية والحاكم (كنز العمال 609 / 11).

(3) رواه أحمد وقال في الفتح رواه أحمد والنسائي والحاكم وقال الهيثمي في موضع رجاله موثوق وفي موضع رجاله



ثقات، وفي آخر رجاله رجال الصحيح (الفتح الروباني 213 / 21 )، ورواه ابن أبي شيبة وابن جرير وأبو نعيم (كنز 134 / 13 )، ورواه الحاكم وقال حديث صحيح على شوط مسلم ولم يخرجاه (المستترك 11 / 3).  
(4) رواه أحمد وأورده الهيثمي وقال رواه الترمذي باختصار ورواه أحمد والوتر باختصار وفيه الأجلح الكندي وثقه ابن معين وبقيته رجاله أحمد رجال الصحيح. وقال في الفتح أقسم ابن بريدة أنه تلقى هذا الحديث من والده (الفتح الروباني 214 / 21).

الصفحة 189

(1) فقد آذاني .

وروى الحافظ البيهقي: أن سعد بن مالك كان فيمن خرج مع علي إلى اليمن وأصابه من علي بن أبي طالب بعض الغلظة والتضييق. وذلك منعهم من استخدام إبل الصدقة. فاستخدموها فذمهم ولأمهم. يقول سعد: فلما جاء - علي - عرف في إبل الصدقة أنها ركبت. فذم الذي أمره ولأمه فقلت: أما إن الله علي أن قدمت المدينة وغدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأذكركم لرسول الله ولأخوته ما لقينا من الغلظة والتضييق. فلما قدمنا المدينة. لقيت أبا بكر خرجا من عند رسول الله. فلما رأني وقف معي. ورحب بي وساءلني وساءلته. وقال: متى قدمت؟ قلت: قدمت بالبرحة. فوجع معي إلى رسول الله!! وقال أبو بكر: هذا سعد بن مالك بن الشهيد. فقال النبي: أذن له. فدخلت.

فحييت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياني. وسلمت عليه وسألني عن نفسي وأهلي. فأخفى المسألة. فقلت: يا رسول الله. لقينا من علي بن أبي طالب ما لقينا منه! حتى إذا كنت وسط كلامي. ضوب رسول الله صلى الله عليه وسلم علي فخذني وكنت منه قريبا. وقال: سعد بن مالك بن الشهيد!! مه بغض قومك لأخيك علي. فوالله لقد علمت أنه جيش في سبيل الله. قال سعد: فقلت في نفسي: ثكلتك أمك سعد بن مالك. ألا رأني كنت فيما يكره منذ اليوم. وما أروي لا حرم. والله لا أذكركه بسوء أبدا سوا ولا علانية (2).

وعن عمران بن حصين. قال: بعث رسول الله سوية وأمر عليها علي بن أبي طالب. فأحدث شيئا في سوه فتعاقد أربعة من أصحاب محمد أن يذكروا أمره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عمران: وكنا إذا قدمنا من

(1) رواه أحمد (الفتح 120 / 23 ) وقال الهيثمي رواه أحمد والطبراني باختصار والبخاري أحضر منه ورجال أحمد ثقات ورواه ابن حبان في صحيحه (الزوائد 129 / 9 )، ورواه الحاكم وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرک 122 / 3 )، ورواه ابن أبي شيبة وابن سعد والبخاري في تاريخه والطبراني (كنز العمال 142 / 13) وقال ابن كثير رواه غير واحد. (البداية والنهاية 347 / 7).

(2) رواه البيهقي (البداية والنهاية) 346 / 7.

الصفحة 190

سفر بدأنا برسول الله فسلمنا عليه. قال: فدخلوا عليه. فقام رجل منهم. فقال: يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكذا. فأعرض عنه. ثم قام الثاني فقال: يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكذا. فأعرض عنه. ثم قام الثالث فقال: يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكذا. فأعرض عنه. ثم قام الرابع فقال: يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكذا

قال: فأقبل رسول الله على الراجع وقد تغير وجهه. وقال:

دعوا عليا - دعوا عليا - دعوا عليا. إن عليا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي " (1).

وهكذا أقيمت الحجة على سوية اليمن. التي قال النبي فيها لعلي عند بداية رحلته " يا علي لأن يهدي الله على يدك رجلا خيرا لك مما طلعت عليه الشمس " ولقد صدق رسول الله وانتقل رجال من دائرة البغض إلى دائرة الحب. وظل النبي يحيط بقيادة علي بن أبي طالب بالوعاية وتسلية الضوء عليها ليقيم الحجة الدامغة. ولم تكن الحجج من نصيب سوية اليمن وحدها بعد غدير خم وإنما شملت آخرين فعن سعد بن أبي وقاص قال: كنت جالسا في المسجد أنا ورجلين معي. فنلنا من علي بن أبي طالب. فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله غضبان. يعوف في وجهه الغضب. فتعوذت بالله من غضبه. فقال: ما لكم وما لي!! من آذى عليا فقد آذاني (2)، وعن أبي سعيد الخواري قال: اشتكى عليا الناس. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فينا خطيبا فسمعتة يقول: أيها الناس لا تشكوا عليا!! فوالله إنه لأخشن في ذات الله. أو في سبيل الله (3).

وعن وهب ابن حنزة قال: سافرت مع علي بن أبي طالب من المدينة إلى مكة. فأيت منه جفوة. فقلت: لئن رجعت فلقيت رسول الله صلى الله عليه

(1) رواه الترمذي وحسنه، والنسائي وأبو يعلى (البداية 345 / 7).

(2) قال الهيثمي رواه أبو يعلى والنوار باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح غير محمود بن خدّاش وقنان وهما ثقتان (الزوائد 129 / 9)، وذكره ابن كثير وقال رواه أبو يعلى (البداية 347 / 7).

(3) رواه أحمد (الفتح 20 / 23) والحاكم وأقوه الذهبي (المستدرک 134 / 3) وأبو نعيم في الحلية (كنز 620 / 11) وقال ابن كثير تود به أحمد (البداية 346 / 5).

الصفحة 191

وسلم. لأنال من قال: فوجعت فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكوت عليا فقلت عنه. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تقولن هذا لعلي. فإن عليا وليكم بعدي " (1).

ولكي يكتمل تصور (هو وليكم بعدي) ويوضح في الأذهان. تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم آية من سورة المائدة آخر سور القرآن نزولا. وكانت الآية في علي بن أبي طالب. قال تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة وهم راكعون \* ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) (2).

قال المفسرون: اشتمل قوله تعالى من السياق. على ما يدل على وحدة ما في معنى الولاية المذكورة فيه. حيث تضمن العدد في قوله: (الله ورسوله والذين آمنوا)، وأسند الجميع إلى قوله " وليكم " وظاهره كون الولاية في الجميع بمعنى واحد. ويؤيد ذلك أيضا قوله في الآية التالية: (فإن حزب الله هم الغالبون)، حيث يشعر أو يدل على كون المتولين جميعا حزبا لله. لكونهم تحت ولايته.

ولاية الرسول والذين آمنوا. إنما هي من سنخ ولاية الله.. ولو كانت الولاية المنسوبة إلى الله في الآية. غير المنسوبة إلى

الذين آمنوا. كان الأنسب أن تفرد ولاية أخرى للمؤمنين بالذكر. رفعا للالتباس. كما وقع في نظرها قال تعالى:  
(.. قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) <sup>(3)</sup> ، فكرر لفظ الإيمان. لما كان في كل من الموضوعين. لمعنى غير الآخر.

على أن لفظ (وليكم) أتى به مفودا وقد نسب إلى الذين آمنوا وهو جمع.  
وقد وجهه المفسرون بكونه الولاية. ذات معنى واحد، هو الله سبحانه على الإصابة ولغوه بالتبع... والروايات تدل على أن الآيتين نزلتان في علي بن أبي طالب. فقوله تعالى: (والذين آمنوا)، إطلاق للجمع وإرادة للواحد. وقد كثر

(1) رواه أبو يعلى (البداية 346 / 7).

(2) سورة المائدة: الآية 56.

(3) سورة التوبة: الآية 61.

الصفحة 192

في الوان الحكم أو الوعد والوعيد للجماعة. والحقيقة حسب أسباب النزول للمفود كقوله تعالى: (يسألونك ماذا ينفقون قل العفو) <sup>(1)</sup> ، وقوله تعالى: (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) <sup>(2)</sup> ، وقوله تعالى: (الذين يظاهرون - من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) <sup>(3)</sup> ، وقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخونا عوي وعدوكم أولياء) <sup>(4)</sup> ، وقد صح في أسباب النزول أن العواد به حاطب بن أبي بلتعة في مكاتبته قريش. وقوله تعالى: (يقولون لننرجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) <sup>(5)</sup> ، وقد صح أن القائل عبد الله بن أبي سلول. وقوله تعالى: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار) <sup>(6)</sup> ، وقد ورد أنها تولت في علي بن أبي طالب، وقوله تعالى: (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى) <sup>(7)</sup> ، والقائل هو عبد الله بن أبي، وهذه الآية واقعة بين الآيات المبحوث عنها نفسها إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي وردت بلفظ الجمع ومصداقها حسب أسباب النزول مفود.

أما الحديث الذي يشهد بأن الآية تولت في علي بن أبي طالب. فقد اتفق على نقله من غير رد أئمة التفسير بالمأثور. واتفق عليه أحمد والنسائي والطواني والطوي وعبد بن حميد وغيرهم من الحفاظ وأئمة الحديث. فعن ابن عباس قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يصلون بين راع وساجد وقائم وقاعد. وإذا مسكين يسأل. فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال: أعطاك أحد شيئا؟ قال: نعم، قال: من؟ قال: ذلك الرجل القائم، قال:

(1) سورة البقرة: الآية 219.

(2) سورة آل عمران: الآية 181 ، والقائل يهودي اسمه قخاص (تفسير ابن كثير 434 / 1).

(3) سورة المجادلة: الآية 2 و 3 ، والذي ظاهر هو أوس وكان تحته ابنة عم يقال لها خولة (تفسير ابن كثير 320 / 4).

- (4) سورة الممتحنة: الآية 1 ، تولت في حاطب بن أبي بلتعة (تفسير ابن كثير 345 / 4).
- (5) سورة المنافقون: الآية 8 ، والقائل عبد الله بن سلول (تفسير ابن كثير 371 / 4).
- (6) سورة البقرة: الآية 274 ، تولت في علي بن أبي طالب (تفسير ابن كثير 326 / 1).
- (7) سورة المائدة: الآية 52 ، تولت في عبد الله بن أبي (تفسير ابن كثير 68 / 2).

الصفحة 193

على أي حال أعطاكه؟ قال: وهوراعك، قال: وذلك علي بن أبي طالب. قال:

فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: (ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) <sup>(1)</sup> .  
وقال ابن كثير، قال ابن جرير. الآية تولت في علي بن طالب تصدق وهوراعك <sup>(2)</sup> ، وروى الطواني: بطريق إلى عيسى بن عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب قال: حدثني أبي عن أبيه عن جده عن علي قال: " تولت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا...) الآية، فخرج رسول الله فدخل المسجد والناس يصلون بين راعك وقائم وإذا سائل. فقال: يا سائل هل أعطاك أحد شيئاً. فقال: لا إلا ها ذاك الراعك - لعلي - أعطاني خاتمه <sup>(3)</sup> .

إنها المنقبة التي جمعت أحداث الغدير. منقبة تفود بها علي فتصدق وهوراعك. ليستقيم هذا التفود. مع تفود الغدير بحديث واحد وحدث واحد. فإذا قيل: ماذا قال النبي في الغدير؟ تردد صدق الإجابة مع إجابة سؤال: من الذي تصدق وهوراعك؟ إنه موقف التفود وسط مواقف كثيرة، فلقد روى عن ابن عباس قال: " تولت على ثلاثمائة آية " <sup>(4)</sup> . وعنه. قال: " كان لعلي ثمانين عشر منقبة ما كانت لأحد من هذه الأمة " <sup>(5)</sup> ، وإذا لا خلاف على أن منقبة علي بن أبي طالب في هذه الآية واحدة من هذه المناقب التي لم يتمتع بها غيره.

إن ظلال ولاية الله ورسوله والذين آمنوا، يلتقي مع ظلال وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم. وتحت هذا الظلال ينتهي الطريق إلى سعادة الدنيا والآخرة. ولقد قامت الحجة في أول الطريق وشاع حديث الكساء

(1) رواه ابن مردويه (تفسير ابن كثير 71 / 2).

(2) تفسير ابن كثير 71 / 2.

(3) رواه الطواني (البداية والنهاية 358 / 5).

(4) تزيخ الخلفاء / السيوطي ص 161.

(5) تزيخ الخلفاء ص 161.

الصفحة 194

والمباهلة والمقولة والولاية بين الناس. والماضي زاد للحاضر. والوآن حث على النظر إلى الماضي كي يتبين الإنسان في الحاضر خطأه. لأن الماضي لا يعمل فيه برنامج واحد ولم يكن ملكاً لداوة واحدة. فالنظر والتدبر فريضة حتى لا يلد الحاضر

## خامسا - النور بين التحذير والتبشير

في بداية الطويق غوس الله تعالى في الإنسان ما يهديه سلوك الصراط المستقيم. وبعث سبحانه الأنبياء والرسول كي يسوقوا الناس نحو ربهم بعيدا على الأثواك وخيام الشنوذ التي أقامها الشيطان وأوليؤه. فالدين الذي يأتي به رسل الله عليهم السلام هو الطويقة الوحيدة التي تؤمن صلاح الدنيا بما يوافق الكمال الأخروي والحياة الدائمة الحقيقية. ومن رفض الدين فقد أعرض عن الذكر والعبادة التي من أجلها خلق الله الإنسان. وعلى هذا يدخل بأقدامه في دائرة الضنك حيث ضيق المعيشة في الدنيا ثم في دائرة العمى يوم القيامة. والله تعالى لا يظلم الناس. والعذاب الذي يروونه في الدنيا وسيروونه في الآخرة هو نتيجة طبيعية لأعمالهم.. ومنذ فجر التلرخ تأتي الأمم وتجري عليها سنة الابتلاء والامتحان. تلك السنة الإلهية التي لا يستثنى منها المؤمن والكافر والمحسن والمسيء. وتحت هذه السنة يمتحن الله تعالى البشر. بكل جزء من أجزاء العالم وكل حالة من حالاته التي لها صلة بالإنسان ليعلم سبحانه كيف وإلى أين سيوجه الإنسان رادته واختيلره. ومن هو المحسن ومن هو المسيء، ومن الصابر ومن القانط إلى غير ذلك، وما من امتحان يفتح إلا وفيه حجة من الله توشد إلى طويق الحق لأن الله تعالى أوجب على نفسه فتح الطويق لعباده وهدايتهم إليه.

وبني إسوائيل أمة من الأمم التي اختوها الله تعالى وفي البداية قال لهم موسى عليه السلام كما أخبر تعالى: (قال عسى

ربكم أن يهلك عدوكم



(1) ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون .

وأقام عليهم موسى وهارون الحجة تلو الحجة، وجاء من بعدهما أنبياء لبني إسرائيل فكذبوا من كذبوا وقتلوا من قتلوا. في نهاية المطاف فاز من بني إسرائيل من فاز ولعن من لعن. والحجة على رأس الجميع يوم القيامة. والأمة الخاتمة، يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا، كذلك نخزي القوم المجرمين \* ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون) (2).

ولما كان الاستخلاف يخضع لسنة الامتحان الإلهي، فما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من شيء إلا وحدد جانب الهدى فيه، وهو يخبر عن ربه جل وعلا. فإذا كان الله هو الذي يجري الامتحان على عباده، فهو الذي يبين النجاة من كل شيء إلى عباده. قال تعالى لرسوله: (ليس لك من الأمر شيء) (3).

فالضعف والقوة والإحراق والإغاطة وغير ذلك ليس للنبي فيه ضلع، والأمر فيه لله. وقال تعالى لرسوله: (واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم) (4).

ومن العجيب أن يقول القوم أن الأمر لهم في تنصيب ما يشاؤون، ومع اختيلهم، ولأن الأمر لهم ركب على أعناق الأمة أغيلمة قريش الذين مهوا للسفهاء وأولاد أئنا أصحاب أطروحات الاغواء والتربيت والاحتناك. ومن الأعجب، إن الله تعالى يقول لرسوله: (استقم كما أمرت)، وهم لا

(1) سورة الأعراف: الآية 129.

(2) سورة يونس: الآية 13 و 14.

(3) سورة آل عمران: الآية 128.

(4) سورة الشورى: الآية 15.

يطيقون أن يقال لهم اتقوا الله. وجمعوا فريقا من الناس وقالوا: هؤلاء رموا للاستقامة والعدالة، وإذا أخطأ فله أجر وإذا أصاب فله أجران، وإذا قتل فهو والقتيل تحت عنوان: سيدنا قتل سيدنا من أجل سيدنا رضي الله عنهم أجمعين. وهذا الخلط أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقيم الحجة بعد أن أقام القوان حجته على أن الجميع - سيدنا وغير سيدنا - يخضع للسنة الإلهية للابتلاء والامتحان، وتحت هذه السنة لا ينبغي للناس أن يركوا أنفسهم لأن الله أعلم بالمتقين.

## 1 - النبي يحذر من أصول الفتن:

في غدير خم وعلى امتداد الرحلة أقام النبي صلى الله عليه وسلم الحجة على قريش ومن والاهم وعلى سكان العاصمة الإسلامية أن القيادة محصورة في دائرة لا تأكل الصدقة. ولهذه الدائرة نروة كما لكل شيء نروة، وعندما يحث النبي على شيء

ويبالغ في الحث عليه إشارة إلى أن المحذر منه سيقع. والنبي كان يعلم من ربه أن الأمة مختلفة من بعده ولأن الاختلاف واقع لا محالة فبث الحجة بطرق مختلفة ضرورة والله لا يظلم الناس.

في البداية خلق سبحانه آدم للخلافة في الأرض، وقبل أن يخلقه قال لملائكته: (إني جاعل في الأرض خليفة) <sup>(1)</sup>.  
لم يقل في الجنة وإنما في الأرض، وبعد خلق آدم نهاه الله عن شجرة وحوزه من شيطان. وانطلق آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة باختيلهما. لم يدفعا للهبوط إلى الأرض لممارسة واجب الخلافة. لأن الله لا يظلم أحدا. وهو سبحانه قادر على خلقهما ودفعهما نحو الأرض. ولكن لكل شئ هدف ومن وراء الهدف حكمة. فلو حدث هذا ما ظهر النفاق الشيطاني وبرنامجها، وما ظهرت دائرة الغم والاختيار عند الإنسان. وآدم وزوجه عليهما السلام كانا منذ

(1) سورة البقرة: الآية 30.

الصفحة 198

البداية من المخلصين الذين لا يقدر عليهم الشيطان بشوك أو نوه. ولم يجد الشيطان منفذا يؤكد من التوبين لهما سوى أن يقسم بالله أنه لهما من الناصحين (وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين) <sup>(1)</sup>.  
وما كان آدم يظن أن هناك من يقسم بالله كذبا في هذا العالم الطاهر النقي.

وحدث ما حدث. وخرجا من الجنة وفقا لغرمهما واختيلهما ليمرسا واجب الخلافة في الأرض التي من أجلها خلقا.  
والله تعالى قبل خلق آدم علم بعلمه المطلق أن خلقه سيسلكون هنا ويتوكون هناك، ولو شاء سبحانه ما فعلوا هذا أو ذاك.  
لأن كل شئ تحت سلطانه ولا يستطيع أحد من خلقه أن يلفظ من قول إلا بإذنه، وعلى الأرض تاب الله على آدم وزوجه واصطفاه وبعث إلى نبيته الأنبياء والرسول. وفي بحور البشوية لبس القسم ألف وجه. وكان مادة أساسية لعقولة الطويق أمام الذين عطلوا ملكة البصوة والتفكر في ملك الله الواسع العريض. والأمة الخاتمة جزء من المسوة البشوية. عوضة لعواصف القسم والدجل. لهذا بث النبي الحجة حتى لا يكون للناس على الله حجة. واختلاف الأمة ورد في آيات كثيرة من القرآن وروي عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتاني جبريل فقال: يا محمد إن أمتك مختلفة من بعدك" <sup>(2)</sup>.  
ودائرة الاختلاف لن تكون على مائدة طعام وإنما على الرأس. لأن من ملك الرأس وضع يده على كل بساط. فعن خالد بن عوفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنكم ستبتلون في أهل بيتي من بعدي" <sup>(3)</sup>.  
فالاختبار هنا وليس في مكان غير هذا. والاختبار هنا لأن الكتاب هنا.

والله لا يختبر إلا فيما أمر ونهى. وما ربك بظلام للعبيد. ولما كان علي بن أبي طالب هو رأس أهل البيت فإنه ضمن المادة التي تختبر الأمة فيها. فعنه أنه قال:

(1) سورة الأعراف: الآية 21.

(2) رواه أحمد (الفتح الرباني 186 / 1).

(1) إن مما عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الأمة ستغدر بك بعدي "

والنبي الأكرم صلى الله عليه وسلم، سأل ربه أن لا يفوق أمته، وأن لا يجعل بأسهم فيما بينهم. ولكن الله الذي يعلم ما تحويه طينة كل إنسان من خلقه أبى عليه. روي عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سألت ربي ثلاثا، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة. سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها. وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرور فأعطانيها. وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها - وفي رواية - وسألته أن لا يلبسهم شيئا فأبى علي " (2).

فالباب الذي منعه الله غمته الحجج من كل مكان، والآيات الوآنية والأحاديث الشريفة التي تحذر من الاختلاف والافتراق والبغي والاستكبار والإنكار وغير ذلك وتحث على الطاعة والوحدة والأخلاق والاستقامة وغير ذلك لا يخلو منها مصدر إسلامي. ونحن هنا لا نسلط ضوء الحجة إلا على داوة الحيل الأول في القون الهجوي الأول. لأن على حركة هذا الجيل دلت العجلة آخذة من ورائها في كل زمان الماضي والحاضر وهي تتقدم نحو المستقبل.

ولأن الجيل الأول هو العجينة التي سيأكل من خزها الجميع ما ترك النبي بابا إلا وتكلم فيه، عن أبو زيد قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فقول فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم قول فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا

(1) رواه البيهقي وقال ابن كثير سنده صحيح (البداية 218 / 6 ) ورواه البزار بسند صحيح والحاكم وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرک 140 / 3).

(2) رواه مسلم ك الفتن (الصحيح 14 / 18) وأحمد (الفتح 215 / 23) وأحمد وابن ماجة بسند صحيح (كنز 121 / 11) والتومذي والنسائي وابن حبان والضياء عن خباب (كنز 122 / 11).

(1) أحفظنا "

كان النبي يعلم من ربه أن الفتنة إذا انطلقت فلن تتطلق إلا من عند الذين سمعوا منه وشاهوه. وإنما ستسير بوقودهم على امتداد التاريخ، ولهذا كان يشير ويحذر. فعن أسامة قال: أشرف النبي صلى الله عليه وسلم على أطم (2) من أطام المدينة ثم قال: هل ترون ما رى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر " (3).

والتشبيه بمواقع القطر أي أنها كثرة وتعم الناس. وقال النووي: وهذا إشارة إلى الحروب الجرية بينهم... وفيه معجزة ظاهرة له صلى الله عليه وسلم (4) لأن ما أخبر به وقع.

وإذا كان النبي قد أشار إلى مواقع الفتن على ساحة المدينة الواسعة فإنه صلى الله عليه وسلم أشار إليها في ساحة أضيق. فعن أم سلمة قالت: استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وهو يقول: لا إله إلا الله ما فتح الليلة من القوائن؟ لا إلا (5)



إلا الله ما أتول الليلة من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجر، يريد به أزواجه... يارب كاسية في الدنيا عرية في الآخرة " .  
وقيل في المعنى: كاسية من نعم الله، عرية من الشكر الذي تظهر ثوته في الآخرة <sup>(6)</sup> ، ومن ساحة بيوت النبي حيث  
المساحة الضيقة، أشار عليه الصلاة والسلام إلى ساحة أضيق، روى البخاري عن عبد الله قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم  
خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ها هنا الفتنة، ها هنا

---

(1) رواه مسلم ك الفتنة (الصحيح 16 / 18) وأحمد (الفتح 272 / 21).

(2) الأظم / القصر أو الحصن.

(3) رواه البخاري ك الحج (الصحيح 322 / 1)، ومسلم (الصحيح 7 / 18).

(4) ثوح مسلم 7 / 18.

(5) البخاري ك اللباس (الصحيح 33 / 4) والترمذي وصححه (الجامع 488 / 4) وأحمد الفتح 34 / 23).

(6) فتح البري 23 / 60.

---

الصفحة 201

الفتنة، ها هنا الفتنة. من حيث يطلع قون الشيطان " <sup>(1)</sup> .

## 2 - الرسول ونظرات على واقع بعيد:

لم يكن النبي يحذر من الفتن فقط، وإنما كان يبين لمن حوله أن الفتنة إذا هبت انطلق دخانها في سماء العصور والدهور.  
وعلى امتداد هذه المسورة يدون لها ثقافات وقوانين لا تخدم إلا أنصار الشنوذ الذين لا هم لهم إلا التعتيم على نور الفطرة  
والصد عن السبيل. وفي نهاية المطاف يستخدم المسيح الدجال هذه الأوراق لصالحه.

والدجال أعظم فتنة منذ نوأ الله نوية آدم وما من نبي إلا وحذر قومه الدجال، ولقد حذر نوح قومه منه ليس على أساس أنه  
خرج فيهم. لأن نوح كان يعلم من ربه أنه يخرج في الأمة الخاتمة. وإنما حوهم من نسيج الشنوذ.

لأن كل نسيج من هذا يتلقفه الشيطان ويلقيه على رأس البشوية من جيل إلى جيل، حتى يستقر عند الدجال آخر الزمان،  
والنبي حذر أصحابه على هذا النحو، لأن الدجال خرج في الأمة الخاتمة لا محالة. فعن حذيفة قال: قال النبي صلى الله عليه  
وسلم: " لأننا لفتنة بعضكم بعضاً أخوف عندي من فتنة الدجال. ولن ينجو أحد مما قبلها إلا نجا منها، وما صنعت فتنة منذ  
كانت الدنيا صغيرة ولا كبيرة إلا لفتنة الدجال " <sup>(2)</sup> .

فالشنوذ حلقات، وحلقات الشنوذ يصنعها أصحاب القسم الزائف، أي الأئمة المضلين، فعن أبي ذر قال: سمعت النبي صلى

الله عليه وسلم يقول:

" غير الدجال أخوف على أمتي؟ " .

قلت: يا رسول الله أي شيء أخوف على أمتك من الدجال؟

---

(1) رواه البخاري (فتح الباري شرح صحيح البخاري حديث رقم 3104 ص 243 / 6 ط دار الريان).

(2) رواه أحمد والزار وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (الزوائد 335 / 7).

الصفحة 202

قال: " الأئمة المضلين " (1).

فهؤلاء الباب الذي يدون عنده القانون ذو الغلاف المخوف، الخرج عنه في عرفهم خراج عن الدين، ولأن الدين غلافه في عالمهم. يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر.

والنبي صلى الله عليه وسلم حدد ثلاث فتن: الأولى فيها موت والثانية فيها قتل والثالثة فيها الدجال، ومن نجا عند الباب نجا عند الدجال. عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاثة من نجا منها فقد نجا.

من نجا عند موتي فقد نجا، ومن نجا عند قتل خليفة يقتل مظلوما وهو مصطر يعطي الحق من نفسه فقد نجا. ومن نجا من فتنة الدجال فقد نجا (2).

فعند موته صلى الله عليه وسلم تحدث أحداث من نجا منها فقد نجا، فهذه الأحداث باب وهذا الباب يوصل إلى الحلقة الثانية. حيث الخليفة المظلوم. فمن وقف في داوة المظلوم الذي يعطي الحق ثم يأتيه القتل وهو مظلوم فقد نجا، وكم من خليفة قتل على امتداد التاريخ الإسلامي. وكل حزب وكل قبيلة تقسم أن خليفته قتل مظلوما. ولكي لا تضع الحقيقة لصالح الدجال فلا بد لتحديد الخليفة أن يقال: خليفة من؟ فإن قيل: خليفة الله، قلنا: ما الوهان؟ إذا نسب أي شئ إلى الله لا بد أن يكون عليه دليل. ألم تر أن المشركين كانوا إذا فعلوا فاحشة قالوا أن الله أمرهم بهذا. ألم تر أنهم عبثوا من دون الله ما لا ينفع ولا يضر وقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولم يكن معهم دليل على هذا وذلك.

ألم ترى أن عبادة الأصنام دخلت من باب التقرب إلى الله والله وئى من المشركين.

(1) رواه أحمد وقال في الفتح الرباني إسناده حسن (الفتح 26 / 23).

(2) رواه الطواني والخطيب وأحمد والضياء بسند صحيح عن عبد الله بن حوالة (كنز 180 / 11) والحاكم وصححه

(المستترك 101 / 3).

الصفحة 203

ألم تر أن دأب القوان التمييز بين الحق والباطل والعلم والجهل والجهاد والقعود وغير هذا حتى يكون لكل شئ معالمه ولا تختلط الأوراق. حتى النوبة لا بد أن يكون عليها من الله وهان، والإمامة قال تعالى فيها لإبراهيم عليه السلام: (لا ينال عهدي الظالمين) (1). وعلى هذا لا بد أن يحدد للناس من العادل ويكون عدله حجة بذاتها على الظالمين.

وكذلك الخلافة. فالخلافة عنه تعالى متولة. وما دامت عنه تعالى فهو سبحانه الذي يحدد دائرتها. فكم من داوة إنسانية مهمتها الصد عن السبيل وكل داوة لها أسمؤها الرنانة. وإذا كان الشيطان قد زخرف قاموس الأسماء وخرج من أتباعه من يدعي الأوهية والنوبة ومواتب الصلاح فلا بد أن يقابل هذا الوائر الحق التي تشير للناس نحو نوائر الويف وتسوقهم إلى

والقآن أشار إلى دائرة الخلافة وكيف نسبها الله إلى نفسه. فدلوا على السلام كان رسولاً. وبمقولة الرسالة كان يحق له أن يدخل أي دائرة من دوائر الهدى ولكنه لم يدخل إلا بإذنه، قال تعالى: (يا دلوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق) (2).

فالخلافة ليست وجاهة، لا بد للخليفة أن يتخلق بأخلاق الله. ويريد ويفعل ما يريد الله. ويحكم ويقضي بما يقضي به الله. والله يقضي بالحق وأن يسلك سبيل الله ويسوق الناس إليه ولا يتعداه. ولا يتبع في قضائه الهوى هوى النفس لأنه يضل عن الحق. ولهذا وصف النبي الخليفة المظلوم الذي يقتل فقال: " خليفة يقتل مظلوماً وهو مصطبر يعطي الحق من نفسه ". ودائرة الخلافة لا يجب أن تفوق عن القآن ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إني ترك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفوقا حتى يردا علي

(1) سورة البقرة: الآية 124.

(2) سورة ص: الآية 26.

الصفحة 204

(1) الحوض "

والدائرة الثانية في الحديث دائرة الخليفة الذي يقتل مظلوماً، تمهد للدائرة الثالثة التي يتربع فيها الدجال. والطريق بين الدائرتين يجلس فيه القاتل. أي قاتل الخليفة المظلوم. فمن تبين هذه الحقيقة بعد قتل الخليفة. فقد نجا مثل الذين نصرخوا الخليفة المظلوم في حياته. فعن عبد الله بن مسعود. قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله. كيف تقول في الرجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال النبي: المرء مع من أحب (2) ، أما من وضع على عينيه الغمامة ومر على الخطيئة مر الكرام. فيجيبه أبو العوس بن عموة. قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكوهها كمن غاب عنها. ومن غاب عنها فوضيها كان كمن شهدها (3) ، فمن غاب عنها ورضي وشرك الذي شهدها ورضي وإن بعدت المسافة وبعد الزمان بينهما.

والفتنة في كل حلقة لا بد من أن تترك أثراً لها على القلوب. فمن أنكر لا يتعكر قلبه. ومن رضي تعكر قلبه ودخل على فتنة الدجال وهو يهمل للدجال مغدياً له بالروح والدم والمال. وعن أثر الفتن على القلوب. يقول حذيفة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تعرض الفتن على القلوب. فأى قلب أنكرها. نكتت في قلبه نكتة بيضاء. وأى قلب لم ينكها نكتت في قلبه نكتة سوداء. حتى يصير القلب أبيض مثل الصفا. لا تزوه فتنة ما دامت السموات والأرض. والآخر أسود موبدا كالكوز مجفياً. لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكواً.

إلا ما شرب من هواء " (4) ، ومن أجل هذا لا بد من البحث عن الحقيقة. لأن الحلقة القادمة هي حلقة الدجال. ومن دخل

(1) رواه أحمد وقال الهيثمي إسناده جيد (الزوائد 193 / 9).

(2) رواه البخاري ك الآداب (الصحيح 77 / 4).

(3) رواه أبو داود حديث 4345.

(4) رواه أحمد (كنز العمال 119 / 11) والحاكم وصححه (المستدرک 468 / 4).

الصفحة 205

نجا. أما الذي يدخلها لبيحث عن الحقيقة بداخلها، فلن ينفعه إيمانه لأن الله آيات لا ينفع فيها إيمان نفس لم تكن آمنت من قبل. قال تعالى: (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خوا قل انتظروا إنا منتظرون) (1)، وهذه الآيات حددها النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خوا. الدجال والدابة. وطلع الشمس من المغرب"، رواه الترمذي وغوه (2).  
فالنبي صلى الله عليه وسلم حذر من أصول الفتن وهو يشير إلى بيوت أصحابه. وحذر من فتنة قومه وفتنة قتل الخليفة القائم بالحق. وبين أن الفتن كبرها وصغورها يقود إلى الدجال. كان يحذر وفي التحذير حجة كي لا يفتح فاتح الباب.

### 3 - النبي يحذر من رموز الفتن:

بعد أن بين النبي المكان والزمان الذي تهب منه الفتن، وبعد أن بين إلى أين تتجه الفتن. خوفهم من رموز الفتن. كي وعد أيديهم إذا حاولوا فتح الباب.  
وأخوهم بأنهم (بعده) سيختلفون بعد أن جاءهم العلم وإنهم سيحرصون على الإمرة (3)، وإن حرصهم عليها سيقودهم إلى سنن الذين من قبلهم. وإن الطويق سينتهي بهم إلى حيث لا قيادة وإن كانت هناك قيادة. فلن يبري القائل في أي شئ قتل. ولن يبري المقتول في أي شئ قتل (4). ونحن هنا سنقدم نخبة من الأحاديث التي فيها كلمة (بعدي) فلعلها تفيد الباحث عن الحقيقة. وقبل ذلك نقدم هذه النخبة لتكون فاتحة عن عمران بن حصين قال: قال النبي صلى الله عليه

(1) سورة الأنعام: الآية 158.

(2) راجع كتابنا عقيدة المسيح الدجال.

(3) رواه البخاري ك الفتن (الصحيح 235 / 4).

(4) رواه مسلم ك الفتن (الصحيح 34 / 18).

الصفحة 206

وسلم: " أكثر ما أتخوف على أمتي من بعدي رجل يتأول الوآن. يضعه على غير مواضعه. ورجل ى أنه أحق بهذا الأمر من غوه" (1)، ومن العجيب أنهم يقولون. أن الرسول ترك الأمر هكذا في الرياح. كيف وهو كان يخاف أن يأتي من

وى أن أحق بهذا الأمر من غوه؟ هل يترك القرآن ليتلعب به الناس؟ هل يترك الأمر حتى يناله سفهاء قريش ويتسموا بأمرء المؤمنين وهم في بطون أمهاتهم؟ كيف؟ وهو الذي بلغ الرسالة ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء نهلها وليلها سواء. وإذا كان الأمر هكذا فكيف يترك النبي هؤلاء زحفون إلى النار وهو المبعوث رحمة للعالمين. لا بد أن يقيم عليهم الحجة ولا ثم لزحفوا وقتما شاءوا. ويوم القيامة لا يفيد الندم ولا يكون لهم على الله حجة. وهذه الحقيقة ترى في حديث أبي هريرة. قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: يوشك رجل أن يتمنى أنه خر من الثايبا ولم يل من أمر الناس شيئا " (2) ، ومن داوة الرجل ينتقل التحذير إلى داوة أوسع. فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لئتمنين أقوام ولوا هذا لأمر أنهم خروا من الثايبا وأنهم لم يولوا شيئا " (3) ، وينتقل التحذير إلى داوة العروقة الذين يجيبون الأكل والتهاتف على موائد الرجال وأقوامهم. فعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويل للأهواء وويل للعرفاء وويل للأمناء. لئتمنين أقوام يوم القيامة. أن نواصيههم معلقة بالثايبا فيجلجلون بين السماء والأرض وأنهم لن يولوا عملا " (4) .

وإذا كان النبي يحذر الناس من القيادة ويحذر الأهواء والعرفاء والأمناء. فهل المقصود من هذا أن الدولة لا تعرف النظام. وأن الدولة ينبغي أن تكون بلا

(1) رواه الطبراني في الأوسط (كنز 200 / 10).

(2) رواه الحاكم وأقوه الذهبي (كنز العمال 17 / 6).

(3) رواه أحمد وقال الهيثمي رجاله ثقات (الفتح الرباني 29 / 23).

(4) رواه أحمد وقال الهيثمي رجاله ثقات (الفتح الرباني 23 / 23).

الصفحة 207

رأس. كيف، وهل أمة بلا رأس تكون جدوة بقيادة العالم. كيف وكان النبي يبعث الأهواء والأمناء والعرفاء في أعمال الدولة. أن العديد فهم من الحديث إنه دعوة للترع. وكثير منهم ترع حتى لا يتمنى يوما أن يتجلجل بين السماء والأرض وأنه لم يلي عملا. والحديث له أهداف أوسع. فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم يذهب أهل الجيل الأول في أمر ليس من حقهم. وحذر من حذى حنوهم. فعن المقدم بن معد يكوب. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب على منكبه. ثم قال له: " أفلحت يا قديم إن مت ولم تكن أمواولا كاتبولا عريفا " (1) ، فإذا كان الصحابة كلهم عدول ثقات. فمن أولى منهم بالقيادة، ولماذا يحوهم النبي ومما كان يخاف عليهم؟ لقد كان النبي يحث أصحابه على أن لا ينزلوا الأمر أهله. فعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. " عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكوهك. وأؤه عليك. وأن لا تتزع الأمر أهله " (2) ، فإذا كنا قد علمنا أن الأمر كله لله.

فعلينا أن نعلم أن أهل الأمر لا يحدددهم غير الله. ولذلك كان أبو أيوب الأنصاري يبكي أيام بني أمية. وكان رضي الله عنه قد شهد المشاهد مع علي بن أبي طالب. وعندما سئل عن بكائه. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تبكوا على الذين إذا وليه أهله. ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله " (3) ، ثم إذا كان أحد أحياء قريش من الذين لم يشر إليهم النبي

ولاية الأمر. هم أهل الدين. فلماذا طالب النبي الأمة باعْوَالهم. روى الشيخان عن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وآله: " يهلك أمتي هذا الحي من قريش " ، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: لو أن الناس اعتزلوهم " (4) ، لو

(1) رواه أبو داود الحديث 2933.

(2) رواه ابن أبي عاصم وقال الألباني إسناده حسن ورجال ثقات (كتاب السنة 493 / 2).

(3) رواه أحمد (الفتح 32 / 23) والحاكم وأقوه الذهبي (المستدرک 515 / 4) ، والطواني (الزوائد 245 / 5) (4) رواه

البخري ك بدء الخلقه (الصحيح 280 / 2) ومسلم ك الفتن (الصحيح 41 / 18) وأحمد (الفتح 39 / 23).

الصفحة 208

كانوا أهل الدين فهل يجوز اعْوَال الدين؟

إن النبي كان يخوفهم من فتح الباب. لأن الله أبي عليه أن لا يلبسهم شيئا ويذيقهم بأس بعضهم بعضا. وكان عليه الصلاة والسلام يعلم أن الحق سيكون غريبا، فعن قيس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا قيس عسى إن مد بك الدهر. أن يليك بعدي ولاة لا تستطيع أن تقول بحق معهم " (1) ، وعن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يلبث

الجور بعدي إلا قليلا. فكلما طلع من الجور شئ ذهب من العدل مثله. حتى يولد في الجور من لا يعرف غوه. ثم يأتي الله

تبرك وتعالى بالعدل فكلما جاء من العدل شئ ذهب من الجور مثله. حتى يولد في العدل من لا يعرف غوه " ، وقوله:

" ثم يأتي الله تبرك وتعالى بالعدل فكلما جاء من العدل شئ ذهب من الجور مثله. حتى يولد في العدل من لا يعرف غوه " (2)

، وقوله: " ثم يأتي الله تبرك وتعالى بالعدل " ، لا بد أن يكون عليه دليل على أنه من الله. ومهمته يجب أن تكون محصورة

في إقامة مؤسسات القسط والعدل بدلا من مؤسسات الظلم والجور. وقد ورد هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم. بأن القادم.

هو المهدي. من عوته. من ولد فاطمة رضي الله عنها ومهمته يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا (3) ،

وأوصافه في كتب الحديث فمن أرادها فلواجعها (4) ، هناك فداوة الظلم زوالها على يدي المهدي الذي من عوة الرسول.

والمهدي سيقاقل الدجال آخر الزمان. وزاد المهدي من زاد علي بن أبي طالب. فمن تروى نجا من فتنة الدجال.

وبعد أن بين النبي لأصحابه أن الجور لا يلبث بعده إلا قليلا وكلما طلع وأسه. تولى العدل إلى الظلال. أخوهم بدائهم

العضال فعن أبي هريرة قال.

(1) رواه الطبراني عن قيس بن خوشة (كنز العمال 190 / 11).

(2) رواه أحمد (الفتح 32 / 23) وقال الهيثمي فيه خالد بن طهمان وثقه أبو حاتم وبقية رجاله ثقات (الزوائد 196 / 5).

(3) أبو داود 117 / 4 ، وابن ماجه 2 / 1368 ، الحاكم 4 / 557.

(4) راجع كتابنا عقيدة المسيح الدجال.

الصفحة 209

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنكم ستعرضون على الإمرة.

وستكون ندامة يوم القيامة. فنعمة الموضعة وبئست الفاطمة " (1) ، قال بعضهم:

نعمة الموضعة. لما فيها من حصول الجاه والمال ونفاذ الكلمة وتحصيل اللذة الحسية. وبئست الفاطمة. عند الانفصال عنها وما يترتب عليها من التبعات في الآخرة (2) ، والحرص على الإمرة سيجعل للحريص أنياب ومخالب. فيزرع الجلادين في كل مكان. وسيأتي بالفقهاء علماء اللسان فيفصلون له الفتوى التي تحقق له الأمن والقداسة. ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لأصحابه فيما رواه مسلم: " يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي ولا يستنون بسنتي.

وسيقوم فيهارجال قلوبهم قلوب شياطين في جثمان أنس " (3) ، هؤلاء الرجال.

من أي داوة جاوعا؟ على أي حال ما دامت قلوبهم قلوب شياطين فلا علاقة لهم بالذين أذهب الله عنهم الرجس وطهورهم تطهروا. وعن حذيفة قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سيكون بعدي عليكم أمراء يأمرونكم بما لا يفعلون.

فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولن يرد علي الحوض " (4) ، من صدقهم وأعانهم لن يرد

على الحوض. فإذا سألنا. من الذي يرد علي الحوض؟ فإن الإجابة تكشف لك حقيقة هؤلاء الأمراء الكذبة. وعن كعب بن

عجرة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

اسمعوا. هل سمعتم؟ أنه سيكون بعدي أمراء. فعن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه

وليس يورد على الحوض.

ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه. وهو يورد على الحوض " (5) ، إسمعوا،

إسمعوا. من الذي يرد علي

(1) البخاري ك الأحكام (الصحيح 225 / 4).

(2) فتح الباري (22 / 32).

(3) مسلم (الصحيح 6 / 20) ط اسطنبول.

(4) رواه أحمد وقال الهيثمي رواه أحمد والزار وفيه إواهيم بن قيس وثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح (الزوائد

247 / 5).

(5) رواه الترمذي وصححه (الجامع 525 / 4) ورواه أحمد عن خباب (الفتح الرباني =

الحوض، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إني ترك فيكم خليفتين - وفي رواية ثقلين - أحدهما أكبر من الآخر. كتاب الله

حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتوقفا حتى يردا علي الحوض " (1) .

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنه سيلي أمركم من بعدي رجال يطفئون السنة

ويحدثون بدعة. ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها " ، قال ابن مسعود: كيف بي إذا أركتكم؟ قال: يا ابن أم عبد. لا طاعة لمن

عصى الله (قالها ثلاث مرات) <sup>(2)</sup> ، يطفئون السنة، والإطفاء إما عدم تنوينها. أو تنوينها وعدم معرفة هواميها أو توجيه الرأي عليها. فعلى كل هذا وغيره يترتب الإطفاء.

وإذا كان هذا الحديث قد أخبر عن أمراء يؤخرون الصلاة فعند البخاري حديث لضياح الصلاة في عهد بني أمية، أحد عهود القرون الأولى <sup>(3)</sup> . وإذا كان النبي قد قال عند تأخير الصلاة لا طاعة لمن عصى الله. فإنه صلى الله عليه وسلم قد قال في عهد ضياح الصلاة. اعتلوهم. ولكل مرحلة فقه وعلم.

وأخوأتي إلى حديث حذيفة. كان يسأل النبي عن الشر مخافة الوقوع فيه. قال للنبي فيما رواه البخاري وغيره: " يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر. فجاء الله بهذا الخير. فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم <sup>(4)</sup> ، فهذا الحديث سجل وقوع الشر، حلقة وراء حلقة. ويسأل حذيفة عن هذا الشر. ما هو؟ قال النبي: فتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضا. تأتيكم مشبهة كرجوه البقر لا تدرن أيا من أي " <sup>(5)</sup> ، فهل يصح أن يتوك الرسول أمته دون أن

---

= (23 / 30) وابن أبي عاصم وقال الألباني رجاله ثقات وأخرجه أحمد وابن حبان (كتاب السنة 352 / 2).

1) تم تخريج الحديث فيما سبق ورواه أحمد والترمذي وحسنه والطواني وقال المنذوي رجاله موثقون (الفتح الرباني 1 / 186).

2) رواه أحمد وقال في الفتح الرباني حديث صحيح (الفتح 29 / 23).

3) سيأتي الحديث عنه في حينه.

4) البخاري (الصحيح 280 / 2) ك بدء الخلق ب علامات النوبة.

5) رواه أحمد (الفتح الرباني 38 / 23).

---

الصفحة 211

يبين لهم النجاة من هذه الفتن التي تعصف أول ما تعصف بحبل الصحابة. والله تعالى أوجب على نفسه فتح الطويق لعباده وهدايتهم إليه، (ما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) <sup>(1)</sup> ، وحذيفة لم يسأل النبي عن الشر مرة واحدة. وإنما كان يحب أن يسأل عنه على فترات كما تدل رواياته.

وفي هذه الروايات يقول النبي عن دعاة الشر " دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها " فيقول حذيفة: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: " هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا " <sup>(2)</sup> ، ويسأل حذيفة: وما العصمة من ذلك؟ قال: السيف.

فقلت يا رسول الله: ثم ماذا يكون؟ قال: إن كان الله خليفة في الأرض فضرب ظهرك وأخذ مالك فأطعته. وإلا فمت وأنت عاص بجدل شجرة. قال حذيفة: ثم ماذا؟ قال النبي: ثم يخرج الدجال <sup>(3)</sup> ، فهذه الرواية. قال له: " إن كان الله خليفة في الأرض " وفيه أن البحث فريضة. فقد يكون خليفة الله كهرون في عالم السامري ". فعالم السامري كان عالم واسع عريض. ولا يضرب هارون أنه يقف على الأرضية الأضييق في أعين الناس. والأرضية الضيقة لها علم وفقه. وقد يكون الصمت فيها نواء. وقد يكون آخر النواء الكي وهذا أمر يحدده خليفة الله.



إن لكي شئ علم. ألم تر أن الله رفع نبيه عيسى عليه السلام. وكان في الإمكان خسف الأرض. بمن رأوا قتله. ولكن هذا تم لهدف ومن وراء الهدف حكمة.

منها امتحان الذين آمنوا بعيسى عليه السلام. فعيسى أخبر وصيه وتلاميذه بأنه سوف رفع وأخبر القاعدة العريضة أيضا بذلك وقال لهم: إنه حيث يكون فلن يستطيعوا الوصول إليه. ومن المعلوم أن أعداءه لا يستطيعون الوصول إلى السماء. وبعد الرفع جاء الامتحان. كانت الحجة كلمة وصرخة تلميذ. أن الذي على الصليب ليس عيسى. فمن استمع نجا، ومن صدق ما يشاهده هلك. وهنا تبرز قيمة الوصية والأوصياء. وكلمة الوصي أصدق مما تراه العيون. ولكن الجماهير تركت الوصي والتلميذ. وانساقوا وراء من يظنون أنه المسيح. ولم

(1) سورة التوبة: الآية 115.

(2) رواه البخاري (الصحيح 280 / 2) ك بدء الخلق.

(3) رواه أبو داود حديث 4244.

الصفحة 212

يلبث الجور بعد المسيح إلا قليلا. فكلما طلع من الجور شئ ذهب من العدل مثله. حتى ولد في الجور من لا يعرف غوه. وشاء الله أن يجتمع عيسى بن مريم والمهدي المنتظر في عصر واحد. ليخوضا ملاحم الدجال (1).

لقد أمر النبي حذيفة أن يبحث عن الإمام الحق ثم قال: " وإلا فمت وأنت عاص بجذل شجرة. قال: ثم ماذا؟ قال النبي: ثم يخرج الدجال "، فهل بشجرة هنارمزا لمبايعة حق وخصوصا أن الدجال على الأبواب. ولكن أي شجرة هذه التي يتم مبايعتها وما الناس والكلام إلا شجر. وورد عند البخاري بعد أن قال النبي لحذيفة بأن يؤرم جماعة المسلمين وإمامهم، قال حذيفة: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام. قال النبي. فاعتزل تلك الفوق كلها. ولو أن تعص بأصل شجرة حتى يبركك الموت وأنت على ذلك " (2)

، وعدم وجود الجماعة والإمام ورد. فنحن في زماننا نرى ما نرى. فكل شئ غائب عنا. وغدا يأتي الله بأمره فهل هذه الرواية تختص بزماننا هذا. وكما ذكرنا أن أسئلة حذيفة للنبي كانت بين الحين والحين ولم تكن واحدة. إن الفوق كلها أمر النبي باعتوالها. ولكن الاعتوال والوقوف في العواء يكون قريبا من دائرة الموتة الجاهلية لحديث البخاري وغوه " من فرق الجماعة شوا فمات إلامات ميتة جاهلية " (3) ، فما بالك بعدم وجود جماعة أصلا والحديث أشار بهذا والنبي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يدفع إنسان إلى العواء أو يجعله قريبا من الموتة الجاهلية. لذا نجده في حديث حذيفة يقول بعد أن أمر باعتوال الفوق: " ولو أن تعص بأصل شجرة حتى يبركك الموت وأنت على ذلك " فعند الشجرة يمكن أن يأتي الموت ولكن ليس موتا جاهليا. وعلى هذا والله أعلم أن الشجرة رمزا للجماعة، من فرقها في العصر الذي يقصده الحديث تكون ميتة جاهلية. وبين الإمام والجماعة في الحديث خط مستقيم يصل إلى الشجرة. والبحث في أصول الشجرة، يقتضي منا

(1) راجع كتابنا عقيدة المسيح الدجال.

(2) رواه البخاري (الصحيح 280 / 2) ك بدء الخلق.

(3) رواه البخاري (الصحيح 222 / 4) ك الفتن.

الصفحة 213

أن نضع هنا قول النبي صلى الله عليه وسلم " علي أصلي... " <sup>(1)</sup> ، وقوله: " إن الناس اليوم كشجرة ذات جنى. ويوشك أن يعودوا كشجرة ذات أشواك " <sup>(2)</sup> ، وكل إنسان يبحث عن شجرة.

وكما علمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حذر من أصول الفتن. فأخبر أن الفتن من بعده ستكون كثرة وستنتهي إلى الدجال وأن السلطة ستكون كخيمة على بركة من الدماء. الجميع يتصلع من أجل الوصول إليه. ولذا حذر صلى الله عليه وسلم أصحابه حتى لا ينزلوا الأمر أهله. لأن المنزلة ستفتح الأبواب لما هو أشد وأفتك. إذا كنا قد علمنا ذلك. فيجب أن نعلم هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حدد تيلرا بعينه وهو تيار بني أمية. وحذر منه أشد التحذير.

وأخبر أن هذا التيار سيصل إلى السلطة. والوصول إلى السلطة لا يأتي في يوم وليلة. فإذا كان سيصل مثلا في مرحلة منتصف الطريق. فلا بد أن تكون مرحلة أول الطريق قد مهدت له ووضعت له الوكائز التي يوتكز عليها دينيا. ثم يقوم هو بپوره فيضع الوكائز ويمهد لمن يأتي في نهاية الطريق.

وتحذير النبي لأصحابه من الفتن حتى لا يفتحوا الباب لهذا التيار. تعدى مرحلة التحذير بالقول إلى مرحلة التحذير بالفعل حيث قام النبي صلى الله عليه وسلم بنفي الحكم بن العاص الذي تعتبر نريته آخر حكام بني أمية وظل الحكم بن العاص في المنفى. حتى رده عثمان بن عفان سليل بني أمية في خلافته. ونفى النبي للحكم كان من باب الأخذ بالأسباب وإقامة الحجة، وبمعنى أن النبي علم من ربه أن الحكم باب من أبواب الفتن وأن في صلبه من سيروكب على رقبة الأمة. وأن الأمة ستكون لأبنائه شيعة. فأخذ النبي بالأسباب ورأى أصل العقبة من البداية وهو يعلم أن الأمة ستأتي به وستقيم عليه فسطاطا. وإذا كان الحكم بن العاص حلقة أخوة في الفتنة. فإن النبي لم يكتف بالتحذير من الحلقة الأخوة فقط. وإنما حذر من الحلقة الأولى لبني أمية التي عليها سيأتي

(1) رواه الطبراني والضياء بسند صحيح (كنز 602 / 11).

(2) رواه ابن عساكر وفيه ضعف (كنز 149 / 11).

الصفحة 214

أبناء الحكم. باختصار حذر من الشجرة الأموية كلها. وقد رآه الله تعالى من أخبار هذه الشجرة الشئ الكثير الأمر الذي جعله صلى الله عليه وسلم لم ير ضاحكا حتى مات صلى الله عليه وسلم.

ففي سورة الإسراء. وبعد أن تحدث سبحانه عن الآيات التي يرسلها إلى عباده. وعن ناقة ثمود التي قتلها الجاحدون وبعد أن أخبر سبحانه أنه يرسل بالآيات للتخويف والإنذار. قال تعالى: (وما جعلنا الرؤيا التي رأيناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا) <sup>(1)</sup> .

ولا ننوي ما هذه الشجرة ملعونة في القرآن التي جعلها فتنة للناس. ولا يوجد في القرآن شجرة يذكرها الله ثم يلعنها. قالوا: إنها شجرة الزقوم! التي جاء ذكرها في قوله تعالى: (أم الشجرة الزقوم إنا جعلناها فتنة للظالمين) <sup>(2)</sup> ، فالشجرة في الآية وصفت بأنها فتنة. أي عقاب للظالمين. فكيف يقال أن العقاب ملعون والله تعالى لم يلعن الشجرة فلو كانت الشجرة ملعونة لكونها تخرج في أصل الجحيم وسببا من أسباب عذاب الظالمين. لكانت النار، وكل ما أعد الله فيها للعذاب ملعونة، وهذا لا يصح لأن الله أعد لها ملائكة للعذاب فقال تعالى:

(وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) <sup>(3)</sup> ، وقد أنثى الله تعالى على ملائكة النار، فقال تعالى: (عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) <sup>(4)</sup> .

وبما أن الشجرة جاء ذكرها بين الآيات التي يخوف بها الله عباده. ومنها آية الناقة. فإن الرؤيا والشجرة المشار إليهما في الآية أمران سيظهران على الناس.

أو هما ظاهران. يفتتن بهما الناس فيشيع بهما فيهم الفساد. ويتعرف فيهم الطغيان والاستكبار. وذيل الآية: (ونخوفهم مما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا)،

(1) سورة الإسراء: الآية 60.

(2) سورة الصافات: الآية 62 - 63.

(3) سورة المدثر: الآية 31.

(4) سورة التحريم: الآية 6.

الصفحة 215

يشير إلى ذلك ويؤيده. بل وصدر الآية أيضا يؤيده قال تعالى: (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا...)، والمعنى: واذكر التثبت فيما ذكرنا لك في هذه الآيات أن شيمة الناس والاستمرار في الفساد والفسوق. واقتداء أخلافهم بأسلافهم في الإعراض عن ذكر الله وعدم الاعتناء بآيات الله. وقد قلنا لك أن ربك أحاط بالناس علما. وعلم أن هذه السنة ستجري بينهم كما كانت تجرى ولم نجعل الشجرة الملعونة في القرآن التي تعرفها بتعريفنا. وما رأيناك في المنام من أمرهم. إلا فتنة للناس، وقد أحطنا بالناس. (ونخوفهم مما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا)، أي تخوف الناس مما يزيدهم التخويف إلا طغيانا ولا أي طغيان كان. بل طغيانا كبيرا. أي إنهم لا يخافون من تخويفنا حتى ينتهوا عما هم عليه بل يجيبوننا بالطغيان الكبير. فهم يبالغون في طغيانهم ويفطون في عنادهم مع الحق.

وذكر غير واحد من المفسرين أن الله تعالى في هذه الآية يؤي نبيه صلى الله عليه وسلم. بأن الذي رآه من الأمر وعرفه من الفتن. قد جرت عليه سنة الله فهو سبحانه يمتحن عباده بالمحن والفتن. ويؤيد هذا ما ورد من أحاديث بأن العواد بالرؤيا في الآية. هي رؤيا رآها النبي صلى الله عليه وسلم في بني أمية. والشجرة شجرتهم. أما القول بأن الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم. فلا معنى له. لأنه لا ذنب للشجرة. وهل وجودها في أصل الجحيم عقابا للظالمين يستحق اللعن. كيف؟ والذي سيسوق

الظالمين إليها ملائكة لا يعصون الله. ويفعلون ما أمرهم به الله. أما الرؤيا التي رآها الله لرسوله فعن الحسن قال: فأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني أمية يخطبون على منوره رجالا فساءه ذلك...<sup>(1)</sup> ، وروى أبو بكر ابن خيثمة عن سعيد بن المسيب في قوله: " وما جعلنا الرؤيا التي رأيناك إلا فتنة للناس " ، قال:

---

(1) رواه الحاكم وأقره الذهبي (المستدرک 3 / 171) وقال ابن كثير رواه الترمذي عن القاسم بن الفضل وقد وثقه يحيى بن سعيد وغيره، ورواه ابن جرير والحاكم والبيهقي (البداية 6 / 243).



رأى ناسا من بني أمية على المنابر فساءه ذلك <sup>(1)</sup> .

هذا عن مقدمة بني أمية. أما خاتمتهم الحكم بن العاص. فقد روى أبو يعلى. رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه كان بني الحكم يبتزون على منوه ويقولون فأصبح كالمتغيظ. فقال: ما لي رأيت بني الحكم يبتزون على منوي تزو القودة. فما رؤي رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا بعد ذلك حتى مات <sup>(2)</sup> ، وعن أبي هرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " رأيت في منامي كأن بني الحكم بن أبي العاص يبتزون على منوي كما يبتزو القودة " <sup>(3)</sup> .

أما كون الشجرة شجرتهم ما رواه مطعم قال. كنا مع النبي فمر الحكم بن العاص فقال النبي: ويل لأمتي مما في صلب هذا <sup>(4)</sup> ، وعن ضوة ابن حبيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ويل لأمتي من هذا وولد هذا " <sup>(5)</sup> ، وعن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحكم: " إن هذا سيخالف كتاب الله وسنة نبيه وسيخرج من صلبه فتن يبلغ دخانها السماء وبعضكم يومئذ شيعته " <sup>(6)</sup> .

أما كون هذه الشجرة ملعونة. ما روى عن عبد الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن عنده. ليدخلن عليكم رجل لعين فوالله ما زلت وجلا أتشوف خلجا وداخلا حتى دخل فلان - يعني الحكم - وروى الإمام أحمد: " لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلانا وما ولد من صلبه " ، وفي

(1) أبو بكر بن خزيمة (البداية والنهاية 50 / 10).

(2) رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير مصعب بن عبد الله وهو ثقة - قاله الهيثمي (الزوائد 244 / 5) والحاكم وصححه (المستدرک 480 / 4).

(3) والبيهقي وابن عساكر وأبو يعلى (كنز العمال 358 / 11) والحاكم (كنز 117 / 11) وقال ابن كثير رواه يعقوب بن سفيان (البداية 50 / 10، 243 / 6).

(4) رواه ابن عساكر (كنز 167 / 11).

(5) ابن عساكر (كنز 167 / 11). (الإصابة 29 / 2).

(6) رواه الدارقطني (كنز 166 / 11) وابن عساكر (360 / 11)، والطواني (كنز 167 / 11).

رواية للزار: " لعن الله الحكم وما ولد على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم " <sup>(1)</sup> ، وروى الزوار أن عبد الرحمن بن أبي بكر قال لمروان ابن الحكم: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك " <sup>(2)</sup> ، وروى أن عبد الله بن الزبير قال وهو يطوف بالكعبة " ورب هذا البيت الحوام والبلد الحوام أن الحكم بن أبي العاص وولده ملعونين على لسان محمد صلى الله عليه وسلم " <sup>(3)</sup> ، وروى أن الحسن قال لمروان بن الحكم: " لقد لعنك الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت في صلب <sup>(4)</sup> أبيك " . وفي الدر المنثور أخرج ابن مودويه عن عائشة أنها قالت لمروان: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

لأبيك وجدك أنكم الشجرة الملعونة في القآن. وباختصار: روى أصحاب التفسير كالطوي وغوه عن سهل بن ساعد وعبد الله بن عمر ويعلى بن مرة والحسين بن علي وسعيد بن المسيب أن هؤلاء هم الذين أتوا فيهم قوله تعالى: (وما جعلنا الرؤيا) إلى قوله: (والشجرة الملعونة في القآن).

أما كون النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ بالأسباب ونفاه. وذلك بعد أن ارتكب الحكم بن أبي العاص الجريمة التي يستحق عليها هذه العقوبة.

وكما نعلم أن الله لا يظلم الناس شيئاً. فلقد خلق الإنسان ليمرّس واجب الخلافة في الأرض. ولم يخرج أحداً من الجنة إلا عندما ارتكب آدم وزوجه الخطأ الذي استحقا عليه الإخراج من الجنة. وعندما ارتكب الشيطان الجريمة التي استحق عليها الطرد واللعن. وهناك فرق بين الإخراج والطرد واللعن.

والحكم بن أبي العاص ارتكب الجريمة التي استحق عليها النفي واللعن. وما

---

(1) قال الهيثمي رواه أحمد والبرار والطبراني بنحو رواية البزار وعنده رواية كرواية أحمد ورجال أحمد الصحيح (الزوائد 5 / 241).

(2) قال الهيثمي رواه الزوار وإسناده حسن (الزوائد 5 / 241).

(3) رواه ابن عساکر (كنز 11 / 358) والحاكم وصححه (المستدرک 4 / 481).

(4) رواه أبو يعلى (الزوائد 5 / 240) وابن سعد وابن عساکر (كنز 11 / 357) وذكوه ابن كثير في البداية (8 / 280).

---

الصفحة 218

كانت الجريمة إلا لهدف ومن وراء الهدف حكمة. وروى عن حماد بن سلمة.

إن أصحاب النبي دخلوا عليه وهو يلعن الحكم بن أبي العاص فقالوا: يا رسول الله ما له. قال: دخل على شق الجدار وأنا مع زوجتي فكلح في وجهي.

فقالوا: أفلا نلعنه نحن؟ قال: لا فإنني أنظر إلى بنيه يصعدون منوي ويقولونه.

فقالوا: يا رسول الله ألا نأخذهم؟ قال: لا ونفاه <sup>(1)</sup>، وروى أن سبب نفيه غير ذلك. وهو أن الحكم كان من المرجفين في

المدينة ويبلغ فيها أسوار رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد نفاه النبي عندما أمره الله بنفي من كانت هذه أعماله. وقد وردت هذه الحرائم وعقوباتها في سورة الأحزاب <sup>(2)</sup>، وقد أخبر النبي بأن من الأمة من سيتعهد بني أمية وبني الحكم حتى يبلغوا

ثلاثين رجلاً وفي رواية ربيعين. ثم يكون الحديث انطلقهم عن أبي سعيد الخوي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "

إذا بلغ بنو أبي فلان ثلاثين رجلاً اتخنوا مال الله لولا <sup>(3)</sup> ودين الله دخلاً <sup>(4)</sup>، وعباد الله لولا <sup>(5)</sup> <sup>(6)</sup> وفي رواية إذا بلغ بنو

العاص ثلاثين... " <sup>(7)</sup>، وفي رواية إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين... " <sup>(8)</sup>، ويبدو والله أعلم أن هذا العدد يتعلق بعدد رجالهم في

المناصب القيادية في الدولة. بمعنى إذا فتح لهم الباب وتولي " ثلاثون " أو أربعون منهم المناصب فعلوا هذه الأشياء. وحركة

التاريخ تؤيد هذا الرأي كما سيأتي في حينه.

إذا كانت المسورة بعد النبي وبنص الأحاديث الصحيحة. ستبدأ بفتن تنطلق

(1) الإصابة (28 / 2).

(2) ( سورة الأحزاب: الآية 60.

(3) ( أي يكون المال لقوم نون قوم.

(4) ( أي يدخلوا في دين الله أمور لم تود في كتاب الله وسنة رسوله.

(5) ( أي يستخدمون الناس ويستعبوهم.

(6) ( رواه أحمد (الفتح 32 / 23).<sup>(7)</sup> رواه أحمد وأبو يعلى والطواني (كنز 165 / 11).

(8) ( رواه الطواني والبيهقي (كنز 165 / 11) (البداية 258 / 8).

الصفحة 219

من بيوت الصحابة. وإذا كانت الأحداث ستأتي على رقاب العباد رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس كما في صحيح مسلم. وبدعاة على أبواب جهنم من أجاهم قذوفه فيها كما ورد في صحيح البخاري. ثم تنتهي الأحداث بقذف الأمة نحو سنن الأولين ففسير عليها شوا بشبر ونواعا بنواع. وفي النهاية يكونون غثاء كغثاء السيل لا قيمة لهم ولا وزن. القائل فيهم لا يوري فيما قتل والمقتول فيهم لا يوري فيما قتل. إذا كان هذا كله قد دخل من تحت لافتة القيادة فكيف يقال أن الشيعة قد تكلمت في كل شئ عدا القيادة. وكيف يستقيم قول كهذا مع ما رواه أبو الرداء عن النبي صلى الله عليه وآله: " وأيم الله، لقد تركتم على مثل البيضاء ليلها ونهلها سواء " <sup>(1)</sup>.

قال البعض: إن الناس أوى بشؤون دنياهم. وإن اختيلهم للقيادة ينضوي تحت قوله تعالى: (وأورهم شورى بينهم) <sup>(2)</sup>، وقول البعض بهذا. لا يحقق أي دفع لدأوة الرجس. فتحت سقف شؤون دنياهم يجلس أيضا المنافقين والذين في قلوبهم مرض. وشؤون دنياهم لا تنسى أنها قابلة للاختراق من جهة الشيطان بفته التريين والإغواء. باختصار ستكون المسورة غير محمودة العواقب. ولهذا لا بد من مرشد لها حدده الله الذي أخذ على نفسه فتح طريق العبادة وهداية الناس إليه. ثم إن القول بأن الأمر كان شورى في اختيار الخليفة. أمر لا يمكن إثباته.

وذلك لأن اختيار الخليفة على امتداد المسورة لم يكن له وجد واحد ولم تتوفر الشورى فيه إلا فيما ندر. وعلى سبيل المثال. فإن يوم السقيفة لم يشهده رجل من بني هاشم بل لم يشهده من المهاجرين عدد لا يتعدى خمسة أفراد على أكثر الروايات وأصحابها. ويوم السقيفة كان بحق يوم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

حيث توعد سعد بن عبادة مرشح الأنصار وهتف كما جاء في الصحيح " اقتلوا

(1) رواه ابن ماجة (كنز 370 / 11) وابن أبي عاصم، وقال الألباني له متابع قوي عند الإمام أحمد (كتاب السنة 27 / 1).

(2) ( سورة الشورى: الآية 38.

سعدا "، فأبي شوري توى هنا؟ وقد اعترف عمر فيما بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه بأن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقال من عاد إلى مثلها فاقتلوه كما جاء في الصحيح، فإذا كانت البيعة أن عادت على نفس الصورة فجزاء من يقدم عليها القتل. فما القول في هذا؟ وأبو بكر رضي الله عنه وهو على فراش الموت أوصى لعمر بن الخطاب من بعده ولم يشلور المهاجرين والأنصار عند اتخاذه هذا القرار. وعمر بن الخطاب وهو على فراش الموت جعلها شوري في ستة من أهل الجنة كما ورد في الحديث، ووضع نظاما للاختيار وأمر رضي الله عنه بقتل من عرض إختيار الأغلبية. فمن هذا وذاك لا توى ما تعرف عليه من الشورى. وفي أيام معاوية وبني أمية. عندما أراد البيعة لولده يزيد. روى أنه جاء بأفصح فقهاءه. وجمع رؤوس القبائل. ووقف الفقيه المحنك وأشار إلى معاوية وقال:

أنت أمير المؤمنين. فإن مت فزيد. فمن أبي هذا وأشار إلى السيف. وعلى هذا جاء ولاد الحكم بن أبي العاص في القون الأول الهجري. وعلى هذا أفتى المحنكون ولاية الفاسق فهل الفاسق يسوق الناس إلى رب العالمين؟ إذا كانت الإجابة نعم، فما معنى قوله تعالى: (والله لا يهدي القوم الفاسقين) <sup>(1)</sup> ، وكيف يسوق الفاسق الناس إلى رب العالمين؟ إذا كانت الإجابة نعم، قال تعالى: (لا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) <sup>(2)</sup> ، ولا يرض عنهم: (فإن الله لا يرض عن القوم الفاسقين) <sup>(3)</sup> ، وكيف يتم وضعهم على رقبة الأمة. والله قد حذر من المنافقين وما الفاسقين إلا عمال في دائرة الوجدس قال تعالى: (نسوا الله فسيهم إن المنافقين هم الفاسقون) <sup>(4)</sup> ، كيف تستأمن الأمة والله تعالى لم يستأمن الفاسق على نبأ قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) <sup>(5)</sup> ، لقد جعل المحنكون من الشنوذ قاعدة استرضاء منهم لخط نصب

(1) سورة التوبة: الآية 80.

(2) سورة النور: الآية 4.

(3) سورة التوبة: الآية 96.

(4) سورة التوبة: الآية 67.

(5) سورة الحوات: الآية 6.

خيمته ومن داخلها اتخاذا مال الله لولا. ودين الله دخلا وعباد الله لولا. وجميع ذلك تحت شعار الشورى. والحقيقة أن ولاية الفاسق التي أقرها المحنكون فيها تساهل طويل وعريض. لأن الذي أدلى دلوه كي يخرج لنا فيه فاسقا. كان عليه ولا أن يبحث عن بئر نظيف ليخرج لنا بآخر وقد قال تعالى: (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستونون) <sup>(1)</sup> ، نعم قد يكون الفاسق في الزروة ولكن وفقا للقاعدة النبوية حيث قال صلى الله عليه وسلم في قريش: " الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافهم تبع لكافهم " <sup>(2)</sup> ، وقال: " صالحهم تبع لصالحهم وشولهم تبع لشولهم " <sup>(3)</sup> ، فالناس لا بد لهم من شجرة يستظلون بظلها. وهناك شجرتان، وللناسق شجرة ونزوته، أما قوله تعالى: (وأوهوم شوري بينهم)، قال



المفسرون: أي أن الأمر الذي يغمون عليه فيما بينهم يتشاورون فيه لاستخراج صواب الرأي بمراجعة العقول. وصواب الرأي تمتصه العقول من قوله تعالى: (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) <sup>(4)</sup> ، فهذه دائرة أصحاب الشورى، والقوان الكريم كما سلط الضوء على الذين أمرهم شورى بينهم. سلطة أيضا على الذين فوقوا أمرهم بينهم ووضعهم في دائرة مغلقة عليهم قال تعالى في الصنف الذي رفض الأمة الواحدة والدعوة للسليل الحق (فتقطعوا أمرهم بينهم زوا كل حزب بما لديهم فحون)، ولأن لهذا الحزب سائر على امتداد السورة لا يكل ولا يمل. قال تعالى لرسوله: (فأمرهم في غيبتهم حتى حين \* أياحسون إنما نمدهم به من مال وبنين \* نسلع لهم في الخوات بل لا يشعرون) <sup>(5)</sup> ، فأصحاب هذه الآية قطعوا أمرهم. وجعلوا كل قطعة منه كتابا. ثم التقط كل حزب قطعته وانطلق فوحا يوقاً في قطعته كتابه.

(1) سورة السجدة: الآية 18.

(2) رواه البخاري (الصحيح 2 / 264) وسبق تخريجه.

(3) رواه أحمد ورجال ثقات (الفتح 24 / 226) سبق تخريجه.

(4) سورة الزمر: الآية 18.

(5) سورة المؤمنون: الآية 54 - 55 - 56.

الصفحة 222

وفي عالم الزخرف والزينة والإغواء يرقصون طربا لما عندهم من مال وبنين. وهم في الحقيقة لا يشعرون ماذا ينتظهم في نهاية الطريق. إنهم قد يرون بداية الطريق أو وسطه. أما نهاية الطريق فلا ترى إلا بعد أن تجيء. وإذا كان القوان قد سلط الأضواء على الذين أمرهم شورى بينهم والذين قطعوا أمرهم بينهم، فإن الله تعالى أمر دائرة الإيمان وفيها الذين أمرهم شورى بينهم. أمرهم أمرا واحدا لا اختيار فيه حتى يولنوا بينه وبين أمرهم فقال جل وعلا: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخوة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) <sup>(1)</sup> . فكيف يكون هناك اختيار والله ورسوله قد اختار. وفي هذا الاختيار قمة الحرية الحقيقية التي توفر للإنسان إنسانيته الحققة. حتى نعود إلى من حيث بدأنا ونقول:

إن علم النبي صلى الله عليه وسلم بما سيحدث في النهاية يقتضي أن يقيم عليه الحجة في البداية. وإقامة الحجة سنة إلهية يتوالت عليها الثواب والعقاب. ألم ترى أن الله أقام الحجة على خلقه وهم في عالم الذر. أقامها عند أول أعتاب خلق البشرية. لعلمه أن المسورة ستنتج المؤمن والكافر والمحسن والمسيء، قال تعالى: (وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) <sup>(2)</sup> ، فإذا كان سبحانه قد أقامها في البداية في عالم الغيب. فإنه تعالى قد أقامها على امتداد العصور. وإن كانت الحجة قد سدت الأبواب في وجه البعض. فإنها فتحتها أمام آخرين. والنبي ما سد شيئا ولا فتحه. ولكنه أمر بشيء فاتبعه وهو في هذا عبدا مأمورا. ما أمر به فعله. إن يتبع إلا ما يوحى إليه. والنبي ما أدخل أحدا وما أخرج أحدا. ولكن الله هو الذي أدخل هذا وأخرج هؤلاء. وذلك لأن المستقبل به

أصحاب شجرة خبيثة. والشجرة الخبيثة لا بد أن يقابلها شجرة طيبة، والمستقبل فيه دائرة رجس لا بد أن يقابلها دائرة

(1) سورة الأحزاب: الآية 36.

(2) سورة الأعراف: الآية 172.

الصفحة 223

طهر. والمستقبل به الذين في قلوبهم زيغ الذين يريدون الفتنة المتشابه. ولا بد أن يقابلهم الواسخون في العلم فبعد أن

أشرت الأحاديث التي بها كلمة (بعدي) إلى مواقع الفتن. إلى مقدماتها ونتائجها وبداياتها ونهاياتها.

أشرت أحاديث أخرى إلى مواقع الأمان. لتقوم الحجة ويظهر التبشير والتحذير على صفحات الترخيخ. وعن هذه الأحاديث

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي: " أنت وليي في كل مؤمن بعدي " (1) ، وعن عمران بن حصين قال:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: " علي مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن من بعدي " (2) ، وعن يزيد الأسلمي قال: قال النبي

صلى الله عليه وآله في علي: فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي. وإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي (3) ، وعن يزيد أيضا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا يزيد إن عليا وليكم بعدي. فأحب عليا فإن يفعل ما يؤمر " (4) ، وعن أنس قال، قال

النبي صلى الله عليه وسلم: " يا علي أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي " (5) . وعن وهب بن حنزة قال: قال

(1) رواه أحمد ورجاله ثقات غير أبي بلج وهو ثقة وطيه لين (الفتح 116 / 23) وقال ابن كثير رواه أبو داود الطياليسي (البداية 346 / 7) ورواه ابن أبي عاصم وقال الألباني صحيح (كتاب السنة 263 / 5).

(2) رواه ابن أبي عاصم وقال الألباني: إسناده صحيح ورجاله ثقات على شرط مسلم والحديث أخرجه الترمذي وابن حبان

والحاكم وأحمد من طرق أخرى. وقال الترمذي حديث حسن غريب وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وأقوه الذهبي (كتاب

السنة 565 / 2) ، ورواه ابن جرير بسند صحيح (كنز العمال 142 / 13) وابن أبي شيبه بسند صحيح (كنز العمال 608 /

11) ، والطواني وقال الهيثمي رواه أحمد والطواني في الأوسط وباختصار في الكبير ورجال أحمد رجال الصحيح (الزوائد

109 / 9).

(3) رواه أحمد وقال في الفتح الوباني. رواه الطواني في الكبير والأوسط وأسانيد الكبير رجاله رجال الصحيح ورجال

أحمد ثقات (الفتح 117 / 23) ، ورواه ابن أبي شيبه (كنز العمال 608 / 11).

(4) رواه الديلمي (كنز العمال 612 / 11).

(5) رواه الديلمي (كنز العمال 615 / 11).

الصفحة 224

رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تقولن هذا لعلي فإن عليا وليكم بعدي " (1) ، وعن ابن عباس قال قال النبي صلى الله

عليه وسلم: " أنت مني بمقولة هارون من موسى إلا أنك لست نبيا. إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي في كل مؤمن من

بعدي " (2) .

والمعروف أن أظهر منزل هارون بعد موسى. وزلته له. وخلافته عنه.

واشراكه في الأمر معه. قال سبحانه حاكيا عن نبيه موسى: (فاجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشوكة في أمري)، إلى قوله تعالى: (قد أوتيت سؤلك يا موسى) <sup>(3)</sup> ، وقال تعالى: (وقال موسى لأخيه هارون أخلفني في قومي وأصلح) <sup>(4)</sup> ، والنبي صلى الله عليه وسلم عندما قل قوله تعالى:

(وأذر عشيرتك الأقربين)، قال لهم كما ذكرنا من قبل في رواية صحيحة: " إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم واسمعوا له وأطيعوا "، وعندما اتسعت الدائرة كما ذكرنا قال: " أنت مني بمتولة هارون من موسى "، ثم اتسعت الدائرة فبعثه بسورة راءة وقال كما ذكرنا في رواية صحيحة: " ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي "، وعندما اتسعت قال: " من كنت مولاه فعلي مولاه "، وعلي بحكم نص متولة هارون من موسى. خليفة الرسول في النواة التي تنور حولها القوى والقبائل. ولعلي ابن أبي طالب على الأمة جمعاء فوص الطاعة كما كان لهارون بالنسبة إلى أمة موسى. ومن وحيث طاعته لا يكون مأمورا، وها نحن قد أوردنا نخبة من الأحاديث الصحيحة التي توجب الطاعة. فأبي حجة بعد ذلك.

ولقد قام النبي بتحسين هذه الطاعة فعن عبيد الله بن عباس قال: نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي فقال: يا علي أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة. حبيبك حبيبي. وحببي حبيب الله. وعدوك عوي وعوي عدو الله.

(1) رواه ابن كثير في البداية (346 / 7).

(2) رواه ابن أبي عاصم وقال الألباني إسناده حسن ورجاله ثقات (كتاب السنة 565 / 2).

(3) سورة طه: الآية 36.

(4) سورة الأعراف: الآية 142.

الصفحة 225

والويل لمن أبغضك بعدي <sup>(1)</sup> ، وعن أم سلمة قالت: أشهد أنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أحب عليا فقد أحبني. ومن أحبني فقد أحب الله. ومن أبغض عليا فقد أبغضني. ومن أبغضني فقد أبغض الله <sup>(2)</sup> ، وعن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا علي من فرقني فرق الله ومن فرقك يا علي فرقني <sup>(3)</sup> ، وعن علي قال. قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: " إن الله يغضب لغضبك ويغضب لوزاك <sup>(4)</sup> ، أليس في هذا كله سوق للناس نحو الطاعة؟ وعن عمرو بن شاس الأسلمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: يا عمرو والله لقد آذيتني. قلت: أعوذ بالله أن أؤذيك يا رسول الله. قال: بلى من آذى عليا فقد آذاني <sup>(5)</sup> ، وعن سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن نالوا من علي:

" ما لكم وما لي. من آذى عليا فقد آذاني " <sup>(6)</sup> ، أليس في هذا تحيين للخليفة وسوق للناس إلى صراط المستقيم؟

ألم تجمع الأمة على حديث من كنت مولاه فعلي مولاه؟ فما جزاء من أهان ولي الله وسلطانه؟ قال النبي صلى الله عليه

وسلم: " من أهان لي وليا

(1) رواه الحاكم وقال حديث صحيح على شرط الشيخين. وأبو الأزهر بإجماعهم ثقة. وإذا تفرد الثقة بحديث فهو على أصلهم صحيح. والحديث سمعه يحيى بن معين بن أبو الأزهر فصدقه واعتذر إليه إن كان قد رماه بالكذب (المستدرک 128 / 3) وأورده ابن كثير في البداية 7 / 356

(2) رواه الطواني وقال الهيتمي إسناده حسن (الزوائد 132 / 9).

(3) رواه الزار وقال الهيتمي رجاله ثقات (الزوائد 135 / 9).

(4) رواه الطواني وقال الهيتمي إسناده حسن (الزوائد 203 / 9).

(5) رواه أحمد (الفتح 120 / 23) وقال الهيتمي رواه أحمد والطواني باختصار والزار أصغر منه. ورجال أحمد ثقات،

ورواه ابن حبان (الزوائد 129 / 9)، ورواه ابن أبي شيبه وابن سعد وأحمد والبخري في تزيخه والطواني والحاكم

(المستدرک 122 / 3) (كنز العمال 142 / 13).

(6) رواه أبو يعلى ورجاله ثقات (الزوائد 129 / 9) ومر سابقا.

الصفحة 226

فقد بارزني بالعدوة... (1) ، وقال: " من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله " (2) ، وقال: " أول فرقة تسير إلى

السلطان في الأرض لتذله يذلهم الله قبل يوم القيامة " (3) . وقال صاحب تحفة الأخوازي: من أهان من أعز الله وألبسه خلعة

السلطنة أهانه الله. وسلطان الله في قوله: (إنا جعلناك خليفة في الأرض) (4) فإله هو الذي جعل. وإضافة السلطان إلى الله

أضافت تشريف كبيت الله وناقاة الله (5) ولأنه سلطان الله. فمن خرج من السلطان شوا مات ميتة جاهلية كما ورد في صحيح

البخري (6) . ولأنه هذا السلطان في مركز النواة. فهو العمود الفقري للجماعة ومن فرق الجماعة شوا فمات إلامات ميتة

جاهلية، كما ورد أيضا في البخري (7) ، وعن حذيفة من فرق الجماعة شوا خلع ربيعة الإسلام من عنقه (8) ، فإذا لم يكن هذا

كله تحصينا للخليفة وحثا للناس كي يكونوا يدا واحدة وسوقا لهم نحو الصراط المستقيم. فأي كلام بعد ذلك يجدي؟

" من كنت هولاه فعلي هولاه "، ألا يستشف عن هذا النص إمرة أي إمرة.

فإذا كانت فيه. فكيف نفهم ما رواه البخري عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أطاعني فقد أطاع الله

ومن عصاني فقد عصى الله.

(1) رواه الطبراني وأبو نعيم في الطب عن أبي أمامة. ورواه ابن عساکر عن أنس بلفظ " من أخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة (كنز 229 / 1) ، ورواه أحمد وأبو يعلى والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن عائشة بلفظ " من أذى لي وليا فقد استحل محاربتني " (كنز 230 / 1) ورواه الطبراني عن ابن عباس بلفظ " من عادى لي وليا فقد ناصني بالمحاربة (كنز 231 / 1).

(2) رواه ابن أبي عاصم وقال الألباي حديث صحيح (كتاب السنة 289 / 2) ورواه الترمذي من أبي بكوة (كنز 182 /

(1).

(3) رواه الديلمي عن حذيفة (كنز 215 / 1).

(4) سورة ص: الآية 26.

(5) تحفة الأخوازي 476 / 6.

(6) البخري (الصحيح 222 / 4) ك. الفتن.

(7) البخري ك الفتن (الصحيح 222 / 4).

(8) ابن أبي شيبة (كنز 384 / 1).

الصفحة 227

ومن أطاع أموي فقد أطاعني. ومن عصى أموي فقد عصاني " (1) ، ألا ينطبق هذا النص على أي شيء مما ذكرناه في علي بن أبي طالب؟

والخلاصة: لقد حذر الله تعالى من دائرة البخس التي يعمل بداخلها حكومة دينية تتخذ الدين سترا. وهدف هذه الحكومة رد الذين آمنوا بالله عن دينهم ووضعهم على رضية لا علاقة لها بالصراط المستقيم. وحذر تعالى من دائرة الرجس التي يعم بداخلها طابور خامس تلتقي أهله في الخطوط العريضة مع أهواء حكومة الأحرار وعباوة الأوثان. ولما كانت الحكومة التي تواجهها إلى حكومة. فقد أمر تعالى بأن يكون المؤمنون كلهم يدا واحدة. ولما كان لكل شيء نزوة أعلن النبي ولاية علي بن أبي طالب على رأس الحكومة الدينية. فإذا نظرت ولم تجد الرأس. فلا تسأل في خاتمة الطريق كيف اتبعت الأمة سنن الأولين التي صممها أحرار الحكومة الدينية وأشرف على تنفيذها جميع الخدم والعبيد.

### 5 - خاتمة المطاف عند الحوض يوم القيامة:

بعد أن أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الفتن وكيفية النجاة منها. وبعد أن قام قبل ذلك بإغلاق الباب الذي تهب منه أعاصير الفتن آخذاً بأسباب النجاة مع علمه بأن الأمة مختلفة بعده. فليس معنى أن الموت قد كتب على الإنسان. أن يجلس الإنسان في انتظاره. ولكن عليه أن يأخذ بأسباب الحياة الكريمة التي تحقق له الحياة السعيدة في الآخرة. والنبي قدم كل سبب يؤدي للنجاة من يوم يجد الموء فيه ما قدمت يداه. والذي أخذ بسبب في الدنيا سيتسلقه حتى يرد على الحوض يوم القيامة. وعند الحوض سوى وجوه الجميع ولن ينجو إلا الذي أخذ بالكتاب والعوة، كما أخبر النبي، ومن يشفع له صلى الله عليه وسلم. وذكر ابن ماجة في باب الخطبة يوم النحر

(1) رواه البخاري ك الأحكام (الصحيح 233 / 4) وأحمد بسند صحيح (الفتح 40 / 23) وابن أبي عاصم بسند صحيح (كتاب السنة 507 / 2).

الصفحة 228

ص 629 / 32 أن حديث الحوض كان في حجة الوداع، أي ذكوه النبي يوم أن أمر الأمة أن تأخذ بالكتاب والعوة. ومن العجيب أن بعض الأحاديث قد أشرت إلى رجل يظهر عند الحوض يخبر النبي بما حدث بعده. وفي أحاديث أخرى كشف النقاب عن هذا الرجل لنتبين أنه علي بن أبي طالب الذي زوده الله بخاصية أنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق كما ورد في مسلم وغيره، ولنتتبع الأحاديث حتى نصل إلى ما ذكرنا. روى الشيخان عن سهل. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" أنا فوطكم على الحوض من ورد وشرب ومن شرب لم يظماً أبداً، وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم <sup>(1)</sup> ، وفي رواية عن عبد الله:

" أقول يارب أصحابي أصحابي. فيقال إنك لا تنوي ما أحدثوا بعدك <sup>(2)</sup> ، وفي رواية عن أبو هريرة، فيقول، " إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم لرتوا على أدبلهم القهوى <sup>(3)</sup> ، وفي رواية عن أسماء " فيقال: هل شعرت ما عملوا والله ما وحوا بعدك رجعون على أعقابهم " <sup>(4)</sup> ، وفي رواية عن ابن عباس:

" فيقال: إن هؤلاء لم زالوا مرتدين على أعقابهم منذ فرقتهم " <sup>(5)</sup> .

فهذه الروايات هي صلب هذا الحدث الخطير. وفي روايات أخرى ظهرت الإشارة إلى الرجل. روى البخاري عن أبي هريرة قال. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بينما أنا قائم، إذازرورة، حتى إذا عرفتهم. خرج رجل من بيني وبينهم. فقال: هلم. قلت: أين؟ قال: إلى النار والله. وقلت: وما شأنهم؟

قال: إنهم لرتوا بعدك على أدبلهم القهوى. ثم إذازرورة، حتى إذا عرفتهم.

---

(1) البخاري ك: الدعوات (الصحيح 4 / 141). مسلم ك الفضائل ب الحوض (الصحيح 15 / 53) وأحمد (الفتح 192 / 1).

(2) البخاري ك الدعوات (الصحيح 4 / 141) مسلم ك الفضائل ب الحوض (الصحيح 15 / 59) وأحمد والبيهقي عن ابن سعد (كنز 418 / 14).

(3) البخاري ك الدعوات (الصحيح 4 / 142) ب الصواط.

(4) رواه مسلم عن أسماء وأحمد ومسلم عن عائشة (كنز العمال 419 / 14).

(5) البخاري في تفسير سورة الأنبياء (الصحيح 3 / 160) مسلم (17 / 194).

---

الصفحة 229

خرج رجل من بيني وبينهم. فقال: هلم. قلت: أين؟ قال: إلى النار والله.

قلت: ما شأنهم. قال: إنهم لرتوا بعدك على أدبلهم القهوى. فلا أراه يخلص منهم ألا مثل همل النعم. <sup>(1)</sup> . ففي هذه

الرواية ظهر رجل شاهد عليهم.

وكلما ذهبت زرورة وجاءت أخرى فالرجل شاهد ولا يغادر موقعه. وفي رواية أخرى أشير إلى الرجل بصورة أخرى فعن

أم سلمة " فصوخ صلخ فقال: إنهم قد بدلوا بعدك. فأقول سحقا سحقا " <sup>(2)</sup> ، وفي رواية حددز من هذا الرجل، بأنه بعد النبي

صلى الله عليه وسلم. فعن أم سلمة رضي الله عنها. قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيها الناس بينما أنا على

الحوض. جئ بكم زورا (أي جماعات) فتوقفت بكم الطرق. فناديتكم: ألا هلموا إلى الطويق (أي اقبلوا) فنناداني مناد من بعدي

فقال: إنهم قد بدلوا من بعدك. فقلت: ألا سحقا سحقا <sup>(3)</sup> - وفي رواية - فأقول: سحقا سحقا لمن بدل بعدي (أي بعدا بعدا. أو

مكانا سحقا أو بعيدا) <sup>(4)</sup> .

وينظرة سريعة على بعض الأصناف التي تدخل تحت بند سحق يمكن أن نحدد طبيعة من هو الرجل أو الصلخ أو المنادي

الذي ورد ذكره في الأحاديث.

بمعنى أن المكان الذي به الجاني حتما سجد فيه ما يشير إلى المجني عليه أو إلى الشاهد. فليُنظر في الأصول مرة أخرى. هذا هو حديث الثقلين يوم غدِير خم ورواه غير واحدة وفيه "إني ترك فيكم خليفتين"، وفي رواية "ثقلين" - أحدهما أكبر من الآخر - كتاب الله حبل ممدود من السماء والأرض وعتوتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا - حتى يردا علي الحوض<sup>(5)</sup> - وفي رواية - وإن اللطيف الخبير خبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني

(1) البخاري (الصحيح 142 / 4) ك الدعوات ب الصراط.

(2) رواه أحمد بسند صحيح والطواني (كنز العمال 436 / 14).

(3) رواه أحمد وقال في الفتح إسناد جيد (الفتح الرباني 197 / 1).

(4) فيه إشارة إنهم غير عصاة لأن العاص يشفع له النبي. وهؤلاء أبعدهم.

(5) رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن والطواني عن أبي سعيد، وقال المنوي رجاله موثون (الفتح الرباني 186 /

.(1)

الصفحة 230

فيهما" (1) - وفي رواية: وأنا ترك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور. فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحث على كتاب الله. ورغب فيه. ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي (2) - وفي رواية - إني ترك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعتوتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض. إن الله هلاكي. وأنا ولي كل مؤمن. من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعاد من عاداه (3).

من هذا نعلم أن الأقدام الثابتة عند الحوض يوم القيامة هي الكتاب والعتوة وعلى رأس أهل البيت علي بن أبي طالب. فالشاهد أو المجني عليه في هذه الدائرة. ثم لننظر نظرة سريعة أيضا في أصناف الذين سيقال لهم سحقا لنعرف من أي دائرة هم - عن خباب قال: إنا لنعوذ على باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ننتظره أن يخرج لصلاة الظهر إن خرج علينا. فقال: " اسمعوا " فقلنا:

سمعنا. ثم قال: " اسمعوا " فقلنا: سمعنا. فقال: " إنه سيلي عليكم أمراء فلا تعينوهم على ظلمهم. فمن صدقهم بكذبهم فلن يرد على الحوض " (4) - وفي رواية - اسمعوا. هل سمعتم؟ إنه سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم (5) فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس يورد على الحوض " (6) - وفي رواية - سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم

(1) رواه أحمد وأبو يعلى وابن أبي شيبه وابن سعد عن أبي سعيد (كنز 186 / 1).

(2) رواه مسلم والصحيح (179 / 15) ك فضل الصحابة.

(3) رواه الطواني والحاكم عن زيد بن رُقْم (كنز 187 / 1).

(4) رواه أحمد (الفتح الروباني 30 / 27) وابن أبي عاصم وقال الألباني رجاله ثقات أخرجه أحمد وابن حبان (كتاب السنة 322 / 2).

(5) قال في تحفة الأحراري (فمن دخل عليهم) أي العلماء وغورهم، وأعانهم على ظلمهم) أي الافتاء ونحوه (فليس مني ولست منه) أي بيني وبينهم واءة ونقص ذمة (التحفة 537 / 6).

(6) رواه الترمذي عن كعب بن عجرة وصححه (525 / 4) وقال في تحفة الأحراري أخرجه النسائي وأحمد (التحفة 537 / 6).

الصفحة 231

(1)

بكذبهم وأعانهم على فجرهم فليس مني ولست منه ولا يرد علي حوضي " .

من هذه الأحاديث نرى أن هناك رؤوس وقواعد طواغيت ورعاع. مادتهم الكذب وهدفهم الفجور وبين هذا وذاك (رحماء) وغوغاء، وهؤلاء لا علاقة لهم بالكتاب. لأن الكتاب له هدف. ولا علاقة لهم بالعترة لأن العترة طاهرة وهؤلاء خرجوا من بحوات الفجور والدنس. فطودهم من على الحوض شئ طبيعي.

لأنهم بغضوا الطهر والنقاء. بغضوا حكم الكتاب وحركة العترة. ومن كان شأنه هذا كانت النار مثواه، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار " (2) ، وعن الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " لا يبغضنا أحد ولا يحسدنا أحد إلا دبر يوم القيامة عن الحوض " (3) ، وعن أنس قال صلى الله عليه وآله: " لا يشربه أحد أخفر ذمتي ولا قتل أهل بيتي " (4) ، ألم تقولوا من قبل الحديث الذي ذكرناه عن زيد بن رُقْم قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي وفاطمة والحسن والحسين: " أنا حرب لمن حربتم وسلم لمن سالمتم " (5) ، فلا عجب أن يطولوا عند الحوض. لأن الحجة قامت عليهم في الدنيا فضربوا بها عرض الحائط.

ثم تعود مرة أخرى لنعوف من هو الرجل، أو المنادي، أو الصلخ الذي

(1) رواه ابن أبي عاصم بن كعب بن عجرة وقال الألباني حديث صحيح (كتاب السنة 353 / 2).

(2) رواه الحاكم عن أبي سعيد وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستترك 150 / 3).

(3) رواه الطواني (كنز العمال 104 / 12).

(4) رواه ابن موييه (كنز 426 / 12) وابن عدي (كنز 435 / 14).

(5) تم تخريجه سابقا، رواه الترمذي عن زيد بن رُقْم، والترمذي وابن ماجه والحاكم عن زيد أيضا. وأحمد والطواني

والحاكم عن أبي هريرة. ورواه الضياء بسند صحيح وابن حبان وابن أبي شيبه (الجامع الصحيح 699 / 5) (تحفة الأحراري

372 / 10) (المستترك 149 / 3) (كنز العمال 96، 97 / 12، 640 / 13)، (الفتح الروباني 106 / 22)، (البداية والنهاية



جاء ذكره عند البخاري وأحمد وغيرهما. ولنبداً من عند طود الإبل الغريبة من على حوض النبي. روى مسلم عن أبي هريرة قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لأنودن عن حوضي رجالاً كما تذاذ الغريبة من الإبل " (1) ، ومعناه: كما ينود ساقى الناقة الغريبة عن إبله إذا رادت الشوب مع إبله (2) ، وهذا الحديث من جنس الحديث الذي رواه أحمد عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله غافر إلا من شود على الله شواد البعير على أهله " (3) وبالجملة، بعد النظر في الروايات الواردة في الحوض ونحن نبحت عن الصلوح. وجدنا أنه علي بن أبي طالب عليه السلام.

روى الطواني قال النبي صلى الله عليه وسلم: يا علي معك يوم القيامة عصا من عصي الجنة تنود بها المنافقين عن حوضي (4) . وعن علي قال: أنا أنود عن حوض النبي صلى الله عليه وآله بيدي هاتين القصورتين. الكفار والمنافقين. كما تنود السقا غريبة الإبل عن حياضهم " (5) ، وعن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سألت ربي أن تسقي أمتي من حوضي فأعطاني " (6) .

وروى، إن معاوية بن خديج كان يسب علي بن أبي طالب. يوم أن كان السب ثقافة أمر بها معاوية ابن أبي سفيان. فلقبه الحسن بن علي فقال له: أنت الساب لعلي! أما والله لتؤذن على الحوض. وما أراك أن تؤده. فتجده مشمر الإرار على ساق ينود عنه. لا يأتي المنافقون نود (كذا) غريبة الإبل. قول الصادق المصنوق صلى الله عليه وسلم وقد خاب من افترى (7) .

(1) رواه مسلم (الصحيح 64 / 15) ك الفضائل ب الحوض.

(2) مسلم شوح النووي 64 / 15.

(3) رواه أحمد والحاكم والضياء بسند صحيح (كنز العمال 12 / 16).

(4) رواه الطواني وقال الهيثمي رواته ثقات (الزوائد 135 / 9).

(5) رواية الطواني في الأوسط (الزوائد 135 / 9) (كنز العمال 157 / 13).

(6) رواه شاذان وقال السيوطي لهذا الحديث شاهد (كنز 152 / 13).

(7) رواه ابن أبي عاصم. واختلف أحد رواة الحديث وهو علي بن أبي طلحة. وقال

فالوجل والصلوخ والمنادي الذي جاء ذكره في الروايات عند البخاري ومسلم وأحمد. وهو علي بن أبي طالب وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً " (1) ، وذهب صلى الله عليه وسلم يوماً إلى القبور. فقال فيما رواه الحسن: السلام عليكم يا أهل القبور. لو تعلمون ما نجاكم منه مما هو كائن بعدكم. ثم قال لأصحابه: هؤلاء خير منكم. إن هؤلاء خرجوا من الدنيا ولم يأكلوا من أجرهم شيئاً.

وخرجوا وأنا الشهيد عليهم. وإنكم قد أكلتم من أجوركم ولا أوي ما تحدثون من بعدي (2) ، وروى الإمام مالك أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال لشهداء أحد: هؤلاء أشهد عليهم، فقال أبو بكر الصديق: ألسنا يارسول الله إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بلى، ولكن لا أوري ما تحدثون بعد. فبكى أبو بكر ثم بكى. ثم قال: ائنا لكائنون بعدك<sup>(3)</sup>.

إن الطويق إلى الحوض. هو نفسه الصراط المستقيم... الذي يكافح الشيطان وأعدائه من أجل أن يعوقوا المسيرة البشرية التي خلقها الله لتسير إليه بعبادته سبحانه، والذين ارتنوا على أدبهم القهوى هم في الحقيقة الذي سقطوا في شباك الشيطان. قال تعالى: (إن الذين ارتنوا على أدبهم من بعدما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم)<sup>(4)</sup>، فالارتداد على الأدبار. الرجوع إلى الاستدبار بعد الاستقبال. وهو استعرة رُيد بها الترك بعد الأخذ. وتسويل الشيطان لهم. أي زين لهم ما تحوص النفس عليه. وصور القبيح لهم

الألباني: إن علي بن أبي طلحة سالم مولى بني العباس، وأخرج له مسلم وأصحاب السنن إلا الترمذي. وهو ليس مولى بني أمية كما وقع في الإسناد واتفق عليه الإمامان أحمد بن حنبل وأبو حاتم (كتاب السنة 2 / 261).

(1) رواه مسلم (كنز 408 / 11).

(2) رواه ابن المبارك عن الحسن موسلا (كنز 179 / 11).

(3) موطأ مالك. كتاب الجهاد ص 371.

(4) سورة محمد: الآية 25.

الصفحة 234

في صورة الحسن. والطرد من على الحوض عقوبة شديدة يتنوقها الذين ارتنوا على أدبهم قبل أن ينوقوا عذاب النار. قال تعالى: (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)<sup>(1)</sup>. فقد بين تعالى جزاء عمل هذا النمط البشري وعاقبة أمرهم بقوله تعالى: (أولئك لهم اللعنة وسوء الدار " واللعن: الإبعاد من الرحمة والطرد من كل كرامة. وليس ذلك إلا لانكبابهم على الباطل ورفض الحق النزل من الله، وليس للباطل إلا الوار.

إن للمؤمنين سبيل فمن سلكه شرب ونال الثواب العظيم. ومن رتد القهوى فله الجهة التي رتد إليها، قال تعالى: (ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصوا)<sup>(2)</sup>، وقيل: العواد بمشاقة الرسول بعد تبين الهدى. فخالفته وعدم إطاعته. وعلى هذا فقله: " ويتبع غير سبيل المؤمنين " بيان آخر لمشاقة الرسول.

والعواد بسبيل المؤمنين. إطاعة الرسول. فإن طاعته طاعة لله. قال تعالى: (من يطع الرسول فقد أطاع الله)<sup>(3)</sup>.

(1) سورة الرعد: الآية 25.

(2) سورة النساء: الآية 115.

## سادسا - غروب الشمس والقمر

مما سبق علمنا متولة علي بن أبي طالب. فهو من بني هاشم كالقمر في كبد السماء. وفي الحديث الصحيح قال النبي صلى الله عليه وسلم لبني هاشم: " إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا " <sup>(1)</sup> ، ومن بني هاشم اخترق هذا التكليف والأمر جدار القبيلة. إلى دار الأمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبا أمته " علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي " <sup>(2)</sup> ، وقال: " من كنت مولاه فعلي مولاه " <sup>(3)</sup> ، وقال لعلي: " أنت مني بمتولة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي " <sup>(4)</sup> ، إلى غير هذا من الأحاديث التي تلقنتها الأمة بالقبول وصحتها علماء الحديث.

فعلي بن أبي طالب له مكانه الواضح الظاهر في منطقة المركز. ثم في جميع مناطق الاتساع التي تنشأ نتيجة لحركة الدعوة. وهذا المكان تم تأمينه بوضع علامات تحذيرية من حوله. كي يعلم كل من يريده بسوء أن الأمر لن يكون سهلا عندما يقف التابع والمتوع أمام الله تعالى يوم القيامة. ويكفي من

( 1 ) حديث قوله تعالى: (وأُنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) رواه أحمد وابن جرير وصححه والطحاوي والضياء بسند صحيح، وتم تخريجه من قبل راجع (كنز العمال 129 - 133، 174، 175 / 13) (الفتح الرباني 23 / 122) (المستدرک 3 / 35).

( 2 ) تم تخريجه والحديث صحيح راجع (جامع الترمذي 635، 636 / 5) (كنز العمال 599، 636 / 5).

( 3 ) تم تخريجه والحديث صحيح راجع (الفتح الرباني 213 / 21) (كنز العمال 609 / 11، 134 / 13) (المستدرک

110 / 3) (الزوائد 104 / 9).

( 4 ) رواه مسلم وغوه وتم تخريجه من قبل راجع (صحيح مسلم 174 / 15).



علامات التحذير قوله صلى الله عليه وسلم لعلي وفاطمة والحسن والحسين:

" أنا حرب لمن حربتم وسلم لمن سالمتم " (1) ، وخطابه صلى الله عليه وسلم أمته قائلا: " أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي.

أذكركم الله في أهل بيتي " (2) .

ولما كان من مهام الإنسان خلافة الله في الأرض - فإن هذه المهمة في جوهرها مادة للابتلاء. وعلى امتداد التاريخ الإنساني. رفضت أقوام الأنبياء والرسول. وكان العمود الفقري للرفض أنه من بين هذه الأقوام من كان زعم أنه الأجدر والأحق بقيادة المسورة. وهذا في حد ذاته خروج عن واجب الخلافة.

وترتب على هذا الزعم أن انحرقت قوافل الضلال وتاهت في أودية عبادة المادة بجميع أشكالها - وظهر في الوجود آلهة من الأصنام والأوثان والبشر. ومن ينظر بتدبر تحت أقدام هذه الآلهة المتعددة. يجد أن السبب الرئيسي لوجودها هو رفض خليفة الله في الأرض. وإذا عدنا بالذاكرة إلى الخلف لنلتقط مشهد وحركة من أعماق الوجود لنجد به على ذلك. فلنقف أمام قصة آدم عليه السلام وموقف الشيطان الرجيم منه فآدم عليه السلام خليفة. والشيطان خرج على هذه الخلافة. ولكل منهما منهاج له مقدمة وعليها نتيجة.

والأمة الخاتمة بين لها رسولها صلى الله عليه وسلم المقاعد الأولى فيها. وذلك كما بينا من قبل. ولما كان التشويح مبنيا على أساس أنه لا إجماع في دين الله. وأنه لا إجماع في الأفعال. وإن التكليف مجعولة على رفق مصالح العباد في معاشهم ومعادهم أولا، وهي متوجهة إلى العباد من حيث أنهم مختارون في الفعل والتوك ثانيا. والمكلفون إنما يثابون أو يعاقبون بما كسبت أيديهم من خير أو شر اختيارا. فإنه لا معنى للقول بأن التكليف أهمل مصالح العباد في تعيين الخليفة الذي يسوق الناس إلى الله تعالى، ويعبر بهم الحياة الدنيا

(1) رواه أحمد وتم تخريجه من قبل راجع (المسند 2 / 242) (المستدرک 3 / 149) والحديث صحيح.

(2) رواه مسلم وتم تخريجه من قبل. راجع (صحيح مسلم 179 / 15).

بما يوافق الكمال الأخروي الحياة الدائمة الحقيقية. وكيف يهمل التكليف هذا.

وفي الإهمال إلغاء لآدم وبرنامج آدم، وفي الإلغاء ضياع للسعادة الحقيقية التي لا يصل الإنسان إليها. إلا عندما يكون مؤمنا بالله وكافوا بالطاغوت. وبضياع السعادة الحقيقية يفسد دين الإنسان الفطري ولا تتعادل قواه الحسية الداخلية. وعندما يفسد الدين الفطري يميل الإنسان إلى قرة من القوى ويتبعها. ويؤدي هذا الميل إلى طغيان تلك القوة. ويعلو هبل بل ألف ألف هبل.

ولا معنى أيضا للقول بأن الإنسان خلقه الله تعالى كحصاة في الطويق تلهو بها كل قدم. وإن على عباقرة القبائل في كل

عصر أن يستخدموه في أي عمل شاعوا كيف؟ وهل جاءت الأصنام والأوثان إلا من طريق الفواعنة والقياصوة والأكاسوة. أصحاب المقاعد الأولى التي زخرف الشيطان حولها. إن التسليم لفقهِ الحصى الذي تلهو به كل قدم. يعني إبطال معرفة الحسن من القبيح.

ويعطل الثواب والعقاب. وكيف يكون هذا والتكاليف متوجهة إلى العباد من حيث أنهم مختارون في الفعل والترك. ويتأب المكلفون أو يعاقبون بما كسبت أيديهم من خير أو شر اختيلاً. والقآن الكريم أخبر بأن الكفار والمشركين سيعتفون يوم القيامة بأنهم إنما أشركوا واقتروا المعاصي بسوء اختيلهم واغترلهم بالحياة الدنيا، إن فقه الحصى وضعه علماء الشنوذ والتوفيع ليخدم سياسة الاحتتاك لأن من أبوابه دخل الجلائون ليملسوا واجب الاستكبار الذي نور أوتاده الشيطان. وفقه الحصى والحجزة مهمته تزيير أعمال المنافقين والفساق والمشركين والكفار. ونسي عباقرة هذا الفقه أن الله تعالى عندما تروأ من المشركين لم يتروأ سبحانه من خلق نواتهم أو ألوان بشوتهم. وإنما تروأ من شركهم وقبائحهم. وتحت سقف التزيير دخل علماء الحجزة من باب القضاء والقدر. ومن هذا الباب قتلوا المقاومة والتصدي للشر عند أكثر الناس: بحجة أن الله أجبر العباد على أفعالهم. أو أن الأنبياء والرسول عليهم السلام قد يريدون لنبيهم أن يكونوا على المقاعد الأولى في أمهم. ولكن الله تعالى يريد غير ذلك لأن الناس سواسية كلهم لآدم وآدم من تراب. ولهذا سبق القضاء وجاء الفواعنة والقياصوة. لقد كان هذا الباب من فقه الحصى والحجزة. من أخطر الأبواب

الصفحة 238

على المسورة البشوية. وكيف يجلس الفواعنة في دائرة الفحشاء والمنكر ثم يقال بعد هذا إن الله أمر بذلك؟ إن الونامج الذي يأمر بالسوء والفحشاء حذر الله تعالى الجنس البشوي منه. وما قال أتباع هذا الونامج ذلك إلا ليحتوا وراء جدار من الرينة ليغوا الناس ويدعونهم إليه. أما القول الحق في هذه المسائل ما روي عن الإمام الصادق. وقد قيل له: هل فوض الله الأمر للعباد؟ فقال: إن الله أكرم من أن يفوض إليهم. فقيل له: فأجبر الله العباد على أفعالهم؟ قال: الله أعدل من أن يجبر عبدا على فعل ثم يعذبه عليه. وروي عنه أنه قال: إن الله عز وجل رُحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذبهم عليها والله أعز من أن يريد أمرا فلا يكون. وعنه قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من زعم أن الله يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله. ومن زعم أن الخير والشر بغير مشيئة الله فقد أخرج الله من سلطانه.

وبيان هذا كله فيما روي عن الإمام الرضا. قال: إن الله عز وجل لم يطع بأكواه. ولم يعص بغلبة ولم يهمل عبادة في ملكه هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقرهم عليه فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله منها صادوا ولا منها مانعا. وإن ائتمروا بمعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحل فعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه. ثم قال الإمام الرضا: من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه - أي من جادله.

لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أين المركز من الدائرة. وأحاط أمته علما بأن اختيار الأمة سيكون حول هذا المركز.

ونهى عن إيذاء أهل المركز أو حربهم وأمر بالالتفات حولهم. واختبار الناس بالناس سنة إلهية جلية. قال تعالى: (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) <sup>(1)</sup> ، وقال تعالى: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا

(1) سورة الأنعام: الآية 53.

الصفحة 239

وليعلمن الكاذبين) <sup>(1)</sup> ، ففي الآيات موتكوات ووائر. وحول هذا وذاك يجري الامتحان الذي سيقرب عليه الثواب أو العقاب. قال تعالى: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) <sup>(2)</sup> ، وبما أن الأمة الخاتمة من الناس وعليها يجري الاختبار. وبما أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر بما هو كائن وما سيكون. وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهلها حتى لا يكون للناس على الله حجة. فإننا سنلقي الضوء هنا على معالم العقبات التي لم تمكن أهل البيت من القيام بواجب الخلافة.

وفي البداية إذا سألنا: ما هي العوامل التي أدت إلى ابتعاد أهل البيت عن القيادة، رغم ما أحيط حولهم من مناقب وتبشير وتحذير؟ فإن الإجابة لا بد لها من مقدمة. نقول فيها: إن الأمور الماضية يتعذر الوقوف على عللها وأسبابها. ولا يعلم حقائقها إلا من شاهدها ولا بسها. وكما قال ابن أبي الحديد: بل لعل الحاضرين المشاهدين لها. لا يعلمون باطن الأمر فيها... ولأن الأمر كذلك.

فنحن هنا نقوم بترتيب المعلومات لاستنتاج المجهولات ونستعمل مقدمات حقيقية يقينية لاستنتاج معلومات تصديقية واقعية. وفي مجال البحث عن الحقيقة نعلم أن الأمور إذا اشتبهت اعتبر آخرها أولها أي يقاس آخرها على أولها فحسب البدايات تكون النهايات، وعمودنا الفقوي في البحث هنا الحديث الشريف، وفيه نسلط الضوء على التريخ وحركته وتحت الضوء تظهر المعلومات وبحديث آخر ترتب هذه المعلومات، وفي النهاية نحصل على مقدمة حقيقية يقينية على ضوءها يفتح التريخ أبوابه لنستنتج المعلومات التصديقية الواقعية.

والمقدمات الحقيقية التي يمكن أن يستند عليها لاستنتاج الأسباب التي أدت إلى إبعاد أهل البيت عن مملسة واجب الخلافة مقدمات كثيرة. ولكننا سنسلط الضوء على وجه المجتمع وألا فعلى الوجه ترى ما نريده من مقدمات.

(1) سورة العنكبوت: الآية 2 - 3.

(2) سورة آل عمران: الآية 142.

الصفحة 240

## 1 - من معالم الغروب:

بيننا فيما سبق أن الصحابة قوم من الناس. لهم ما للناس وعليهم ما عليهم. ليس لهم على غوهم من المسلمين كبير فضل إلا

بمشاهدة الرسول ومعاصوته لا غير . بل وربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غوهم . لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات .  
ويكفي أن فيهم اثني عشر رجلا حربا لله ولرسوله في الحياة الدنيا . وإن فيهم أصحاب المسجد الضرار . وفيهم من قال فيهم عمر  
بن الخطاب عندما استأذنه الزبير في الغزو : ها أنا ممسك بباب هذا الشعب أن يتفوق أصحاب محمد في الناس فيضلوهم .  
وسنذكر بعض الآيات الكريمة .

التي تبين حاله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كيف كانت . وقد بينا ذلك ونحن نتحدث عن دائرة الوجس والذين في  
قلوبهم مرض لأن هؤلاء هم أصحاب المصلحة في عوقلة الطويق وإضلال الناس . وهؤلاء كان لهم موقف ثابت من الرسول  
ودعوته على امتداد الزمان . وبما أن علي بن أبي طالب أقرب الناس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه أخذ القسط الأكبر  
من العداء ووضع الواقيل أمام خطاه . ونحن لن نعوف حجم هذه الواقيل . إلا إذا وضعنا أيدينا على طبيعة القوم في عهد  
النوة . فتخاذلهم وحبهم للدنيا والرسول في وسطهم .

يفسح الطويق لفهم تخاذلهم وحبهم للدنيا عندما جاء نور علي بن أبي طالب .

وآيات تخاذلهم في الحروب كثرة في كتاب الله . فالقآن يشهد بأنهم التوا عليه صلى الله عليه وسلم يوم بدر وكوهوا لقاء  
العدو حتى خيف خذلانهم وذلك قبل أن تتراءى الفئتان . قال تعالى : ( كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين  
لكلوهن \* يجادلونك في الحق بعدما تبين لهم كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون )<sup>(1)</sup> ، قال المفسرون : المعنى : إن الله  
تعالى حكم في أمر الأنفال بالحق مع كراهتهم لحكمه . كما أخرجك من بيتك بالمدينة إخراجا يصاحب الحق . والحال أن فريقا  
من المؤمنين لكلوهن لذلك ينزلونك في الحق بعدما تبين لهم إجمالا . والحال إنهم يشبهون جماعة يساقون إلى

(1) سورة الأنفال: الآية 5 - 6 .

الصفحة 241

الموت . وهم ينظرون إلى ما أعد لهم من أسبابه وأنواته... ومن هذا نعلم أن المجتمع كان فيه من يجادل في الحق . وعلى  
هذا لا يكون من العسير أن يجادل هؤلاء علي بن أبي طالب أو غوه إذا كانوا قد جادلوا الرسول .

ويوم أحد شهد القآن أنهم عصوا أمره صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم ، حيث أقامهم على الشعب في الجبل . وهو

الموضع الذي خاف أن تكرر عليه منه خيل العدو من ورائه . وهم أصحاب عبد الله بن جبير . فإنهم خالفوا أمره وعصوه فيما

تقدم به إليهم . وروى أصحاب التفاسير أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم : " إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا توحوا حتى أرسل

إليكم " ولكنهم غيروا في الغنيمة عندما شاهدوا النساء يشتتون على الجبل وقد بدت أسواقهن وخلخلهن رافعات ثيابهن<sup>(1)</sup> .

ففلقوا مركوهم ، حتى دخل الوهن على المسلمين بطويقهم . لأن خالد بن الوليد كر في عصابة من الخيل فدخل من الشعب

الذي كانوا يحرسونه فما أحس المسلمون بهم إلا وقد غشوهم بالسيوف من خلفهم فكانت الهزيمة . وذلك قوله تعالى : ( حتى إذا

فشلتم وتتلعتم في الأمر وعصيتم من بعدما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة )<sup>(2)</sup> ، وعن ابن مسعود

قال : ما كنت رى أن أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا . حتى قول فينا ما قول يوم أحد<sup>(3)</sup> .

والذين يحبون الدنيا لا يمكن بحال أن يلتقوا مع علي بن أبي طالب على خط واحد له هدف واحد. والذين يحبون الدنيا لم تنته حياتهم. بموت الرسول صلى الله عليه وآله. بل استمر عطوهم على خنادق الصد حربا لله ولرسوله في الحياة الدنيا. ولم تكن المعصية يوم أحد فقط. وإنما كانت أيضا في غزوة تبوك. فبعد أن أكد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم الأوامر. خذلوه وتكروه. كما بينا من قبل أساليبهم في ضوب القوة العسكرية للدعوة. وهذا

(1) تفسير ابن كثير 414 / 1.

(2) سورة آل عمران: الآية 152.

(3) تفسير ابن كثير 413 / 2.

الصفحة 242

النمط البشري قول فيه قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض لرؤيتكم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل)<sup>(1)</sup>، وهذه الآية خطاب مع المؤمنين لا مع المنافقين. وفيها أوضح دليل على أن أصحابه المصدقين لدعوته كانوا يعصونه ويخالفون أمره وهذا النمط المتخاذل عاتبهم الله ووبخهم بقوله تعالى: (لو كان عرضا قريبا وسوا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون)<sup>(2)</sup>.

كان هذا في ميادين القتال، وفي داخل المسجد لم يختلف الأمر كثيرا.

فالذين أحبوا الدنيا في المعركة أحبوا أيضا والرسول صلى الله عليه وسلم قائم يخطبهم يوم الجمعة. وهذا إن دل على شيء. فإنما يدل على الاستهانة بما هو من أعظم المناسك الدينية. ويكشف أنهم لم يقدرها حق قورها ولا قولها متولتها. ولقد اتفقت الروايات على أنه ورد المدينة غير معها تجلة وذلك يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فزوب أصحاب التجلة بالطبل والدف لإعلام الناس. فانفض أهل المسجد إليهم وتكروا النبي قائما يخطب وذلك في قوله تعالى: (وإذا رؤوا تجلة أو لها انفضوا إليها وتكوك قائما)<sup>(3)</sup>، أيستبعد على هذا النمط بعد ذلك أن يصادر الحكمة والبلاغة وأن يتوك من هو دون الرسول إذا قام فيهم أو ساقهم إلى ما فيه سعادتهم الحقيقية.

ومن داوة حب الدنيا تنتقل إلى داوة تفسير النصوص وفيها فوى أن العديد منهم كان يفتح أبواب الرأى والنبي في وسطهم. ولقد حنرهم النبي من هذا.

لأن هذا الباب إذا فتح فسيدخل منه أمور لم يرد لها ذكر في الكتاب والسنة.

روى الإمام مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع أصوات رجلين اختلفا في آية. فخرج يعرف في وجهه الغضب وقال:

"إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في

(1) سورة التوبة: الآية 38.



(2) سورة التوبة: الآية 42.

(3) البخاري ك البوع (الصحيح 2 / 2) ابن كثير في التفسير 367 / 4.

الصفحة 243

الكتاب " (1) ، وفي رواية عند الإمام أحمد قال النبي لبعض أصحابه: " ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض. بهذا أهلك من كان قبلكم " (2) ، وروى الإمام مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: " أيتلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم " (3) ، وروى ابن أبي عاصم أنه قال لهم: " ألهدا خلقتم؟ أم بهذا أمرتم.

لا يضربوا كتاب الله بعضه ببعض. انظروا ما أمرتم به فاتبعوه وما نهيتم عنه فاجتنبوه " (4) ، وروى الدارقطني: إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من باب البيت وهو يريد الحرة. فسمع قوما يتزاجعون بينهم في القآن. يقولون:

ألم يقل الله في آية كذا وكذا. فقال لهم: أبهذا أمرتم. أبهذا عنيتم إنما هلك من قبلكم بأشباه هذا ضربوا كتاب الله بعضه بعضا أمركم الله بأمر فاتبعوه ونهاكم عن شيء فانتهاوا (5) .

فهل انتهوا؟ إن التريخ يقول إن المسوة شهدت لأي أعلاما. واتفق على أن الصحابة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم. أطبقوا إطباقا واحدا على ترك كثير من النصوص لمارأوا المصلحة في ذلك. كإسقاطهم سهم نوي القوي وإسقاط سهم المؤلفه قلوبهم. وهذان الأمران يدخلان في باب الدين وفيهما نصوص صريحة. وقد عملوا بآرائهم أمورا لم يكن لها ذكر في الكتاب والسنة.

وعملوا بمقتضى ما يغلب في ظنونهم من المصلحة. ولم يقفوا مع مولد النصوص حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعد فوج كثير منهم القياس على النص، حتى استحالت الشريعة وصار أصحاب القياس أصحاب شريعة جديدة. وأكثر ما يعملون بآرائهم فيما يجري مجرى الولايات والتأشير والتدبير وتقدير قواعد الدولة. وما كانوا ليقفوا مع نصوص الرسول صلى الله عليه وسلم وتدبيراته

(1) مسلم ك العلم (الصحيح 218 / 16).

(2) أحمد عن ابن عمر (كنز العمال 193 / 1).

(3) مسلم (الصحيح 175 / 1).

(4) ابن أبي عاصم. وقال الألباني إسناده حسن وأخرجه أحمد وابن ماجه (كتاب السنة 177 / 1).

(5) الدارقطني وابن عساكر (كنز العمال 383 / 1).

الصفحة 244

إذارأوا المصلحة في خلافها. كأنهم كانوا يقيدون نصوصه المطلقة بقيد غير مذكور لفظا، وكأنهم كانوا يفهمونه من قرائن أحواله. وتقدير ذلك القيد " افعلوا كذا إن رأيتموه مصلحة " (1) ، وهكذا حذر النبي من تأول غير الواسخين في العلم. لأن تأولهم يفتح الأبواب للذين في قلوبهم زيغ. فيدقون أوتاد الفتنة ويقومون خيام الهلاك التي أقيمت من قبل للأمم السابقة. وكما

حذر النبي من الرأى والتأويل الذي لا يستند على كتاب الله وسنة رسوله. حذر أيضا من السلوك في طريق الخشوع الزائف. لأن هذا النوع من الخشوع من فضيلة ضوب كتاب الله بعضه ببعض. فأصحاب الخشوع الزائف شربوا من إناء الذين في قلوبهم زيغ. ولأن حركة أصحاب الخشوع الزائف تضيق الطويق أمام أصحاب الخشوع الحق. بتأبيس الأمور على الناس فإن النبي صلى الله عليه وآله عاتب أصحاب هذا الخشوع ووبخهم وذمهم في أكثر من موضع. روى الإمام البخاري أن النبي صلى الله عليه وآله رخص في أمر فتوه عنه ناس من الناس فبلغ ذلك النبي فغضب ثم قال: ما بال أقوام يتتوهون عن الشئ أصنعه.

فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية<sup>(2)</sup> ، وروى الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى مكة فصام حتى بلغ كراع الغميم<sup>(3)</sup> وصام الناس معه فقيل له: إن الناس قد شق عليهم الصيام وإن الناس ينظرون فيما فعلت. فدعا بقدر من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون إليه. فأفطر بعضهم وصام بعضهم. فبلغه أن ناسا صاموا فقال: أولئك العصاة<sup>(4)</sup> ، وروى الإمام أحمد: إن النبي صلى الله عليه وسلم وعظ الناس. فرفع رجل صوته بالبكاء. فقال النبي: من هذا الذي لبس علينا إن كان صادقا شهر نفسه وإن كان كاذبا محقه الله<sup>(5)</sup> ، وروى أحمد أيضا عن ابن الأروع قال: انطلقت مع

(1) ابن أبي الحديد 807 / 3.

(2) البخاري ك الآداب (الصحيح 66 / 4) مسلم (الصحيح 90 / 5).

(3) موضع بين مكة والمدينة.

(4) الترمذي وصححه (الجامع 80 / 3).

(5) أحمد في كتاب الورع ص 79.

الصفحة 245

رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا على رجل يصلي مجهوا بالقآن. فقال النبي: عسى أن يكون هوائيا. قلت: يصلي يجهر بالقآن!!<sup>(1)</sup> ، فتك النبي صلى الله عليه وسلم يدي ثم قال: إنكم لن تتألوا هذا الأمر بالمغالبة<sup>(2)</sup> .

وروى الإمام مسلم أن النبي صلى الله عليه وآله أتم ذات ليلة العشاء حتى رقد الناس واستيقظوا. فجاء عمر بن الخطاب

وأذر الناس بالصلاة وصاح: الصلاة. وفي رواية: قال عمر: نام النساء والصبيان. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما كان لكم أن تتنروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة "، وذلك حين صاح عمر<sup>(3)</sup> ومن الطريف قول بعضهم: أن

صياح عمر كان لغيرة على الدين وذلك عندما وجد أن النبي لم يخرج للصلاة وأن النساء والصبيان قد ناموا.

وروى الإمام البخاري ومسلم أن رجلا اشكى للنبي أن يتأخر عن الصلاة من أجل فلان<sup>(4)</sup> الذي يطيل بهم في الصلاة.

فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أيها الناس إن منكم منوفين. فأيكم ما صلى بالناس فليوجز فإن فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة<sup>(5)</sup> ، من هذا نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم واجه كل صور الخشوع الزائف أو المبالغ فيه أو الذي لا يستمد

وقوده من النبي صلى الله عليه وسلم. وذلك لأن تحت هذه المظلة تنتعش تركية النفوس. وتركية النفوس بغير حق واضح.

سلاح فعال يستخدم في أعمال الصد عن سبيل الله.

فأصحاب داؤة الذين في قلوبهم مرض أوزيغ إذا ضربوا كتاب الله بعضهم ببعض. احتمى تلاعبهم بالنصوص بملابس الخشوع الوائف. وهنا تكمن الخطورة. ونزوة التحذير من هذا النمط البشوي. كانت فيما رواه أبو سعيد

(1) أي إنه رجل صالح.

(2) رواه أبو يعلى وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (الزوائد 632 / 6).

(3) مسلم عن عائشة وابن عمر كتاب المساجد. وقت العشاء (137 - 138 / 5 الصحيح) (4) في رواية أنه معاذ بن

جبل.

(5) رواه البخاري كك الأحكام (الصحيح 236 / 4).

الصفحة 246

الخوي. أن أبا بكر رضي الله عنه. جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال: يا رسول الله: إنني مررت بوادي كذا وكذا، فإذا رجل تخشع حسن الهيئة يصلي. فقال له النبي: اذهب إليه فاقتله.

فذهب إليه أبو بكر. فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتله. فوجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله رأيت

يصلي متخشعا فكوهت أن أقتله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر: اذهب فاقتله. فذهب عمر فآه على تلك الحال التي رآه

أبو بكر فكوه أن يقتله فوجع فقال: يا رسول الله رأيت يصلي متخشعا فكوهت أن أقتله فقال النبي:

يا علي اذهب فاقتله فذهب فلم يره فوجع علي فقال: يا رسول الله إنني لم أراه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن هذا

وأصحابه يقعون القرآن لا يجاوز تراقيهم يعرفون من الدين كما يعرف السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم

في فوقه فاقتلوهم هم شر البرية (1).

وهذا الرجل المتخشع الحسن الهيئة هو ذو الندية. وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله. وكان النبي صلى الله عليه

وسلم قد رأى هذا الملق من قبل في المسجد كما في حديث أنس عند أبي يعلى. ويومئذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله

ولكن خشوعه غر الشيخين أبو بكر وعمر. كان هذا في المرة الأولى. ثم جاءت الثانية عندما رآه أبو بكر يصلي في بعض

الأودية. فأخبر النبي فأمره فورا بقتله. وفي هذا دليل على أن الخاشع محكوم عليه من قبل. ولكن رياء هذا الملق بتخشعه في

صلاته غر بشيخين مرة أخرى فوها قتلته وأثا استحياءه. والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم من ربه أن هذا الخاشع

الملق سيكون له فقه خاص به مهمته الصد عن الإسلام بالإسلام وعن الكتاب بالكتاب.

ولما كان الأمر متعلقا بالإسلام وكتابه فإن الله تعالى أخبر رسوله أن نهاية هذا الملق ستكون بيد أعلم الناس بالأعلام

وكتابه علي بن أبي طالب.

ولقد قاتله علي بن أبي طالب فيما بعد وهو بين أتباعه. وعندما قتله أعلن على قواته الحقيقة الكوى ومفادها أن هذا الرجل

لم يكن إلا شيطان من

الشياطين. وذلك فيما ذكره ابن كثير أن سعد بن أبي وقاص قال بعد موقعة النهروان " قتل علي بن أبي طالب شيطان الودهة " (1) ، وقال علي بعد الموقعة:

" أخونني خليلي صلى الله عليه وآله وسلم أنهم ثلاثة أخوة من الجن هذا أكرهم " (2) ، وظهور الشياطين على هذه الصورة أمر غير مستغرب. فلقد روى الإمام مسلم " إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث " (3) . وروى مسلم أيضا: " إن في البحر شياطين مسجونة أوتقها سليمان يوشك أن تخرج فتقوا على الناس وأنا " (4) ، ولما كان ظهور الشياطين حقيقية. ولما كانوا سيحدثون الناس بأحاديث يكذبون فيها على رسول الله. ويقاؤون عليهم وأنا ليشتمل الجدال ويأتي الاختلاف والافتراق. كما في قوله تعالى: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) (5) ، ولما كانوا سيظهرون بلباس الخشوع ويصلون وسوف يعتر بخشوعهم الكثير. كان من عدل الله تعالى أنه قطع الطريق عليهم بتحديدته تعالى داوة الطهر التي يجلس فيها الذين أذهب الله عنهم الرجس وطوهم تطهروا، وأهل هذه الداوة لا يكذبون كما أنهم أعلم الناس بكتاب الله. ولقد فرض الله مودتهم. وأهل هذه الداوة يتعاملون مع الدنيا على أنها قنطرة إلى الآخرة. ولا يأكلون في الدنيا إلا ما فوضه الله لهم من سهم ذي القربى كما أنهم دخلوا داوة الأمان وذلك لإخيلهم أنهم سيكونون مع النبي صلى الله عليه وآله عند الحوض، وسيكونون معه في مكان واحد في الجنة. من هذا كله يمكن القول بأنه يستحيل عليهم أن يكذبوا فأبي غنيمة ينالوها إذا كذبوا. أما الشياطين وأتباعهم فالكذب نقطة رنكاز في نفوسهم. لأنهم

- (2) رواه أحمد وقال في فتح البلي سنده جيد وله شاهد من حديث جابر عند أبي يعلى ورجاله ثقات (فتح البلي 299 / 12) ، وأخرجه الحاكم (المستترك 4 / 533).
- (3) رواه مسلم (الصحيح 9 / 1 ط اسطنبول).
- (4) رواه مسلم (الصحيح 10 / 1 ط استانبول).
- (5) سورة الأنعام: الآية 121.

ويودون وإذا أعطوا لا يشبعون فالنبي أمر بقتل الملق يوم إن كان متخشعا في صلاته. وكان يعلم من ربه أن هذا الملق له يوم مؤجل وما فعل النبي هذا إلا من باب الأخذ بالأسباب.

بعد أن علم أن الأمة ستختلف وتفترق من بعده. ولقد أخذ صلى الله عليه وسلم بالأسباب فحذر الناس من الإمرة لأنه علم أن الأمة ستسند الأمر إلى غير أهله. وحذر من بني أمية ونفى الحكم بن أبي العاص لما علم من ربه ما يضموه للدعوة.

وبعد أن شاهدتهم ينزرون على منوه نزو القودة. ويوم فتح مكة. أهدر النبي دم عبد الله بن أبي السوح وأمر بقتله ولو وجد متعلقا بأستار الكعبة. وذلك عندما علم من ربه أن ابن أبي السوح ستجري على يديه فتن تقود إلى فتن حالكة الظلام. فماذا فعلوا مع ابن أبي السوح. لقد فر هذا الرجل إلى أخيه من الوضاعة عثمان بن عفان. وغيبه عثمان عنده حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما اطمئن أهل مكة. فاستأمنه له فصمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طويلا. ثم قال: نعم فلما انصرف عثمان قال النبي لمن حوله: ما صممت إلا ليقوم إليهم بعضكم فيضوب عنقه فقال رجل: فهلا أومأت إلي يا رسول الله. فقال النبي: إن النبي لا ينبغي أن يكون له خائنة أعين<sup>(1)</sup> ، وبعد وفاة النبي قرى ذو الثدية وابن أبي السوح وبني أمية وبني الحكم وراء أشجار الوينة. يدنون فقههم بعد أن محيت آثار التحذير منهم وذلك عندما منع الفروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه رواية الحديث. وألغي سهم المؤلفلة قلوبهم الذي ضوبه الله على ضعاف الإيمان المنافقين وأشباههم ليعرفوا به. لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ بالأسباب رغم علمه بأن الذي يطلب من الله دفعه عن الأمة. واقع لا محالة لأن الله أعلم بالقلوب وأعلم بالطريق الذي ستختلره كل نفس من النفوس. والأخذ بالأسباب رغم هذا العلم. هو في حقيقته تعلق بالله. لأن الله نسب الهداية في كل مكان إلى نفسه

(1) راجع ترجمة ابن أبي السرح (الإستيعاب 378 / 2، الإصابة 309 / 2، أسد الغابة 173 / 3).

الصفحة 249

بصورة مطلقة. وأمر النبي صلى الله عليه وسلم، براءة دماء واحد من الناس بالإضافة إلى أنه أخذ بالأسباب. إلا أنه أيضا يدب الحياة في جسد التحذير بمعنى أن الناس عندما يعلمون أن فلانا قد استباح النبي صلى الله عليه وسلم دمه أو نفاه. فإن التحذير يكون إعلاما على رأس المحذر منه فيتعامل معه الناس بحرص ولا يملكوه أعناقهم. فالأخذ بالأسباب من ناحية الرسول هو تحذير وحجة في نفس الوقت.

مما سبق يمكن للباحث أن يرى صفحة المجتمع الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم - وعلى هذه الرؤية يمكن القول بأن الصحابة قوم من الناس لهم ما للناس وعليهم ما عليهم. فيهم من يحب الدنيا ويعمل لها. وفيهم من يحب الآخرة ويعمل لها. وفيهم من كان يتلعب بالنصوص ويضوب كتاب الله بعضه ببعض. وفيهم أصحاب الخشوع الخيالي الوائف. ومن هؤلاء شيطان من الشياطين تلون وتشكل وزين وزخرف ثم جاءت ضوبه فيما بعد من سيف العمود الرئيسي لداؤة الطهر فؤدته قتيلا. ومن هذا كله يمكن أن نلقي بالقبول أن علي بن أبي طالب قد واجه صعوبات جمة وأن طريقه قد وضع عليه العديد من العقبات. ولم تكن العقبات تأتيه من جانب هؤلاء فقط. وإنما جاءت أيضا من الأوباب اتباع كل ناعق. الذين لا يعرفون من دينهم شيئا. وهؤلاء جاء ذكهم فيما رواه البخاري عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم وقال: " ما أظن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا "<sup>(1)</sup> ، وروى الترمذي والإمام أحمد أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم عندما مروا بسورة: يا نبي الله اجعل لنا ذات أواط كما للكفار ذات أواط وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسورة ويعكفون حولها. فقال النبي: " الله أكبر. هذا كما قلت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة. إنكم تكونون سنن من قبلكم "<sup>(2)</sup> ، وقولهم هذا كان في العام الثامن

(1) البخاري (الصحيح 61 / 4) ك الآداب ب، يكون من الظن.

(4)

(2) رواه الترمذي وصححه (الجامع 475) وأحمد وابن جرير وابن أبي حاتم (تفسير ابن كثير 243 / 2) وابن أبي

عاصم وقال الألباني حديث صحيح (كتاب السنة 38 / 1) والشافعي والبيهقي (كنز العمال 170 / 11).

الصفحة 250

الهجوي. أي قبل وفاة النبي بسنتين ونصف تقريبا. فهؤلاء الذين لا يعرفون من الدين شيئا. والذين يريدون ذات أنواع.

هؤلاء أنماط بشرية لا يمكن تجاهل وجودها عند قراءة صفحة المجتمع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

## 2 - زعر على أعتاب الغروب:

على صفحة المجتمع قدمنا حقيقة يقينية، حملتها إلينا أحاديث صحيحة.

وهذه المقدمات شهدت لها حركة التزيخ بعد ذلك بأنها صحيحة. وذلك لأن النتيجة في النهاية استقامت مع المقدمات في

البداية. ولا نقصد بحركة التزيخ هنا ما دونه المؤرخون فقط. وإنما حركة التزيخ عندنا هي التي يرشد إليها حديث صحيح

أخبر فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالغيب عن ربه. فنحن نمسك بأحاديث الإخبار عن الغيب ونمر بها على حركة

التزيخ. ولا تعتمد في بحثنا أن الأحداث التي انطبق عليها الحديث الصحيح. وكما قدمنا مقدمات جرت على صفح المجتمع

أيام الرسول صلى الله عليه وسلم. فإننا نقدم هنا أيضا حدثا لا يمكن تجاهله ونحن نبحث عن العواقل التي وضعت أمام علي

بن أبي طالب. وهذا الحدث يحمل معالم الذعر من علي بن أبي طالب.

ومما سبق علمنا أن دائرة الوجس وأصحاب المسجد الضوار عندما عزم النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرج إلى تبوك

وترك عليا في المدينة، أشاع أصحاب دائرة الوجس أن النبي استنقله وخلفه بين النساء والصبيان. وكان هدفهم من وراء هذا

أن يخرج علي بن أبي طالب مع النبي حتى تخلوا المدينة أمام مخططات ملك الروم ومشركي العرب وأصحاب المسجد

الضوار. ولكن النبي رد كيدهم في نحرهم وقال لعلي: " أنت مني بمؤلة هارون من موسى... " الحديث. وعند عودة النبي

من تبوك حدثت محاولة اغتياله بواسطة اثني عشر رجلا هم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا. ومعنى أنهم حرب أي أنهم

أصحاب مخططات يتعاملون مع الأحداث وفقا للزمان والمكان. ولا يمكن بحال أن يكون علي بن أبي طالب بعيدا عن

مخططاتهم في حياة الرسول وبعد مماته.

لأن الحديث الصحيح أفاد بأنهم حرب على امتداد الحياة الدنيا. والمعروف أن

الصفحة 251

أصحاب المخططات الحربية. يجيئون تحديد أعدائهم بدقة وبسعة وبتوكيز.

وسبب ذلك أن الله جعلهم في زعر دائم. وقد وصفهم الله في كتابه فقال: (لو يجدون ملجأ أو مغزات أو مدخلا لولوا إليه

وهم يجمعون) (1) فهم في خوع ووع وهلع وفي ازعاج دائم من ضرر متوقع. وإنهم لدفع هذا الضرر لو يجدون حصنا

يتحصنون به وحرزا يتحرزون به أو مغترات في الجبال أو نفق في الأرض لأسوعوا في ذلك لا يصفهم عنه شيء. فهذا النمط البشري في فزع من المستقبل ولهذا فهم في حرب مع كل مستقبل.

والذين في قلوبهم مرض أو زيغ كانوا يعلمون أن السماء لن تضربهم بعقاب ما دام النبي صلى الله عليه وسلم فيهم لقوله تعالى: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) (2) ، فالعذاب لا يضربهم ما دام الرسول فيهم. ولا يضربهم العذاب إذا استغفروا لذنوبهم وتابوا وعانوا إلى الوحاب الآمن. فإذا قبض الله تعالى رسوله إليه. فإنهم سيقفون تحت قانون هذه الآية: (فإما نذهبن بك فإننا منهم منتقمون...) (3) ، ويبقى الاستغفار لمن أراد أن يستقيم. لقد علموا ذلك في العهد النبوي. علموا أنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. وسيكون العقاب منهم أؤب. ولكن على يد من سيكون هذا العقاب؟ لقد كان في ذاكرتهم حدث وحديث. يمكن عليهما رصد حامل العقاب الذي يدخوه المستقبل لهم. روى ربعي بن حراش الذي قال فيه الإمام الترمذي: سمعت الجارود يقول: سمعت وكيعا يقول. لم يكذب ربعي بن حراش في الإسلام كذبة (4) ، روى ربعي عن علي أنه قال: لما كان يوم الحديبية خرج إلينا ناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو وأناس من رؤساء المشركين. فقالوا: يا رسول الله. خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقائنا وليس لهم فقه في الدين. وإنما خرجوا فورا من أموالنا وضياعنا. فلأردهم

(1) سورة التوبة: الآية 57.

(2) سورة الأنفال: الآية 33.

(3) سورة الزخرف: الآية 41.

(4) الإمام الترمذي (الجامع 634 / 5).

الصفحة 252

إلينا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإن لم يكن لهم فقه في الدين سنقتلهم، يا معشر قريش لتنتهين أو ليبعثن الله عليكم من يضوب رقابكم بالسيف على الدين. قد امتحن الله قلبه على الإيمان. قالوا: من هو يا رسول الله؟ وقال أبو بكر: من هو يا رسول الله؟ وقال عمر: من هو يا رسول الله. قال: هو خاصف النعل - وكان قد أعطى عليا نعله يخصفها (1) ، وفي رواية بسند صحيح أيضا. قالوا: يا محمد إنا جوانك وحلفائك. وإن ناسا من عبيدنا قد أتوك ليس بهم رغبة في الدين ولا رغبة في الفقه. إنما فروا من ضياعنا وأموالنا فلأردهم إلينا. فقال النبي لأبي بكر: ما تقول؟ قال: صدقوا إنهم لجوانك وأحلافك.

فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال لعمر: ما تقول؟ قال:

صدقوا أنهم لجوانك وحلفائك. فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا معشر قريش والله ليبعثن الله عليكم

رجلا قد امتحن الله قلبه بالإيمان.

فيضوبكم على الدين، أو يضوب بعضكم. فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله. قال:

لا. قال عمر: أنا يا رسول الله. قال: لا ولكنه الذي يخصف النعل - وكان أعطى عليا نعلا يخصفها (2) .

فالذاكرة عند القوم تحمل حدث وحديث. والقرآن أخوهم أنه بعد وفاة الرسول سيكون هناك انتقام لا محالة. وكما تحسوا رقابهم عندما علموا يوم الحديبية. إن لهم يوماً من علي بن أبي طالب. تحسوها أيضاً عندما علموا بتفسير قوله تعالى: (فإما تذهبن بك فإننا منهم منتقمون)، قال السيوطي في الدر المنثور. أخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: (فإما تذهبن بك فإننا منهم منتقمون) قال: تولت في علي بن أبي طالب أنه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي، وروى علي وحذيفة في قوله تعالى: (فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان

(1) رواه الترمذي وصححه (الجامع 634 / 5) والخطيب وابن جرير وصححه والضياء بسند صحيح (كنز العمال 115، 173 / 13).

(2) رواه أحمد وابن جرير وصححه والضياء بسند صحيح وسعيد بن منصور (كنز 127، 173 / 13).

الصفحة 253

لهم<sup>(1)</sup>، ما قوتل أهل هذه الآية بعد<sup>(2)</sup>، وهذه الآية في سورة واءة التي تولت بعد غزوة تبوك آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(3)</sup>، فإذا كان هناك قتال يدخه الغيب بعد آخر غزوة عواها النبي صلى الله عليه وسلم. فلا جدال أن أصحاب دائرة الوجدس سيبحثون كثراً عن حصون يتحصنون بها أو حرزا يتحرزون به أو مغلات في الجبال أو نفقا في الأرض لدفع هذا الضرر عنهم. ولا يمكن للباحث المنصف أن يستبعد عامل الذعر هذا عند البحث عن العوائق التي وضعت في طريق علي بن أبي طالب.

ويضاف إلى هذا عامل آخر. فالقوم كان فيهم من حذر النبي صلى الله عليه وسلم منه. وفيهم من دعا النبي عليه ولعنه وفيهم من نفاه وفيهم من أحل دمه. روى الإمام مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم كسني يوسف اللهم العن لحيان ورعلا وذكوان وعصية<sup>(4)</sup>، وفي رواية عند أبي نعيم: "والعن أبا الأعر السلمي"<sup>(5)</sup>، وفيما سبق بينا أنه لعن الحكم بن أبي العاص ونفاه وأحل دم عبد الله بن أبي السوح وذو النديبة. فهذا الطابور كله كانت لهم ثقافة يشقون بها طويقا في إتجاه السلطة لإعادة مجدهم الوائل الذي أطاحت به الدعوة الإسلامية. فكان لا بد من وضع عقبات يكون من نتائجها التعقيم على هذه الروايات حتى تندثر في عالم النسيان.

وكان الطويق إلى ذلك لا يمر إلا بتخطي علي بن أبي طالب ثم الكذب بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقد كانت هذه الأنماط البشوية تعمل من أجل رسم طويق حذر النبي صلى الله عليه وسلم منه. وهذا الطويق الذي اختاروه من على موائد الخوف والذعر والحسد والبغض. يستند علوة على ما

(1) سورة التوبة: الآية 12.

(2) (أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن علي وحذيفة (كنز 426 / 11) (الدر المنثور 214 / 3) (البداية والنهاية

(2 / 339).

(3) (البداية والنهاية 35 / 5).



(4) رواه مسلم.

(5) رواه أبو نعيم (كنز 82 / 8).

الصفحة 254

ذكرونا على عدوة قديمة بين عبد شمس وبين بني هاشم. فقديمًا كانت هناك عدوات بين حرب بن أمية وبين عبد المطلب بن هاشم. وفي عهد النبوة قدمت الدعوة رداء الأرحام كي تدخل تحته قريش لا فوق بين هذا وذاك. ولكن أبو سفيان لم ينصت لصوت الرحمة وحسد محمد صلى الله عليه وسلم وحربه وبعد فتح مكة ظل الطريقان متباغضان وإن وقفوا على أرض واحدة. ولقد اتفق أن علي بن أبي طالب قتل جماعة كثرة من بني عبد شمس في حروب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأكد هذا بغضهم لعلي وسؤى فيما بعد أن الأحداث تقر بذلك.

باختصار: كان هناك خوف وذعر وطلب ثأر. وكان هناك من استحدث سن علي بن أبي طالب. وكان هناك من خاف من شدة وطأته وشدته في دين الله. وكان هناك من يبغضه فقط لقوبه من رسول الله. وكان هناك من كره اجتماع النبوة والخلافة في بيت واحد، وكان خلاص هؤلاء. أن تتداول الخلافة بين قبائل العرب وأن لا تقتصر على بيت مخصوص. فتكون لكل قبيلة وفقًا لهذا التصور بابا مفتوحا يصل بهم إلى كوسي الخلافة. وهذا الطريق يقف في النهاية تحت مظلة يكون فيها مال الله ولا ودينه دخلا وعباده خولا. وهو الطريق الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم.

من هذا كله لا يمكن القول أن مجموعة الحرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا. تتحرك بدون خطة تمهد لها ثقافة، ولأن هذه الثقافة لا بد أن تنتشر بين عامة المسلمين. كان لا بد إما الكذب على رسول الله أو التلعب بكتاب الله وضرب بعضه ببعض. والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم أن الكذب عليه واقع لا محالة. ولقد صوح في أكثر من مكان في حجة الوداع وقال: " من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " (1) ، بل وكان يعلم من ربه بالخطة التي تضعها مجموعة الحرب لله ولرسوله. قال تعالى: (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية

(1) رواه البخاري وغيره (الصحيح 93 / 1).

الصفحة 255

(الرسول) (1) ، لقد أخبر تعالى عن ثلاثة جرائم: الإثم والعدوان ومعصية الرسول. والإثم هو: العمل الذي له أثر سئ. والعدوان هو: العمل الذي فيه تجوز إلى الغير مما يتضرر به الناس ويتأثرون. والإثم والعدوان يدخلان تحت عنوان معصية الرسول. ولكنه تعالى أورد معصية الرسول لتشمل مخالفته فيما أمر به أو نهى عنه. مما له من ولاية أمورهم لأنه صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

لقد نهوا عن النجوى وإن لم تشتمل على معصية. ولكنهم خالفوا. وكان هؤلاء من المنافقين والذين في قلوبهم مرض وقيل: إن اليهود كانوا طرفا في هذه النجوى. وشمول اليهود في الآية فيه خفاء. وقد بين سبحانه أن التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول. تنتهي إلى الشيطان، قال تعالى: (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا...) (2) ، وروي في تفسير هذه الآيات

أن خط الحرب كان هدفهم القضاء على الدعوة، وكان لهذا الهدف ثقافة عرفت باسم " العقدة " أو " الصحيفة " ويمكن أن يرى الباحث هذا العقد إذا تدبر الحوار بين المهاجرين والأنصار بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وإذا نقب في الأحداث بعد ذلك على امتداد العهد الأموي. ويمكن القول بأن قوافل الذعر والحسد والذين كرهوا أن تجتمع الخلافة والنوبة في بيت واحد. تعاقبوا فيما بينهم على ورقة ثقافية يبثوها على العامة الذين يحبون الدنيا والذين ظلوا أن يكون لهم ذات أنواط والذين لا يعلمون من دينهم شيئاً والذين يبحثون عن أمجاد الآباء وغير ذلك مما أوردنا عند البحث عن صفحة المجتمع. وأن العمود الفقري لهذه الثقافة هو:

إن الله بعث محمداً رسولاً إلى الناس كافة. ومحمد لم يستخلف أحداً من بعده. وما قاله في علي بن أبي طالب له تأويلات كثرة عند العرب. والنبي جعل الاختيار إلى المسلمين يختارون لأنفسهم من وثقوا وأبوه. والرسول لم يستخلف

---

(1) سورة المجادلة: الآية 8.

(2) سورة المجادلة: الآية 10.



أحدا. لئلا يجري ذلك في أهل بيت واحد فيكون لثا دون سائر المسلمين ولئلا يكون دولة بين الأغنياء منهم. ولئلا يقول المستخلف أن هذا الأمر باق في عقبه من ولد إلى ولد إلى يوم القيامة. والذي يجب على المسلمين عند مضي خليفة من الخلفاء. أن يجتمع نوي الوأي والصلاح يتشاوروا في أمورهم. فمن رآه مستحقا لها ولوه أمورهم وجعلوه القيم عليهم. فإنه لا يخفى على أهل كل زمان من يصلح منهم للخلافة. فإن ادعى مدع من الناس جميعا. إن رسول الله استخلف رجلا بعينه نصبه للناس ونص عليه بإسمه ونسبه. فقد أبطل في قوله.

وأنتى بما لا يعرفه أصحاب رسوله الله وخالف جماعة المسلمين. وإن ادع مدع أن الخلافة لا تصلح إلا لرجل واحد من بين الناس وأنها مقصورة فيه. ولا تتبغى لغره لأنها تتلو النبوة. فقد كذب. لأن النبي قال: " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " وإن ادع مدع أنه يستحق الإمامة بوقبه من رسول الله. ثم هي مقصورة عليه وعلى عقبه ولا تصلح لغوهم. فليس له ولا لولده وإن دنا من النبي نسبه. لأن الله يقول: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، وقال رسول الله: " إن ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم وكلهم يد على من سواهم. فمن آمن بما جاء في كتاب الله وأقر بما قال به رسول الله فقد استقام وأتاب وأخذ بالصواب. ومن كره. فقد خالف الحق والكتاب وفرق جماعة المسلمين فاقتلوه. فإن في قتله صلاحا للأمة ". وقد قال النبي: " من جاء إلى أمتي وهم جميع فوقهم فاقتلوه. إن هذه الثقافة روى وجهها بوضوح في عهد بني أمية. يوم أن حافظوا على الكرسي بقتال أمير المؤمنين علي، ويوم قتل الحسين، ويوم ضرب المدينة بعد أن خرج أهلها على يزيد بن معاوية. ولم تخرج قوات يزيد من المدينة يوم الحرة إلا بعد أن بالت الخيل بين الروضة والمنبر وبعد أن بايع أهل المدينة ليزيد على أساس أنهم عبيد له الحق أن يبيع فيهم ويشتوي. وتوى هذه الورقة أيضا على امتداد زمن ولاد مروان بن الحكم طويد رسول الله. وكان بعض الصحابة يعرفون الخطوط الرئيسية لما اتفق عليه القوم وما سمي بالعقدة. ومنهم حذيفة وأبي بن كعب. وروى أبو بكر أحمد بن عبد

العزيز (1) في كتابه السقيفة عن الواء بن عزب. إنه كان في جماعة منهم المقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وسلمان الفارسي وأبو ذر وحذيفة والهيثم بن التيهان وذلك بعد وفاة الرسول الله صلى الله عليه وسلم. وإذا حذيفة يقول لهم: والله ليكونن ما أخبرتكم به والله ما كذبت ولا كذبت. وإذا القوم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين. ثم قال: انثوا أبي بن كعب. فقد علم كما علمت، قال: فانطلقنا إلى أبي. فضربنا عليه بابه حتى صار خلف الباب. فقال: من أنتم؟ فكلمه المقداد فقال: ما حاجتكم؟ فقال له: افتح عليك بابك، فإن الأمر أعظم من أن يجوي من وراء حجاب. قال: ما أنا بفاتح بابي وقد عرفت ما جئتم له. كأنكم أردتم النظر في هذا العقد. فقلنا: نعم فقال:

أفيكم حذيفة؟ فقلنا: نعم، قال: فالقول ما قال. وبالله ما أفتح عني بابي حتى تجوي على ما هي جرية ولما يكون بعدها شر منها وإلى الله المشتكى (2).

كان هذا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة. وفي عهد عمر بن الخطاب على أصح الروايات عزم أبي أن يتكلم في الذي لم يتكلم فيه بعد وفاة الرسول. وكان يقول: هلك أهل العقدة ورب الكعبة ألا لا عليهم آسى ولكن آسى على من يهلكون من المسلمين (3) ، وفي رواية قال: لأقولن قولا لا أبالي استحييتموني عليه أو قتلتموني " (4) ، ووعد أن يكشف الحقائق أمام الناس يوم الجمعة. وجاء يوم الأربعاء والجميع ينتظرون موعد أبي. ولكن يوم الأربعاء جاء بخبر أليم. قال قيس بن عباد: رأيت الناس يموجون.

فقلت: ما الخير؟ فقالوا: مات سيد المسلمين أبي بن كعب. فقلت: ستر الله على المسلمين حيث لم يقر الشيخ ذلك المقام (5) ومات أبي في خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أصح

(1) أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري.

(2) ابن أبي الحديد نقلًا من كتاب السقيفة 312 / 1، كتاب سليم بن قيس ص 74.

(3) رواه أبو نعيم في الحلية في الإمام أحمد.

(4) ابن سعد (الطبقات الكبرى 501 / 3) والحاكم باختصار (المستدرک 229 / 2، 303 / 3).

(5) ابن جرير في المستدرک ص 28.

الصفحة 258

(1) الروايات (2) وقيل مات في خلافة عثمان .

وكان هناك العديد من الصحابة يخافون من رواية بعض الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله. من هؤلاء أبو هريرة. قال فيما رواه البخاري " حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين فأما أحدهما فبثنته وأما الآخر فلو بثنته قطع هذا البلعوم " (3) ، وقال: " إنني لأحدث أحاديث لو تكلمت بها في زمان عمر أو عند عمر لشجر رأسي " (4) ، وكان حذيفة يقول:

" لو كنت على شاطئ نهر وقد مددت يدي لاغترف فحدثتكم بكل ما أعلم ما وصلت يدي إلى فمي حتى أقتل " (5) .

ولقد وجدنا في المقدمة نمطا بشويا يحب الدنيا ويضرب كتاب الله ببعضه ببعض ويتوك رسول الله قائما وينقض من حوله. ورأينا قبل ذلك نواتر عديدة مهمتها الصد عن سبيل الله. بملابس الخشوع الزائف ثم وجدنا أنماطا بشوية وامجها حرب الله ولرسوله في الحياة الدنيا. وأنماطا تنطلق من أرض القبائلية والعصبية هدفها إعادة مجدزائل وأنماطا بشوية تخترن في ذاكرتها معركة في المستقبل تطيح بوقابهم فعملوا بكل ما لديهم من قوة وفكر من أجل الاحتماء وراء الجدر ومن وراء الجدر بثوا ثقافة تمهد لمجيئهم. كانت هذه مقدمات حقيقة. ترتب عليها نتائج أقرها الحديث الصحيح وحركة التاريخ. واستقامت هذه النتائج من هذه المقدمات على خط واحد.

3 - القولات الأخيرة للنبي صلى الله عليه وآله:

مما سبق علمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه: " أن لا يلبس

(1) وهو قول ابن حبان وابن عبد البر (الإصابة 16 / 1).

(2) وهو قول ابن سعد (الطبقات 202 / 3).

(3) البخاري ك العلم (الصحيح 34 / 1).

(4) ابن كثير في البداية 107 / 8.

(5) ابن عساكر (كنز العمال 345 / 13).

الصفحة 259

أتمه شيئا"، وفي رواية: " أن لا يجعل بأسهم بينهم " فأبى عليه، وفي رواية " فمنعنيها " (1)، وعلم من ربه أن الأمة ستختلف وتفترق من بعده وستركب سنن الأولين شوا بشير ونواعا بزواع. ووفقا لهذا الإخبار كان صلى الله عليه وسلم يأخذ بالأسباب ويلح على ربه جل وعلا. وفي كل هذا تعلق بالله الذي بيده مصير الأمور. وخلال الأيام الأخوة للنبي صلى الله عليه وسلم. اتخذ قرأت وكان القوم يعرفون أنه ملاقي الله تعالى لا محالة في العام الحادي عشر الهجري. وذلك لأنهم سمعوا مقالته لهم في حجة الوداع " لعلني لا ألقاكم بعد عامكم هذا " وسمعه يوم غدير خم يقول: " إنني أوشك أن أدعى فأجيب " وعندما تولى قوله تعالى: (إذا جاء نصر الله والفتح)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نعتت إلي نفسي " فقال ابن عباس: " فإنه مقبوض في تلك السنة " (2) فلاريب أن الجميع كانوا يعلمون أن النبي صلى الله عليه وآله مفرق الدنيا. ولا جدال أن الأواد والجماعات يحب كل منهم أن يفلقه النبي وهو عنهم راض. فينفذون أوامره بدقة ولا يتخاذلوا بأي صورة من الصور. ونحن هنا سنسلط الضوء على قرأت ثلاثة أصدورها النبي صلى الله عليه وسلم وأيامه الأخوة لوى كيف كانت الصورة التي سنعتها مقدمة حقيقية يقينية ليستنتج منها طالب العلم معلومات تصديقية واقعية.

### أولا - الأمر الواقى من الضلال:

لقد علم النبي من ربه أن الاختلاف والافتراق واقع. وعلى فاش المرض أخذ النبي بالأسباب. وطلب من الحاضرين وكان فيهم عمر بن الخطاب. أن يأتوه بواة وكتف ليكتب لهم كتابا لا يضلون بعده. فهذا أمر صريح مقدمته تستقيم مع نتيجته. فهو صلى الله عليه وسلم يريد أن يكتب حتى لا يضلوا.

فماذا حدث؟ عن جابر بن عبد الله قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم دعا

(1) رواه مسلم كتاب الفتن (14 / 18 الصحيح) وأحمد (الفتح الرباني 215 / 23) والترمذي (الجامع 472 / 4).

(2) قال ابن كثير تود به الإمام أحمد (التفسير 562 / 4).

الصفحة 260

عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتابا لا يضلون بعده. فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها (1) فهذا الحديث حدد

الزمن " عند موته " وحدد الطلب " صحيفة ليكتب فيها كتابا " وحدد هدف الكتاب " لا تضلون بعده " وحدد الذي خالف " فخالف عليها عمر بن الخطاب " .

وفي رواية عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب. قال النبي صلى الله عليه وسلم: " هلم أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده. فقال عمر: إن النبي قد غلبه الوجد وعندكم القآن. حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا. منهم من يقول: قوبوا يكتب لكم النبي صلى الله عليه وسلم كتابا لن تضلوه بعده. ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وسلم قال النبي: " قوموا " (!!) فكان ابن عباس يقول: إن الزبية كل الزبية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغتهم <sup>(2)</sup> ، وفي رواية: قال عمر: إن النبي غلبه الوجد وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلوا وأكثروا اللغظ فقال النبي: " قوموا عني. ولا ينبغي عندي التتوع " ، فخرج ابن عباس يقول: إن الزبية كل الزبية ما حال بين رسول الله وبين كتابه <sup>(3)</sup> .

وفي رواية لابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس <sup>(4)</sup> ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء ثم قال: اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه يوم الخميس فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا.

(1) رواه الإمام أحمد (الفتح الرباني 22 / 225) وابن سعد (الطبقات 2 / 243) والطبري (تاريخ الأمم 193 / 4).

(2) رواه البخاري كالموض (الصحيح 4 / 7) ومسلم ط استنبول (الصحيح 5 / 76) ، وأحمد (الفتح 22 / 191) وابن سعد بلفظ: وغموارسول الله. فقال: قوموا عني (الطبقات 2 / 244).

(3) رواه البخاري (الصحيح 2 / 32).

(4) كان اشتداد المرض يوم الخميس وكانت الوفاة يوم الاثنين.

الصفحة 261

فتتلعوا ولا ينبغي عند نبي تتلوع فقالوا: هجر رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه " <sup>(1)</sup> .

وقال في لسان العرب في معنى هجر: إذا جعلت إخبلا " هجر " فيكون المعنى أما من الفحش أو الهذيان. أما إذا كان على سبيل الاستفهام كقولهم " أهجر " يكون المعنى: هل تغير كلامه واختلط. وقال ابن الأثير: والقائل كان عمر بن الخطاب. والذي يليق بعمر أن يكون قد استفهم <sup>(2)</sup> . وبالنظر فيما ورد نجد أن المسلمين الذي حضروا سماع الأمر افتروا في الدار. لقد وقع الاختلاف بين قولين. قول النبي وقول عمر! وحيل المسلمون بينهما فوجح قوم هذا. إن المهم هنا أن القوم سوا بين النبي وبين عمر وجعلوا القولين مسألة خلاف ذهب كل فريق إلى نصوة واحد منهما.

ولقد اعتذر العديد لعمر بن الخطاب. فقال النووي في شرح مسلم: إن قول عمر حسبنا كتاب الله من قوة فقهه ودقيق نظره لأنه خشى أن تكتب أمور ربما عجزوا عنها فاستحقوا العقوبة لكونها منصوطة! ولكن السندي في شوح البخاري كان له قول آخر قال: إن الأمر الصادر يفيد أنه أمن من الضلال فالكتاب الذي يريد الرسول أن يكتبه سبب للأمن من الضلال وروام

فكيف يخطر على باب إنسان أنه سيترتب عليه عقوبة أو فتنة أو عجز. أما قوله:

" حسبنا كتاب الله " لأنه تعالى قال: (ما فوطنا في الكتاب من شيء)، ويقول:

(اليوم أكملت لكم دينكم)، فكل من الآيتين لا يفيد الأمن من الضلال ويؤام الهداية للناس، ولو كان كذلك لما وقع الضلال

ولكن الضلال والتفويق في الأمة قد وقع بحيث لا يوجب رفعه كما أن النبي لم يقل لهم: إن مراده أن يكتب لهم الأحكام حتى

يقال على ذلك: إنه يكفي فهمها من كتاب الله. ولو فرض أن مراد

(1) رواه البخاري له الوصايا (الصحيح 178 / 2) ومسلم (الصحيح 76 / 5)، وأحمد (الفتح الرباني 224 / 21).

(2) ( لسان العرب ص 4619 وقال أبو حامد الغوالي في كتابه سر العالمين أن القائل كان عمر، وقال هذا أيضا سبط ابن

الجزري في تذكرة الخواص ص 62.

الصفحة 262

النبي كان كتابة بعض الأحكام، ففعل النص على تلك الأحكام منه صلى الله عليه وآله وسلم سبب للأمن من الضلالة. وعلى هذا فلا وجه لقولهم " حسبنا كتاب الله " بل لو لم يكن فائدة النص ليس إلا الأمن من الضلال لكان مطلوباً جداً ولا يصح تركه للاعتماد على أن الكتاب جامع لكل شيء وكيف والناس محتاجون إلى السنة أشد احتياج مع كون الكتاب جامعاً وذلك لأن الكتاب وإن كان جامعاً إلا أنه لا يقدر كل أحد على الاستخراج منه، وما يمكن لهم استخراج منه لا يقدر كل أحد على استخراج منه على وجه الصواب. ولهذا فوض الله لرسوله البيان مع كون الكتاب جامعاً فقال تعالى لنبيه: (لتبين للناس ما أوتى إليهم)، ولا شك أن استخراج صلى الله عليه وآله من الكتاب على وجه الصواب يكفي ويغني في كونه نصاً مطلوباً لنا لا سيما إذا أمرنا به. ولا سيما إذا وعد على ذلك الأمن من الضلال. فما معنى قول حسبنا كتاب الله بعد ذلك <sup>(1)</sup> ، ويبدو أن السندي كان يورد على النووي فيما ادعاه.

أدلى العديد من الباحثين بدلوهم. فقال بعضهم: إذا تأملت قول النبي صلى الله عليه وآله: " أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده "، وقوله: " إنني ترك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: أحدهم أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعقرتي أهل بيتي " <sup>(2)</sup> ، تعلم أن العرمي في الحديث واحد. وقال البعض: من ألم بأطراف حديث " هجر رسول الله " يقطع بأنهم كانوا عالمين أنه إنما يريد أمر يكوونه ولذا فاجلؤوه بهذه الكلمة وأكثروا عنده اللغو واللغظ كما لا يخفى. وكان هناك إصراً حتى لا يكتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما أراد أن يكتبه الأمر الذي جعل بعض نساء النبي يتحدثن من وراء حجاب <sup>(3)</sup> ، وقالوا كما في الحديث: " اثقوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحاجته. فقال عمر: اسكتن فإنكن صوابه إذا مروض عصوتن

( 2 ) رواه الترمذي وحسنه (الجامع 663 / 5).

( 3 ) القائلة هي أم المؤمنين زينب كما جاء في رواية عند ابن سعد (الطبقات 242 / 2).

الصفحة 263

أعينكم وإذا صح أخذتن بعنقه. فقال النبي: هن خير منكم" (1).

وبقي سؤال: لماذا لم يصر النبي على كتابة الصحيفة. والإجابة: لأنهم جروه من العصمة من الضلال بقولهم: " هجر " لقد أراد أن يكتب لهم كتابا يكونوا به في مأمن الضلالة، فقالوا: الكلمة التي بها يصبح الكتاب مصدر ضلالة فلو كتب الكتاب بعد هذه الكلمة لشكك الذين في قلوبهم مرض في كل مكتوب بعد ذلك حتى كتاب الله. ولهذا قال لهم فيما رواه ابن عباس بعد أن قالوا أن نبي الله ليهجرك: فقيل له ألا نأتيك بما طلبت، فقال صلى الله عليه وسلم: أو بعد ماذا!!! (2) ، وهناك سبب آخر. وهو أنه صلى الله عليه وآله قد علم من ربه أن الاختلاف واقع لا محالة. ولقد رآهم النبي يختلفون في أمر أصوره داخل حجته. فوجوا بين قوله وبين قول عمر وكثر اللغظ. والله تعالى أعلم ماذا كان سيحدث لو أصر النبي على كتابة الصحيفة أثناء هذا اللغو واللغظ. ولقد اكتفى صلى الله عليه وسلم بما أمر به وحذر منه على امتداد رسالته.

ودعنا نفترض أن الرسول قد كتب ما يريد. فهل تمنع الكتابة هذه الأنماط البشوية التي يعلمها الله من الكف عن مخططاتها. كلا! لقد كانوا سيعملون في وجود الصحيفة نفس علمهم في عدم وجودها. والقآن الكريم كشف عن أنماط بشوية إذا جاءهم الرسول بآية ظاهرة. قالوا في ظهرها ما كانوا سيقولونه في عدم ظهرها يقول تعالى: (ولقد ضربنا للناس في هذا القآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون \* كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) (3) ، بل إن القآن كشف عن نمط بشوي رأوا أن يبذلوا كلام الله ليكون وفقا لما يريدون قال تعالى: (سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذونها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبذلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلك قال الله من قبل) (4) ، إن النبي أخذ بالأسباب وهو يعلم أنه لن يمكن من كتابة

(1) رواه الطبراني في الأوسط (كنز 644 / 5) وابن سعد (الطبقات 244 / 2).

(2) رواه ابن سعد (الطبقات 242 / 2).

(3) سورة الروم: الآية 58، 59.

(4) سورة الفتح: الآية 15.

الصفحة 264

الصحيفة. كما أمر من قبل يقتل ذو الندية وهو يعلم أن هذا الملق لن يقتله الشيخان أبو بكر وعمر. وإن له يوما في بطن الغيب وأخبر النبي بهذا اليوم. وأمر بقتل ابن أبي السرح وهو يعلم أن أحدا لن يقتله وأن عثمان بن عفان سيخفيه في دراه وهي نفس الدار التي حاصوها



الذين ظلمهم بن أبي السوح.

ونفى الحكم بن أبي العاص، وعندما طلب بعض الصحابة أن يقتلوه، رفض وأخوهم أن في صلبه نزية الويل لأمتهم منهم واكتفى بنفيه حتى أعاده عثمان في عهده.

إن الأحداث تجري بمشيئة الله. وما فعل النبي أمرا إلا بإذن من الله. وكل حدث يجري كان من وراءه هدف ومن وراء الهدف حكمة. وعالم الفتن عالم عميق. وأعظم الفتن هي التي تأتي من مكان يستبعد الناس أن تأتي منه الفتن. وما فعله النبي من طرد الحكم وأمره بقتل ذي النديّة وغير ذلك يكون اختبرا لمن عاصر الحدث وتحذوا لهم ولمن بعدهم. وعليه تأتي أحداث يتوتب عليها امتحان. وهذا من حكمة الوجود. ألم تر أن الله تعالى قبل أن يخلق آدم أخبر سبحانه ملائكته أن آدم مخلوق ليمرّس واجب الخلافة في الأرض. ولكن آدم لم يهبطه الله إلى الأرض عقب خلقه مباشرة. وإنما كان بين الخلق وبين الهبوط وأمر ونواهي وأحداث توتب عليها أن آدم هبط إلى الأرض باختباره وليس قهرا.

والرسول حذر وأمر ونهى وفي علم الله أن الهبوط والاختلاف والافتراق واقع لا محالة. لأنه سبحانه العليم المطلق بطبائع الناس. والله لا يظلم مثقال ذرة. وما من طريق إلا ودل على موطن الهداية فيه. وما ترك الشيطان طريقا للهداية إلا دق عليه أوتادا. ألم تر أن الله تعالى أمر إراهيم عليه السلام أن يبني البيت الحرام وبعد فترة من الزمان أوحى الشيطان إلى أتباعه بزرع الأصنام حول الكعبة. فأصبح الناظر في المكان يرى هذا وذاك فأصحاب الفطرة السوية يعرفون طريق الصواب وأصحاب النفوس المريضة يعكفون على كل صنم.

إن النبي الأعظم أمر أن يأتوه بصحيفة ليكتب لهم كتابا لا يضلوا بعده.

وكان هذا لهدف من وراءه حكمة. وكان أيضا مادة يختبر بها من عاصر الحادثة وشعاعا يهدي إلى الحق لكل باحث عن الحقيقة، وكم كنا نتمنى أن تكتب هذه

الصفحة 265

الصحيفة. نعم لقد كان العديد من الجيل الأول سوف يشكك فيها وربما شكك فيها عشوة أجيال أو أكثر. ولكن الشيء الأكيد أن هذا التشكيك ما كان ليكتب له الخلود وعلى أي حال لم تصلنا هذه الصحيفة لأنها لم تكتب. فدعونا نبحت ودعونا نبكي مع ابن عباس رضي الله عنهما.

إن الرسول إذا أمر لا ينبغي أن نناقش ماذا وراء هذا الأمر. لأن المخالفة لا تصب إلا في وقت الفتن والعذاب قال تعالى: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو إذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) <sup>(1)</sup> ، قال المفسرون:

دعاء الرسول هو دعوته الناس إلى أمر من الأمور كدعوتهم إلى الإيمان والعمل الصالح ودعوته ليشركهم في أمر جامع ودعوته إلى الصلاة جامعة وأمرهم بشيء في أمر دنياهم أو أخوهم فكل ذلك دعاء ودعوة منه صلى الله عليه وآله وسلم. ويشهد بهذا المعنى قوله: " قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو إذا "، وما يتلوه من تهديد فخالفني أمره صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا المعنى يناسب سياق الآية السابقة وهي قوله تعالى: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله فإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله..) فهذه الآية تمدح الذين يلبون دعوته ويحضرون عنه ولا يفلقونه حتى يستأذنه. أما هذه الآية فهي تدم وتهدد الذي يدعوهم فيتسللون عنه لو إذا غير مهتمين بدعائه ولا معتنين وقوله: " فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم "، تحذير لمخالفى أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته. من أن تصيبهم فتنة وهي البلية أو يصيبهم عذاب أليم.

والوأن الكريم كما حذر الذين يخالفون وأمر الرسول. حذر أيضا الذين لا يستجيبون إلى الله، فالرسول إذا دعاهم لما يحييهم ويجعلهم في مأمن من الضلال. أن تصيبهم فتنة، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم. واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وإنه إليه تحشرون

(1) سورة النور: الآية 63.

الصفحة 266

وانقروا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة واعلم أن الله شديد العقاب) <sup>(1)</sup> ، قال المفسرون: لقد أحس سبحانه بالاستجابة لما يحيي الإنسان بإخراجه من مهبط الفناء والوار. وأخبر أنه سبحانه المالك لكل القلوب. وهو أقرب إلى الناس من كل شيء. حتى يعلم المنافقين أنه أعلم بما في قلوبهم منهم فيرتدعوا. وأحاط الجميع علما بأنهم إليه سيحشرون يوم القيامة، ويومئذ تظهر حقيقة ملكه لهم وسلطانه عليهم. ويومئذ له يغني عنهم منه شيء. ثم حوهم من فتنة. تختص بجماعة منهم. لكن السئ من أؤها يعم الجميع. وقد أبهم الله تعالى أمر هذه الفتنة. ولم يعرفها بكمال اسمها ورسومها. غير أن قوله تعالى فيما بعد: (لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)، وقوله: (واعلموا إن الله شديد العقاب)، يوضحها بعض الإيضاح. وهو إنها اختلاف البعض من الأمة مع بعض منها في أمر يعلم جميعهم وجه الحق فيه. فيجمع البعض عن قبول الحق. ويشق طويقه بالظلم وهذا الظلم هو الذي أمر سبحانه باتقائه. لأنه روى سوء أؤه إلى كافة المؤمنين وعامة الأمة. وقد تظن بعض المفسرين بأن الآية تحذر الأمة وتهدهم بفتنة تشمل عامتهم وتفوق جمعهم وتشتمت شملهم.

وهذه الفتنة حدثت أيام الصحابة وليس في أيام غورهم. هم وحدهم المسؤولون عنها. فعن الزبير بن العوام قال: لقد خوفنا الله بقوله: (وانقروا فتنة...) الآية نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وما ظننا أنا خصصنا بها خاصة <sup>(2)</sup> وعنه أيضا قال: لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما رأنا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها <sup>(3)</sup> ، وقال السدي: تولت في أهل بدر خاصة فأصابتهم يوم الجمل فاقنتلوا <sup>(4)</sup> ، ويوم الجمل ما جاء فجأة. ولكن كانت له مقدمات. وإتقاء هذه الفتنة يكون بالبحث عن المقدمات الحقيقية اليقينية لاستنتاج معلومات تصديقية واقعية. فإذا تشابهت الأمور اعتبر آخرها أولها

(1) سورة الأنفال: الآية 25.

(2) رواه ابن جرير (تفسير ابن كثير 299 / 2).

فحسب البدايات تكون النهايات.

وفي رأينا أن هذا الأسلوب هو الأمل للكشف عن فتنة ترتدي ثياب القداسة والخشوع وأول باب للبحث لاتقاء هذه الفتنة يجب أن يبدأ من قوله تعالى: (لا تصيبين الذين ظلموا) وليكون السؤال: الذين ظلموا! ظلموا من؟ ثم يتم البحث عن المقياس الذي عليه يظهر الظلم وحجمه وحركة الظالم والمظلوم.

### ثانيا - الأمر العسكري الأخير:

نكونا أن النبي في حجة الوداع أعلن على الناس وفاته وذلك في قوله:

"لعلي لا ألقاكم بعد عامكم هذا"، كما قال مثل ذلك في غدير خم. ويمكن أن تكون المساحة الزمنية بين هذا الإعلام وبين حدوث الوفاة زاخرة بالاجتماعات وترتيب الأوراق بالنسبة لجميع الأطراف. وشاء الله عز وجل أن يكون هناك حدث يستدعي تجهيز جيش ليصدر النبي قرا ببعث هذا الجيش إلى مهمة خراج النولة، ويكون هذا الجيش بقيادة أسامة بن زيد وينتظم تحت هذه القيادة جميع الأطراف وكبار الصحابة باستثناء علي بن أبي طالب. وكان وجود علي في المدينة لهدف كما كان لوجوده فيها يوم تبوك هدف. وروى أصحاب التوليد والسير أن هذا الجيش أمره الرسول أن يسير إلى مؤتة (وادي في فلسطين) وروى البلازوي في تزيخه وهو معروف بالثقة والضبط أن أبا بكر وعمر معا كانا في جيش أسامة<sup>(1)</sup>، وذكر الواقدي في كتاب المغلبي أن أبا بكر لم يكن في جيش أسامة وإنما كان عمر وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم. وقال الواقدي إن أبا بكر استأذن رسول الله فأذن له فذهب إلى دراه بالسنح وكان بها مقتله حين تروج ابنة خلة.

وبالجملة: اتفق جميع المؤرخين على أن عمر كان بالبعث وروى البلازوي وهو ثقة أن أبا بكر كان أيضا ضمن الجيش وقال غوه غير ذلك.

(1) راجع (الطبقات الكبرى (190 / 2، 66، 66 / 4) والكمال 317 / 2 في أنساب الأشراف 474 / 1، اليعقوبي 93 / 2، كنز العمال 312 / 5، تاريخ ابن عساکر 391 / 2، الفتح الرباني 222 / 21.

وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بخروج الجيش. فلما أصبح يوم التاسع والعشرين من صفر ووجدهم متناقلين جوج إليهم فحضرهم على السير وعقد اللواء لأسامة بيده تحريكا لحميتهم، ثم قال: أغز باسم الله وفي سبيل الله وقاتل من كفر بالله<sup>(1)</sup>، فخرج أسامة بلوائه معقودا فدفعه إلى بريدة وعسكر بالجرف ثم تناقلوا هناك وطعن قوم منهم في تأمير أسامة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان ذلك يوم السبت قبل وفاته بيومين. وبعد أن قالوا: " هجر " بيومين. فصعد المنبر فحمد الله

وأنتى عليه ثم قال: أيها الناس.

ما مقالة بلغني عن بعضكم في تأموري أسامة ولئن طعنتم في تأموري أسامة لقد طعنتم في تأموري أباه من قبل<sup>(2)</sup>،  
وحضهم على المباورة إلى السير، وروى الشهرستاني أن النبي قال: " جهزوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه...<sup>(3)</sup> فلحق  
الذين تناقلوا من قبل بالجيش. ثم نقل إليهم أن النبي قد ثقل عليه الموض فبدعوا في التناقل وعندما نقل إليهم خبر الوفاة رجعوا  
إلى المدينة التي كانت تجف بأهلها.

إن حروب النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن لدنيا وإنما لدين. وكان للدين فيها أقوى تعلق لما يعود على الإسلام وأهله بعلو  
كلمة. وحروب النبي صلى الله عليه وسلم كانت بأمر من الله عز وجل. وكان الملائكة يشركون في معظمها لتثبيت الذين آمنوا  
ونصوة الفطوة. وتخاذل الناس في الحروب حدث على امتداد الوصالات السماوية في أقوام الأنبياء الذين أمروا بالقتال مع  
رسلهم.

ولقد حدث تخاذل من البعض في المعرك التي خاضها الرسول صلى الله عليه وسلم. حدث هذا يوم أحد ويوم حنين ويوم  
تبوك. أما التخاذل عن بعث أسامة فقد حمل ملامح إضافية وهي أنهم طعنوا في تأمير أسامة عليهم. وهذا

(1) السيرة الحلبية 234 / 3.

(2) رواه البخاري ب مناقب المهاجرين (الصحيح 303 / 2) وأحمد (الفتح الرباني 222 / 21) الطوي (تاريخ الأمم  
312 / 3)، ابن سعد (الطبقات 190 / 2).  
(3) ( الملل والنحل / الشهرستاني 23 / 1.

الصفحة 269

الطعن في حقيقة الأمر موجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا إلى أسامة لأن الذي أمر أسامة هو الرسول. ولهذا  
خطب النبي ولعن من تخلف عن البعث. وطعنهم في تأمير أسامة أجمع عليه أهل السير والأخبار وأرسلوا ذلك في كتبهم  
رسال المسلمين ورواه الإمام أحمد والبخاري وغيرهما. وتأمير أسامة والأمر بخروج الجيش ربما والله أعلم يكون من باب  
الأخذ بالأسباب. فالرسول قال لعلي كما في الحديث الصحيح أن الأمة ستغدر به. وإن لهذا الغدر أسباب منها أنهم سينتزعون  
بصغر سنه. لذا أمر أسامة على عظماء قویش وشيوخها.

وكان أسامة غلاما لم يبلغ ثماني عشرة سنة وقتئذ. كي يبين لهم ولغيرهم بأن المؤمن يجب عليه أن يسمع ويطيع ولو وجد  
في نفسه حرجا مما قضى النبي ويسلم تسليما وتأمير أسامة عليهم لغام لهم على السمع له ليكون سمعهم لأسامة مدخلا تتقبله  
نفسهم بعد ذلك إذا وجبوا من هو أصغر منهم سنا على رأس الخوذة. ولكن القوم فطنوا إلى ذلك فقالوا القول الذي لا يبقى  
للقيادة أي مزية أو فضل وإلا فما معنى الطعن في إمرة من أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد أخلى النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قبل وفاته بتعبئة شيوخ قویش تحت إمرة أسامة وإخلاء المدينة من هذه القوة في  
هذا الوقت بالذات. فيه أنه علم من ربه أن المدينة لن تهاجم من قبل الروم أو الفرس. في هذه الفترة.

لذا أمر عليه الصلاة والسلام بالبعث لعل البعث يكون فيه شفاء. قال تعالى:

(اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) <sup>(1)</sup> ، قال المفسرون:

تؤذن بأن دين المسلمين في أمن من جهة الكفار مصون من الخطر المتوجه من قبلهم وأنه لا يتسرب إليه شئ من طولق الفساد والهلاك إلا من قبل المسلمين أنفسهم وإن ذلك إنما يكون بكفرهم بهذه النعمة التامة ورفضهم هذا الدين الكامل الموضي ويومئذ يسلبهم الله نعمته ويغورها إلى النعمة ويذيقهم لباس

(1) سورة المائدة: الآية 3.

الصفحة 270

الجوع والخوف، ومن أراد الوقوف على مبلغ صدق هذه الآية في ملحماتها المستفادة من قوله: (فلا تخشوهم واخشون) فعليه أن يتأمل فيما استقر عليه حال العالم الإسلامي اليوم. حيث انهدام الوحدة الدينية وظهور الفرقة ونفاذ القوة وذهاب الشوكة. ثم وجع القهوى بتحليل الحوادث التاريخية حتى يحصل على أصول القضايا وأوقافها.

### ثالثاً - الأمر الطبي الأخير:

بعد أمره صلى الله عليه وآله وسلم بأن يكتب لهم كتاباً لا يضلون من بعده. وأمر بأن يخرجوا في بعث أسامة. ومن على فاش المرض. أمرهم أن لا يلوه مهما شاهوا عليه من علامات المرض، ومعنى اللد أن يجعلوا الدماء في إحدى جانبي فيه. وكانوا يستعملون العود الهندي في ذلك. فماذا حدث بعد هذا الأمر الصويح؟ روى البخاري عن عائشة قالت: لددنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه فجعل يشير لنا أن لا تلوني، فقلنا: كراهية المريض للنواء. فلما أفاق قال صلى الله عليه وآله وسلم: ألم أنهاكم أن تلوني، قلنا:

كراهية المريض للنواء، فقال: لا يبقى أحد في البيت إلا لد. إلا العباس فإنه لم يشهد <sup>(1)</sup> ، وفي رواية للإمام أحمد قالت: ثم سوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأفاق وعرف قد لد ووجد أثر اللود فقال: ظننتم أن الله عز وجل سلطها علي - يعني ذات الجنب - ما كان الله يسلطها علي، ثم قال: لا يبقى أحد في البيت إلا لد إلا العباس فإنه لم يشهد <sup>(2)</sup> ، وفي رواية عند ابن سعد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كنتم تزون أن الله يسلط علي ذات الجنب ما كان الله ليجعل لها علي سلطانا والذي نفسي بيده لا يبقى في البيت أحد لا لد... " الحديث <sup>(3)</sup> ، وقال السندي في شوح البخاري: معنى قوله: " لا يبقى في

(1) رواه البخاري (الصحيح 95 / 3) ك كتاب المغازي ب مرض النبي.

(2) رواه أحمد بسند جيد (الفتح الروباني 239 / 21) والطواني والحاكم (كنز العمال 469 / 11).

(3) ابن سعد (الطبقات 235 / 3).

الصفحة 271

البيت أحد إلا لد " ، عقوبة لهم بتوكهم امتثال نهيه عن ذلك ، وبواعة متدوة لهذا الحدث. نجد أن من في البيت ظنوا أن النبي قد غلبه الوجع! لقد حكموا بما يرون ولم يمتثلوا لما قال. وبعد أن وقعوا في المحنور أخوهم بأن الله لم يجعل لهذا المرض سلطانا على رسول الله. ثم أخوهم بعقوبة تستقيم مع ما فعلوه. ومعنى أنه صلى الله عليه وسلم يخوهم بالعقوبة أنه لا ينطق عن الهوى. وأنه كان يتلقى من ربه ويخبر بالغيب حتى النفس الأخير.

لقد تعاملوا معه على أنه قد غلبه الوجع، أو أنه رفض النواء كراهية المريض للنواء، فضربتهم العقوبة. ترى هل يستحق الفويق الذين قالوا يوم الخميس أن النبي قد غلبه الوجع عقوبة على ما قالوا بعد أن تبين هنا أن الله لا يسلم على رسوله المرض الذي يجعله يهدي أو يهجر؟

#### رابعا - الوصايا:

إذا سألنا: بماذا أوصى النبي صلى الله عليه وسلم قبل الموت؟

فستكون الإجابة على هذا السؤال غير تامة في جميع الأحوال. ولقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما من حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده " (2) ، ولقد روى فيما بعد أن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثوا عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسأل لهن موآتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكانت المفاجأة عندما أخوهم أبو بكر رضي الله عنه أن الرسول قال: لا نورث " (3) ... فمن هذا يمكن القول أن النبي لم يكتب وصيته ويقول فيها هذا. وعلى أقل تقدير لم يخبر أهل بيته بذلك. فإذا تركنا الوصية فيما يتعلق بموآت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ونظرنا إلى الوصية بالأممة. نجد روايات تحتاج إلى إيضاحات. وعلى سبيل المثال روى الإمام أحمد عن ابن عباس أن النبي

(1) البخاري شرح السندي (95 / 3).

(2) رواه الترمذي وصححه (الجامع 432 / 4).

(3) سنين ذلك في حينه.

صلى الله عليه وسلم أوصى بثلاث وقال: اخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجزا الوفد بنحو ما كنت أجزهم " ، إلى هنا انتهت الوصايا. وأنت كما ترى من الوصايا ثلاث لكن الولوي أخونا بإثنين. وعندما جاء الدور على الوصية الثالثة قال الولوي: وسكت سعيد عن الثالثة. فلا أوري أسكت عنها عمدا أو قال مرة أو نسيته " (1) ، وهكذا حرمانا من الوصية الثالثة كما حرمانا من كتابة الصحيفة.

أين الوصية بخلافة راشدة متكفلة بصلاح النفوس والأموال والأحكام والأخلاق والصالح العام. هل يجوز أن يخشى معاوية بن أبي سفيان أن يتوك أمة محمد بعده بلاراعي لها ولا يخشى محمد ذلك؟ أيكون سلاطين الإسلام الذين ورثوا الخلافة من والد إلى ولد أحرص على مصلحة الأمة من بني الوحمة؟ إن هذه التسؤلات ليست جديدة. فلقد طرحت من قبل وبعد وفاة

الرسول بزمن يسير. روى البخاري: سئل بن أبي أوفى: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى؟ فقال: لا، فقيل: كيف كتب على الناس الوصية أو أمر بالوصية.

قال: أوصى بكتاب الله <sup>(2)</sup> ، وفي رواية الترمذي: فقيل: كيف كتبت الوصية وكيف أمر الناس... <sup>(3)</sup> ، وقال في تحفة الأرواذي: أي كيف يؤمر المسلمون بشيء ولا يفعله النبي. وبذلك يتم الاعتراض <sup>(4)</sup> .

وبعد هذا التساؤل من الناس جاء التساؤل الأهم روى البخاري عن الأسود قال: ذكروا عن عائشة أن عليا كان وصيا. فقالت: متى أوصى إليه؟ وقد كنت مسندته إلى صوري - أو حروي - فدعا بالطست - وفي رواية: فبال فيها - فلقد أثنخت في حروي فما شعرت أنه قد مات فمتى أوصى؟ <sup>(5)</sup> ، والجدير بالتسجيل

---

(1) رواه الإمام أحمد (الفتح الرباني 224 / 21) وقال في الفتح رواه الشيخان.

(2) رواه البخاري ك الوصايا (الصحيح 125 / 2) ومسلم (الصحيح 74 / 5 ط اسطنبول).

(3) رواه الترمذي وصححه (الجامع 432 / 4).

(4) تحفة الأرواذي (6 / 309).

(5) رواه البخاري ك الوصايا 125 / 2 ، كتاب المغلبي 95 / 3 ، ابن سعد (الطبقات 261 / 2).

---

الصفحة 273

هنا أن وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي كانت متداولة أيام الصحابة.

ألم تسمع قولهم في محضر أم المؤمنين: إن عليا كان وصيا.

وعلى أي حال فإن حديث الناس بالوصية لعلي لا خلاف عليه كما في هذا الحديث. وإنما الخلاف في رد أم المؤمنين على الذين قالوا بذلك. فلقد أخبرتهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات على صورها وإنما آخر الناس عهدا به. وهذا القول تعرضه أحاديث صحيحة أخرى منها ما رواه الإمام أحمد عن أم المؤمنين أم سلمة، قالت: والذي أحلف به إن كان علي بن أبي طالب لأقرب الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت: عندنا رسول الله صلى الله عليه وآله بعد غداة والنبي يقول: جاء علي، جاء علي - وفي رواية قالت فاطمة: كأنه بعثة في حاجة - فجاء علي، قالت أم سلمة: فظننت أن له إليه حاجة. فخرجنا من البيت فقعدنا وكنت أدناهم إلى الباب فأكب عليه علي <sup>(1)</sup> فجعل يسره ويناجيه <sup>(2)</sup> ، ثم قبض صلى الله عليه وآله من يومه ذلك. وكان علي أقرب الناس به عهدا <sup>(3)</sup> .

وروى ابن سعد عن أبي الغطفان قال سألت ابن عباس: يا ابن عباس رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله توفي ورأسه في حجر أحد؟ قال ابن عباس: توفي وهو لمستند إلى صدر علي بن أبي طالب. قلت: فإن عروة حدثني عن عائشة أنها قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وآله بين سحري ونحوي. فقال ابن عباس: أتعقل!! والله لتوفى رسول الله وإنه لمستند إلى صدر علي وهو الذي غسله <sup>(4)</sup> ، وسئل عمر بن الخطاب: ما كان ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: سل عليا،

فقيل له: من غسله؟ قال: سل

(1) أي مال برأسه عليه.

(2) أي يحدثه سوا.

(3) رواه أحمد وأبو يعلى والطواني وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح غير أم موسى وهي ثقة (الزوائد 112 / 9)،

ورواه الحاكم وصححه وأقوه الذهبي (المستدرک 139 / 3)، وأورده ابن كثير في البداية 360 / 7.

(4) ابن سعد (الطبقات 263 / 2).

الصفحة 274

علياً<sup>(1)</sup>، وعن حذيفة بن اليمان قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في موضه الذي قبض فيه فأبته يستند إلى علي بن أبي طالب. فرددت أن أنحيه وأجلس مكانه فقلت: يا أبا الحسن ما أراك إلا تعبت في ليلتك هذه فلو تحببت فأعنتك. فقال النبي صلى الله عليه وآله: دعه فهو أحق بمكانه منك<sup>(2)</sup>.

وكما ذكرنا لقد تحدث الناس في عصر الصحابة عن وصية النبي لعلي.

ولكن الوصايا وصلت إلينا مبتورة. وصحيح أن أم المؤمنين عائشة ذكرت أن النبي لم يوصي لعلي. وصحيح أيضاً أن علياً كان آخر الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وآله. وفي الحديث أنه مال رأسه على النبي وأن النبي حدثه سوا. وفي الحديث الصحيح. أن علياً قال: إن مما عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وآله أن الأمة ستغدر بك بعدي<sup>(3)</sup>.

ورحل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، رحل النبي الأمي العربي القوشي الهاشمي المكي المدني ونشهد أنه أدى الرسالة ونصح الأمة وكشف الغمة وجاهد في سبيل الله حتى آتاه اليقين فجزاه الله خير الجزاء ونسأله سبحانه أن يحشونا تحت لوائه يوم القيامة والمؤمنين أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(1) ابن سعد (الطبقات 263 / 2).

(2) رواه ابن عساکر (كنز العمال 228 / 16).

(3) رواه البيهقي بسند صحيح (كنز العمال 297 / 11) ابن كثير في البداية (218 / 6).

الصفحة 275

## الطريق إلى الفتن

الصفحة 276

الصفحة 277

أولا - الاختيار



## أضواء على سقيفة بني ساعدة:

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أُرجفت المدينة بأهلها. وتول إليها الذين كانوا في بعث أسامة. وتوجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى دار النبي وأعلن البيان الأول وجاء فيه " أن النبي لم يمّت وإنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع بعد أن قيل قد مات والله لوجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعمون أن رسول الله مات " (1) ، وفي رواية البخاري عن عائشة قالت قال عمر: والله ما مات رسول الله " (2) ، والبيان بهذه الصورة في حاجة إلى دقة. فكان يكفي الفاروق أن ينظر في بيت النبي أو يسأل أم المؤمنين حفصة عن الحقيقة. ثم يلقي البيان على خلفية من الدقة. ولقد فصل الفاروق رضي الله عنه الأسباب التي دعت إلى القول بهذا، فقال فيما رواه البخاري: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثته الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم " (3) ، وفي تزيخ الطوي قال: والله إن حملني على ذلك إلا أنني كنت أقرأ هذه الآية: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)، فوالله إني كنت لأظن

---

(1) الطبري (197 / 3). (2) البخاري ك بدء الخلق (الصحيح 291 / 2).

(3) البخاري (الصحيح 291 / 2) ك بدء الخلق.



أن رسول الله سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بأخر أعمالها فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت " <sup>(1)</sup> ، إن من أعجب الأشياء أن يقول الفاروق رضي الله عنه ذلك. كيف، وهو القائل يوم الخميس: حسبنا كتاب الله! والله تعالى يقول لرسوله: (إنك ميت وإنهم ميتون) <sup>(2)</sup> ، والرسول نفسه أعلن على الملأ أنه أوشك أن يدعى فيجيب والناس علموا وتناقلوا فيما بينهم أن آخر حج للنبي كان حجة الوداع، روى البخاري عن ابن عمر قال: هذا يوم الحج الأكبر فطفق النبي صلى الله عليه وآله يقول اللهم أشهد وودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع <sup>(3)</sup>

إن ما نسب إلى الفاروق في تأويل هذه الآيات لا تستريح النفس إليه، فعمر كان أجل قنوا من أن يعتقد ما ظهر عنه في هذه الواقعة. لكنه لما علم بالوفاة خاف من وقوع فتنة في الإمامة وخاف حدوث ردة. فافتضت المصلحة تسكين الناس بأن أظهر ما أظهره من كون أن النبي لم يموت. حتى يأتي أبو بكر وكبار الصحابة ويقرروا ماذا سيفعلون لمصلحة الأمة... وجاء أبو بكر وكان بالسبح وكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندما علم بالحقيقة قال لعمر الذي كان يحلف بالله أن النبي لم يموت: أيها الحالف على رسلك <sup>(4)</sup> ، ثم أعلن البيان الثاني وقال: ألا من كان يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال: (وإنك ميت وإنهم ميتون)، وقال: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، فإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) <sup>(5)</sup> ، وروى ابن سعد بن عمر عندما سمع الآية قال لأبي بكر: " هذا في كتاب الله؟! قال: نعم، فقال: أيها الناس هذا أبو

(1) الطبري (204 / 3).

(2) سورة الأعراف: الآية 30.

(3) البخاري (الصحيح 300 / 1) ك الحج.

(4) البخاري ك بدء الخلق (الصحيح 291 / 2). <sup>(5)</sup> البخاري ك بدء الخلق (الصحيح 291 / 2).

بكر وذو شعبة المسلمين فبايعون " <sup>(1)</sup> ، وكانت هذه أول صيحة من المهاجرين تنادي بأبي بكر.

## 1 - الطريق إلى السقيفة:

إن دعوة الفاروق لمبايعة أبي بكر يمكن أن تفهم على رضية الرأي وليس على رضية النص. والصحابة على رضية الرأي لهم أصول عديدة. ولقد أطبقت الصحابة أطباقا واحدا على ترك كثير من النصوص لمارأوا المصلحة في ذلك. كإسقاطهم سم نوي القوي وإسقاط سهم المؤلفة قلوبهم. وفيهما نصوصا واضحة وصريحة بكتاب الله، وكان ذلك بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. وفي حياته أمرهم بالخروج في بعث أسامة لكنهم رأوا أن عدم الخروج مصلحة للدولة وللملة وحفظ للبيضة ودفعاً للفتنة. والأمثلة في ذلك كثيرة. ولما كانت الحركة بعد وفاة النبي تدور بساعد الفاروق رضي الله

عنه. فإننا نسجل هنا أن الفاروق كانت له اجتهادات وآراء واعتراضات في زمن الرسول. إذا نظرنا فيها لا يمكن أن ننكر منه أنه يبايع لأبي بكر لمصلحة رآها ويعدل عن النص. ومن الثابت أنه أنكر مورا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمورا اعتمدها.

منها إنكراه صلاة رسول الله على عبد الله بن أبي. وذلك فيما رواه الإمام البخاري أن عمر قال للنبي: " تصلي عليه وهو منافق وقد نهاك الله أن تستغفر له " (2) ، وفي رواية عند الترمذي " فلما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي جذبه عمر وقال: أليس قد نهى الله أن تصلي على المنافقين " (3) ، وفي رواية عنده أيضا قال له النبي: " أخرجني يا عمر إني خيرت فاخترت " (4) .

واعترض على قسمة قسمها النبي، روى مسلم عن عمر بن الخطاب قال:  
قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فقلت: والله يا رسول الله لغير

(1) الطبقات الكبرى 2 / 267 .

(2) ( رواه البخاري في تفسير سورة واءة (الصحیح 3 / 137) ومسلم (الصحیح 15 / 167) .

(3) ( رواه الترمذي وصححه (الجامع 5 / 280) .

(4) ( رواه الترمذي وصححه (الجامع 5 / 279) .

الصفحة 280

هؤلاء كان أحق به منهم فقال النبي: إنهم خيروني أن يسألوني بالفحش أو يبخلون فلست بباخل " (1) ، أي: الجأوني إلى السؤال بالفحش أو نسبتي إلى البخل. واعترض على صلح الحديبية وقال للنبي بكل صراحة: ألسنت نبي الله حقا؟ ولم يعترض عليه النبي.

روى البخاري قال عمر: فأنتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت:

ألسنت نبي الله حقا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟

قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذا؟ قال: إني رسول الله! ولست أعصيه وهو ناصري، قلت: أو ليست كنت

تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟

قال: بلى فأخوتك أنا نأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به. ثم قال عمر فأنتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس

هذا نبي الله حقا!!!؟، قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل، قال: بلى، قلت: فلنعطي الدنيا في ديننا إذا. فقال

أبو بكر: أيها الرجل! إنه لرسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصوه فاستمسك بفوزه!! فوالله إنه على الحق (2) .

وفي روايات عديدة أن عمر بن الخطاب عندما تحدث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. رجع متغيظا رغم رمود النبي

عليه. وذلك من قوة فقهه وعظيم بصيرته رضي الله عنه، روى البخاري: " قال رسول الله يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن

يضيعني الله أبدا. فوجع متغيظا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر فقال: يا أبا بكر ألسنا على الحق... " الحديث (3) .

ورؤية الرأي وقف عليها كثير من الصحابة. وبعد الرسول عملوا بمقتضى ما يغلب في ظنونهم من المصلحة. ولم يقفوا مع مورد النصوص حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعد فوج كثير منهم القياس على النص. والذي يمكن أن نقوله وفقا لقواعتنا للأحداث. أن العديد من كبار الصحابة تبينوا أن عليا لن تجتمع

(1) رواه مسلم (الصحيح 4 / 146).

(29) رواه البخاري كتاب الشروط باب الجهاد والمصالحة (الصحيح 2 / 122).

(3) رواه البخاري تفسير سورة الفتح (3 / 190).

الصفحة 281

عليه العوب إما لأنه وثرها وسفك دماءها وإما للحسد أو البغض وإما لاستحداثهم سنة أو للخوف من شدة وطأته وشدته في دين الله أو لدفع ضرر يخبئه لهم الغيب. وإما كراهة اجتماع النبوّة والخلافة في بيت واحد. ولقد تبينوا خطورة الموقف بعد غزوة تبوك وهي الغزوة التي شهدت محاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم. ووفقا لهذه القواعد للأحداث كان كبار الصحابة أمام خيلين:

الأول: أن يعملوا بالنص وينصوا عليا، ثم تجرى بحور الدماء على أيدي الذين حق عليهم القول فهم لا يؤمنون بجميع نواوهم وتبيلاتهم، ويترب على ذلك تقدم الجاهلية والارتداد عن الإسلام.  
الثاني: أن وجروا المصلحة وينصوا لشيخا مجربا للأمر لا يحسده أحدولا يحقد عليه أحدولا يبغضه أحد. فأيهما أصلح للدين؟ الوقوف مع النص الذي يؤدي إلى ارتداد الخلق ورجوعهم إلى الأصنام والجاهلية. أم العمل بمقتضى الأصلح واستبقاء الإسلام واستدامة العمل بالدين وإن كان فيه مخالفة النص؟

قد يقول قائل: إن نفسي لا تسامحني أن أنسب إلى الصحابة عصيان النبي ودفع النص. وهذا شعور طيب. ولكن هناك نصوص صريحة ثم مصادرتها وهي في كتاب الله ومن ذلك سهم المؤلفة قلوبهم وسهم ذي القربى وسيأتي الحديث عنهما في حينه. ثم أن نفسي أيضا لا تسامحني أن أنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم إهمال أمر الإمامة وأن يترك الناس في فوضى وهو صلى الله عليه وسلم ما كان يغيب عن المدينة إلا ويؤمر عليها أموا وهو حي ليس بالبعيد عنها فكيف لا يؤمر وهو ميت لا يقدر على استنواك ما يحدث؟

والخلاصة أقر كبار الصحابة هذا الرأي لحقن الدماء ولسير الدعوة. وحقن الدماء يدخل تحت ظلها علي بن أبي طالب وأهل بيته. ولهذا لم يتعرض إليه أحد بمكروه وكان هو وأولاده على امتداد عصور الخلفاء الثلاثة يعامل بكل تقدير واحترام. ووفقا لما ذكرنا بايع عمر لأبي بكر رضي الله عنه... وأبو بكر

الصفحة 282

ما كان يريد قيادة وإنما كان يخاف الفتنة وسنذكر أقواله في حينها. وكان من قبيلة لا تراحم غوها من القبائل على طلب رأس قريش. ولم يكن في نسبه ما يشمخ به على الناس (1). وكان منطقة تولن يميل إليه الكثير من الصحابة ولا يفوق بين

هذا وذلك حتى أبو سفيان كان أبو بكر يكن له كل تقدير. ومعاملة كهذه تشهد بأنه كان ماهوا في قيادة السفينة. روى الإمام مسلم عن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وهيب وبلال في نفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها. فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخوه. فقال النبي: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك. فآتاهم أبو بكر فقال: يا إخوانه أغضبتكم؟ قالوا: لا يغفر الله لك يا أخي (2) أنها رضية من الحب. لم يتكبر على الضعفاء وإنما ذهب إليهم وطيب خاطرهم، قال النووي في الحديث: هذه فضيلة ظاهرة لسلمان ورفقته هؤلاء (3) ، ولم يختلف الفاروق رضي الله عنه عن أبي بكر فهو من قبيلة لا تصارع قريشا على متاع ولم يكن عندها ما تشمخ به على القبائل كان متوله بالعوالي في بني أمية (4) ، وكان يقدر أبا سفيان وأولاده، ذكر معاوية يوما عنده فقال: دعوا فتى قريش وابن سيدها (5) ، فهذا كله يحفظ التوازن لتسير الدولة وفقا لمصلحة الأمة. قد يقول قال: ما هو الدليل على أن كبار الصحابة أخذوا بمصلحة الأمة في أمر الخلافة ودفعهم النص؟ نقول: أما النصوص الخاصة بالولاية فقد قدمناها على امتداد هذا الكتاب وأما أخذهم بمصلحة الأمة فلقد روى ابن خزيمة في صحيحه والإمام أحمد بسند صحيح عن أبي رافع قال: لما استخلف الناس

- (1) الإسلام لا يقيم وزنا للقبائل من حيث نسبها. ولكننا طرحنا النسب هنا نظرا للقبائلية التي توهجت بعد رسول الله وبقيت زمنا طويلا.  
(2) رواه مسلم (الصحيح 66 / 16 في فضل سلمان وبلال وصهيب).  
(3) مسلم شوح النووي (66 / 16).  
(4) التومذي (الجامع 420 / 5).  
(5) رواه الديلمي (كنز العمال 587 / 13) وابن كثير في البداية (124 / 8).

الصفحة 283

أبا بكر. قلت: صاحبي الذي أمرني أن لا أتأمر على رجلين. فرتحلت فانتهيت إلى المدينة فتعوضت لأبي بكر فقلت له: يا أبا بكر أتعرفني؟ قال: نعم، قلت: أتذكر شيئا قلته لي. أن لا أتأمر على رجلين وقد وليت أمر الأمة، فقال: إن رسول الله قبض والناس حديث عهد كفر فخفت عليهم أن يرتنوا وأن يختلوا فدخلت فيها وأنا كلره ولم يزل بي أصحابي. فلم يزل يعتذر حتى عنرته (1) ، وفي رواية الإمام أحمد قال: فبايعوني لذلك وقبلتها منهم وتخوفت أن تكون فتنة يكون بعدها ردة (2) .  
وروى الطوي أن عمر قال لابن عباس: أتوري ما منع قومكم منهم بعد محمد؟ قال ابن عباس فوهت أن أجيبه فقلت: إن لم أكن أوري فأمر المؤمنين بيروني فقال عمر: كوهوا أن يجمعوا لكم النوبة والخلافة فنتبجوا على قومكم بججا بجا فاخترت قريش لنفسها فأصاب (3) ، وروى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز في كتابه السقيفة أن عمر قال لابن عباس: ما أظن صاحبك إلا مظلوما. قال ابن عباس فقلت في نفسي: والله لا يسبقني بها فقلت: يا أمير المؤمنين فلردد إليه ظلامته. فانزع يده من يدي ثم مر بهم ساعة ثم وقف فلحقته فقال لي: يا ابن عباس ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلا أنهم استصغروه. قال

ابن عباس فقلت في نفسي: هذه شر من الأولى، فقلت: والله ما استصغوه الله حين أمره أن يأخذ سورة واءة من أبي بكر (4).  
وروى أحمد بن أبي الطاهر صاحب كتاب تزيخ بغداد في كتابه مسندا عن ابن عباس قال: قال لي عمر (5): من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد. قال: كيف خلفت ابن عمك؟ فظننته يعني عبد الله بن جعفر. قلت: خلفته يلعب مع أوابه، قال: لم أعن ذلك، إنما عنيت عظيمكم أهل البيت، قلت: خلفته يمتح

(1) رواه ابن خزيمة في صحيحه والبعوي وابن رهوية (كنز 586 / 5).

(2) رواه أحمد بسند صحيح (الفتح الرباني 61 / 23).

(3) الطوري (تزيخ الأمم 31 / 5).

(4) ابن أبي الحديد 290 / 2.

(5) كان لقاء عمر بابن عباس في أوائل خلافة عمر بالمسجد.

الصفحة 284

بالغرب (1) على نخيلات من فلان، وهو يؤأ القرآن قال: يا عبد الله، عليك دماء البدن إن كتمتنيها! هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة. قلت: نعم، قال: أوعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نص عليه؟ قلت: نعم وأزيدك. سألت أبي عما يدعيه فقال: صدق. فقال عمر: لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمره نرو (2) من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عزا. ولقد كان يربع في أمره وقتا ما. ولقد أراد في مرضه أن يصوح باسمه فمنعت من ذلك إشفافا وحيطة على الإسلام، لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قوئش أبدا. ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطرها. فعلم رسول الله إني علمت ما في نفسه. فأمسك وأبى الله إلا إمضاء ما ختم (3).  
ونعود إلى حيث بدأنا. فعندما أعلن عن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.  
وهنف عمر بمبايعة أبي بكر علمت الأنصار بما عزم عليه المهاجرون. فأثوا بسعد بن عبادة لبيابيه. ويقتضي هذا أن نلقي الضوء على الأنصار.

## 2 - أضواء على الأنصار:

الأنصار هم القوة الضاربة في جيش الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وأطاحت سيوفهم بوقاب العديد من أهل مكة. وكان الطلقاء من أهل مكة يحملون أحقادا للأنصار. وهذه الأحقاد بلغت نروتها يوم الحرة عندما اجتاحت خيول يزيد بن معاوية المدينة وباعه أهل المدينة على أنهم عبيد له. والنبي صلى الله عليه وسلم وضع الأنصار مع علي بن أبي طالب على رضية واحدة هي رضية الإيمان. روى مسلم عن علي أنه قال: إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق (4)، وفي الأنصار روى مسلم عن الواء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنصار الغوب / الدلو.

(2) نرو / طرف.

لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله <sup>(1)</sup> ، وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يبغض الأنصار جل يؤمن بالله واليوم الآخر <sup>(2)</sup> ، وروى مسلم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " حب الأنصار آية الإيمان وبغضهم آية النفاق " <sup>(3)</sup> .

ولأن عليا والأنصار على رضية واحدة كان أبو سعيد الخوري يقول: " إنا كنا لنعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب " <sup>(4)</sup> ، وقال النووي في شوح مسلم: إن من عرف مرتبة الأنصار وما كان منهم في نصوة دين الله والسعي في إظهاره. وعرف من علي بن أبي طالب قوبه من رسول الله وحب النبي له، وما كان منه في نصوة الإسلام، ثم أحب الأنصار وعلياً كان ذلك من دلائل صحة إيمانه، ومن أبغضهم كان ضد ذلك واستدل به على نفاقه وفساد سيرته <sup>(5)</sup> .

والنظر إلى الأنصار لا ينبغي أن يحمل على أن جميع الأنصار في دائرة الإيمان. لأن كل قاعدة بها وتد للنفاق، قال تعالى: (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة موثوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) <sup>(6)</sup> ، والمعنى وممن حولكم أو حول المدينة من الأعراب الساكنين في البوادي منافقون موثوا على النفاق ومن أهل المدينة أيضا منافقون معتادون على النفاق لا تعلمهم أنت يا محمد نحن نعلمهم - لذا فدائرة الإيمان على رضية الأنصار لا توى إلا على طريق علي بن أبي طالب. فعلي إنسان فطري رباه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وغرس فيه القيادة كما غرس صلى الله عليه وآله في

(1) رواه مسلم (60 / 1 ط التحرير).

(2) رواه مسلم (60 / 1 ط التحرير).

(3) رواه مسلم (60 / 1 ط التحرير).

(4) رواه الترمذي (الجامع 635 / 5) ورواه الخطيب عن أبي ذر بلفظ آخر (كنز 106 / 13).

(5) مسلم شوح النووي (2 / 64).

(6) سورة التوبة: الآية 101.

الأنصار الجندية. ولهذا توى الجندية الحقة على صفحة القيادة الحقة. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرتب الأنصار على درجات، روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: " خير دور الأنصار دور بني النجار ثم دور بني الأشهل ثم بني الحرث بن الخزرج ثم بني ساعدة وفي كل دور الأنصار خير " <sup>(1)</sup> ، وعندما علم سعد بن عباد بهذا الترتيب حيث بني ساعدة التي اشتهرت بسقيفتها رابع ربيع قال: خلفنا رسول الله فكنا آخر الأربعة. اسوجوا لي حملي أتى صلى الله عليه وسلم فقال له ابن أخيه: أتذهب لتود على رسول الله صلى الله عليه وآله أعلم. أو ليس حسبك أن تكون رابع ربيع فوجع وقال: الله ورسوله أعلم

ومن الغريب أن في صحيح البخري حديثا يتهم سعد بن عباد بالنفاق.

والحديث روته أم المؤمنين عائشة في قصة الإفك، وفيه: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من يعنوني من رجل بلغني أذاه في أهلي. فوالله ما علمت على أهلي إلا خرا وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي. فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله أنا والله أعزك منه إن كان من الأوس ضوبنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك. فقال سعد بن عباد وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحا!! ولكن احتملته الحمية فقال: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك. فقام أسيد ابن الحضير فقال: كذبت لعمر الله والله لنقتله فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا. ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقول فخفضهم حتى سكتوا وسكت " (3) فسعد بن عباد الذي زاحم المهاجرين في البيعة وطلبها للأنصار كما طلبها

(1) رواه مسلم في الصحيح (16 / 70) والترمذي (الجامع 5 / 720) البخاري (الصحيح 4 / 311).

(2) رواه مسلم (الصحيح 6 / 175).

(3) رواه البخري باب حديث الإفك من كتاب الشهادات (الصحيح 2 / 104).

الصفحة 287

المهاجرين لأنفسهم متهم في صحيح البخري بالنفاق وبالذفاق عن المنافقين بعد أن كان رجلا صالحا. وحدث هذا أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

### 3 - صواع داخل السقيفة:

كان علي بن أبي طالب يغسل النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم.

وكان المهاجرون يتناقشون في الخلافة، وعندما علم الأنصار بأن قوينا عزيمة على إبعاد علي بن أبي طالب وليس بالضرورة أن يكون هذا العلم قد جاء بعد وفاة الرسول لأن الرسول أخبر بما هو كائن بعده. علاوة على أن الأنصار يعرفون من يحبهم. اجتمع الأنصار ورأوا إوام الأمر فيما بينهم على أن يكون الخليفة منهم اعتقادا منهم بأن الإسلام قام بحد سيوفهم وأن المهاجرين عيال عليهم. وحملوا سعد بن عباد وكان مريضا إلى سقيفة بني ساعدة. فخطبهم ودعاهم إلى إعطائه الرياسة والخلافة فأجابوه. ثم تكلموا فيما بينهم فقالوا: فإن أبي المهاجرون وقالوا: نحن أوليؤه! فقال قوم من الأنصار نقول: منا أمير ومنكم أمير فقال سعد: هذا أول الوهن.

وكان للمهاجرين عيون على الأنصار فانطلق عويم بن ساعدة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخا بين عويم وبين عمر ، وجاء إلى عمر ومعه معن بن عدي وأخواه بما حدث من الأنصار. فرسل عمر إلى أبي بكر أن أخرج فقد حدث أمر لا بد أن تحضوه. فخرج فأعلمه بالخبر، فمضينا مسوعين نحوهم ومعهما أبو عبيدة. وكان عمر على امتداد الطريق يبحث عن إجابات مقنعة يقتنع بها الأنصار. فقد كان يخشى ردة فعل الأنصار وكان يخشى أن لا يوافقوا على إبعاد علي بن أبي طالب (1)



نظرا للصالح العام. وعندما وصلوا إلى السقيفة. روى البخاري أن عمر أراد أن يتكلم. فأسكته أبو بكر. وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا إني قد هيأت كلاما قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر<sup>(2)</sup> ، أي أنه جهز كلاما وهو في الطريق خشى أن لا يقول أبو بكر مثله. فتكلم أبو بكر

(1) الإصابة 45 / 5.

(2) البخاري باب فضائل أصحاب النبي (الصحيح 291 / 2).

الصفحة 288

وقال: نحن الأهواء وأنتم الوزراء فقال الحباب بن المنذر: لا والله لا نفعل منا أمير ومنهم أمير. فقال أبو بكر: لا ولكننا الأهواء وأنتم الوزراء<sup>(1)</sup>.

ولتفعت الأصوات وكثر اللغط، وتكلم عمر وقال: والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم<sup>(2)</sup> ، فود عليه الحباب فقال: يا معشر الأنصار أملكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبيكم من هذا الأمر. فإن أبوا عليكم ما سألتوهم فاجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور. فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم فإنه بأسياكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين. أنا جذيلها المحكك وعذيقها الموجب أما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة. فقال عمر: إذا يقتلك الله، قال الحباب: بل إياك يقتل<sup>(3)</sup> ، وقال أبو بكر: إني قدرضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر أو أبو عبيدة<sup>(4)</sup> ، وانتهى الأمر بأن قال عمر: أبسط يدك يا أبا بكر فلا بايعك. فقال أبو بكر: بل أنت يا عمر فأنت أقوى لها مني ففتح عمر يد أبي بكر وقال: إن لك قوتي مع قوتك<sup>(5)</sup> ، إلى هذا الحد كان الأنصار يصون على موقفهم حتى قام بشير بن سعيد الخزرجي وكان حاسدا لسعد وقال: يا معشر الأنصار. إلا أن محمدا من قريش وقومه أولى به. وبايع، فناده الحباب بن المنذر: يا بشير بن سعد عقت عقاق ما أوجك إلى ما صنعت أنفست على ابن عمك الإمرة<sup>(6)</sup> ، فلما رأت الأوس ما صنع بشير. قام أسيد بن الحضير - قال صاحب الإصابة: كان أبو بكر لا يقدم عليه أحد من الأنصار. ولما مات أسيد وفي عمر دينه<sup>(7)</sup> - وقال: قوموا فبايعوا أبا بكر. فقاموا إليه فبايعوه، فأنكس على سعد بن عباد وعلى الخرج ما

(1) البخاري (الصحيح 291 / 2) ك بدء الخلق.

(2) الطوي (تزيخ الأمم 209 / 3).

(3) الطوي (209 / 3).

(4) البخاري كتاب بدء الخلق باب فضل أصحاب النبي (291 / 2) الطوي (209 / 3).

(5) الطوي (199 / 3).

(6) الطوي (209 / 3).

(7) الإصابة (48 / 1).

(1) كانوا أجمعوا له من أمرهم .

وحدث هوج وكانوا يطؤون سعد بن عبادة. فقال ناس من أصحاب سعد:

اتقوا سعد لا تطؤوه. فقال عمر: اقتلوه قتلته الله (2) . ثم قام على رأسه وقال: لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضوك. فأخذ سعد بلحية عمر، فقال عمر: والله لو حصصت منه شوة مارجعت وفي فيك واضحة (3) ، فقال سعد لعمر: أما والله لو أن بي قوة ما أقوى على النهوض - وكان مريضاً - لسمعت مني في أقطرها وسككها زئوا يحجزك وأصحابك. أما والله إذا لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعا غير متوع. ثم قال: احمولوني من هذا المكان. فحملوه فأدخلوه دراه. وترك أياما. ثم بعث إليه أن أقبل فبايع. فقال: أما والله حتى لميكم بما في كنانتي من نبلي. وأخضب سنان رمحي وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي. فلا أفعل وأيم الله. لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي وأعلم ما حسابي. فلما أتى أبو بكر ذلك. قال له عمر: لا تدعه حتى يبايع فقال له بشير بن سعد: أنه قد لج وأبى. وليس بمبايعكم حتى يقتل. وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته فاتركوه فليس تركه بضرلكم. إنما هو رجل واحد. فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد. وكان سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يجمع معهم ولا يحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم (4) ، فلم يزل كذلك حتى خلافة عمر بن الخطاب. فقال لعمر: كان صاحبك أحب إلينا وقد أصبحت والله كلها لجزرك. وأنا متحول إلى جوار من هو خير منك. وخرج سعد مهاجرا إلى الشام. وفي حوران قتل سعد (5) وقالوا لناس يومئذ: لقد قتلته الجن.

(1) الطبري (3 / 209).

(2) الطوي (3 / 210) البخري في الصحيح (2 / 291).

(3) الطوي (3 / 210).

(4) الطوي (3 / 210).

(5) ابن سعد (الطبقات 5 / 628).

وبعد أكان يرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الصواع والتهديد بإجلاء هؤلاء وقتل هؤلاء؟ إن ما ذكرناه اتفق عليه أصحاب الحديث والتاجم والسير واعتبروه من المسلمات. فهل يجوز على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتوك أمته ليكون الحال كما رأينا وهو الذي قال إني توكنكم على المحجة البيضاء ليلها كنهلها سواء. لقد وقف كل طرف يسأل الإمارة. ولقد روى الإمام مسلم أن رجلين دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال أحدهما: يا رسول الله أئنا على بعض ما ولاك الله عز وجل. وقال الآخر مثل ذلك. فقال النبي: أنا والله لا تولي هذا العمل أحدا سألته ولا أحدا أحرص عليه (1) ، لقد طلب كل منهما بعض ما ولاه الله. ولكن هيهات. إن الأمر لله ورسوله

والرسول قد يشلور أصحابه في أمر ما ولكن في النهاية فإن الغرم له وحده فإذا غرم فاعلم أن الغرم لهدف ومن وراء الهدف حكمة. وقد يعكف البعض على رضية المشلورة ويعتقدون أنه ما دام الرسول كان يشلورهم فإن لكلمتهم الخلود. وفاتهم أن الخلود يمكن في داوة الغرم وحدها ومن تعدى هذه الداوة فلا يؤمن عليه من الفتن قال تعالى: (وشلورهم في الأمر فإذا غرمت فتوكل على الله)، فهكذا أشوكهم سبحانه في المشلورة ووحدرسوله في الغرم. ولقد غرم الرسول أن لا يولي هذا العمل أحد سألوه ولا أحد أحرص عليه.

#### 4 - صواع خراج السقيفة.

روى الزبير بن بكار في كتابه: " الموفقيات والزبير " - قال فيه الذهبي: إمام ثقة من أوعية العلم <sup>(2)</sup> - لما بويع أبو بكر أقبلت الجماعة التي بايعته ترفه زفا إلى مسجدرسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(3)</sup> ، وروى الإمام البخاري عن أنس أنه بعد بيعة أبو بكر سمع عمر يقول لأبي بكر يومئذ اصعد المنبر فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة وكان قبل ذلك قد بايعته طائفة من

(1) رواه مسلم باب الإمارة (الصحيح 6 / 6).

(2) ميزان الاعتدال 66 / 2.

(3) ابن أبي الحديد عن كتاب الموفقيات 272 / 2.

الصفحة 291

(1) السقيفة ، وروى الزبير بن بكار أنه لما كان من الغد قام أبو بكر فخطب الناس وقال: أيها الناس إني وليت أمركم ولست بخيركم فإذا أحسنت فأعينوني وإذا أسأت فقوموني إن لي شيطاناً يعوتيني فإياكم وإياي إذا غضبت... " <sup>(2)</sup> . وقال الزبير بن بكار: وكان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون أن علياً هو صاحب الأمر بعدرسول الله صلى الله عليه وسلم. وأن الفضل بن العباس قال: يا معشر قريش وخصوصاً يا بني تيم إنكم إنما أخذتم الخلافة بالنوة ونحن أهلها دونكم ولو طلبنا هذا الأمر الذي نحن أهله لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا حسداً منهم لنا وحقداً علينا وإنا لنعلم أن عند صاحبنا عهداً هو ينتهي إليه <sup>(3)</sup> ، وقد ذكر الإمام علي <sup>(4)</sup> إنه كان معهود إليه أن لا يتلوع في الأمر ولا يثير فتنة بل يطلبه برفق فإن حصل له وإلا أمسك وذلك لأن الحجة قد قامت والامتحان قد بدأ ولا إكراه في الدين. وروى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة: بعد بيعة أبو بكر ذهب عمر بن الخطاب ومعه عصابة إلى بيت فاطمة منهم أسيد بن حضير فقال لهم: انطلقوا فبايعوا فأبوا عليه وروى الطوي أن عمر قال: والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة. فخرج عليه الزبير بسيفه <sup>(5)</sup> فقال عمر: عليكم الكلب، فوثب عليه سلمة بن أسلم وأخذ السيف من يده فضرب به الجدار، ثم انطلقوا بن وبعلي ومعهما بنو هاشم وعلي يقول: أنا عبد الله! وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!.

وروى صاحب كتاب السقيفة: وعندما انتهوا بعلي إلى أبي بكر فقبل له:

بايع فقال: أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبايكم وأنتم أولى بالبيعة لي. أخذتم

هذا الأمر من الأنصار واحتججتهم عليهم بالقوابة من رسول الله فاعطوكم المقادة وسلموا إليكم بالإمارة. وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتهم به على الأنصار فانصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم واعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم وإلا فيؤوا بالظلم وأنتم تعلمون. فقال عمر: إنك لست متروكا حتى تبايع، فقال له علي: احلب يا عمر حلبا لك شطه! اشدد له اليوم أمره ليرد عليك غدا!! ألا والله لا أقبل قولك ولا أبايعه، فقال له أبو بكر: فإن لم تبايعني لم أكرهك، وقال أبو عبيدة: يا أبا الحسن أنك لحديث السن وهؤلاء مشيخة قريش قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمر. ولا رى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر وأشد احتمالا له واضطلاعا به فسلم له هذا الأمر ورأس.

فإنك إن تعش ويصل عمرك فأنت لهذا الأمر خليق وبه حقيق في فضلك وقوابتك وسابقتك وجهادك. فقال علي: يا معشر المهاجرين الله الله. لا تخرجوا سلطان محمد عن دره وبيته إلى بيوتكم ودوركم ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه. فوالله يا معشر المهاجرين لنحن - أهل البيت - أحق بهذا الأمر منكم. أما كان منا القرئ لكتاب الله الفقيه في دين الله العالم بالسنة المضطلع بأمر الوعية والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتودلوا من الحق بعدا وانصرف علي إلى مقوله ولم يبايع (1).

الملاحظ هنا وخلال أحداث هذه الفترة فيما وصل إلينا أن الإمام عليا لم يحتج على قريش بالنص. ويمكن فهم السبب بخلفية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد خلال الأيام القليلة السابقة لهذه الأحداث أن يكتب لهم نصا ولكنهم حاولوا بينه وبين ذلك. إشفاقا عليه وإشفاقا على أنفسهم من أن يكتب لهم ما يعجزون عنه فتكون العقوبة أشد لكون الأمر مكتوب. فإذا كان القوم قد صادروا النص المكتوب لأن عقوبته أشد فإنه لا يستبعد أن يصادروا النص المسوع.

والإمام لوح بالنص في مواطن عديدة. فقوله لهم: " لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم "، فتح داوة حق من أراد أن يناقشها ناقشه والحق لا يخفى ثم قوله:

" والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوس " كشف داوة الهوى وهي أيضا مفتوحة للمناقشة.

وروى البيهقي بسند صحيح أن أبا بكر حين استخلف قعد في بيته حزينا فدخل عليه عمر بن الخطاب فأقبل أبو بكر عليه

يلومه وقال: أنت كلفتني هذا الأمر! وشكا إليه الحكم بين الناس. فقال عمر: أو ما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الوالي إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد. فكانه سهل على أبي بكر. (1)

## 5 - هتاف الأنصار:

بعد أن رُعم سعد بن عبادة جماعة من الأنصار ودعا إلى نفسه. قال الزبير بن بكار: أفسد حاله رجلا من الأنصار وهما عويم بن ساعدة ومعن بن عدي (2) وهما عيون المهاجرين على الأنصار. وذكر المدائني والواقدي: كان معن بن عدي يسوق أبا بكر وعمر سوفا عنيفا إلى السقيفة مباوأة إلى الأمر قبل فواته (3). وانتهى الأمر إلى مبايعة أبي بكر وأول من بايعه عمر ثم بشير بن سعد ثم أسيد بن حضير ثم أبو عبيدة بن الجراح ثم سالم مولى أبي حذيفة. والذين أنكروا بيعة أبي بكر: خالد بن سعيد بن العاص. وسلمان وأبو ذر والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وريدة الأسلمي وأبو الهيثم بن التيهان وسهل وعثمان ابنا حنيف وخزيمة بن ثابت وأبي بن كعب وأبو أيوب الأنصلي.

وروى الزبير بن بكار وقال الذهبي الزبير بن بكار إمام ثقة من أوعية العلم - عن إواهيم بن سعد بن إواهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: لما بويع أبو بكر واستقر أمره. ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته ولام بعضهم بعضا وذكروا عليا وهتفوا بإسمه وإنه في دلره لم يخرج إليهم وخزع لذلك المهاجرون وكثر في

(1) رواه البيهقي وابن رهوية وخزيمة (كنز العمال 630 / 5).

(2) ابن أبي الحديد 2 / 275.

(3) ( قدمنا الحديث بطوله فيما سبق ورواه الترمذي وصححه وابن جرير وصححه والضياء بسند صحيح (كنز 115، 173

/ 13 ) ( جامع الترمذي 634 / 5).

ذلك الكلام وكان أشد قوئيش على الأنصار نفر فيهم وهم: سهل بن عمرو والحلث بن هشام وعكومة بن أبي جهل. وهؤلاء أشرف قوئيش الذين حلوا النبي ثم دخلوا في الإسلام وكلهم موتور قد وّوه الأنصار. فلما اعتزلت الأنصار. تجمع هؤلاء. فقام سهيل بن عمرو فقال: يا معشر قوئيش إن هؤلاء القوم قد سماهم الله الأنصار. وأنتى عليهم الوآن فلهم بذلك حظ عظيم وشآن غالب. وقد دعا إلى أنفسهم وإلى علي بن أبي طالب. وعلي في بيته لو شاء لودهم! فادعوه إلى صاحبكم وإلى تجديد بيعته فإن أجاوبكم وإلا فاقتلوهم.

فوالله أنى لأرجو الله أن ينصركم عليهم كما نصرتهم بهم.

وقال الحلث: فإنه قد لهجوا بأمر إن ثبتوا عليه. فإنهم قد خرجوا مما وسما به وليس بيننا وبينهم معاتبة إلا السيف...

وقال عكومة: إن الذي هم فيه من فلتات الأمور ووزغات الشيطان. وما لا يبلغه المنى ولا يحمله الأمل اعنروا إلى القوم فإن

أبوا فقاتلوهم.

الملاحظ أن مقدمة القوم هنا هو سهل بن عمرو. وهو بالذات يحفظ في ذاكرته قول النبي يوم الحديبية والذي أنزوه فيه

بمعركة يدخوها الغيب لهم عقوبة على ما في قلوبهم، ففي الحديث الصحيح عن ربي عن علي قال: لما كان يوم الحديبية خرج ناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو - إلى أن قال - فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معشر قريش لتنتهين أو ليعثن الله عليكم من يضوب رقابكم بالسيف على الدين قد امتحن الله قلبه على الإيمان. قالوا: من هو يارسول الله؟ وقال أبو بكر: من هو يارسول الله. وقال عمر: من هو يارسول الله قال: هو خاصف النعل - وكان قد أعطى عليا نعله يخصفها.

لهذا لا يستغوب خوف سهيل بن هتاف الأنصار بعلي. وقوله: "وعلي في بيته لو شاء لودهم" يبين مدى خوعه. ولا يستغوب منه أن يطالب بتحديد دعوة الأنصار لأبي بكر فإن أجابوا فهو الأمان. وإلا فقتلهم أولى. وعلى ضوء هذا كله يمكن أن نفهم لماذا لم يخرج علي بن أبي طالب بأي وسيلة مطالباً بالأمر.

فالسكوت كان لقلة الأتباع وظهور سهيل بن عمرو وطايرره. وهم الذين أخرجوا

الصفحة 295

الرسول من قبل فكيف بعلي! ثم علينا أن نأخذ عدة خطوات للإمام ونقول. ماذا حدث عندما أظهر الإمام نفسه وبويع بالخلافة؟ لقد اشتعل التواب نرا مع العلم إن هذا الاشتعال كان بعد وفاة النبي بربع قرن تقريبا فما بالك لو كان هذا الاشتعال بعد وفاة النبي بيوم واحد.

ذكر الزبير بن بكار أن عمرو بن العاص قدم من سفر كان فيه. وعندما علم بالأحداث وما كان من يوم السقيفة وما تلى ذلك أدلى بدلوه وقال: لقد قاتلنا الأنصار بالأمس فغلبونا على البدء ولو قاتلناهم اليوم لغلبناهم على العاقبة، فلما بلغ الأنصار مقالته قال شاعر الأنصار النعمان بن العجلان فيه شوا<sup>(1)</sup> ، فلما انتهى شعر النعمان وكلامه إلى قريش غضب كثير منهم. وفي هذا الوقت قدم خالد بن سعيد العاص من اليمن. وكان له ولأخيه أثر قديم عظيم في الإسلام.

ولهما عبادة وفضل. فغضب للأنصار وشم عمرو ابن العاص وقال: يا معشر قريش إن عموا دخل في الإسلام حين لم يجد بدا من الدخول فيه. فلما لم يستطيع أن يكيد به بيده كاده بلسانه وإن من كيد الإسلام توقيه وقطعه بين المهاجرين والأنصار، والله ما حربناهم للدين ولا للدنيا. لقد بذلوا دماءهم على الله تعالى فينا وما بذلنا دماءنا الله فيهم وقاسمونا ديولهم وأموالهم وما فعلنا مثل ذلك بهم وآثرونا على الفقر وحرمانهم على الغني ولقد وصى رسول الله بهم وغواهم عن جفوة السلطان فأعوذ بالله أن أكون وإياكم الخلف المضيع والسلطان الجاني<sup>(2)</sup> .

وخالد بن سعيد بن العاص هو الذي امتنع عن بيعة أبي بكر وقال: لا أبايع إلا عليا. وروى الزبير بن بكار: أن رجالا من سفهاء قريش ومثوي الفتن منهم اجتمعوا إلى عمرو بن العاص فقالوا له: إنك لسان قريش ورجلها في الجاهلية والإسلام فلا تدع الأنصار، وما قالت. فراح إلى المسجد وفيه ناس من قريش وغوهم فتكلم وقال: إن الأنصار ترى لنفسها ما ليس لها.

وأيم الله لوددت

أن الله خلى عنا وعنهم وقضى فيهم وفينا بما أحب. ولنحن الذين أفسدنا على أنفسنا أحرزناهم عن كل مكروه وقدمناهم إلى كل محبوب حتى آمنوا المخوف فلما جاز لهم ذلك صغروا حقنا ولم راعوا ما أعظمنا من حقوقهم... فقال له الفضل بن العباس بن عبد المطلب: يا عمرو إنه ليس لنا أن نكتم ما سمعنا منك. وليس لنا أن نجيبك وأبو الحسن شاهد بالمدينة إلا أن يأمرنا فنفعل. ثم رجع الفضل إلى علي فحدثه فغضب وشمتم عمرا وقال: أذى الله ورسوله. ثم قام فأتى المسجد فاجتمع إليه كثير من قريش وتكلم مغضبا فقال: يا معشر قريش إن حب الأنصار إيمان وبغضهم نفاق. وقد قضا ما عليهم وبقي ما عليكم (!)، واذكروا أن الله تعالى رغب لنبيكم عن مكة فنقله إلى المدينة. وكوه له قريشا فنقله إلى الأنصار. ثم قدمنا عليهم بلهم ففاسمونا الأموال وكفونا العمل فصونا منهم بين بذل الغنى وإيثار الفقير ثم حلربنا الناس فوقونا بأنفسهم وقد أقر الله تعالى فيهم آية من القرآن جمع لهم فيها بين خمس نعم فقال: (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) <sup>(1)</sup> ، ألا وإن عمرو بن العاص قد قام مقاما (أذى فيه الميت والحي. ساء به الواتر وسر به الموتور فاستحق من المستمع الجواب ومن الغائب المقت. وأنه من أحب الله ورسوله أحب الأنصار. فليكفف عمرو عنا نفسه. قال الزبير بن بكار: فمشت قريش عند ذلك إلى عمرو بن العاص فقالوا: أيها الرجل أما إذا غضبت علي فأكفف وقال علي للفضل: يا فضل أنصر الأنصار بلسانك ويدك فإنهم منك وإنك منهم. فقال الفضل:

قلت يا عمرو مقالا فاحشا \* إن تعد يا عمرو والله فلك  
 إنما الأنصار سيف قاطع \* من تصبه طبة السيف هلك  
 وسيوف قاطع مضوبها \* وسهام الله في يوم الحلك  
 نصروا الدين وأووا أهله \* متول رحب ورزق مشترك

(1) سورة الحشر: الآية 9.

وإذا الحرب تلظت نلها \* يركوا فيها إذا الموت برك  
 ودخل الفضل على علي بن أبي طالب فأسمعه شوه فوح به. وأمره أن يظهر شوه ويبعث به إلى الأنصار. فلما بلغ ذلك الأنصار بعثوا إلى حسان بن ثابت فعوضوا عليه شعر الفضل. فقال: كيف أصنع بجوابه إن لم أتحرقوا فيه فضحني فرويدا حتى أقفو أثره في القوافي. فقال له خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين: اذكر عليا وآله يكفك عن كل شيء. فقال:

حزى الله عنا والخزاء بكفه \* أبا حسن عنا ومن كأبي حسن  
 سبقت قريش بالذي أنت أهله \* فصرك مشروح. وقلبك ممتحن

تمنت رجال من قویش أغوۃ \* مكانك . هیهات الهوال من السمن  
وأنت من الإسلام فی كل موطن \* بمتولة الدلو البطین من الوسن  
غضبت لنا إذ قام عمرو بخطیة \* أمات بها التقوی وأحیا بها الإحن  
فكنت الموجی من لؤی بن غالب \* لما كان منهم . والذي كان لم یكن  
حفظت رسول الله فینا وعهده \* إلیك . ومن أولى به منك من ومن  
ألست أخاه فی الهدی ووصیه \* وأعلم منهم بالكتاب وبالسنن  
فحقك ما دمت بنجد وشیجة \* عظیم علینا ثم بعد علی الیمن<sup>(1)</sup>

فی هذا الشعر صوحت الأنصار بوصیة النبی لعلی :

ألست أخاه فی الهدی ووصیه \* وأعلم منهم بالكتاب وبالسنن

ولقد قالوا هذا الشعر وهتفوا باسم علی . وهذا الأمر یقتضی من الباحث أن یلتمس للأنصار الأعذار وأن ینظر إلی حركتهم  
من البدء إلی الانتهاء بمنظور الفطوة والرسول الأکرم هو الذي أرشدنا إلی التماس الأعذار لهم . كان صلی الله علیه وسلم  
یقول لهم : " اللهم أنتم من أحب الناس إلی " <sup>(2)</sup> ، وقال النبی الأکرم : " أیها الناس فإن الناس یكثرון ونقل الأنصار حتی یكونوا  
کالملاح فی الطعام فمن ولی منكم أمرا یضر فیہ أحد أو ینفعه فلیتقبل من محسنهم ویجتاوز

---

(1) ابن أبی الحدید نقلا عن الزبیر بن بکار 283 / 2 .

(2) البخاری (الصحیح 310 / 2) ك بدء الخلق ب مناقب الأنصار .





عن مسيئهم" (1) ، فمن هذا الشعر وهذا الهتاف الذي رواه الزبير بن بكار الإمام الثقة. يمكن القول أن الأنصار علموا بعد وفاة الرسول أن صفحة جديدة ستفتح لهم. قال لهم النبي: " إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني وموعدكم الحوض " (2) ، وكما علمنا من قبل أن الكتاب والعزة لا يفترقان حتى يردا على الحوض وإن عليا سيدفع المنافقين عنه. ولما كان الأنصار قد اشتروا مع علي في أرضية واحدة حيث " لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق " فإن دعوة الرسول لهم أن يصبروا حتى يلقوه وموعدهم الحوض. تعني أنه يحثهم على التمسك بالأرضية التي وقفوا مع علي بن أبي طالب ولا يفلقوه. لأن هذه الأرضية بمثابة المقدمة لنتيجة ستظهر آثارها يوم القيامة.

لقد علم الأنصار أن هناك تولات ستحدث. وأن أي مواجهة عسكرية ستكون خسارة فادحة للفائز فيها فضلا على أنها ستحدث في الإسلام فجوات الله وحده أعلم بها. لهذا فضل أغلب الأنصار الاعوَال وعلى رأسهم أبي بن كعب. أما سعد بن عباد ومن معه فقد حسبوا بطريقة أخرى. لقد رأوا أن يواجهوا الأثرة التي ستحدث لهم بعد وفاة الرسول بالاحتماء في السلطة وذلك بزحامة المهاجرين فيها. لعلمهم أن المهاجرين يطالبون بما ليس لهم. بمعنى أن المهاجرين زاحموا على شئ هم ليسوا من أهله فلا مانع أن زاحمهم الأنصار.

وأي اتفاق مهما كان حجمه فسيدخل الأنصار به دائرة الأمان حتى يحدث الله بعد عسر يسوا. ولذا نجدهم في أول الأمر طالبوا بالقيادة لسعد بن عباد. ثم تشاوروا فيما بينهم وتولوا درجة وقالوا منا أمير ومنكم أمير. واعتقد أنه لو تأخر النعمان بن بشير وأسيد بن حضير عن المبايعة وهمة من يؤمن لتوصل الأنصار إلى الحصول على موطن قدم يحقق لهم الحماية ويدخلهم في عملية التوليات التي تشترك فيه أطراف عديدة.

والذي يؤيد ما ذهبنا إليه من أن حركة سعد بن عباد كان هدفها حقن دماء

(1) البخاري (الصحيح 312 / 2).

(2) البخاري (الصحيح 311 / 2) ورواه مسلم (الصحيح 152 / 7).

الأنصار ولكن بالمنورة على السلطة أن شواء المهاجرين إذا هاجموا سعد بن عباد. حزن الأنصار كلهم في الوقت الذي يهتفون فيه باسم علي بن أبي طالب!

وخروج علي بن أبي طالب وشتمه عمرو بن العاص سببه يرجع في الابتداء إلى شعر قاله عمرو في سعد والأنصار. من هذا قول عمرو كما روى الزبير بن بكار:

عجبت لسعد وأصحابه \* ولو لم يهيجوه لم يهج

رجا الخرج رجاء السواب \* وقد يخلف المراء ما يوتجى

فكان كمنح على كفه \* بكف يقطعها أهج

قال الزبير: فلما بلغ الأنصار مقالته بعثوا إليه لسانهم وشاعوهم النعمان بن عجلان... وتحدث إليه النعمان (1) ثم قال فيه

شعوا جاء فيه:

وقلتم حرام نصب سعد ونصبكم \* عتيق بن عثمان حلال أبا بكر  
وأهل أبو بكر لها خير قائم \* وإن عليا كان أخلق بالأمر  
وكان هوانا في علي وإنه \* لأهل لها يا عمرو من حيث لا توي  
فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى \* وينهي عن الفحشاء والبغي والنكر  
وصى النبي المصطفى وابن عمه \* وقاتل فوسان الضلالة والكفر (2)

فكما ترى شعر من عمرو بن العاص في سعد. انتهى إلى حيث انتهى.

وبعد السقيفة وقف الأنصار ومن حولهم أمثال سهيل بن عمرو وعكومة ابن أبي جهل وعمرو بن العاص. وانتظم معهم في الطابور الوليد بن عقبة الذي قال عنه الزبير بن بكار: كان يبغض الأنصار لأنهم أسروا أباه يوم بدر وضربوا عنقه بين يدي رسول الله. وقال الوليد في الأنصار شعوا شتم فيه الأنصار (3)، ودخل الأنصار دائرة الصبر. يقول الزبير: وأقبل حسان بن ثابت مغضبا من كلام الوليد بن عقبة وشوهه. فدخل المسجد وقال: يا معشر قريش إن أعظم ذنبنا

(1) راجع الحديث في المطولات.

(2) ابن أبي الحديد 280 / 2.

(3) ابن أبي الحديد 284 / 2.

الصفحة 300

إليكم قتلنا كفلركم وحمایتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كنتم تتقمون منا حنة كانت بالأمس فقد كفى الله شوها. فما لنا وما لكم. والله ما يمنعنا من قتالكم الجبن. ولا من جوابكم العبي. إنا لحي فعال ومقال. ولكننا قلنا: إنها حرب أولها عار وآخرها ذل فأغضينا عليها عيوننا. وسحبنا ذبولنا حتى ترى وتروا فإن قلتم قلنا وإن سكتتم سكتنا.

فلم يجبه أحد من قريش. ثم سكت كل من الوقيين عن صاحبه (1)، وظل الأنصار تحت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال لهم فيه: "إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا" (2)، والذي قال النووي في شوحه: أي يستأثر عليكم ويفضل عليكم غيركم بغير حق (3)، ظلوا على أرضية الصبر حتى كان زمن علي بن أبي طالب فبايعوه كلهم وحلوا تحت رايته. وبعد وفاة علي وفي عصر يزيد بن معاوية جاء يوم الحوة وهو اليوم الذي بايعوا فيه ليزيد على أنهم عبيد.

## 6 - الخلافة في قريش:

في سقيفة بني ساعدة لم يذكر فيها نص عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن الأئمة من قريش والروايات الواردة في الجدل الذي دار بين المهاجرين وبين الأنصار ليس فيها إلا إلى أبي بكر وعمر بأن قريشا أهل النبي صلى الله عليه وسلم وعشوته وأن العرب لا تطيع غير قريش. وقول أبي بكر لهم: إن هذا الأمر لا يصلح إلا لهذا الحي من قريش. ليس نصا

مرويا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد يكون أبو بكر قد ذكر هذا بناء على نص سمعه من رسول الله فنقل لهم معناه. وفي أثناء المواجهة بين المهاجرين وبين الأنصار برز علي بسطح القول: " بأن الأئمة من قريش "، وكان أول من قال به عكرمة بن أبي جهل ثم أكده عمرو بن العاص عندما عاد من سؤه ثم رواه بعد

(1) ابن أبي الحديد 285 / 2.

(2) رواه البخاري (الصحيح 311 / 4) مسلم (الصحيح 152 / 7).

الصفحة 301

ذلك معلوية بن أبي سفيان وغوه، وروى عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا زال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان " (1). وحديث الأئمة من قريش لا جدال في أنه حديث صحيح ولكن الكثير اختلف في تحديد معناه ومبناه. قال البعض: إن النسب ليس بشروط وأن الإمامة تصلح في القوشي وغير القوشي إذا كان سيجمعنا للشوائب المعتوة. وقال البعض: إن القوشية شرط إذا وجد في قريش من يصلح للإمامة فإن لم يكن فيها من يصلح فليست القوشية شرط فيها. وقال البعض: إن النسب شرط فيها وأنها لا تصلح إلا في العوب خاصة ومن العوب فقريش خاصة. وقال في فتح البلري: وقال البعض لا تجوز إلا في بني أمية وعن بعضهم لا يجوز إلا في ولد عمر. وقال ابن حزم ولا حجة لأحد من هؤلاء الفوق. وبالغ ضوار بن عمرو فقال: تولية غير القوشي أولى لأنه يكون أقل عشوة فإذا عصى أمكن خلعه (2) وقال البعض إنها في العباس وولده من بطون قريش كلها. وقال البعض الآخر: إنها في الفاطميين. وقال آخرون: تجوز في غير الفاطميين من ولد علي بن أبي طالب وهناك من جعلها في محمد بن الحنفية وولده، ومنهم من نقلها منه إلى ولد غوه. قال البعض: إنها سلبية في ولد الحسين في أشخاص مخصوصين. وهذا الاختلاف ليس معناه أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ترك أمته ولم يبين لهم وجه الصواب في هذه المسألة. لقد بين وساق الناس إلى الصواب المستقيم. ولكن السياسة كان لها أفعال وأفعال وإليها يعود كل اختلافات الأمة. وعلى أي حال فكل فريق وكل طائفة لديه أصوله وحججه. ولأننا نبحت هنا في المواجهة بين المهاجرين وبين الأنصار يحتم علينا البحث أن نلقي الضوء على عنوان " الأئمة من قريش ". ونحن أمام هذا العنوان يجوز لنا أن نسأل إذا كان الأئمة من قريش فما معنى قول عمر بن الخطاب: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا

(1) رواه البخاري في مناقب قريش (الصحيح 265 / /).

(2) فتح البلري 118 / 13.

الصفحة 302

لاستخلفته (1)، وما جعلتها شورى (2)، وسالم لم يكن قوشيا وإنما كان من المؤيدين الأوائل للمهاجرين يوم السقيفة. وإذا كان

الأئمة من قريش فأبي قريش يعنيها الحديث؟ ومن المعروف من عبد مناف خرجت شجرة بني هاشم وشجرة بني عبد شمس حيث بني أمية وبني العاص وقال ابن حجر في فتح البلي: وقد وردت أحاديث في لعن الحكم والد مروان وما ولد أخرجها الطواني وغوه وبعضها جيد (3) فما معنى أن يكون على رقبة الأئمة أئمة ملعونين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم. والذي ينظر في التلخيص نظرة المتدبر تجد معالم الفتن التي غرست في هذه العهود وإن كان يعولها البويقي والخوف وكل أوثان التبيين. وهذه الفتن ما ترتب عليها من حركة تؤكد صحة هذه الأحاديث.

فأبي قريش التي تدخل تحت سقف " الأئمة من قريش " مع العلم أن قريشا كما ذكر المسعودي خمسة وعشرون بطنا (4) ، قد يقال: يدخل تحت هذا السقف من كان مستجمعا للشوائب المعتوة. نقول: كيف؟ والأمة بها العديد من النوائب التي هدفها الصد عن سبيل الله. وفيها أصحاب الخشوع الزائف والمنافق عليم اللسان والأئمة المضلين وجميع هؤلاء ورد فيهم أحاديث صحيحة. وغير هذا.

هل يمكن للناس الوصول إلى من يتصف بالصفات الحميدة. وهل في وسعهم الاتحاد والاتفاق على اختياره وانتخابه؟ فإذا كانت الإجابة بنعم. فما معنى اختلاف الأمة في الإصابة. وهل القوشية شوط أو أن النسب ليس بشوط. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الأمة ليست متفقة في الوأي وإن لكل فود أو قبيلة رأي يخالف الباقين. ومن المعلوم أن أي اختلاف وأي افتراق لا بد وأن تدؤه حجة من الله. حتى إذا اختلفوا لم يكن لهم على الله حجة. بمعنى إن الله تعالى يرشدكم إلى الحق ويحيطهم علما بذلك. فإذا بغوا كان بغيتهم بعد العلم وبهذا لا يكون لهم على الله حجة.

(1) الطبري 34 / 5.

(2) الإستبصار في معرفة الأنصار ص 296.

(3) فتح البلي 11 / 13 كتاب الفتن.

(4) مروج الذهب / المسعودي 276 / 2.

الصفحة 303

إن سقف الأئمة من قريش سقف واسع ولا يمكن تحديد من كان مستجمعا للشروط المعتوة وفقا لمقاييس القلوب إلا بلرشد من رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما الاستجماع للشروط وفقا للصور والثياب واللون وبلاغة اللسان فهذه أمور أخرى. وليس معنى أن الأئمة من قريش أن القوشي يستحق الإمامة. كما أنه ليس المعنى إن الله كرم الإنسان إن كل إنسان سيدخل الجنة وينال رضاربه جل وعلا. ومن الدليل أن القول بإمامة قريش قول واسع لا بد له من تحديده وخوف النبي صلى الله عليه وسلم على أمته من قريش نفسها فقال: " يهلك أمتي هذا الحي من قريش " (1) ، وقال: " إن هلاك أمتي على يدي غلظة من قريش " (2) ، وطالب باعواهم فقال: " لو أن الناس اعترلوهم " (3) ، إن التعريف الواسع يدفع إلى الفتن روى الإمام أحمد عن عمران بن حصين قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنني لا أخشى على قريش إلا نفسها قلت:

وما هو؟ قال: أشحة سريرة أن طال بك عمر رأيتهم يفتنون الناس حتى روى الناس بينهم كالغنم بين الحوضين مرة إلى هذا

ومرة إلى هذا " (4) ، وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ولتحملنكم قريش على سنة فارس والروم ولتؤمنن عليكم اليهود والنصرى والمجوس " (5) .

إن هذه حقائق. وعندما تزوع الزرع في عهد بني أمية قال أبو بزة " إني أصبحت ساخطا على أحياء قريش " (6) ، فأبي قريش؟ هل يمكن تفادي ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيحدث بأن يختار الناس لأنفسهم؟ وما ذكوه

---

(1) رواه البخاري ك بدء الخلق ب علامات النبوة (الصحيح 2 / 280) مسلم ك الفتن (الصحيح 18 / 41) أحمد (الفتح الرباني 23 / 39).

(2) ( رواه البخاري (الصحيح 2 / 280) ك بدء الخلق ب علامات النبوة.

(3) البخاري (2 / 280) مسلم كتاب الفتن (18 / 41) أحمد (الفتح 23 / 39).

(4) ( رواه أحمد وقال الهيثمي رواه أحمد والطواني ورجاله ثقات (الزوائد 5 / 248).

(5) ( رواه الطواني (الزوائد 7 / 236).

(6) البخاري لا الأحكام (الصحيح 4 / 230) وأحمد والنسائي وابن ماجه والطواني (الفتح الرباني 23 / 189).

---

الصفحة 304

النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في قريش قال مثله في مضر فعن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " إن هذا الحي من مضر لا تدع الله في الأرض عبدا صالحا إلا افنتته وأهلكته " (1) ، وفي رواية: " إلا فنتوه أو قتلوه " (2) مما سبق علمنا أن عنوان الأئمة من قريش عنوان واسع، ولكي نحدد المكان الخاص تحت السقف العام. فلا بد أن نحدد أولاً: أين جانب الفخر في قريش؟ هل هو في قريش أم في عبد مناف أم في ولاده. أم أن جانب الفخر في رسول الله صلى الله عليه وآله وأله وسلم؟ روى أن عبد الله بن الزبير تفاخر يوماً أمام ابن عباس، بأن أبيه هو رسول الله وأسماء بنت أبي بكر أمه وعمته خديجة سيدة نساء العالمين وأن عائشة أم المؤمنين خالته وأن صفية عمة رسول الله جدته. فقال ابن عباس: لقد ذكرت شرفاً رفيعاً. وإنك لم تذكر فخراً إلا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وأنا أولى بالفخر منك، لقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " ما افترقت فرقتان إلا كنت في خوهما "، وقد فرقناك يا ابن الزبير من بعد قصي بن كلاب. أفنحن في فرقة الخير أم لا؟ إن قلت نعم خصمت وإن قلت لا. كفت.. فالرسول صلى الله عليه وآله هو جانب الفخر في قريش وعنده يكون الشموخ وفيه يكون الطهر. ومكانة الرسول صلى الله عليه وآله منذ نور الله نورية آدم مكانة رفيعة فلقد جعله الله في خير فوق وخير القبائل وخير البيوت وخير النفوس. فعن وائلة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم " (3) ، لقد سار الفخر على امتداد التاريخ حتى استقر في المكان الذي يقف فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فمن أراد الفخر فلا يبحث في محطة قريش وإنما يبحث في المكان الذي استقر عنده.

---

(1) رواه أحمد وقال الهيثمي رواه أحمد والبخاري وأحمد وأحد أسانيد البزار وأحد أسانيد رجال الصحيح (الفتح 23 / 240).

(2) رواه أحمد (الفتح 240 / 23).

(3) رواه مسلم ك الفضائل (الصحيح 36 / 15) والترمذي وصححه (الجامع 583 / 5).

الصفحة 305

وبما أن بني هاشم بيوت ولرسول بيتا فيهم، تم تحديد دائرة في بني هاشم وفي هذه الدائرة يوجد الفخر. قال النبي صلى الله عليه وسلم:

" إن الله خل الخلق فجعلني في خوهم فوقة. ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خوهم بيتا وخوهم نفسا " (1) . فالدائرة التي نقصدها هي دائرة النفس. أي الدائرة التي ترتبط بالروح أكثر من ارتباطها بالأرض. وترتبط بالهدف أكثر من ارتباطها بالقبائل. ومقام النفس له معالم وامتداد. وإذا أردنا أن نضع أيدينا عليه. فلنؤا قوله تعالى: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) (2) ففي هذه الآية وردت أحاديث تلقنتها الأمة بالقبول. وقال فيها العلماء قولا واحدا هو: إن معنى (أنفسنا وأنفسكم)، رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب (وأبناءنا) الحسن والحسين (ونساءنا) فاطمة (3) فالفخر بعد رسول الله ترى معالمه في دائرة النفس والمنتدبر في قول النبي لعلي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق يتبين ذلك بسهولة ويسر. ولقد قدمنا فيما سبق الأحاديث الصحيحة التي أخبر فيها النبي صلى الله عليه وسلم بأن عليا أصل شجرة الرسول. وإن أولاده هم عزة الرسول. وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كل بني آدم ينتمون إلى عصابة إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم " (4) ، وفي رواية: " إن لكل بني أب عصابة ينتمون إليها إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم وهم عتوتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين بفضلهم من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله " (5) ، واستورية دائرة النفس وتفضيلها على غيرها جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: " نحن خير من أبنائنا وبنونا خير من أبنائهم وأبناء بنينا خير من أبناء

(1) رواه الترمذي وصححه (الجامع 584 / 5) وأحمد (الفتح الرباني 266 / 21).

(2) ( سورة آل عمران: الآية 61.

(3) تفسير ابن كثير 351 / 1.

(4) رواه الطواني عن فاطمة (كنز العمال 116 / 12).

(5) رواه ابن عساكر والحاكم عن جابر (كنز 98 / 12).

الصفحة 306

(1) ، وقوله: " نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد " (2) .

ومهمة دائرة النفس هي سوق الناس إلى ربهم. ومن صفات أصحاب هذه الدائرة أنهم يقفون على رضية الرسول. رضية العبد الكريم. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " إن الله جعلني عبدا كريما ولم يجعلني جبلا عنيدا " (3) ، وقال: " إنا بعثت رحمة ولم أبعث عذابا " (4) .

ووفقا لما تقدم نقول: إن النبي صلى الله عليه وآله إذا ذم قريشا أو أمر باعوتها. فإن المقصود بقريش. قريش التي لا يوجد فيها. وإذا أمر بالالتفاف حول قريش فليس معنى هذا أن نبحت عن نسل عبد مناف ونجوي وراء أبناء عبد شمس حديث أمية وحرب وأبو سفيان وحيث العاص والحكم ومروان وامتداد طايرهما الطويل. أو نبحت في أصول العباس التي تنتهي عند الخليفة المستعصم وإنما علينا أن نبحت أين رسول الله صلى الله عليه وآله. وكما ذم النبي صلى الله عليه وآله قريشا ذم أيضا مضر. كما قدمنا وفي مقابل ذلك قال: " إذا اختلف الناس فالحق في مضر " (5) ، ولماذا يكون الحق في مضر؟ الإجابة: لأن للنبي قدم في مضر قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " إن جبريل أخونني أي رجل من مضر " (6) ، وإذا كان للرسول امتداد إلى مضر فإن هذا الامتداد ينتهي أيضا إلى أهل البيت. وفروع مضر كان يعلمها الأوائل وهم المخاطبون بهذا الحديث. والحكمة من وراء هذا جمع القبائل عند نقطة واحدة. وبيان أن الانتساب إلى القبائلية والشعبية في الماضي الغابر لا جوى من ورائه. فالإنسان لا قيمة له إلا الحق والالتفاف حول الحق. وبعد ذلك كله يمكن أن نفهم حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " الناس تبع لقريش صالحهم تبع لصالحهم

(1) رواه الطبراني عن معاذ (كنز 104 / 12).

(2) رواه الديلمي (كنز 104 / 12).

(3) رواه الترمذي (كنز 426 / 11).

(4) رواه البخاري في التريخ (كنز 426 / 11).

(5) رواه ابن أبي شيبة والطواني (كنز 59 / 12).

(6) ابن سعد (الطبقات 59 / 2).

وشورهم تبع لشورهم " (1) ، ويمكن أن تفهم قوله: " يا أيها الناس لا تعلموا قريشا وتعلموا منها فإنهم أعلم منكم " (2) ، ألم تر فيما قدمنا إنهم كانوا يضربون كتاب الله بعضه ببعض ويتأولونه في غير موضعه. فمن منهم الأعلم والراسخ في العلم؟ ويمكن أيضا أن نعلم موضع الإمامة في حديث مسلم الذي رواه جابر بن سورة. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة " - وفي لفظ - لا زال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا - وفي لفظ - لا زال الإسلام عزوا إلى اثني عشر خليفة - وفي لفظ - لا زال هذا الأمر عزوا إلى اثني عشر خليفة " ، ثم قال جابر بن سورة بعد أن سمع ذلك من رسول الله: " ثم تكلم النبي بكلام خفي علي " - وفي لفظ - ثم قال كلمة لم أفهمها - وفي لفظ - ثم تكلم بشئ لم أفهمه قال جابر: " فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلهم من قريش " (3) .

والخلاصة أن الإمامة تصيب الذين يعلمون الذين يهدون إلى الحق، قال تعالى: (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي) (4) ، وإن القول بالأئمة من قريش قول فضفاض ريد به إخراج آل محمد من الإمامة. ثم إن هذا القول لم يظهر في السقيفة وإنما ظهر بعدها أثناء المواجهة بين المهاجرين وبين الأنصار. ومن العجيب أن الذي روج له في بداية الأمر عكرمة

بن أبي جهل وسهيل بن عمرو ثم جاء من بعدهما عمرو بن العاص ومعاوية وغورهما. ومن الأعجب أن الواحد في كتابه المسمى بأسباب النزول ذكر في قوله تعالى:

(فقاتلوا أئمة الكفر)، إنها تولت في سهيل بن عمرو وعكرمة وأبي سفيان، وروى عن الإمام علي وحذيفة: أن أهل هذه الآية لم يقاتلوا بعد. وكما علمنا أن

---

(1) رواه أحمد وقال في الفتح، قال الهيثمي رجاله ثقات (الفتح الرباني 226 / 24) ورواه البخاري بلفظ آخر (الصحيح 264 / 2)، ومسلم (الصحيح 6 / 2 ط كتاب التحرير).

(2) رواه ابن أبي عاصم (كتاب السنة 636 / 2) وقال في فتح البلري: أوجه البيهقي والطواني والشافعي (فتح البلري 118 / 13).

(3) رواه مسلم كتاب الإمرة (الصحيح 3 / 6 ط كتاب التحرير).

(4) سورة يونس: الآية 35.

---

الصفحة 308

هؤلاء كانوا يعلمون من يوم الحديبية أن لهم يوما سواجه طابيرهم فيه خاصف النعل وعلى هذا وذاك لا نستبعد أن يكون الحديث على هذه الصورة وكان عن عمير.

---

الصفحة 309

## ثانيا - دائرة الرأي

بعد السقيفة فتحت أولى صفحات دائرة الرأي. وهي دائرة تقوم على الشهادتين وعلى احترام شعائر الدين. لكنها لا تعرف السلطة الدينية ولا تعترف بها ولا تحبذ الائتام بالمثاليات الدينية والنواحي الإدارية والسياسية وكان همها الأكبر قوة الدولة واستقرارها... وذلك لأن الحكم في دائرة الرأي أساسه رضا الناس واختيلهم فالأمة عنده هي الأصل.

وكما بينا من قبل أن أحداث السقيفة - في رأينا - جاءت بعد أن تبين كبار الصحابة ما يحيط بالدعوة من مكائد وإن العرب لا تطيع عليا. ومن السقيفة خرج نظام الخلافة. والخلافة ليست نظاما إلهيا نبويا. فهي جاءت على قاعدة إختيار الصحابة. والاختيار ليس دينا بأي حال. ونحن إذا أخذنا خطوة إلى الإمام واستبقنا الأحداث نجد أن الخلافة تحولت فيما بعد إلى ملك وجبوية فإذا بحثنا عن الأسباب وجدنا أن كبار الصحابة الذي خافوا على الإسلام من أعدائه يوم السقيفة. أقاموا حصونهم على حدود من الرمال الناعمة. فلم تتمكن الحصون من التغلب على طبيعة الموروث العشائري عند العرب ولا عن الموروث الكيدي عند كفار أهل الكتاب وغورهم. فبعد فترة تعاون الموروث العشائري مع الموروث الكيدي في مقاومة نظام الخلافة. قامت نوائر النفاق بالنخر في الجدار ثم بالإغرة عليه وفي النهاية تركاه صويحا تسفعه الرياح بعد أن اتولقت حصونه المشيدة على حافة الرمال - وفي أعماق الشقوق رفعت أعلام



الملك والجبرية وحولها وقف علمؤهم لإرساء قواعد الاستبداد. فقالوا بفصل الدين عن السياسة بحجة أن العمل السياسي ليس عملاً دينياً لكنه فعل بشوي يحتمل الخطأ والصواب ويمكن نقضه أو نقده أو العدول عنه. وتحت هذه الحجة ارتكبت أفظع الحرائم في حق المسلمين ولم يستطع أحد أن ينقض أو ينقد لأن الفعل البشوي تحت قبة الجبروت لا يمكن نقده أو العدول عنه. ونتيجة لهذا برزت مشكلة أساسية ألا وهي اجتزاء المسلمين على السلطة وخروجهم عليها باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة. وطمعا في الحكم تارة أخرى. لقد كانت البداية حصون على الرمال. وكانت الخاتمة شقوق ودهاليز تحت سطح الأرض. وبين هذا وذاك ترى الأحداث التي أدت إلى الخسف.

## 1 - من معالم الرأي:

إذا أردنا أن ننسب الرأي إلى أصوله فسنجد أن أهم أصوله عمر بن الخطاب. فقد كانت شخصيته من أبرز شخصيات الصحابة في هذا الباب يقول الدكتور عبد الحميدة متولي: لم يقتصر عمر فحسب على الاجتهاد أو استعمال الرأي حيث لا نص من كتاب أو سنة إنما ذهب إلى مدى أبعد من ذلك. إذ كان يعمد إلى الاجتهاد أو بعبارة أخرى. استعمال الرأي لبحث عن وجهة العدالة أو المصلحة حتى رغم وجود نص من الكتاب أو السنة. فكان لذلك لا يفسر النص طبقاً لحرفيته. وإنما يفسره طبقاً لحكمته ولو أدى هذا التفسير إلى عدم تطبيق النص<sup>(1)</sup> ، فمثلاً قال تعالى: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم)، لقد رأى عمر أن الحكمة التي أدت إلى تقريب ذلك الحكم الشوعي قد زالت. والأمثلة في هذا الباب كثرة<sup>(2)</sup> ، وكثير من الصحابة كما ذكر الإمام محمد عبده " كانوا إذاروا المصلحة في شئ يحكمون به وإن خالف

(1) أزمة الفكر السياسي الإسلامي / د عبد الحميد متولي، تقديم الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ص 121.

(2) سيأتي ذكر ذلك في موضعه.

السنة. كأنهم يرون أن الأصل هو الأخذ بما فيه المصلحة لا بجزيئات الأحكام وفروعها<sup>(1)</sup> ، ويقول الشيخ عبد الوهاب خلاف: وكانوا إذا لم يجنوا نصاً في القآن والسنة يدل على حكم ما عرض لهم من الوقائع استنبطوا حكمه. وكانوا في اجتهادهم يعتمدون على ملكتهم التشريعية التي تكونت لهم من مشافهة الرسول، ووقوفهم على أسوار التشريع ومبادئه العامة. فتارة كانوا يقيسون ما لا نص فيه على ما فيه نص. وتارة كانوا يشوعون ما تقضي به المصلحة أو دفع المفسدة. ولم يتقنوا بقيود في المصلحة الواجب مراعاتها. وبهذا كان اجتهادهم فيما لا نص فيه فسيحاً مجاله وفيه متسع لحاجات الناس ومصالحهم<sup>(2)</sup>

كانت هذه بداية الرأي. فما هي محطة النهاية؟ يقول الشيخ عبد الوهاب خلاف: في عهد الصحابة لما تعدد رجال التشريع منهم وقع بينهم اختلاف في بعض الأحكام وصورت عنهم في الواقعة الواحدة فتوى مختلفة وإن هذا الاختلاف كان لا بد أن يقع بينهم لأن فهم المراد من النصوص يختلف باختلاف العقول ووجهات النظر ولأن السنة لم يكن علمهم بها وحفظهم لها على

السواء وربما وقف بعضهم منها على ما لا يقف عليه الآخر لأن المصالح التي تستتبط لأجلها الأحكام يختلف تقديرها باختلاف البيئات التي يعيش فيها رجال التشريع.

فهذه الأسباب اختلفت فتاويلهم وأحكامهم في بعض الوقائع والأفضية... ولما آلت السلطة التشريعية في القرون الثاني الهجري إلى طبقة الأئمة المجتهدين اتسعت مسافة الخلاف بين رجال التشريع ولم تقف أسباب اختلافهم عند الأسباب الثلاثة التي بنى عليها اختلاف الصحابة بل جاوزتها إلى أسباب تتصل بمصادر التشريع وبالزعة التشريعية وبالمبادئ اللغوية التي تطبق في فهم النصوص. وبهذا لم يكن اختلافهم في الفتوى والفروع فقط بل كان اختلاف أيضا في أسس التشريع وخطته وصار لكل فريق منهم مذهب خاص يتكون من أحكام فعية استتبطت بخطة تشريعية

(1) المنار / محمد رشيد رضا 310 / 4.

(2) خلاصة تزيخ التشريع الإسلامي / خلاف ص 40.

الصفحة 312

خاصة (1) ... ثم جاء عهد التقليد الذي بدأ من منتصف القرن الرابع الهجري بالتقريب. حين طرأت على المسلمين عدة عوامل سياسية وعقلية وخلقية واجتماعية أثرت في كل مظهر من مظاهر نهوضهم وأحالت نشاطهم التشريعي إلى فتور ووقفت حركة الاجتهاد والتقنين وأمانت في العلماء روح الاستقلال الفكري فلم يردوا المعين الذي لا ينضب مؤهوه وهو القوان والسنة بل رضوا أنفسهم على التقليد ورضوا أن يكونوا عالة على فقه الأئمة السابقين أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأقوانهم. وحصروا عقولهم في نوائر محدودة من فروع مذاهب هؤلاء الأئمة وأصولها وحرموا على أنفسهم أن يخرجوا عن حدودها وبنلوا جهودهم في ألفاظ أئمتهم وعبرلاتهم لا في نصوص الشروع ومبادئه العامة. وبلغ من كونهم إلى أقوال أئمتهم أن قال أبو الحسن الكرخي من علماء الحنفية: ككل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ"، ثم يقول الشيخ خلاف عن أسباب وقوف حركة الاجتهاد: أهم العوامل التي أدت إلى هذا الوقوف والوام تقليد السابقين أربعة:

وَألا - انقسام الدولة الإسلامية إلى عدة ممالك يتناحر ملوكها وولاتها وأقوادها. فهذا الانقسام شغل ولاة الأمور بالحروب والفتن واتقاء المكاييد وتدبير وسائل القهر والغلبة وشغل الناس معهم فدب الانحلال العام وكان لهذا الانحلال أثره في وقوف حركة التشريع.

ثانيا - أنه لما انقسم الأئمة المجتهدون في العهد الثالث إلى أخزاب وصار لكل حزب مدرسة تشريعية بها زعتها وخطتها. عني تلاميذ كل مدرسة أو أعضاء كل حزب بالانتصار لمذهبهم وتأبيد أصوله وفروعه بكل الوسائل والإشادة زعمائهم ورؤسائهم. فانشغل علماء المذاهب بهذه الأمور وانصرفوا عن الأساس التشريعي الأول وهو القوان والسنة. وبهذا فنيبت شخصية العالم في حزبيته.

وصار الخاصة كالعامه أتباعا مقلدين.

ثالثا - أنه لما أهمل المسلمون تنظيم السلطة التشريعية ولم يضعوا نظاما كفيلا بأن لا يجتوى على الاجتهاد إلا من هو أهل دبت الفوضى في التشريع والاجتهاد وادعى الاجتهاد من ليس أهلا له وتصدى لإفتاء المسلمين جهال عبثوا بنصوص الشريعة وبحقوق الناس ومصالحهم. وبهذا تعددت الفتوى وتباينت وتبع هذا تعدد الأحكام في الأفضية حتى كان القضاء يختلف في الحادث الواحد في البلد الواحد فتستحل دماء وأموال في ناحية من نواحي المدينة وتستباح في ناحية أخرى منها وكل ذلك نافذ في المسلمين وكله يعتبر من أحكام الشريعة.

فلما فزع من هؤلاء العلماء حكموا في أواخر القرن الرابع بسد باب الاجتهاد وتقيد المفتين والقضاة بأحكام الأئمة السابقين فعالجوا الفوضى بالجمود.

رابعا - إن العلماء فشيت فيهم أمراض خلقية حالت بينهم وبين السمو إلى مرتبة الاجتهاد فلقد فشا بينهم التحاسد والأناية... فماتت روح النوع.

وضعت ثقة العلماء بأنفسهم وثقة الناس بهم فولوا وجههم مذاهب الأئمة السابقين (1).

لقد كانت البداية البحث عن المصلحة. فجاء الخلاف وانقسام الدولة الإسلامية وتناحر ملوكها وولاتها. ثم تحوأ على الفتوى اتباع الدوائر المختلفة الذين عبثوا بنصوص الشريعة وبحقوق الناس ومصالحهم وضوب التحاسد والأناية وجوه العديد من العلماء. وعندما جف الوقود الذي يدفع بأصحابه نحو المستقبل ولوا وجههم نحو الخلف حيث مذاهب السابقين. وإذا كان الأوائل قد اختلفوا في الفتوى نظرا لاختلاف البيئة. فإن الاختلاف من بعدهم أوسع لأن البيئة الواحدة تمزقت إلى ألف بيئة ومعطيات العصر ألفت بآلاف المسائل، فبماذا يجدي النظر إلى الخلف لحل مشكلات الحاضر؟ ألا يفتح ذلك الباب للدخول في سنين الأولين. وخصوصا أن عندهم من المصالح ما لا يخفى على أحد وما يغوي العامة والخاصة على تقليدهم واتباعهم شوا بشبر وفواعا بفواعا.

والخلاصة: أن البحث عن المصلحة مطلب فطري. ولكن كلما كان الباحث عن المصلحة لا مصلحة له فيما يبحث - بمعنى أن يكون لا مطمع له في مال أو جاه أو غير ذلك نظير فتواه - أصابت فتواه دائرة الفطرة. وأيضا كلما كان الباحث عن المصلحة عالما بالكتاب الذي لا يمسه إلا المطهرون وبالسنة التي يشهد لها الكتاب. ساقط فتواه الناس إلى صراط الله الذي لا اختلاف فيه. فإذا لم يتوفر الطهر والعلم والعدل في الباحث عن مصالح الناس. كان الناس من سنن الأولين أقرب.

## 2 - نظرات على فذك:

فذك قرية تبعد عن المدينة مسافة يومين أو ثلاثة. أرضها زراعية خصبة.

فيها عين فورة ونخيل كثرة يقدر نخيلها بنخيل الكوفة في القرن السادس الهجري ، وكان جماعة من اليهود يسكنون فذك ويستثمرونها حتى السنة السابعة للهجرة. فلما حارب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهود خيبر لنقضهم العهد بينهم وبين رسول الله وفتح حصونهم وبقي حصنان أو ثلاثة منها لم تفتح حاصوهم الرسول صلى الله عليه وآله. فلما اشتد بهم الحصار راسل أهلها رسول الله على أن يؤمنهم على حياتهم ويتولوا له عن حصونهم وأرضهم. فقبل النبي صلى الله عليه وآله بعرضهم هذا. وما حدث يوم خيبر رعب أهل فذك. ولكن اتفاقية أهل الحصون المحاصرة مع النبي صلى الله عليه وآله فتحت أمام أهل فذك بابا للأمل. فلما جاءهم رسول النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعوهم إلى الإسلام أو أن يسلموا ولكنهم استعدوا أن يقدموا نصف أرضهم للنبي مع الاحتفاظ لأنفسهم بالنصف الآخر على أن يعملوا في أرضهم وأرض رسول الله. ومتى شاء النبي أن يجلبهم عن أرضهم فعل شريطة أن يعرضهم عن أتعابهم وأرضهم فصلت فذك ملكا لرسول الله بنص القرآن الكريم

(1) معجم البلدان للحموي مادة فذك.

(2) ابن أبي الحديد 16 / 236 - ط الحلبي.

الصفحة 315

(وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب ولكن الله يسطرسله على من يشاء والله على كل شيء قدير) (1) ، قال المفسرون: كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاب خيل ولاركاب كأموال بني النضير هذه فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولاركاب. أي لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة بل قول أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبه رسول الله صلى الله عليه وآله. فأفأه الله على رسوله. أي خصه به وملكه وحده إياه يتصرف فيه كما يشاء. فلما قول قوله تعالى: (وأت ذا القوي حقه) (2) ، أعطى النبي صلى الله عليه وآله فذكا لفاطمة. روى أبو سعيد الخوري أنه لما تولت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله أعطى فاطمة فذكا وسلمه إليها (3) وبقي الأمر هكذا حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم.

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وضعت الدولة اليد على فذك وانزعها من يد الزهراء، ومن هنا بدأ نزاع فاطمة رضي الله عنها وبين أبي بكر، روى البخاري عن عائشة أن فاطمة سألت أبا بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أن يقسم لها موائها مما ترك رسول الله مما أفاء الله عليه. فقال لها أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال، لا نورث ما تركناه صدقة.

فغضبت فاطمة فهجرت أبا بكر فلم قول مهاجرته حتى توفيت. وعاشت بعد رسول الله ستة أشهر. وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر وفذك وصدقته بالمدينة فأبى أبو بكر عليها ذلك....

وروي أن عليا عندما سمع قول أبي بكر بأن الرسول قال: لا نورث وما

(1) سورة الحشر: الآية 6.

( 2 ) سورة الإِسْوَء: الآية 26 والآيات 26، 32، 33، 57، ومن الآية 73، إلى الآية 81 مدنية.

( 3 ) رواه الزار وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مودويه عن أبي سعيد ( الدر المنثور 177 / 4 ) ( الزوائد 49 / 7 ) ( كنز العمال) وأخرجه ابن مودويه عن ابن عباس ( الدر المنثور 177 / 4).

الصفحة 316

تركناه صدقة، قال علي: ورث سليمان دلوود وقال زكريا: (برثي وورث من آل يعقوب...) هذا كتاب الله ينطق. وروى أن فاطمة نزلت في سهم ذي القوي الذي نص القرآن عليه. وكانت الدولة قد وضعت يدها عليه. روى الإمام أحمد لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت فاطمة إلى أبي بكر: أنت ورثت رسول الله صلى الله عليه وسلم أم أهله؟ فقال: لا بل أهله، قالت: فأين سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الله عز وجل إذا أطعم نبيا طعمة ثم قبضه الله جعله للذي يقوم من بعده فأيت أن رده على المسلمين " (1) ، وفي رواية عند ابن سعد قالت: فسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جعله لنا وصافيتنا التي بيدك، فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول:

إنما هي طعمة أطعمنيها الله فإذا مت كانت بيد المسلمين " (2) ، وإذا كان من العجيب أن يترك النبي صلى الله عليه وسلم عترته دون أن يبين لهم حقيقة موثته فإن الأعجب أنه لم يبين لنسائه أيضا. روى البخاري عن عائشة قالت: أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وآله عثمان إلى أبي بكر يسألنه ثمنهن مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم. قالت عائشة: فكنت أنا أردهن فقلت لهن: ألا تتقين الله. ألم تعلمن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا نورث وما تركناه صدقة فانتھين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما أخبرتھن " (3) .

مما سبق زى أن الزهراء طالبت بنحلتها وبالإرث وبسهم ذي القوي - ولكن أبا بكر أبى عليها وتوفيت رضي الله عنها بعد وفاة النبي بستة أشهر. وفي عهد عمر بن الخطاب. ذهب علي والعباس ينزعان في المواث وكان في مجلس عمر يومئذ عثمان وعبد الرحمن بن عوف والؤبير وسعد. فقال لهم عمر:

أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا نورث ما تركناه صدقة "،

(1) رواه أحمد وإسناده صحيح (الفتح 63 / 23).

(2) الطبقات الكوي (2 / 314).

(3) البخاري ك المغزي ب حديث ابن النضير (3 / 17) ومسلم (5 / 153) ط دار التحرير.

الصفحة 317

قالوا: نعم، قال عمر: إن الله جل وعز كان خص رسوله بخاصة لم يخصص بها أحدا غيره قال: " ما أفاء الله على رسوله من أهل القوي قلله وللرسول "، فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموال بني النضير فوالله ما استأثر عليكم ولا أخذها دونكم حتى بقي هذا المال فكان رسول الله يأخذ منه نفقة سنة ثم يجعل ما بقي أسوة المال. أتعلمون ذلك؟ قالوا: نعم. ثم نشد

عباسا وعلياً بمنزل ما نشد به القوم. أتعلمان ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أبو بكر: أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجئت تطلب موثك من ابن أخيك ويطلب هذا موث امرأته من أبيها. فقال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نورث ما تركناه صدقة. فأيتماه كاذبا آثما غاوا خائنا والله يعلم أنه لصادق بار راشد تابع للحق. ثم توفي أبو بكر. وأنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وولي أبي بكر فأيتماني كاذب آثما غاوا خائنا. والله يعلم أني لصادق بار راشد تابع للحق فوليتها، ثم جئنتي أنت وهذا وأنتما جميع وأمركما واحد فقلتما ادفعها إلينا (1).

ولنا تعليق على هذه الروايات وفي البداية نقول: إن حديث " لا نورث " لم يرويه إلا أبو بكر وحده. ذكر ذلك أعظم المحدثين حتى أن الفقهاء في أصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجهم في الخبر برواية الصحابي الواحد. وفي الحديث السابق استشهد عمر وعبد الرحمن بن عوف والزيبير وسعدا فقالوا:

سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأين كانت هذه الروايات أيام أبي بكر. ما نقل أن أحدا من هؤلاء يوم خصومة الزهراء وأبي بكر روى من هذا شيئا.

وفي الحديث السابق أيضا جاء علي والعباس إلى عمر يطلبان الموات.

وقد كان أبو بكر قد حسم هذا كله في عهد وقرر أمام أزواج النبي وأمام علي والعباس وفاطمة وعمر حيث كان من المساعدين له. أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يورث. فكيف يعود العباس وعلي بعد وفاة أبي بكر يحولان أمرا قد

(1) مسلم (5 / 152) ط دار التحرير في البخاري (3 / 17).

الصفحة 318

فوغ منه. اللهم إلا أن يكونا ظنا أن عمر ينقض قضاء أبو بكر في هذه المسألة.

وهذا بعيد لأن عليا والعباس كانا في هذه المسألة يتهمان عمر بممالة أبي بكر على ذلك. ألا تراه يصوح بأنهما نسباه إلى الكذب والغدر والخيانة فكيف يظنان أنه ينقض قضاء أبي بكر؟!

ثم إن قول عمر لعلي والعباس عن أبي بكر: فأيتماه كاذبا آثما غاوا خائنا. ثم قال لما ذكر نفسه: فأيتماني كاذبا آثما غاوا خائنا. فإذا كانا زعمان ذلك. فكيف زعم هذا الزعم مع كونهما يعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا نورث " قال ابن أبي الحديد: إن هذا لمن أعجب العجائب ولولا أن هذا الحديث مذكور في الصحاح المجمع عليها لما أطلت العجب من مضمونه. إذ لو كان غير مذكور في الصحاح لكان بعض ما ذكرناه يطعن في صحته. وإنما الحديث في الصحاح لا ريب في ذلك.

وورد أيضا أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلوا عثمان إلى أبي بكر يسألنه ثمنهن. ولقد ذكرنا الرواية في ذلك.. ثم وجدنا عثمان في مجلس عمر بعد ذلك وعمر يقول: أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا نورث ما تركناه صدقة. قالوا: نعم، ومن جملة الذين أجابوا عثمان. فكيف يعلم بذلك فيكون متوسلا لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسأله أن يعطيهم الموات.

وروى أيضا أن عمر قال لعلي والعباس: أتعلمون ذلك؟ قالوا: نعم. فإذا كانا يعلمانه فكيف جاء العباس وفاطمة إلى أبي بكر يطلبان المراث على ما ذكر. وهل يجوز أن يقال: كان العباس يعلم ذلك ثم يطلب الإرث الذي لا يستحقه؟ وهل يجوز أن يقال: أن عليا كان يعلم ذلك ويمكن زوجته أن تطلب ما لا تستحقه. خرجت من درها إلى المسجد ونزلت أبا بكر وكلمته بما كلمته إلا بقوله وإذنه ورأيه <sup>(1)</sup>.

وإذا تم التسليم بأن النبي لا يورث. فكيف نسلم بأن النبي صلى الله عليه

---

(1) سورة البقرة: الآية 180.



وسلم وهو الذي أتول عليه قوله تعالى: (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خوا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين) (1) ، وقوله: (بوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)، إلى قوله تعالى:

(تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنة تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم \* ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) (2) ، والآيات هنا عامة يدخل فيها النبي صلى الله عليه وسلم وغوه. بدليل أن الآية لم تستثن أحدا. كيف نسلم بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتب وصيته ويقول فيها: " لا نورث ". وكيف يبين النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحكم لغير الأقربين ويكتمه عن الأقربين وهم ورثته.

وكيف يظل علي والعباس وفاطمة على كلمة واحدة يكذبون رواية نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ويقولون أنها مختلفة. بينما زعم عمرو وأبو بكر أن عليا والعباس في قصة الموات زعما هما كاذبين ظالمين فاجرين. ومارأينا عليا والعباس اعتزوا ولا تتصلا ولا رأينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنكروا عليه ما حكاه عمر عنهما ونسبه إليهما (3) . إن هذا التضرب فتح الأبواب للقليل والقال. ومما قيل: قيل لرجل من قوية تسمى الحلة بين الكوفة والبصرة:

ما تظن قصد أبي بكر وعمر بمنع فاطمة فدك؟ ما قصدا؟ قال: رأدا ألا يظنوا علي - بعد السقيفة - رقة ولينا وخذلانا ولا روى عندهما خورا. فأتبعاه القوح بالقوح. وقيل لآخر من بلدة تسمى بليدة في سواد الكوفة: وهل كانت فدك إلا نخيلا يسورا وعقرا ليس بذلك الخطير؟ فقال: ليس الأمر كذلك بل كانت جليلة جدا وكان فيها من النخل ما بالكوفة الآن من النخل. وما قصد أبو بكر وعمر

(1) قال في تحفة الأحوازي: وحتى الاستشكال أن أصل القصة صريح في أن العباس وعلي قد علما بأنه صلى الله عليه وآله قال: لا نورث. فإن كان سمعاه من النبي فكيف يطلبانه من أبي بكر أو في زمنه فكيف يطلبانه بعد ذلك من عمر (تحفة الأحوازي 235 / 5).

(2) سورة النساء 11 - 14.

(3) قال السندي في شوح البخلي: كي يجئ منهما تكذيب أبي بكر فيما روي عن النبي أنه صديق هذه الأمة (البخلي

شوح السندي 16 / 3).

بمنع فاطمة عنها إلا ألا يتقوى علي بن أبي طالب بحاصلها وغلتها على المنزعة في الخلافة. ولهذا اتبعنا ذلك بمنع فاطمة وسائر بني هاشم وبني المطلب حقه في الخمس. فإن الفقير الذي لا مال له تضعف همته ويتصاغر عند نفسه. ويكون مشغولا بالاحتراف والاكنتساب عن طلب الملك والرياسة. وهكذا ضاعت فدك.

وضاع سهم ذي القبي الذي نص عليه كتاب الله روى أبو دلوود أن نجدة الحروري حين حج في أيام ابن الزبير. أرسل إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذي القبي ويقول لمن زاه؟ قال ابن عباس: لقبي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد كان عمر عرض علينا من ذلك عوضا رأيناه دون حقنا فوددناه عليه وأبينا أن نقلبه (1).

(3)

(2)



وترتب على ذلك فيما بعد اختلاف العلماء في الغنائم وكيف توزع ، واختلفوا في الفئ والخمس إلى غير ذلك وجميع هذه الاختلافات أصلها مساواة الدولة لنحلة الرسول ولرثة وسهم ذي القربى، وهذه الاختلافات ولدت فيما بعد الاختلاف الأعظم في معرفة أهل البيت. وخصوصا عندما أمر عمر بن الخطاب بعدم رواية الحديث. فعندئذ اختلف عامة المسلمين في أهل البيت.

فمن عاكف عليهم هائم بهم ومن معرض عنهم لا يعبأ بأبرهم ومكانتهم من علم القوان. أو مبغض شأنى لهم. وقد وصاهم النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يرتاب في صحته ودلالته مسلم أن يتعلموا منهم ولا يعلموهم وهم أعلم منهم بكتاب الله. وذكر لهم أنهم لن يغلطوا في تفسيره ولن يخطئوا في فهمه - ولكن الوصايا لم تذاق وفقا للمصلحة العامة. حيث كان العديد من الواصلين يتوبص بالإسلام والمسلمين.

وإن أردت العجب فلك أن تعجب إذا علمت أن مصير فذك بعد سنوات قليلة من منعها عن ربحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة الزهراء - قد

(1) سنن أبو داوود، حديث رقم 2982.

(2) تحفة الأحراري 223 / 5.

(3) تحفة الأحراري 383 / 5.

الصفحة 321

أصبح في جعبة مروان بن الحكم الذي لعن الرسول أباه وهو في صلبه. قال في الفتح الوباني: فلما كان عهد عثمان. تصرف في فذك بحسب مارأى فأقطعها لمروان. لأنه تأول أن الذي يختص به النبي صلى الله عليه وسلم يكون للخليفة بعده فوصل بها بعض أقربيه<sup>(1)</sup> ، إنها التركة التي لغير ورث ومن العجيب أن الحكام فيما بعد كانوا يعتبرون التركة من غير ورث ليستولوا عليها. روي أنه في القون الثالث الهجري انشئ ديوان خاص يسمى ديوان الموريث وذلك في عهد الخليفة المعتمد (256 - 279 هـ) ، وكان هذا الديوان مجالا واسعا لظلم الناس والإعنات في موريثهم وأخذ ما لم تجز به السنة<sup>(2)</sup> . يقول ابن المعتز قرب وأخر القون الثالث يشكو ما يجري على أصحاب الموريث.

وويل لمن مات أبوه موسوا \* أليس هذا محكما شهوا

وطال في دار البلاء سجنه \* وقيل من يوري بأنك ابنه

فقال: جواني ومن يعرفني \* فنتوا سباله حتى فنى

واسرفوا في لكمه ودفعه \* وانطلقت أكفهم في صفعه

ولم يزل في ضيق الحبوس \* حتى رمى لهم بالكيس<sup>(3)</sup>

وكان سيف الدولة يأخذ الموريث أجزاسميا ففي عام (333 هـ) عين ابن عبد الملك الرقي قاضيا على حلب فكان هذا

القاضي يصادر التركات ويقول:

التركة لسيف الدولة. وليس لي إلا أخذ الجعالة وكان كثير من الحكام يحاولون أن يعتبروا التركة من غير وراث ليستولوا عليها (4) ، ونعود إلى حيث ابتدأنا فنقول: إن فاطمة الرهءاء كانت مصيبة فيما ادعته. ولم تكن فاطمة في حاجة إلى شهادة وبينت. لأنها بنص الآية: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا)، معصومة. والآية تناولت جماعة منهم فاطمة بما تواترت الأخبار في ذلك. وهي أيضا بنص الحديث " فاطمة بضعة مني من آذاها فقد

(1) الفتح الرباني 263 / 21.

(2) الحضرة الإسلامية / آدم متر 217 / 1.

(3) المصدر السابق 217 / 1.

(4) المصدر السابق 218 / 1.

الصفحة 322

آذاني ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل " معصومة. لأنها لو كانت ممن تقترف الذنوب لم يكن من يؤذيها مؤذيا له على كل حال. بل إن إقامة الحد عليها إن كان صدر منها فعل يقتضي ذلك أكون سرا له ومطيعا. ولأنها بعيدة عن كل هذا كان من آذاها فقد آذاهم ولا خلاف بين المسلمين في صدقها فيما ادعته. لأن أحدا لا يشك أنها تدعي ما ادعته كاذبة، وليس بعد: لا تكون كاذبة إلا أن تكون صادقة. ولقد قال البعض عن الفعل الأصح الذي كان يجب أن يكون: قد كان الأجمل أن يمنعهم التكرم مما لركبها منها فضلا عن الدين وقال ابن أبي الحديد في تعليقه على هذا القول المفيد: وهذا الكلام لا جواب عنه. ولقد كان التكرم ورعاية حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ عهده يقتضي أن تعوض ابنته بشئ يرضيها. إن لم يستقر المسلمون عن فدك وتسلم إليها تطيبا لقلبها. وقد يسوغ للإمام أن يفعل ذلك من غير مشاورة المسلمين إذ رأى المصلحة فيه. وقد بعد العهد الآن بيننا وبينهم ولا نعم حقيقة ما كان وإلى الله توجع الأمور.

### 3 - تسؤلات على الطريق:

إذا تحدثنا عن الرهءاء نجد أنفسنا أمام أسئلة حائرة تبحث لها عن أجوبة. من هذه الأسئلة: هل بايعت فاطمة الرهءاء أبا بكر؟ والإجابة التي نجدها في البخاري وغوه من حديث عائشة عندما أبى أبو بكر أن يعطي فاطمة ما سألت: (1) أن فاطمة غضبت وهجرت أبا بكر فلم تول مهاجرته حتى توفيت. وعند البخاري: أن عليا دفنها ولم يخبر أبو بكر بموتها. وعلى هذه الإجابة نقول:

كيف يستقيم موقف الرهءاء مع الحديث الصحيح: " من فرق الجماعة شوا فمات إلا مات ميتة جاهلية " (2) ، وحديث: "

من خرج من السلطان شوا مات

(1) البخاري (الصحيح 56 / 3) ك المغاري.

ميتة جاهلية" (1) ، هل كانت الزهراء مفارقة للجماعة؟ كيف؟

وبخصوص علي بن أبي طالب. فلقد روى البخاري ومسلم " كان لعلي بن الناس وجهه حياة فاطمة. فلما توفيت استنكر على وجه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن بايع تلك الأشهر فرُسل إلى أبي بكر أن ائتتا ولا يأتنا معك أحد كراهية محضر عمر بن الخطاب. فقال عمر لأبي بكر: والله لا تدخل عليهم وحدك! فقال أبو بكر، وما عساهم أن يفعلوا بي وإني والله لآتينهم فدخل عليهم أبو بكر" (2) ، قال المفسرون: إنه كان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة.

أي وجه وإقبال في مدة حياتها. وقيل: وجه من الناس حياة فاطمة أي جاء وعز فقدهما بعدها. وبعد وفاة فاطمة استنكر على وجه الناس أي لم يعجبه نظهم إليه. فرُسل إلى أبي بكر أن ائتتا ولا يأتنا معك أحد قال المفسرون: أي لئلا يحضر معه من يكوه حضوره وهو عمر بن الخطاب لما علم من شدته وصدعه بما يظهر له فخاف هو ومن معه ممن تخلف عن البيعة أن ينتصر عمر لأبي بكر فيصدر عنه ما يوحش صدورهم على أبي بكر بعد أن طابت وانشوت له. أما قول عمر: لا تدخل عليهم وحدك فمن خوفه أن يغلظوا على أبي بكر في العتاب ويحملهم على الاكثار من ذلك. لين عويكة أبي بكر وصوه عن الجواب.

وبين استنكار وجه الناس وبين الخوف من غلظة عمر كما قال المفسرون روى البخاري ومسلم: " فقال علي لأبي بكر موعذك العشية للبيعة" (3) ، ويبقى السؤال: هل يوجد دليل واحد يقول بأن عليا يستمد الجاه والعز من وجه الناس وهو الذي أطاح برقاب الجبارة على امتداد حياته. وعاش مظلوما ومات مظلوما. وما هو وزن بيعة مدخلها لرضاء الناس. ثم إذا كان الناس قد انفصوا من حول علي فلماذا خاف عمر على أبي بكر أن يدخل عليهم وحده. وأي عتاب

(1) صحيح البخاري (الصحيح 222 / 4) ك الفتن.

(2) صحيح مسلم (154 / 5 باب قول النبي لا نورث)، البخاري (الصحيح 55 / 3) ك المغزي.

(3) صحيح مسلم (154 / 5 ط دار التحرير)، البخاري (الصحيح 55 / 3) ك المغزي.

هذا الذي كان الفاروق يخشاه على أبي بكر؟

ثم نعود إلى حديث من فرق الجماعة شوا فمات إلا مات ميتة جاهلية فنقول. ألم يعلم علي بهذا الحديث؟ فإذا كان قد بايع بعد وفاة الزهراء. فهل كان علي يعلم أنه سيعيش إلى ما بعد أبي بكر فتأخر عن بيعته تلك الشهور الستة، ولقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم والمسوفون الذين يقولون سوف أعمل غدا كذا وكذا ثم يأتيهم الموت على شر ولم يعملوا شيئا. إن هذه أسئلة. ولقد بعد العهد الآن بيننا وبينهم ولا نعلم حقيقة ما كان وإلى الله ترجع الأمور.

## ثالثا - التعقيم والظهور

لا جدال في أن الفاروق رضي الله عنه هو الذي وضع الأعمدة الأساسية للمجتمع المدني بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعمر بن الخطاب هو صاحب أروع منهج لفهم النصوص الدينية فهما يساير الواقع ويحقق مصلحة المسلمين العامة. وما قدمه الفاروق بجميع المقاييس عملا جريئا للغاية لا يقدر عليه سوى رجل من طراز عمر وقليل ما تجد. ونحن هنا سنسلط الأضواء على بعض هذه الأعمال الأساسية. ولكن في البداية نلقي نظرة على كيفية تولية عمر بن الخطاب الخلافة: روى الطوي: دعا أبو بكر عثمان خاليا فقال له: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين. أما بعد: ثم أغمي عليه. فذهب عنه فكتب عثمان. أما بعد: فإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم ألكم خرا. ثم أفاق أبو بكر. فقال: إؤأ علي فؤأ عليه. فكبر أبو بكر وقال: رأك خفت أن يختلف الناس إن افتلتت نفسي في عشيتي. قال:

نعم، قال: جزاك الله خرا عن الإسلام وأهله. وأؤهارضي الله عنه من هذا

الصفحة 326

(1)  
الموضع .

وفي رواية: إن أبا بكر أخذ رأي عثمان وعبد الرحمن بن عوف في عمر وكان رأيهم من رأيهما أن عمرا خير من يصلح لهذا الأمر. وفي رواية: أن أبا بكر بعد أن استقر على عمر أعلن للناس أن يسموا له ويطيعوا. وقبل أن يعلن أبو بكر اسم الخليفة من بعده، روى الطوي عن قيس قال: رأيت عمر بن الخطاب وهو يجلس والناس معه ويبيده جريدة وهو يقول: أيها الناس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال قيس:

ومعه مولى لأبي بكر يقال له شديد معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر<sup>(2)</sup> ، ويا ليت الفاروق قال ذلك يوم أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيه بصحيفة ليكتب لهم كتابا لا يضلوا بعده أبدا. ورحل أبو بكر رضي الله عنه وجاء عمر وكان قبل الخلافة على القضاء أيام خلافة أبي بكر كلها<sup>(3)</sup> ، وعلى امتداد هذه المسورة والشئ الذي يدعو للدهشة أن ظروف المجتمع التي حتمت إلغاء سهم ذي القربى على مراحل. ضيقت في الوقت نفسه على رواية الحديث ليتم إلغائها أيضا على مراحل. ومما يدعو للإعجاب بشكل مساو للدهشة أن سهم المؤلفات قلوبهم الذي جعله الله تعالى علامة يتميز بها ضعاف الإيمان والذين في قلوبهم مرض. ثم تخفيف القبضة عنه ليتم إلغائها أيضا على مراحل. والشئ الذي يدعو للدهشة والإعجاب معا أن هذه الأمور سرت جنبا إلى جنب. الجميع نالوا حصة واحدة لم يتميز طريق على طريق. وفي النهاية خرجت شجرة كل فرع فيها يداعبه النسيم ليخرج صوتا موسيقيا وفي النهاية تستمع إلى سمفونية يسوي صداها في عالم الفن.

(2) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (الزوائد 184 / 5) (رواه الطوي 52 / 4).

(3) الطوي 377 / 3.

الكريم يتعوض بمنطقة في سنته المشروعة لجميع شؤون الحياة الإنسانية من غير أن يتقيد بقيد أو يشترط بشرط، ما يحكم على الإنسان منفردا أو مجتمعا، صغورا أو كبوا، ذكورا أو أنثى، على الأبيض والأسود، والعربي والعجمي، والحاضر والبادي، والعالم والجاهل، والشاهد والغائب، في أي زمان كان وفي أي مكان كان، ويدخل كل شأن من شئونه من اعتقاد أو خلق أو عمل من غير شك.

فلقرآن اصطكاك من جميع العلوم والصناعات المتعلقة بأطراف الحياة الإنسانية، ومن الواضح اللائح من خلال آياته النادرة إلى التدبير والتفكير والتذكر والتعقل أنه يحث حثا بالغا على تعاطي العلم ورفض الجهل في جميع ما يتعلق بالسماويات والأرضيات والنبات والحيوان والإنسان من أجزاء عالمنا وما وراءه من الملائكة والشياطين والوح والقلم وغير ذلك ليكون نريعة إلى معرفة الله سبحانه، وما يتعلق نحوا من التعلق بسعادة الحياة الإنسانية الاجتماعية من الأخلاق والشوائع والحقوق وأحكام الاجتماع. والقرآن اعتبر في بيان مقاصده السنة النبوية. وعين للمسلمين الأسوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكان المسلمون يحفظون عنه ويقلدون مشيئته العلمية تقليد المتعلم معلمه في السلوك العلمي<sup>(1)</sup>.

فولا السنة ما عرفنا مجملات القرآن ولا اكتشفنا الكثير من أسوره وغوامضه. هذا بالإضافة إلى الكثير من الحوادث التي لم ينص عليها القرآن باسمها ووصفها وتركها للرسول صلى الله عليه وسلم الذي ائتمنه على وحيه وحمله مسؤولية الأداء والتبليغ والتفسير وبيان ما اشتبه حكمه وخفي على المسلمين وجهه فقال تعالى: (وأترلنا إليك الذكر لتبين للناس ما قول إليهم) وقال: (وما أترلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه)<sup>(3)</sup>، وأوجب القرآن على المسلمين النزول على حكمه صلى الله عليه وسلم

(2) سورة النحل: الآية 44.

(3) سورة النحل: الآية 64.

في كل خلاف يحدث بينهم قال تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجنوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)<sup>(1)</sup>، وأكد عليهم أن يرجعوا إلى النبي في أمور دينهم وحثهم على الاستجابة لما يدعوهم فقال

تعالى: (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم).

فمما سبق نعلم أنه لا غنى للكتاب عن السنة ولا وجه للسنة إلا الكتاب.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحث على تبليغ حديثه ويحذر من الكذب عليه.

قال صلى الله عليه وسلم: " ليلبغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه " (2) ، قال النووي: فيه

تصريح بوجوب نقل العلم وإشاعة السنن والأحكام. وقال المهلب: فيه أنه سيأتي في آخر الزمان من يكون له من الفهم في العلم

ما ليس لمن تقدم، وقال ابن سيرين: وقد كان ذلك. قد كان بعض من بلغه أوعى له من بعض من سمعه (3) ، والعلم ما بلغ أهله

وأصحابه إلا من بعد عصر التتوين. أما قبل ذلك فكان للناس مع الحديث شؤون. ولقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه

الفترة من الزمان وهو يخبر بالغيب عن ربه فقال:

" ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول:

عليكم بهذا القرآن. فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه " (4) .

والرجل الشبعان على أريكته الذي جاء ذكره في الحديث هو من استوى قاعدا على وطاء متمكنا. وقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم لأصحابه: " لألفين

---

(1) سورة النساء: الآية 65.

(2) رواه البخاري كتاب العلم (الصحيح 23 / 1) وأحمد ورجاله ثقات (الفتح الرباني 276 / 21) وقال النبي هذا في

حجة الوداع.

(3) (الفتح الرباني 276 / 11).

(4) رواه أحمد وإسناده جيد وقال في نيل الأوطار حديث صحيح ورواه أبو داود عن المقدم بن معد يكرب (الفتح الرباني

191 / 1) (كنز العمال 174 / 1) أبو داود حديث رقم 4604.

---

الصفحة 329

أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول:

لا أوري ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه (1) ، وقال لهم: " يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكئ على أريكته. يحدث بحديث

من حديثي فيقول. بيننا وبينكم كتاب الله. فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه إلا وإن ما حرم

رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله (2) .

وفي مرحلة من مراحل الدعوة كان بعض الصحابة يحصون على حفظ الحديث ونقله. وهذا الحوص منعهم عن تمحيصه

والتدبر في معناه وخاصة في عرضه على كتاب الله وهو الأصل الذي تبنى عليه بنية الدين وتستمد منه فروعه.

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعدم الرواية عنه والوجوع إليه في أمور دينهم وفي حجة الوداع وبعد أن اكتمل البناء

بحمل أهل البيت لسنته صلى الله عليه وسلم. أمر عليه الصلاة والسلام بأن يروي الناس عنه. وأشار إلى أن يتعلم المسلمون

من أهل البيت ولا يعلموهم لأنهم أعلم منهم بكتاب الله وذكر أنهم لن يغلطوا في تفسيره ولن يخطئوا في فهمه وإنهم والكتاب لن يفترقا حتى يردا على الحوض.

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وجد أبو بكر رضي الله عنه أن العديد من الصحابة يبالغ في رواية الحديث فضيق الحلقة على الرواية. وعندما تولى عمر رضي الله عنه الخلافة روى مالك: أن عمر أراد أن يكتب الأحاديث. أو كتبها. ثم قال: لا كتاب مع كتاب الله <sup>(3)</sup> ، ثم ضيق على الرواية فعن قوطة بن كعب قال، قال عمر: أفلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا

(1) ( رواه أحمد والترمذي وأبي داود وابن ماجه والحاكم عن أبي رافع وقال الترمذي حديث صحيح (الجامع 37 / 5) ، (كنز العمال 174 / 1).

(2) ( رواه أحمد والترمذي وحسنه والحاكم (الجامع 38 / 5) (الفتح الرباني 191 / 1).

(3) ابن عبد البر (كنز العمال 292 / 10).

الصفحة 330

(1) شريككم ، وقال ابن كثير: إن عمر كان يقول اشتغلوا بالقآن فإن القآن كلام الله ولهذا لما بعث أبا موسى إلى العراق قال له: إنك تأتي قوما لهم في مساجدهم نوي بالقآن كوي النحل فدعهم على ما هم عليه ولا تشغلهم بالأحاديث. وأنا شريكك في ذلك. وقال ابن كثير: هذا معروف عن عمر رضي الله عنه <sup>(2)</sup> .

ثم بدأ عمر يضيق الدائرة حتى أنه كان يحبس من يروي. فعن سعد بن إبراهيم عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال لابن مسعود ولأبي الرداء ولأبي ذر ما هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأحسبه حبسهم حتى أصيب <sup>(3)</sup> ، وعن السائب بن يزيد قال: سمعت عمر يقول لأبي هريرة: لتتوكلن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لألحقنك بـرضوس <sup>(4)</sup> ، وروي عن عبد الرحمن بن عوف قال: والله ما مات عمر حتى بعث إلى أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فجمعهم من الآفاق: عبد الله بن حذافة، وأبا الرداء، وأبا ذر، وعقبة بن عامر، فقال: ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآفاق: قالوا: أفتنانا. قال: لا. أقيموا عندي. لا والله لا تغلقوني ما عشت <sup>(5)</sup> ، وروي ابن عبد البر: كتب عمر في الأمصار من كان عنده شيء من ذلك فليمحه <sup>(6)</sup> .

(1) ( رواه الحاكم وقال حديث صحيح (المستدرک 102 / 1) الطبري 19 / 5).

(2) ( ابن كثير في البداية والنهاية 107 / 8 ، وقال ابن حبان في المجروحين رواه ابن ماجه والحاكم وله طرق (المجروحين 1 / 36).

(3) ( رواه الحاكم وقال صحيح على شوط الشيخين وإنكار عمر على الصحابة كثرة الرواية فيه سنة ولم يخرجاه (المستدرک

1 / 110) ورواه ابن سعد في الطبقات (2 / 336) وابن حبان في كتابه المجروحين (1 / 35).

(4) ( رواه ابن عساکر (كنز العمال 291 / 10).

(5) رواه ابن عساكر (كنز العمال 293 / 10) وابن حبان في كتابه المجروحين (35 / 1).

(6) رواه ابن عبد البر وأبو خيثمة معا في العلم (كنز العمال 292 / 10).

الصفحة 331

وترتب على ما سبق خوف الصحابة من الرواية كان أبو هريرة يقول: إني لأحدث أحاديث لو تكلمت بها في زمان عمر أو عند عمر لشجر رأسي<sup>(1)</sup> ، وقال: أفكنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حي. أما والله إذا لأيقنت أن المحففة ستباشر ظهري<sup>(2)</sup> ، وقال: " ما كنا نستطيع أن نقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبض عمر<sup>(3)</sup> .

وقيل إن عدم الرواية كان حفظاً للقآن وخوفاً من أن يتداخل الحديث مع القآن، ولا يخفى ما في هذا القول من تساهل كبير. لأن القآن إعجاز لو اجتمعت الإنس والجن كي يضعوا فيه ما ليس منه ما استطاعوا. ولا يصدق عاقل أن يؤأ إنسان نصف آية ثم يكملها بحديث أو نصف حديث. ويقول هذا من كتاب الله. فقول مثل هذا لا يلتفت إليه. لقد وضع عمر مبدأ عدم الرواية. ولكن نشأ عنه آثار جانبية مثل التي تنشأ عن النواء الذي يستخدم في علاج داء معين ومن جملة تلك الآثار الجانبية تمسك بعض من الصحابة بمبدأ عمر في وقت كانت الرواية فيه بمثابة عودة الروح للجسد، ومن الأمثلة على ذلك. عن محمود بن لبيد قال: سمعت عثمان بن عفان على المنبر يقول: لا يحل لأحد يروي حديثاً لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر<sup>(4)</sup> ، ثم جاء معاوية بن أبي سفيان فقال: أيها الناس أقفوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وإن كنتم تحدثون فحدثوا بما كان يتحدث به في عهد عمر<sup>(5)</sup> ، ثم جاء عمر بن العاص ليشهد ويقسم. فقال: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما أوأكم عمر فاقروا وما أمركم به فائتمروا<sup>(6)</sup> ، ولا يخفى أن المسافة من عثمان إلى معاوية كنت في حاجة إلى أحاديث وأحاديث.

(1) ابن كثير في البداية (107 / 8).

(2) ابن كثير في البداية (107 / 8).

(3) ابن كثير في البداية (107 / 8).

(4) ابن سعد (الطبقات 336 / 2) ابن عساكر (كنز العمال 295 / 10).

(5) ابن عساكر (كنز العمال 291 / 10).

(6) ابن عساكر (كنز 593 / 12).

الصفحة 332

ومن الآثار الجانبية لمبدأ عدم الرواية. أن هناك أنماطاً بشرية لعنهم رسول الله وحذر منهم وطود بعضهم فؤلاء ضاع من عليهم التحذير. ومع مرور الأيام نسي الناس ما روي فيهم. فنقلوا مراكز الصدرة في فتوة من الفتوات. ولقد حاول هؤلاء التعتيم على الرواية في العهد النبوي ولكن الرسول أمر بالرواية ورد كيدهم في نحرهم، فعن عبد الله بن عمرو قال: قالت لي قريش تكتب عن رسول الله صلى الله عليه وآله!! وإنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر.



فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: إن قريشا تقول تكتب عن رسول الله وإنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر. قال: فأوماً لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم شفثيه. وقال: والذي نفسي بيده ما يخرج ما بينهما إلا حق فاكتب " (1) ، وقولهم: يغضب كما يغضب البشر فيه أنهم كانوا يعنون أحاديث بعينها. وعلى هذا لا يستغوب أن يصر عثمان ومعاوية وعمرو على رواية أحاديث خضعت لفقه عدم الرواية.

ومن الآثار الجانبية أن عدم الرواية أدى إلى نسيان الصحابة وتركهم رواية الحديث، فعن ابن أبي أوفى قال: كنا إذا أتينا زيد بن رُقم فنقول حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: كونا ونسينا (2) ، وروي عن ابن عباس قال: كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله إذا لم يكذب عليه فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه (3) .

ومن أثره إفساح المجال للقصة في المساجد ثم دخول الأحاديث الموضوعية بعد ذلك. ومن أثره التعظيم على أهل البيت في مرحلة. وقتلهم في مرحلة وتشويههم في مرحلة. وفيما نظن أن الفاروق لو كان يعلم أن مبدأه

---

(1) رواه الحاكم وقال حديث صحيح الإسناد أصل في نسخ الحديث عن رسول الله ولم يخرجاه (المستدرک 105 / 1) ورواه أبو داود حديث 3646.

(2) ابن عساکر (کنز العمال 194 / 10).

(3) رواه ابن حبان في كتابه المجروحين (38 / 1).

---

الصفحة 333

سيترتب عليه آثار جانبية. لعدل عنه وجمع العديد من الصحابة العدل الثقة وأمرهم بكتابة الأحاديث الصحيحة لتكون منبرا لمن يأتي بعدهم ولقطع بذلك الطريق على الوضاعين والذين فرقوا الأمة شيعا وأخوابا. ولسد المنافذ على الذين التمسوا لمبدأه الأعداء وقالوا: إن منع الرواية كان من أجل أن لا نواحم الحديث القوان لأن في هذا القول من التشكيك ما لا يخفى.

## 2 - من آثار عدم رواية الحديث:

كان عدد من أهل الكتاب قد دخلوا في الإسلام وأخذ عنهم المحدثون فيما بعد شيئا كثيرا من أخبار كتبهم وقصص أنبيائهم وأممهم فخلطوها بما كان عندهم من الأحاديث المحفوظة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأخذ الوضع والدس يدوران في الأحاديث. ويوجد اليوم في الأحاديث المقطوعة المنقولة من الصحابة ورواتهم في الصدر الأول شئ كثير من ذلك يدفعه القوان بظاهر لفظه:

وإذا أردنا أن نضع أيدينا على البداية. فلا بد من البحث في مساحة عدم الرواية لوى أين الوتر الذي تعود إليه وإلى طابوره الأحاديث الموضوعية في صفات الله وأسمائه وأفعاله ولذلات المنسوبة إلى الأنبياء الكرام والمسئول المشوهة المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم والخوافات في الخلق والإيجاد وقصص الأمم الماضية. والوند الأساسي الذي نعتقد أنه الأساس في هذا البلاء هو القصة وعليه نسلط الضوء.

## أ - القصة في المساجد:

القاص أو القصاص (الجمع قصاص) هو الرجل الذي كان يجمع الناس حوله في الطرقات أو في المساجد. فيعظهم حيناً  
بذكر الأحاديث والأخبار ويسليهم بالقصص والحكايات حيناً آخر. وهؤلاء كانوا مقربين من الخلفاء وكانوا يقومون مقام  
الصحف في أيامنا هذه لذا كان الإمام علي بن أبي طالب يقول

الصفحة 334

(1) للقاص: أنت أبو عرفوني .

وأقدم خبر للقاص في صدر الإسلام ما رواه البخاري أن سعيد بن جبير قال لابن عباس: بالكوفة رجل قاص يقال له نوف  
البحالي زعم أن موسى الذي اجتمع مع العبد الصالح بمجمع البحرين ليس بموسى بني إسرائيل. فقال ابن عباس: كذب عدو  
الله (2) .

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتضييق الرواية كانت الساحة مستعدة لاستقبال هؤلاء ليقوموا بالواجب الذي تقوم به  
صحافة أيامنا هذه.

وروى الإمام أحمد: كان أول من قص تميم الدلي استأذن عمر بن الخطاب أن يقص على الناس قائماً فأذن له (3) ، وعن  
السائب بن يزيد قال: إنه لم يكن يقص على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا أبي بكر وكان أول من قص تميم الدلي  
استأذن عمر أن يقص فأذن له (4) ، وتميم كان راهباً نصوانياً وأسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. ولم يعترض أحداً  
على القص أو لم يجتمعوا لترتيب أوراقهم بعد أن حفرهم النبي من أن القص علامة على طريق طويل. وذلك فيما رواه  
الطواني: "إن بني إسرائيل لما هلكوا قصوا" (5) ، ولكن الساحة رضيت بهذه الظاهرة التي يتتقف بها العامة. ثم جاءت نقطة  
التحول بدخول كعب الأحبار ساحة القص. وكعب كان على دين اليهود فأسلم في عهد عمر بن الخطاب وكان من المقربين  
إليه. قال ابن حبان مات كعب سنة أربع وثلاثين وقد بلغ مائة سنة ورُبع سنين (6) .  
وكان أستاذ كعب الأحبار قد أسلم في عهد أبي بكر. وكان يدعى

(1) رواه الدارمي والبيهقي والعسكري (كنز العمال 775 / 12).

(2) رواه البخاري كالتفسير (الصحيح 155 / 3).

(3) أحمد (الفتح الرباني 145 / 20).

(4) العسكري (كنز العمال 280 / 10).

(5) الفتح الرباني (194 / 1).

(6) راجع ترجمته بالإصابة 315، 316، 317 / 3 ، الطبقات الكبرى 445 / 7.

الصفحة 335

المسؤول فكانه أبو بكر أبا مسلم وروى عن معاوية (1) . وكعب الأحبار نفسه عمل مستشراً لمعاوية وهو أمير على الشام.  
وذلك بعد أن ترك المدينة وتوجه إلى الشام وسكن حمص. وكعب هو الذي ألقى حب الخلافة في قلب معاوية في أثناء الثورة

على عثمان بن عفان <sup>(2)</sup> . وكان معلومة يقول: إن كعب الأحبار أحد العلماء <sup>(3)</sup> ، وبدخول كعب إلى الساحة ظهر طاير طويل لم يكن قصدهم الدين بل تسلية العامة باخزاع الأحاديث ونشرها بينهم. وتشويه القصص الدينية ووضعها في مربع الخرافات. وكانت الإسرائيليات وما يتصل بها مادة لقصصهم، وقد عملوا على نشرها. وكانوا لا يترددون عن الإجابة عن كل سؤال يوجه إليهم. لأن اعترافهم بالجهل كان من شأنه أن زرع ثقة العامة بهم. وبدأ كعب الأحبار يملس عمل كعمل الصحافة في أيامنا هذه. وعلى سبيل المثال عن محمد بن سيرين أن كعب الأحبار قال لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين هل ترى في منامك شيئاً؟! فانتهره. فقال: إنا نجد رجلاً يرى أمر الأمة في منامه <sup>(4)</sup> ، وعن شداد بن أوس قال. قال كعب الأحبار: " كان في بني إسرائيل ملك إذا ذكرناه ذكرنا عمر وإذا ذكرنا عمر ذكرناه <sup>(5)</sup> " ، وعن سالم بن عبد الله أن كعب الأحبار قال لعمر: إنا لنجد ويل لملك من ملك السماء فقال عمر: إلا من حاسب نفسه فقال كعب: والذي نفسي بيده إنها في التوراة لتابعته <sup>(6)</sup> . ويبدو أن الساحة في هذه الآونة كانت على خلاف في تعريف من هو الخليفة ومن هو الملك. وكان هذا الأمر يشغل الفاروق، فعن سفيان بن أبي العجاء قال: قال عمر: والله ما أرى أخليفة أنا أم ملك؟!، فإن كنت ملكاً فهذا أمر عظيم. فقال قائل: يا أمير المؤمنين إن بينهما فارقاً. قال: ما هو؟ قال:

(1) الجرح والتعديل / الرازي 436 / 9.

(2) راجع البداية والنهاية 827 / 8، الكامل 79 / 3 وسيأتي ذلك في حينه.

(3) الإصابة 316 / 3.

(4) ابن المبارك وابن عساكر (كنز العمال 562 / 12).

(5) سدد وإسناده صحيح (كنز العمال 282 / 1).

(6) ( الدلمي والبيهقي والعسكوي (كنز العمال 775 / 12).

الصفحة 336

الخليفة لا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا في حق. فأنت بحمد الله كذلك. والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا. فسكت عمر <sup>(1)</sup> ، ويبدو أن سكوت الفاروق يعبر على أن الإجابة ليست كاملة. لهذا سأل سلمان الفارسي: أملك أنا أم خليفة؟ فقال سلمان: إن أنت جيبت من أرض المسلمين وهما أو أقل أو أكثر. ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة <sup>(2)</sup> ، ويبدو أن هذه الإجابة تشير إلى الفئ وتقسيمه من طرف خفي. ثم طرح السؤال بعد ذلك على كعب الأحبار الذي نعتوه الجريدة الوسمية في هذه الآونة. فسأل عمر كعبا: أنشدك الله أتجدي خليفة أم ملك؟ قال: بل خليفة. فاستحلفه عمر. فقال: خليفة والله من خير الخلفاء وزمانك خير زمان <sup>(3)</sup> .

وروى أن بعد فتح بيت المقدس كان كعب وافق عمر. وعندما أراد عمر الصلاة قال لكعب: أين ترى أن أصلي؟ قال: إن أخذت عني! صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك <sup>(4)</sup> ، لقد كان كعب يريد من وراء ذلك أن وّاحم قبلة اليهود قبلة المسلمين. ولكن عمر تنبه إلى هذا فيما رواه الهيثم بن عمار قال: قال عمر لكعب حين أراد أن يبني المسجد: أين ترى أن

نجعل المسجد؟ قال: اجعله خلف الصخرة فتجمع بين القبلتين قبله موسى وقبله محمد. فقال عمر، ضاهيت اليهودية والله يا أبا إسحاق. خير المساجد مقدمها فبناه في مقدم المسجد <sup>(5)</sup>.

وفي ساحة حظوت الرواية لا يستغرب أن يسأل عمر كعب الأخبار: أخبرنا عن فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده <sup>(6)</sup> " ، وقوله: حدثني

(1) ابن سعد (كنز العمال 567 / 12).

(2) ابن سعد (كنز العمال 567 / 12) ، الطوي (تزيخ الأمم 34 / 5).

(3) نعيم ابن حماد في الفتن (كنز العمال 574 / 12).

(4) أحمد والضياء بسند صحيح (كنز العمال 143 / 14).

(5) ابن عساکر (كنز العمال 148 / 14).

(6) ابن عساکر (كنز العمال 364 / 12).

الصفحة 337

يا كعب عن جنات عدن <sup>(1)</sup> ، إن فتح الباب أمام كعب ليدخل إلى السوة النبوية وإلى الغيبيات يترتب عليه أمور وأمر. ومن فضل الله تعالى أنه جعل في الساحة من يتصدى لكعب. فعن عوف بن مالك أنه دخل المسجد يتوكأ على ذي الكلاع وكعب يقص على الناس فقال عوف لذي الكلاع: ألا تنهي ابن أخيك هذا عما يفعل <sup>(2)</sup> ، وبلغ حذيفة أن كعبا يقول: إن السماء تنور على قطر كالواح فقال: كذب كعب <sup>(3)</sup>.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحب البحث عن نفسه في كتب أهل الكتاب. فعن الأوقع مؤذن عمر بن الخطاب قال: بعثني عمر إلى الأسقف فدعوته فقال له: هل تجدني في الكتاب؟! قال: نعم، قال: كيف تجدني؟ قال: أجدك قرنا. فرفع عمر عليه الوة وقال: قون مه؟ قال الأسقف: قون حديد أمين شديد <sup>(4)</sup> ، وروى أن عبد الله بن سلام - كان يهوديا. أسلم في عهد النوبة - وكان عمر قد ذهب إليه ليسأله في معنى قفل جهنم. أن قال: يا أمير المؤمنين أخبرني أبي عن آباءه عن موسى بن عمران عن جبريل أنه قال: يكون في أمة محمدرجل يقال له عمر بن الخطاب. أحسن الناس دينا وأحسنهم يقينا ما دام بينهم الدين عال والدين فاش فجهنم مقفلة... إلخ <sup>(5)</sup>.

وإذا أردنا أن نون ما سبق ونسأل هل أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذه الأحداث التي تعصف بالساحة؟ نقول: ربما تكون هناك إشارة في حديث رواه ابن عباس، قال: إن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب. فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: " أمتهوكون <sup>(6)</sup> فيها يا ابن الخطاب. والذي نفسي بيده لقد

جنتكم

(1) ابن المبارك وأبو ذر الهواري في الجامع (كنز 561 / 12).

(2) الإصابة / ابن حجر (3 / 315).

(3) الإصابة (3 / 316).

(4) أبو دلوود حديث رقم 4656، ابن أبي شيببة ونعيم ابن حماد (كنز العمال 559 / 3).

(5) ابن عساكر (كنز العمال 586 / 12).

(6) أي: أمتحيرون أنتم في الإسلام. وقيل: أتودون ساقطون لسان العرب ص 4722.

الصفحة 338

بها بيضاء نقية. لا تسألوهم عن شيء فيخبرونكم بحق فتكذبونه وبباطل فتصدقونه. والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني" (1) ، إن دخول معترك أهل الكتاب يكون بمعرفة مادتهم ولا ثم وزنها بميزان الإسلام ثم طرحها عليهم لتدمغهم الحجة. ولذلك زى أن النبي صلى الله عليه وسلم. أمر زيد بن ثابت بأن يتعلم له كتب اليهود ولا ليكتب له ويقوأ له إذا كتب إليه. وغضب النبي صلى الله عليه وسلم عندما جاء عمر بكتاب أهل الكتاب. فيه إشارة خاصة ليتذكروها الذهن وتقوم بها الحجة. ولأنه صلى الله عليه وآله وسلم يعلم أن هذا سيقع لا محالة قال: " لتهكون كما تهوكت اليهود والنصرى. لقد جئتكم بها بيضاء نقية لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي " (2) .

ومعالم التهوك يمكن أن يرصدها الباحث بسهولة، فالقصص يعتبر أكبر عقبة في سبيل التقدم. لأنه يصرف الناس عن الاشتغال بالعلوم الدينية وما يحقق سعادتهم في الدنيا والآخرة. وذلك لما له من تأثير قوي في الجماهير. وفي عصر بني أمية راج القصص. فمعاوية أمر كعب الأبحار بأن يقص بالشام (3) وبعد كعب جاء وهب بن منبه. قال الذهبي عنه: أبو عبد الله اليماني صاحب القصص... ولد في آخر خلافة عثمان... كثير النقل من كتب الإسرائيليات. كان يقول: قأت بضعة وسبعين كتابا من كتب الأنبياء (4) ، ولو هب أيضا تلاميذ.

وظل يتجول في بلاد المسلمين يبيث فيها خرافاته وأساطره إلى السنة التي مات فيها وهي سنة 114 هـ على أصح الأقوال (5) . والحزب الأموي اعتنى بالقص كي يرفعهم القصاصون في عيون المسلمين نظرا لعدم وجود فضل لهم يرفعهم

(1) رواه أحمد وابن ماجة (كنز 200 / 1) وابن أبي عاصم وحسنه الألباني وقال له طرق (كتاب السنة 27 / 1).

(2) رواه ابن حبان في صحيحه (كنز العمال 201 / 11).

(3) رواه الطواني (الإصابة 3 / 316).

(4) ميزان الاعتدال 4 / 352.

(5) تزيخ الأدب العربي / بروكلمان 1 / 251.

الصفحة 339

على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. وفي عهد بني أمية كان القصاصون يذكرون عليا وولده بما يطفئ نورهم ويكتم

فضلهم. وذلك كله لحساب الخرب الحاكم. وروى عن غضيف بن الحرث قال: بعث إلي عبد الملك بن مروان فقال: قد جمعنا الناس على أمرين. قلت: وما هما؟ قال: رفع الأيدي على المنابر يوم الجمعة والقص بعد الصبح والعصر<sup>(1)</sup>. وعلى هذا اللرب اختُعت أحاديث. وتم الخلط بين الحقيقة والخيال.

روى ابن عساکر عن يزيد بن هارون قال: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلس. أي يروي ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يميز هذا من هذا<sup>(2)</sup>، ولم يقف الأمر عند أبي هريرة. بل تعداه إلى من سمع منه، روى الإمام مسلم عن بشر بن سعيد أنه قال: لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثنا عن كعب الأخبار ثم يقول. فاسمع بعضه من كان معنا يجعل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كعب وحديث كعب عن رسول الله - وفي رواية - يجعل ما قاله كعب. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كعب<sup>(3)</sup>. وسواء كان التدليس من أبي هريرة أم من الذين سمعوا منه. فإن كعب الأخبار هو محور الارتكاز.

إن طويق التهوك بعد أن فتح الباب أمام النص واضح ولا غبار عليه. ولقد ذم غير واحد من العلماء أثر القص على الحديث. قال ابن الجوزي: إن بعض البلاء يجري من القصاصين. قيل لواحد منهم: من أين حفظت هذه الأحاديث؟ قال: والله ما حفظتها ولا أعرفها بل في وقتي قلتها<sup>(4)</sup> وقال أبو حاتم: كان القصاصون يضعون الحديث في قصصهم ويرونها عن الثقات<sup>(5)</sup>، ولم يقف الأمر

(1) رواه أحمد والبخاري والطبراني وقال في الفتح الرباني إسناده جيد (الفتح 194 / 1).

(2) ابن عساکر (البداية والنهاية 409 / 8).

(3) مسلم (البداية والنهاية 109 / 8).

(4) (الموضوعات / ابن الجوزي 44 / 1).

(5) (المجروحين / ابن حبان 85 / 1).



عند الحديث والتفسير بل انتهى القص إلى مرحلة أخرى يدمر فيها الأخلاق.

فلقد أخذت مواد القصص الغوامية تتكاثر وتتزايد بإطواد في أواخر العصر الأموي. حتى حمل السرور والإعجاب بها على إنشاء حلقات من القصص الغوامية تعتمد على أغاني الغزل المشهورة من ناحية. كما تشترك بمختلف البواعث النابعة من آداب الأمم عامة من ناحية أخرى، ورواها العرب دون تحري مصادرها وإن سموا بعض الأشخاص من أبطال الغوام والعشق الذين لم يكونوا إلا من أبناء الخيال<sup>(1)</sup>، وهذا الباب ترتب عليه ثقافة وهذه الثقافة فتحت الطريق لأبواب أخرى تجد على أبوابها دعاة الصوفية والانغالية. وتجد الذين يستنون عطف الحكام. وتجد الذين يطبخون علوم الكلام لتوى على الموائد أصنافا عديدة. من أقوال موجئة إلى أهوال قدرية إلى علوم يونانية. وكل هذا أملاه الواقع الجديد الذي بناه القص.

قد يتبادر إلى الذهن سؤال: أين كان علماء أهل البيت من هذا؟ نقول:

كانوا يعيشون عيش العلماء وقدزهدوا في الناس وما في أيدي الناس. كانوا يقيمون الحجة ولا يتدخلوا في اختيار الناس. فالإمام علي، واجه القصاصين ونسبهم إلى النسب الصحيح فقال: أنتم أبو عرفوني. أما الحسن بن علي رضي الله عنه فلقد روي أنه مر يوما. وقاص يقص على باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال له الحسن: ما أنت؟ قال: أنا قاص يا ابن رسول الله، قال: كذبت! محمد صلى الله عليه وسلم القاص. قال تعالى:

(فاقصص القصص)، قال الرجل: فأنا مذكر، قال: كذبت! محمد صلى الله عليه وآله وسلم المذكر، قال تعالى: (فذكر إنما أنت مذكر)، قال الرجل: فما أنا؟ قال له الحسن: المتكلف من الرجال<sup>(2)</sup>.

والخلاصة لقد قدمنا هنا أن البداية كانت عندما فتح عمر باب القص، وشهد بذلك حديث صحيح، وإن هذا القص زيف الحقائق وشهد بذلك حديث

(1) تاريخ الأدب العربي 199 / 1.

(2) تزيخ اليعقوبي 270 / 2.

عند البخري<sup>(1)</sup>، كما أحدث القص خلط الأمور وشهد بذلك حديث عند مسلم<sup>(2)</sup>، وانتهى المطاف بالأمة إلى الاختلاف والافتراق على طويق التهوك وكل حزب من الأحزاب في جعبته حزمة من الأحاديث وقد شهد بذلك القآن الكريم والأحاديث الشريفة وحركة التزيخ.

### ب - الاقتحام بالشعر:

كان الشعر سلاحا فعالا على ساحة ضاقت فيها دائرة الرواية. ولا نقصد بذلك عموم الشعر. وإنما نقصد الشعر الذي يصد عن سبيل الله ويضوب الأخلاق في جنورها. ولأن الطويق إلى المجون يبدأ دائما من دائرة البخس. فلقد حذر تعالى من

(3)

الاقتراب من هذا الطريق، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخنوا اليهود والنصرى أولياء) ، وقال: (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) <sup>(4)</sup> ، وقال: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفرا) <sup>(5)</sup> ، وقال: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخنوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) <sup>(6)</sup> ، إلى غير ذلك من الآيات وقد تكلمنا عنها فيما سبق. وفي الوقت الذي أمر فيه تعالى بهذه الأوامر لحفظ دينه على امتداد الأرض. أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتحسين مركز القيادة وإشعاع الثقافة الإسلامية في حديث رواه الشيخان وغوهما. وذلك عند وفاته صلى الله عليه وآله وسلم فقال: " اخرجوا المشركين من جزيرة العرب " وحدد قبائل بعينها وصفهم بأنهم شر القبائل فقال: " شر قبيلتين في العرب نجران وبني تغلب " <sup>(7)</sup> ، وكانت هذه القبائل موكرا خصبا للنصوانية. وروي عن ابن عباس أنه قال: " لا

(1) نقض الحديث الذي يخص القاص نوف البكالي.

(2) نقصد حديث النقل عن أبي هرة.

(3) سورة المائدة: الآية 51.

(4) سورة آل عمران: الآية 69.

(5) سورة البقرة: الآية 109 (6) سورة الممتحنة: الآية 1.

(7) رواه أحمد ورجاله ثقات (الزوائد 71 / 10).

الصفحة 342

توكل ذبائح نصرى بني تغلب ولا تتكح نسلهم. ليسوا منا ولا من أهل الكتاب" <sup>(1)</sup> . وكان الإمام علي بن أبي طالب يقول في خلافته: " لئن توغت لبني تغلب ليكونن لي فيهم رأي. لأقتلن مقاتلهم ولأسبين نريتهم " <sup>(2)</sup> ، ولكنه رضي الله عنه لم يعط الفوصة لالتقاط أنفاسه.

فهل خرج المشركون من جزيرة العرب؟ من الثابت أنهم لم يخرجوا إلا قليلا منهم، أما الكثرة فوضيت الدولة منهم بدفع الجزية. روى الطوي وغوه أن الجزيرة افتتحها عمر بن الخطاب في السنة السابعة عشرة هجرية <sup>(3)</sup> . وعندما أراد عمر أن يأخذ الجزية من نصرى بني تغلب فروا إلى أرض الروم. فقال النعمان بن زرعة لعمر: أشدك الله في بني تغلب فإنهم قوم من العرب يغضبون من ذكر الخزاء وهم قوم شديدة نكايتهم، فصالح عمر بني تغلب بعدما قطعوا الوات وأرأوا اللحاق بأرض الروم. على أن لا ينصروا وليداولا يمنوا أحدا منهم من الإسلام. فأعطى بعضهم ذلك وأخوا به وأبى بعضهم إلا الجزية <sup>(4)</sup> ، ثم نقض بنو تغلب عهدهم مع عمر ونصروا ولأدهم. فضاغف عمر عليهم الجزية فقالوا: إنا نوضى ونحفظ ديننا <sup>(5)</sup> ، واستمر الحال على ذلك. وفي عهد عثمان بن عفان. أراد عثمان أن لا يقبل من بني تغلب في الجزية إلا الذهب والفضة. فجاءه الثبت أن عمرا أخذ منهم ضعف الصدقة فوجع عن ذلك <sup>(6)</sup> .

مما سبق نعلم أن الدولة اجتهدت في وصية النبي صلى الله عليه وسلم فبدلا من إخراجهم قبلوا منهم الجزية لمارأوا أن المصلحة في ذلك. بل لم تقف الدولة عند هذا الحد بل جاءت بسبي النصرى إلى الجزيرة. ذكر البلاوي:



لما ولي عمر بن الخطاب معلوية الشام حاصر قيسرية حتى فتحها فوجد بها من

(1) فتوح البلدان / البلاذري ص 186.

(2) فتوح البلدان ص 187.

(3) الطوي 198 / 4.

(4) الطوي 198 / 4 ، فتوح البلدان ص 186.

(5) فتوح البلدان ص 186.

(6) فتوح البلدان ص 187.

الصفحة 343

المترقة سبعمائة ألف ومن السامرة ثلاثين ألف ومن اليهود مائتي ألف، ووجد بها ثلاثمائة سوق قائمة كلها. وقد بلغ سبي قيسرية أربعة آلاف. فلما بعث به معلوية إلى عمر بن الخطاب. قسمهم على يتامى الأنصار وجعل بعضهم في الكتاب والأعمال للمسلمين<sup>(1)</sup>. وكان أبو بكر أخدم بنات أبي أمامة خادمين من سبي عين التمر فماتا فأعطاهن عمر مكانهما من سبي قيسرية<sup>(2)</sup>، ولا يخفى ما يترتب على عمل كهذا في ساحة لارواية فيها.

ونحن سنلقي بعض الضوء على الأرضية النصوانية بالجزرة لنمسك بأول الخيط الذي نقف اليوم في نهايته. روي أن الوليد بن عقبة كان على رأس القوة التي افتتحت الجزرة ودخلت إلى ديار بني تغلب. وفي بني تغلب النقي الوليد بن عقبة بأبي زبيد الشاعر. فأما الوليد قال فيه صاحب كتاب الإستيعاب:

لا خلاف بين أهل العلم أن قوله الله عز وجل: (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)<sup>(3)</sup>، تولت في الوليد بن عقبة<sup>(4)</sup>. وعن ابن عباس في قوله تعالى:

(أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون)<sup>(5)</sup>، قال: تولت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة، وذكر قصة في ذلك<sup>(6)</sup>، أما أبو زبيد قال فيه صاحب الإصابة: كان في الجاهلية مقيما عند أخواله بني تغلب بالجزرة. وكان في الإسلام منقطعا إلى الوليد بن عقبة في ولايته للجزرة ثم للكوفة<sup>(7)</sup>، وقال ابن قتيبة: لم يسلم أبو زبيد ومات على نصوانيته. وقال المرزباني: كان نصوانيا وهو أحد المعمرين. يقال عاش مائة وخمسين سنة وأتراك الإسلام فلم يسلم<sup>(8)</sup>،

(1) أول سبي دخل إلى المدينة من أبناء العجم كان في عهد أبي بكر (تاريخ الطبري 26 / 4).

(2) فتوح البلدان 47.

(3) سورة الحوات: الآية 6.

(4) الإستيعاب 632 / 3.

(5) سورة السجدة: الآية 18.

(6) الإستيعاب 633 / 3.

(7) الإصابة 80 / 4.

(8) الإصابة 80 / 4.

الصفحة 344

وبقي أبو زبيد إلى أيام معاوية <sup>(1)</sup>.

وبالوغم من أن الوليد بنص الحديث فاسق بما يوافق القآن. وبالوغم من أن أبا زبيد على أكثر الآراء نصوانيا. فإن الفروق رضي الله عنه رأى أن من المصلحة العامة أن يكون الوليد واليا على الجزيرة. أما فيما يتعلق بأبي زبيد قال ابن حجر في الإصابة: "استعمله عمر على صدقات قومه ولم يستعمل نصوانيا غوه" <sup>(2)</sup> ، وفي هذه الفترة أصدر عمر بن الخطاب قرا. روى ابن شهاب أن عروا كتب إلى أبي موسى الأشعري: "أن مر من قبلك بتعلم العربية فإنها تدل على صواب الكلام وموهم برواية الشعر فإنه يدل على معالم الأخلاق" <sup>(3)</sup> ، ورواية الشعر كانت سنة عربية لم يهتم بأورها الإسلام. ولم يمدح الكتاب الشعر والشعراء بكلمة ولا السنة بالغت في أمره. وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "والذي بعثني بالحق لتكونن بعدي فترة في أمتي يبتغي فيها المال من غير حلة وتسفك فيها الدماء. ويستبدل فيها الشعر بالقآن" <sup>(4)</sup> ، نحن إذا أمام دعوة لرواية الشعر وأمام إخبار بالغيب يقيم الحجة على قوة يستبدل فيها الشعر بالقآن. وتحت ظلال دعوة رواية الشعر. تقف قبيلة تغلب التي ذمها رسول الله صلى الله عليه وآله. ونصل إلى الحوة الذين بقوا على نصوانيتهم حتى العصر العباسي. وقرافل قيسرية التي بعث بهم معاوية إلى عاصمة الخلافة. وباقي نوائر الصد عن سبيل الله.

وفي عهد عثمان اتسعت الدائرة عندما زُيِّلَتْ بعض الحواجز. وذلك عندما تولى الوليد بن عقبة ولاية الكوفة. ففي عهده تم الاتصال بنصلى الحوة وبدأت قرافلهم تجوب المنطقة وراج شعر الأدوة الذي كان له نصيب من التأثير الخفي في الثقافة العقلية. ثم بدأ شعر الخمر يلقي بظلاله ومنه الذي يدعو لنبذ الإسلام

(1) الإصابة 80 / 4.

(2) الإصابة 80 / 4.

(3) ابن الأنباري (كنز العمال 300 / 10).

(4) رواه الديلمي (كنز العمال 187 / 11).

الصفحة 345

صراحة. ولقد قدمنا بعضه في كتابنا "الانحرافات الكبرى" <sup>(1)</sup> ، فمن أراد أن يقف عليه وعلى أصول هذه الفترة فليراجعه هناك. وتحت ظلال شعر الأدوة والخمر. كان الأمير الوليد والشاعر أبو زبيد يضوبان بالأخلاق عوض الحائط. قال صاحب الإستيعاب: أخبار الوليد في شرب الخمر ومنادمته أبا زبيد مشهورة كثرة <sup>(2)</sup> ، وخبر صلته بالمسلمين وهو

سكان وقوله لهم: زيدكم بعد أن صلى الصبح ربعا مشهورة من رواية الثقات من نقل أهل الحديث وأهل الأخبار<sup>(3)</sup> ، وترتب على ذلك حدوث أول انتفاضة ضد حكم عثمان بن عفان. ضحى أمامها بغزل الوليد. ولكن الشعر بقي وژداد اتساعا. وتطور إلى شعر الغزل ثم إلى شعر المجون. وفي عهد معاوية راج الأدب العربي غاية رواجه وظهر الشعر الذي يحتضن سياسة الحزب الحاكم ومنزعات القبائل ومظاهر العصبية العربية.

وكان الأمويون يببالغون في ترويح الشعر. وربما كانوا يبذلون براء بيت من الشعر أو نكتة أدبية المئات والألوف من الدنانير. وانكب الناس على الشعر وروايته وأخبار العرب وأيامهم وكانوا يكتسبون بذلك الأموال الكثيرة. وبلغ من نفوذ الشعر والأدب في المجتمع العلمي أنك ترى كثيرا من العلماء يتمثلون بشعر شاعر أو مثل في مسائل عقلية.

وبدأ شعر الصد يتسلل في ليل الفتن. وبدأ الشواء يوحفون نحو مركز القيادة ومن هؤلاء: الأخطل، الذي ولد بالحوة وكان من بني تغلب. دان بالنصوانية كأكثر قبيلته. ولما ولي يزيد بن معاوية الخلافة. دعا الأخطل إليه وأكرمه. وكذلك أكرمه خلفاء يزيد بن بعده وأسبغوا عليه نعمتهم ولا سيما عبد الملك الذي فضله على سائر الشواء وأجزل له عطاياه<sup>(4)</sup> ، ومنهم: أعشى بني تغلب كان نصوانيا يقدم شوه في كل مكان يقول به<sup>(5)</sup> ، وبدأت ثقافة الفتنة

(1) الانحرافات الكبرى / للمؤلف ط دار الهادي بيروت.

(2) الإستيعاب 633 / 3.

(3) الإستيعاب 634 / 3.

(4) تزيخ الأدب العربي 205 / 1.

(5) المصدر السابق 238 / 1.

تتسع حتى أصبح النصرى في عهد بني أمية لا يستغنى عنهم في تدبير السياسة كما كان عدد من نصرى الروم قائمين على تدبير الخراج. وكان لكثير منهم جاه عند الخلفاء<sup>(1)</sup> ، ومن عباءة ثقافة الفتنة التي زحفت بالشعر والخمر والمجون نحو لرضية اللارواية. خرجت الآراء التي جاء بها الونادقة. والنصوانية هي الأصل التي أتت منه جميع هذه الآراء<sup>(2)</sup> ، وخرجت آراء الموجنة على أيدي يحيى الدمشقي وكان أبوه صاحب عبد الملك بن مروان. وقد صنف يحيى كتابا في فضائل النصوانية. ولم يكن عرضا أن ظهرت عند الموجنة والقريية في الشام آراء يحيى الدمشقي. وفي هذا الطوفان عادت إلى الظهور الأوضاع القديمة لعالم قديم. وأصبحت فيها للمال قوة عظيمة حتى سحقت طاحونه الكبرة كل قيمة أخرى. وكل شئ صار يعرض من أجل المال وبلغت وصمة حب المال والمكر لتحصيله أعلى طبقات رجال النولة. وفي نهاية المطاف ظهر فريق من الشواء يحتقرون كل ما هو ديني ويجوعون على الجهر بذلك على نحو لم يسبق له نظوا في عصر من العصور.

فكان أبو العلاء المعوي الشاعر بالشام (ولد 363 هـ) وتوفي عام (449 هـ) يهاجم كل ما هو ديني مستندا في ذلك إلى

أفيقوا أفيقوا يا غواة فإنما \* ديانتكم مكر من القدماء  
رأونا بها جمع الحطام فأتركوا \* وبانوا وماتت سنة اللؤماء

وقال:

قد تَامت إلى الفساد الروايا \* واستوت في الضلالة الأديان<sup>(3)</sup>

ثم جاء ابن الرواندي (المتوفى 293 هـ) ليقول: إنا نجد في كلام أكنم بن صيفي ما هو أحسن من القوان<sup>(4)</sup>، ويروى عن أبي العلاء الموي أنه عرض

(1) المصدر السابق 256 / 1.

(2) الحضرة الإسلامية 65 / 2.

(3) المصدر السابق 137 / 2.

(4) المصدر السابق 139 / 2.

الصفحة 347

القوان بكتاب عنوانه " بالفصول والغايات في محاذاة السور والآيات"، وقد قيل لأبي العلاء: " ما هذا إلا جيد إلا أنه ليس عليه طلاوة القوان. فقال: حتى تصقله الألسن في المحريب ربعمائة سنة وعند ذلك انظروا كيف يكون"<sup>(1)</sup>. وهكذا تحقق الإخبار بالغيب. تحقق بركوبه الشعر ولا حيث فتح الوليد الأسوار ودخل نصرى الحوة ليعانقوا نصرى تغلب. وشاع شعر الأدوة ثم شعر الخمر ثم شعر المجون. ثم تم التسلل نحو الكوسي الأكبر بركوبة شعر القبائل وأيام العرب وفضائل بني أمية. وعلى ساحة اللارواية نشأ التصوف تحت ضغط المشاكل السياسية. وفي مواجهة التصوف ظهرت الرندقة وتعاليم المرجئة وغورهما وخلال هذا التطاحن كان النصرى يشرفون على جمع الخواج. ومن أراد الزرارة كان عليه أن يتقرب إليهم<sup>(2)</sup>، وتحت شجرة الشوك تكالب الجميع على المال وأعلن شواء الانحلال والصد الحرب على الدين والقوان بصورة لم يسبق لها مثيل.

وإذا كان الإمام علي بن أبي طالب قد توعد بني تغلب إن توغ لهم فإن له فيهم رأياً وقال: لأقتلن مقاتلهم ولأسبين نريتهم<sup>(3)</sup>، وذلك لتنفيذ وصية النبي صلى الله عليه وسلم والخاصة بإخراج المشركين من جزيرة العرب<sup>(4)</sup>.

فإنه رضي الله عنه كان له رأي في الشعر والشواء، يقول صاحب تزيخ الأدب العربي: اشتهر الفرزدق بالشعر وهو شاب. فعرضه أبوه على علي بن أبي طالب بعد يوم الجمل قائلاً: إنه شاعر مضر، فأوصاه أمير المؤمنين أن يوق القوان خوا له من الشعر. ويروى أن الفرزدق وضع رجله في القيد وأقسم لا يفكهما إلا بعد أن يحفظ القوان<sup>(5)</sup>.

(1) المصدر السابق 140 / 2.

(2) المصدر السابق 127 / 1.

(3) فوح البلدان ص 187.

(4) البخاري (الصحيح 202 / 2).

(5) تزيخ الأدب العربي 209 / 1 ، تزيخ الطوي 2 / 94 - 108.

الصفحة 348

وأخيرا لقد أدى عدم الرواية إلى القص ورواية الشعر وكلاهما سنة عربية قديمة وإحياء هذه السنة أدى إلى عودة أوضاع قديمة لعالم قديم وكان ينقص هذا العالم لكي يكتمل خطوة أو خطوتين.

### 3 - إلغاء سهم المؤلف قلوبهم:

قال تعالى: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الوقاب والغرمين وفي سبيل الله وابن السبيل)، وقد روى زياد بن الحرث الصدائي قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فبايعته. فأتاه رجل فقال: أعطني من الصدقة. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره من الصدقات حتى حم فيها فخرها ثمانية أجزاء، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك حقاك"، رواه أبو داود<sup>(1)</sup> ، وسهم المؤلف قلوبهم قيل: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطيه لجماعة منهم الذين واد تأليف قلوبهم ليسلموا كسادات العرب وزعمائهم ومنهم للذين أسلموا ونياتهم ضعيفة فتؤلف قلوبهم بإجزال العطاء. ومنهم من يتوقب بإعطائهم إسلام نظرائهم من رجالات العرب. ولقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى هذا السهم لأبي سفيان بن حرب وابنه معاوية<sup>(2)</sup> ، والأقوع بن حابس وعيينة بن حصين، وعباس بن مرداس. وصفوان بن أمية، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلف قلوبهم منذ تولت الآية حتى لحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ولم يعهد إلى أحد من بعده بإسقاط هذا السهم إجماعا من الأمة المسلمة كافة وقولا واحدا. وبعد وفاة النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم. جاء عيينة بن حصين والأقوع بن حابس وعباس بن مرداس. وطلبوا من أبي بكر نصيبهم فكتب لهم

(1) المغني / ابن قدامة 665 / 2.

(2) إعطائه أبو سفيان راجع مسلم 156 / 7 وإعطائه أبو سفيان ومعاوية راجع البداية والنهاية (359، 360 / 4).

الصفحة 349

به. وجاءوا إلى عمر بن الخطاب، وأعطوه الخط، فأبى ومزقه. وقال: هذا شيء كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطيكموه. تأليفا لكم على الإسلام. وأغنى عنكم. فإن ثبتم على الإسلام. وإلا فبيننا وبينكم السيف فوجعوا إلى أبي بكر فقالوا: الخليفة أنت أم عمر؟ بذلت لنا الخط فمزقه عمر، فقال: هو إن شاء.<sup>(1)</sup>  
وأمضى ما فعله عمر .

يقول ابن قدامة: ولنا كتاب الله وسنة رسوله. فإن الله تعالى سمي المؤلف في الأصناف الذين سمي الصدقة لهم والنبى صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله تعالى حكم فيها فجزأها ثمانية أجزاء "، وكان النبي صلى الله عليه وآله يعطي المؤلف كثيرا في أخبار مشهورة. ولم يزل كذلك حتى مات، ولا يجوز ترك كتاب الله وسنة رسوله إلا بنسخ. والنسخ لا يثبت بالاحتمال. ثم إن النسخ إنما يكون في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لأن النسخ إنما يكون بنص. ولا يكون النص بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وانقراض زمن الوحي. ثم إن القرآن لا ينسخ إلا القرآن وليس في القرآن نسخ كذلك ولا في السنة. فكيف يتوك الكتاب والسنة بمجرد الآراء والتحكم فكيف يتكون به الكتاب والسنة؟<sup>(2)</sup>

واعترضوا عما فعله عمر وقالوا: إن الله سبحانه فرض في أول الإسلام عندما كان المسلمون ضعافا عطاء يعطي لبعض من يخشى شومهم وورجى خوهم تألفا لقلوبهم. غير أن الإسلام لما اشتد ساعده وتوطد سلطانه رأى عمر بن الخطاب حومان المؤلف قلوبهم من هذا العطاء المفروض لهم بنصوص القرآن!! نقول: لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلف يوم إن كان الوحي يدافع عنه أي: كان يعطيهم من موقع القوة. لفتح الطريق بتعطيم الأصنام داخل نفوسهم. ويصل النور إلى عقولهم فتحتضنه الفطرة. وتعطيم الأصنام له وجه.

---

(1) فقه السنة 425 / 1، تفسير المنار 10 / 496، الدر المنثور 2 / 252.

(2) المغني / ابن قدامة 666 / 2.

فمن قبل حطم إواهم عليه السلام الأصنام ليصل النور إليهم ويقيم عليهم الحجة. فكيف يقال والوحي مع رسول الله أن النبي كان يعطي نظرا لضعف المسلمين. وأنهم منعوا لأن معهم آراءهم. ولوقوفهم على أرضية العز وتوطيد السلطان. ثم من الذي قطع بأن السلطان دائم؟ ألم يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والافتراق من بعده وقال: " إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود كما بدأ... " <sup>(1)</sup> ، قال النووي: إن الإسلام بدأ في أحاد من الناس وقلة ثم انتشر وظهر ثم سيلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقى إلا في أحاد وقلة أيضا كما بدأ <sup>(2)</sup> .

وهب أننا سلمنا وقلنا بما قالوا بأن السهم كان يعطى لضعف المسلمين.

أليس بين أيدينا نص يقول بأن هذا الضعف سيعود. وعلى هذا فلا بد أن يكون إعطاء السهم ممتد. والخلاصة: أن النص في إعطائهم مطلق وإطلاقه واضح في كتاب الله، وهذا مما لا خلاف ولا شبهة فيه. وليس لنا أن نعتبر إعطاءهم معللا بظروف زمنية مؤقتة هي تألفهم حينما كان الإسلام ضعيفا دون غوه من الأمانة.

لقد افتروا في المقدمة أن السلطان دائم وقوي. وما نحن عند النتيجة نتجف خوفا - حتى قال صاحب المنار: إننا نجد دول الاستعمار الطامعة في استعباد جميع المسلمين وفي ردهم عن دينهم يخصصون من أموال دولهم سهما للمؤلف قلوبهم من

المسلمين، فمنهم من يؤلفونه لأجل تنصوه وإخواجه من حظوة الإسلام. ومنهم من يؤلفونه لأجل الدخول في حمايتهم ومشاقّة  
الدول الإسلامية الوحدة الإسلامية. أفليس المسلمون أولى بهذا منهم؟! (3) ، إننا عند النتيجة نخاف من عالم المعونات والمنح  
والقروض الأجنبية، لأن كل هذا يصب في النهاية في مربع المؤلّفة قلوبهم ولكن لصالح نواثر الصد عن سبيل الله.

(1) رواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة وابن ماجه عن ابن مسعود وأنس والطبراني في الكبير عن سلمان وسهل بن سعد وابن  
عباس. ورواه الترمذي (صحيح مسلم 177 / 2) (كنز العمال 238 / 1) (جامع الترمذي 18 / 5).

(2) مسلم بشرح النووي 177 / 2.

(3) فقه السنة 177 / 2.

الصفحة 351

نظرات على الطريق:

إن سهم المؤلّفة قلوبهم دليل على إمامة أهل البيت، وبدون قيادتهم لا يمكن للسهم أن يصرف بما يخدم الدعوة. فمن المعلوم  
أن الاقتراب في الدين أو الحياة الدينية من الذين ظلموا بوع من الاعتماد أو الاتكاء يخرج الدين أو الحياة الدينية عن الاستقلال  
في التأثير ويغورهما عن الوجهة الخالصة. ولهذا نهى الله تعالى النبي وأمته من الوركين إلى من اتسم بسمة الظلم بأن يميلوا  
إليهم ويعتصموا على ظلمهم في أمر دينهم أو حياتهم الدينية. قال تعالى: \* (لا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) \* (1) ،  
وتحديد الذين ظلموا يحتاج إلى صاحب فقه عال فإن قيل أن الأمة قاورة على هذا التحديد. قلنا وعلى رأس هؤلاء يكون من  
أذهب الله عنهم الرجس وطوهم تطهروا. وفي هذا نصوص. لأن الله ما طوهم لا للدين والحياة الدينية فهم الأولى بتحديد أي  
عقبة على طريق الدين.

ومن المعلوم أيضا أن الأمة بها العديد من النواثر التي هدفها الصد عن سبيل الله. ومنهم الذين رأوا اغتيال الرسول صلى  
الله عليه وآله عند عودته من تبوك ووصفهم النبي بأنهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا وذلك في حديث صحيح. فالتعامل  
مع هذه النواثر تحتاج إلى سياسة خاصة تتألفهم في الوقت الذي تجعلهم فيه بعيد عن المناصب التي لا يطلعون فيه على  
الأسوار المهمة، قال تعالى: \* (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ولو ما عنتم قد بدت البغضاء  
من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر) \* (2) ، أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: هم المنافقون (3) ، وقال ابن  
كثير: نهى الله تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة (4) ، فإن قيل أن الأمة تعرف المنافقين. قلنا: لا نسلم بهذا وإنما  
نسلم بمن جاء فيه نص.

(1) سورة هود 113.

(2) سورة آل عمران: الآية 118.

(3) الدر المنثور 66 / 2.

(4) تفسير ابن كثير 398 / 1.

فالذي لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق هو القادر على القيادة وتحديد الذين سيتعامل معهم. ومن هو الذي سيكون قريباً من داوّة القوار ومن هو الذي ينبغي أن يكون في موقع بعيد عن الأسوار المهمة للدولة.

إن سهم المؤلفة قلوبهم لم يكن يعطى كي يعتنق البعض الإسلام. فهذا المنطق في ديار التبشير حيث ينطلق المبشرون بالخبر والنواء في كل مكان كي يعتنق الناس النصوانية. أما الإسلام فلا. لأن الآية حددت القلب كداوّة عمل قال تعالى: \* (والمؤلفة قلوبهم) \*، فالرسول صلى الله عليه وآله يهيئ قلوبهم ويجنّوها كي تستقبل منه. ومعنى يهيئ قلوبهم أن يحدد المرض الذي على الطريق إلى القلب ثم يجهز له النواء المناسب. فهناك من كان النبي يتألفه بوضعه على رأس سوية من السوايا. حتى إن عمرو بن العاص عندما قيل له عند موته: قد كان رسول الله يدينك ويستعملك قال: أما والله ما أوري أحبا كان ذلك أم تألفا يتألفني <sup>(1)</sup>، ومنهم من كان يتألفهم بمشاورتهم في بعض الأمور. ومنهم من كان يتألفه بالمال عن صفوان بن أمية قال: أعطاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنه لأبغض الخلف إلي فما زال يعطيني حتى أنه لأحب الخلق إلي <sup>(2)</sup>.

إن الرسول صلى الله عليه وآله يحدد الداء الذي في الصدر وعليه يعطي النواء لكي يقيم الحجة على أؤاد بعينهم. أنه صلى الله عليه وآله يحطم الأصنام التي تحت الجلود كي يجعل أصحابها أحراراً في اتخاذ القوار.

كما حطم إواهيم عليه السلام الأصنام من قبل كي يوجع القوم إلى أنفسهم ويكونوا أحراراً في اختيلهم " قال بل فعله كبوهم هذا فاسألوهم إن كان ينطقون. \* (فوجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم

(1) أخرجه الإمام أحمد وقال الهيثمي رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح وله طرق أخرى (الفتح 310 / 22)، ورواه ابن سعد (الطبقات الكبرى 263 / 1) وابن أبي شيبة (كنز العمال 549 / 11) وراجع مجمع الزوائد (353 / 9).

(2) رواه مسلم، ورواه الترمذي (جامع الترمذي 44 / 3).

الظالمون) \* <sup>(1)</sup>، فالإسلام لم يأت بأجولة من الدنانير والواهم كي يعتنقه الناس. وإنما جاء بالكلمة والحركة التي تذكر الإنسان بمخزون الفطوة وتجعله يوقا الوجود من حوله من منطلق التوحيد. وإذا كان الإسلام قد فوض سهماً للمؤلفة قلوبهم لحكمة فإنه طالب أتباعه بأن يجاهوا في سبيل الله بالمال والولد. فهو يعطي لهدف ويأخذ لهدف والله غني عن العالمين. وروي أنه يوم حنين أعطى النبي قویشا ولم يعط الأنصار. فحزن بعض الأنصار لذلك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رحالكم برسول الله. فوالله ما تتقبلون به خير مما ينقلبون به. قالوا: بلى يا رسول الله قدرضينا فقال لهم: إنكم سترون بعدي آثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض. قال أنس وهو الولوي للحديث: فلم نصبر <sup>(2)</sup> فالذين أخنوا المال كان المال لهم نواء من أجل أن ينتصروا على في أنفسهم. وهناك من كان يطلب من النبي أن يعطيه. وعندما رأى أنه انتصر داخل نفسه لم يسأل مالا وتوكله ليكون سبيلاً إلى آخر. فعن حكيم بن خرام قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني. ثم سألته فأعطاني ثم



قال لي: يا حكيم إن هذا المال خضر حلو. فمن أخذه بسخوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشواف نفس لم يبرك فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى. قال حكيم فقلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحد بعدك شيئا حتى أفرق الدنيا.

وهناك صنف كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطيهم وهو يعلم أن الله ختم على قلوبهم فهم لا يؤمنون. وهؤلاء الذين قال فيهم الله تعالى: \* (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) \* <sup>(3)</sup>، وهناك أيضا الذين قال فيهم

(1) سورة الأنبياء: الآية 64.

(2) البخاري ك الجهاد (2 / 199) مسلم (7 / 151) أحمد (الفتح الرباني 89 / 14).

(3) سورة يس: الآية 6.

الصفحة 354

تعالى: \* (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هو بمؤمنين) \* <sup>(1)</sup>، والرسول صلى الله عليه وآله كان يعطي هؤلاء يكون سهم المؤلف عليهم علامة. يكون كالسك وعلى هذا يكونوا معروفين للأمة فتحترمهم وتتعامل معهم بفقهاء عال فلا توليهم المناصب العليا في الدولة حتى لا يصلوا إلى موقع القوار.

ولله تعالى على بعض عباده علامات. قال سبحانه في كفار أهل الكتاب:

\* (وضوبت عليهم الذلة والمسكنة) \* <sup>(2)</sup>، ضوبت كضوب السكة على المعدن أو كضوب الخيمة على الإنسان، وسهم المؤلف على الذين يقولون آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين كالسك على المعدن. وليس كل من رآه المسلمين مؤمنا أن يكون بالضرورة مؤمنا فيولونه أمورهم. روى الإمام مسلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعطى قوما كان سعد يجلس فيهم. فترك النبي منهم من لم يعطه. وكان سعد يعجبه بعض الذين لم يعطهم النبي فقال سعد: يا رسول الله مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمنا. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أو مسلما. ثم تكرر هذا الموقف أكثر من مرة وسعد يقول ما قال والنبي يقول: أو مسلما. ثم قال النبي: إني لأعطي الرجل وغره أحب إلي منه خشية أن يكب في النار <sup>(3)</sup>، وفي هذا الحديث أن سعدا كان يحكم على طرف بأنه مؤمنا وذلك وفقا لما رآه. أما الرسول صلى الله عليه وآله كان يحكم بما لا يراه سعد. وهذا المقياس له بعد النية امتداد. لأن الذين يقولون آمنا وهم لا يؤمنون باقون وأيضا سهم المؤلف باقي لأنه لم ينسخ بقرآن. وعلى هذه الخلفية يمكن أن نفهم قول النبي صلى الله عليه وآله بن أبي طالب: " ألا ترضى أن تكون مني بمتولة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي " <sup>(4)</sup>، ويضاف قوله لعلي: " لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق " <sup>(5)</sup>، فهذا الامتداد يحفظ الدعوة من

(1) سورة البقرة: الآية 8.

(2) سورة البقرة: الآية 61.

(3) رواه مسلم وغوه (صحيح مسلم 182 / 2).

(4) رواه البخاري وغوه (الصحيح 86 / 3) وسبق تخريجه.

(5) رواه مسلم وغوه وسبق تخريجه.

الصفحة 355

الذين ظلموا ويمنع تسلل بطانة السوء إلى المقاعد الأولى. لأن الاقتراب في الدين أو الحياة الدينية من هذه النواثر بؤع من الاعتماد والاتكاء يخرج الدين أو الحياة الدينية عن الاستقلال في التأثير.

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لم يتحقق الامتداد لمصلحة رآها بعض الصحابة يحفظون بها الحياة الدينية. فأمسكوا سهم المؤلف الذي كان يعطيه النبي صلى الله عليه وسلم للبعض من قريش وغوهم فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يبعث بالمال إلى أبي سفيان ليفوقه في قريش ليتألفهم<sup>(1)</sup> ، ولكن رأي الصحابة نشأ عنه آثار جانبية مثل التي تنشأ عن النواء الذي يستخدم في علاج داء معين ومن جملة هذه الآثار أن أبا سفيان دخل على عثمان بن عفان بعد أن كف بصوه فقال: هل علينا من عين؟ قال: لا، فقال: يا عثمان إن الأمر أمر عاليه والملك ملك جاهلية فاجعل أوتاد الأرض بني أمية<sup>(2)</sup> ، وفي رواية قال: يا معشر بني أمية إن الخلافة صلت في تيم وعدي حتى طمعت فيها. وقد صلت إليكم فتلقوها بينكم تلقف الصبي للكرة<sup>(3)</sup> ، وفي مروج الذهب عنه أنه قال: يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة فالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصون إلى صبيانكم وراثته<sup>(3)</sup> ، وروي أنه مر بقبر حفزة بن عبد المطلب فضوبه وجله وقال: يا أبا عملة إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس صار في يد غلماننا اليوم يتلعبون به.

ومن جملة ذلك أيضا أن معاوية الذي ضاع من على يديه سكة سهم المؤلف بعد التضييق على الرواية نزع على الخلافة. وجلس في المقعد الأول يقود الحياة الدينية للأمة!! ومن جملة هذا ظهور المزيد من المنافقين الذين يقوون القوآن ويرون به ما عند الناس. روي أن الفاروق عمر بن الخطاب خطب الناس فقال: أيها الناس ألا إنما كنا نعرفكم إذ بين ظهورنا النبي صلى الله عليه

(1) رواه ابن عساکر (كنز العمال 176 / 9).

(2) الأغاني 6 / 355، تهذيب ابن عساکر 407 / 6.

(3) الأغاني 6 / 355، الإستيعاب 690 / 2.

الصفحة 356

وآله وسلم. وإذ يقول الوحي... وإذ ينبأنا الله من أخباركم ألا وإن النبي صلى الله عليه وآله قد انطلق وانقطع الوحي وإنما نعرفكم بما نقول لكم من أظهر منكم خرا ظننا به خرا وأحببناه عليه. ومن أظهر لنا شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه. سواؤكم بينكم وبين ربكم ألا أنه قد أتى علي حين وأنا أحسب أن من قوآ القوآن يريد الله وما عنده فقد خيل إلي بآخوه ألا أن رجالا قد قووه يرون به ما عند الناس فريوا الله بقواعتكم ورأيوه بأعمالكم<sup>(1)</sup> .

في هذا الخطاب أمضى الفاروق بأن الطريق الذي بدأه بقول: " حسبنا كتاب الله " قد أنتج في عهده. من يقرأ القرآن يريد به ما عند الناس. وفي الخطاب يأس من معرفة المنافقين. وفيه أن العمود الفقري الذي تدور عليه السياسة " وإنما نعرفكم بما نقول لكم "، وقد أمر رضي الله عنه بما كان واه لمصلحة المسلمين. ولكن الإشكال في قوله: " من أظهر لنا شواظننا به شواظننا "، لأن المنافق لا يظهر شواظن!! وعلى هذا تسلل أغيلمة قريش إلى الكواشي الأولى.

وأمروا الناس بقتل الحسين واستباحة المدينة. وقتل من بقي من الأنصار وحرقت الكعبة وجلد المسلمين. وكانوا يعرفون الناس بما يقولون لهم فمن أظهر لهم شواظنهم وطافوا وأسه. حتى انتهى الأمر إلى ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أراء السور وبطانتهم. وأغلب الظن أن الصحابة في المجتمع المدني بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم تبينوا أن وجود سهم المؤلفه يحتم وجود طرف آخر تحت ضوئه يظهر النفاق، ونظرا لأن ظروفنا ما حتمت إبعاد هذا الطرف سيصبح سهم المؤلفه لثا للذين كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعطيهم أو أن قاعدته ستتسع لتشمل البعض من الذين لم يقطع بنفاقهم أو سيصبح نهيا ويوظف لاتجاهات أخرى الصحابة أجل من أن يخوضوا فيها، وعلى هذا فضلو الإطاحة بالسهم وهذا العمل وفقا لأعمدة المجتمع المدني عمل لا غبار عليه ويمكن فهمه.

(1) رواه أحمد وقال في الفتح إسناده حسن وأخرج البخاري الطرف الأول منه (الفتح الرباني 87 / 23) ورواه ابن خزيمة والبيهقي والحاكم وابن سعد وابن عساکر وسعيد بن منصور (كنز العمال 163 / 16).

الصفحة 357

## رابعا - الأراء والفتن

كانت سوة النبي صلى الله عليه وآله في أراءه الذين يبعثهم لإنجاز مهمة ما أن يحذوهم بأن معصيته هي معصية الله. وكانوا يعلمون أن الوحي يرصدهم تحت جلودهم. وكان صلى الله عليه وآله يحذوهم من اتخاذ أي قرار لم يمضه حتى لا تسيل قطرة دم بغير حق. عن معاذ بن جبل قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن فلما سوت أرسل في أوثي. فوددت فقال: أتري لم بعثت إليك؟ لا تصيبين شيئا بغير إذني فإنه غلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة، لهذا دعوتك فامض لعملك (1)، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ إلى الله من أي أمير لا يتقيد بأوامره أو يجتهد في أمر اجتهاد ليس للإسلام فيه نصيب. روي أنه صلى الله عليه وآله بعث خالد بن الوليد في بعث إلى بني خزيمه فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا " قالوا صبأنا صبأنا. فجعل خالد يقتل منهم ويأسر. وعندما علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخبر رفع يده وقال: اللهم إني أوأ إليك مما صنع خالد - مرتين - (2)، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يأمر الجنود بأن يطيعوا أراءهم إذا كان الأمر في حدود المهمة التي أرسلوا إليها وأن يطيعوه إذا اجتهد اجتهادا لا يتعارض مع الإسلام. روي أن النبي صلى الله عليه وآله بعث سوية و أمر

(1) ورواه الترمذي. وقال في تحفة الأحوازي أخرجه أبو داود والبيهقي وابن حميد وابن عدي (التحفة 565 / 4).

( 2 ) رواه البخاري كتاب المغربي ب بعث النبي خالد (الصحيح 71 / 3).

الصفحة 358

من فيها بأن يطيعوا أمرهم. وعند تنفيذ المهمة غضب الأمير. فقال لمن معه:

أليس أمركم النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني. قالوا: بلى، قال:

فاجمعوا لي حطبا فجمعوا فقال: أوقدوا نرا. فأوقدوها. فقال: أدخلوها فهموا. وجعل بعضهم يمسك بعضها ويقولون: فرنا

إلى النبي من النار (1) ، فمزالوا حتى خمدت النار. فسكن غضب الأمير فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لو دخلوها ما

خرجوا منها إلى يوم القيامة والطاعة في المعروف (2) ، وروي أن عمران بن حصين بعد وفاة النبي كان يذكر بهذا الحديث

الأمرء الذين كانوا يتسعملهم زياد (3) .

### 1 - أمراء على الطريق:

وكما ذكرنا من قبل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعمل البعض على رأس السوايا تألفا منهم عمرو بن العاص وقد

ولاه أمرا على أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح في غزوة ذات السلاسل (4) ، وكان النبي قد وجهه إلى أخوال أبيه

العاص يستألفهم بذلك و يدعوهم إلى الإسلام (5) ، فلما وصل ابن العاص إلى أرض السلاسل بعث إلى النبي صلى الله عليه

وسلم يستمده بجيش فأمده بمأتين فيهم شوخ المهاجرين (6) ، لقد كانت هذه سيرته صلى الله عليه وسلم في تحديد الأمراء

وتعيين أهداف الدعوة. وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. كانت هناك مقاييس أخرى لهذه العملية. فعلى سبيل

(1) أي أمنا خوفا من النار يوم القيامة ونحن الآن نأمر بالدخول فيها.

( 2 ) رواه البخاري ك المغربي (الصحيح 71 / 3) وأحمد بإسناد صحيح (الفتح 42 / 23).

( 3 ) رواه أحمد وفيه " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق " وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (الفتح 42 / 23).

( 4 ) رواه الطواني ورجاله ثقات (الزوائد 352 / 9 ) وسعيد بن منصور (كنز العمال 782 / 5 ) وابن حجر في الإصابة

( 2 / 3 ) والإستيعاب ( 510 / 2 ).

( 5 ) الإستيعاب ( 510 / 2 ).

( 6 ) الإستيعاب ( 510 / 2 ).

الصفحة 359

المثال خالد بن الوليد الذي توأ من صنعة النبي صلى الله عليه وسلم نجده في عهد أبو بكر يرتكب مخالفات ليست أقل

خطورة مما ارتكب من قبل ولكن فعله تورى وراء تعريف " تأول فأخطأ وله أجر واحد " ، وكان الشخص الذي يرتكب مخالفة

للكتاب أو السنة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وواد الاعتذار عنه أو يصح عمله يقال له: " تأول " وتطور الاعتذار

إلى حد صار إلى كل جريمة ترتكب ومن أمثلة ذلك اعتذار ابن حزم عن أبي الغادية قاتل عمار بن ياسر من أنه متأول مجتهد

فأخطأ فله أجر واحد هذا مع ما تواتر من قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمار أنه تقتله الفئة الباغية.  
ومخالفة خالد عندما قتل مالك بن نويرة ثم تزوج امرأته التي وصفها ابن كثير بأنها كانت جميلة<sup>(1)</sup> ، قصة معروفة عند من تأمل كتب السير والنقل.

فمالك بن نويرة كان على صدقات قومه بني يروع واليا من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولما بلغه وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أمسك عن أخذ الصدقة من قومه حتى يقوم قائم بعد النبي صلى الله عليه وسلم. وروى أهل النقل. إن أبا بكر وصى الجيش الذي بعثه ليقا تل مانعي الزكاة. بأن يؤذنوا ويقبموا فإن أذن القوم كأذانهم وإقامتهم كفوا عنهم. وإن لم يفعلوا أغاروا عليهم<sup>(2)</sup> . وعندما تقدم خالد نحو بني يروع وكان معه أبو قتادة بن سوابه وأمر جنوده أن يدعوا القوم وأن يأتوه بكل من لم يجب. فجاءته الخيل بمالك بن نويرة الذي انتهى الأمر بقتله وتزوج خالد زوجته أم تميم بنت المنهال.

وكان أبو قتادة الحلث بن ربعي ممن شهد أنهم أذنوا وأقاموا و صلوا. وحلف أبو قتادة ألا يسير تحت لواء خالد في جيش أبدا<sup>(3)</sup> . وركب أبو قتادة فوسه واتجه إلى أبي بكر فأخوه الخبر وقال له: إني نهيت خالدا عن قتله فلم يقبل قولي. وعندما سمع عمر بن الخطاب الخبر قال: إن القصاص قد وجب على

---

(1) البداية والنهاية 322 / 6 .

(2) الطوي 242 / 3 .

(3) الطوي 243 / 3 .



خالد. وعندما جاء خالد قام إليه عمر فزع الأسهم عن رأسه فحطمها ثم قال له:

يا عدو نفسه أعدوت على امرئ مسلم فقتلته ثم تزوت على امرأته والله لو جمنك بأحجر لك. وخالد لا يكلمه. ولا يظن إلا أن رأي أبي بكر مثل رأيه.

حتى دخل إلى أبي بكر واعتذر إليه بعذره وتجاوز عنه. فخرج خالد وعمر جالس في المسجد فقال: هلم إلي يا ابن أم شملة. فوف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه <sup>(1)</sup>. وروي أن أبا بكر قال: " ما كنت لأرجمه فإنه تأول فأخطأ " وفي رواية: " هبه يا عمر تأول فأخطأ " فرفع لسانك عن خالد <sup>(2)</sup>.

لقد كانت هذه بداية جاء عليها طوفان من الأبراء فيما بعد. في البداية قام الأبراء بالقتل على الرغم من أن الخليفة وضع شروطاً لهذا القتال، وهو الآذان والإقامة. ونحن لا نناقش هنا الأساس الفقهي الذي استند إليه أبو بكر في قتال مانعي الزكاة. وقد علمنا أن النبي صلى الله عليه وآله لم يقبل زكاة ثعلبة بن حاطب وقصته مذكورة في سورة التوبة. ونحن لا نناقش الأساس الفقهي في ذلك وقد رأينا عمر نفسه قد اعتوض على قتال مانعي الزكاة منذ البداية واعتوض على مخالفات خالد. ولا نوري كيف يقتل مالك على الزكاة وهو يصلي. فهل معنى ذلك أن يقتل الذي لا يصلي حتى إذا أخرج الزكاة. وذلك لأن الصلاة والزكاة حزمة واحدة ومعها الشهادتين وحج البيت. ولكننا نناقش هنا الأبرياء التي جاء عليها الأبراء. لأن منها خرجت فتن وصل دخانها عنان السماء.

لقد علمنا أنه في عهد النبوّة كانت هناك نوائر عديدة هدفها الصد عن سبيل الله. وكان الرسول يدعو على بعضهم ويطرد بعضهم ويخبر أصحابه بأسماء البعض الآخر. وكان عبد الله بن عمرو يكتب بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صحيفة خاصة به. فلما علمت جهات الصد عن السبيل بذلك.

حاولوا أن يحولوا بين عبد الله وبين ما يكتب نظراً لاحتمال ذكهم فيما يكتب.

(1) الطبري 243 / 3.

(2) الطوي 242 / 3.

روي عن عبد الله أنه قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أريد حفظه فنهتني قريش. وقالوا: أكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وآله بشر يتكلم في الغضب والرضا. فأمسكت عن الكتابة. فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله فأومئ لي شفتيه وقال: والذي نفسي بيده ما يخرج مما بينهما إلا حق فاكتب <sup>(1)</sup>.

لقد كان التنوين عقبة أمامهم. فلما جاء عهد الفاروق وهدد من يروي بالضرب والحبس وذلك لمصلحة للمسلمين لا نستطيع الوقوف عليها. ضاع ذكر القوم. وعندما أقدم الفاروق رضي الله عنه على إلغاء سهم المؤلفات قلوبهم. تجرد القوم من علامة بارزة تدل على تألفهم لضعف إيمانهم. ومع نسيان أخبارهم وضياع علامتهم انخرطوا في نسيج واحد مع الأمة لئلا يتخذوا

الأمة لأي نوع من أنواع الحذر والحيطه تجاههم. ولكي تكتمل المأساة كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله. نظرا

لاحتمال تسرب حديث من الأحاديث التي ذمهم فيها النبي. وعلى سبيل المثال لقد وصفوا النبي لابن عمرو عندما كان يكتب.  
بأن النبي بشر يتكلم في الغضب والرضا. ونجدهم يقولون على لسان الرسول فيما بعد: " اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر. وإنني اتخذت عندك عهدا لن تخلفه. فأیما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها كفلة وقوبة تقوبه بها إليك يوم القيامة " (2) ، وهكذا جعلوا النبي مؤذيا سبابا جلادا حتى يفلتوا مما ورد فيهم. ورووا عنه أيضا أنه قال: " اللهم فأیما مؤمن سببته أو لعنته فاجعل ذلك له قوبة إليك يوم القيامة " (3) ، هكذا جعلوه سبابا ولعانا " هذه الأحاديث يعرضها قوله الله تعالى: \* (وإنك لعلى خلق عظيم) \* (4) ، وقوله تعالى: \* (وما

(1) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد أصل في كتابه الحديث عن رسول الله ولم يخرجاه (المستدرک 105 / 1) ورواه أبو داود حديث رقم 3646.

(2) رواه مسلم (الصحيح 153 / 16) ك الوب من لعنه النبي.

(3) سورة القلم: الآية 4.

(4) سورة النجم: الآية 3.

الصفحة 362

ينطق عن الهوى) \* (1) ، وقوله تعالى: \* (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) \* (2) ، إلى غير ذلك من الآيات. ويعرضه حديث " لم يكن النبي سبابا ولا فحاشا " (3) ، وإذا كان النبي قد لعن أحدا فإن هذا اللعن بأمر من الله قال تعالى: \* (إن الذين يكتُمون ما أتونا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) \* (4) ، وقد أمر الله رسوله يوم مباحلة نصرى نجران بأن يأتي بعلي وفاطمة والحسن والحسين وأن يقول للنصرى:  
\* (ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) \* (5) ، فالرسول لا ينطق إلا بوحى ولكن أجهزة ومؤسسات الصد جعلته يغضب كما يغضب البشر لأسباب يفهمها كل باحث عن الحقيقة.

وبعد أن انخبطوا مع الأمة في نسيج واحد ضاع ذكروهم بعد أن أغلقت الأبواب على الأحاديث التي حنرت منهم. كما ضاع ذكر أهل البيت بعد أن أغلقت نفس الأبواب على الأحاديث التي رغبت فيهم. ورغم ذلك كان في الساحة طائفة موالية لأهل البيت ولكن في عالم الظلال... وتحت الأضواء كان هناك من يسير بين الأمة وهدف الأمة. كان يود لو أمسك بقائمة كرسي أمام باب من الأبواب يتسلق عليها إلى كرسي آخر حتى يخرج الحياة الدينية عن مسلها وتتحول فيما بعد إلى اتجاه يدفع إلى فتن حذر النبي صلى الله عليه وآله من مقدماتها. ونحن هنا سنلقي بعض الضوء على بعض الأبراء الذين كانت بداية ظهورهم في عهد أبي بكر ثم تدفقت بهم النولة بعد ذلك على امتداد تليخها.

أما الذين كانوا على عهد أبي بكر فمنهم رجل يدعي الفجأة. قدم إلى أبي بكر وزعم أنه مسلم وسأله أن يجهز معه جيشا

يقاتل به أهل الودة. فجهز معه جيشا فلما سار جعل لا يمر بمسلم أو مرتد إلا قتله وأخذ ماله. وعندما علم أبو بكر

(1) سورة (2) سورة آل عمران: الآية 159.

(3) ( رواه البخاري كتاب الآداب (الصحيح 55 / 4).

(4) ( سورة البقرة: الآية 159.

(5) ( سورة آل عمران: الآية 61.

الصفحة 363

بهذه الأحداث رده ثم أحرقه في النار<sup>(1)</sup> ، ومن قبل رأينا خالد بن الوليد الذي وصفته الأحاديث الصحيحة أنه كان من المبغضين لعلي بن أبي طالب كيف ركب على رأس جيش وقتل مالك وأخذ ماله وتزوج زوجته. وتحت شعار حروب الودة برز عمرو بن العاص. وروي أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر حين شيع عمرو بن العاص: أو تريد الناس نورا. ألا ترى ما يصنع هذا بالناس! فقال: دعه فإنما ولاءه علينا رسول الله لعلمه بالحرب<sup>(2)</sup> ، وغير هؤلاء كثير شربوا لبن الإملة صغورا ثم قاتلوا من أجلها كبرا ثم جاء عهد عمر بن الخطاب فاتسعت الوقعة.

ولقد كانت الوقعة في عهد أبي بكر على مسوحها تنور الكثير من حروب الودة وبعض الفتوحات، أما في عهد عمر فعلى مسوحها دلّت الفتوحات الكثيرة الواسعة. وبحجم الفتوحات كان حجم الأمواء. ومن هؤلاء الأمواء.

معاوية بن أبي سفيان، الذي أسلم هو وأبيه وأمه يوم الفتح<sup>(3)</sup> ، وقال البعض: إنه أسلم بعد الحديبية وكنتم إسلامه وهذا يعرضه ما ثبت في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص أنه قال في العمرة في أشهر الحج. فعلناها وهذا يومئذ كافر<sup>(4)</sup> ، كان الفلروق لا يخفي إعجابه بمعاوية، روى أنه ذكر معاوية عند عمر فقال: دعوا فتى قريش وابن سيدها أنه لمن يضحك في الغضب ولا ينال منه إلا على الرضا ومن يأخذ من فوق رأسه إلا من تحت قدميه<sup>(5)</sup> ، وكان يقول للناس:

تذكرون كسوى وعندكم معاوية<sup>(6)</sup> ، ومعاوية بدأ يحب في اتجاه الكوسي بعد وفاة أخيه يزيد بن أبي سفيان الذي كان له كوسي في عهد أبي بكر وعمر عندما مات يزيد. كتب عمر ولاية معاوية مكان أخيه. وعندما ذهب عمر ليغوي أبي سفيان

(1) البداية والنهاية 319 / 6.

(2) ( رواه الطواني وقال الهيثمي رجاله ثقات (الزوائد 352 / 9).

(3) ( البداية والنهاية 21 / 8 ، والإستيعاب 395 / 3.

(4) ( الإصابة 113 / 6.

(5) ( رواه الديلمي في سند الفودس (كنز العمال 587 / 13)، البداية والنهاية 125 / 8، الإستيعاب 397 / 8.

(6) ( الطوي 184 / 6، الإستيعاب 396 / 3.

الصفحة 364

في ابنه يزيد قال له أبو سفيان: يا أمير المؤمنين من وليت مكانه؟ قال: أخوه معاوية، فقال أبو سفيان: وصلت رحما يا



أمير المؤمنين - وفي رواية - قال أبو سفيان: فمن بعثت على عمله؟ قال عمر: معاوية أخاه! إبنان مصلحان وإنه لا يحل لنا أن نزع مصلحا <sup>(1)</sup>.

وبعد أن ركب معاوية على الكرسي جاءت رسالة من أبيه وأخى من أمه.

قال له أبوه: يا بني إن هؤلاء الوهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم وقصر بنا تأخرنا فصاروا قادة وسادة.

وصونا أتباعا وقد ولوك جسيما من أمرهم فلا تخالفهم فإنك تحري إلى أمد فنفاس فإن بلغته أورثته عقلك!!

وقالت له أمه في رسالتها: والله يا بني إنه قل أن تلد حرة مثلك وإن هذا الرجل قد استنهضك في هذا الأمر فاعمل بطاعته

فيما أحببت وكرهت <sup>(2)</sup>.

ولقد أخذ معاوية بالنصيحة. روي لما قدم عمر إلى الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم. فلما دنا من عمر قال له: أنت

صاحب الموكب. قال: نعم، فقال: هذا حالك مع ما بلغني من طول وقوف نوي الحاجات ببابك لم تفعل ذلك؟ قال: يا أمير

المؤمنين إنا بلرّض جواسيس العدو فيها كثرة فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون عز الإسلام وأهله وروهبون به فإن

أموتني فعلت وإن نهيتني انتهيت. فقال عمر: يا معاوية ما سألتك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الفرس لئن كان ما قلت

حقا إنه لأمر رأيت ولئن كان باطلا إنه لخدیعة أدیت، قال معاوية: فموني يا أمير المؤمنين بما شئت، فقال: لا أمرك ولا

أنهاك!! <sup>(3)</sup> وروى ابن المبارك عن أسلم مولى عمر قال: قدم علينا معاوية وهو أبيض الناس وأجملهم فخرج إلى الحج مع

عمر فكان عمر ينظر إليه فيعجب منه. ثم يضع إصبعه على متن معاوية ثم يرفعها ويقول: بخ بخ. نحن إذن خير الناس إن

جمع لنا خير الدنيا والآخرة فقال معاوية: يا أمير المؤمنين سأحدثك أنا

---

(1) ابن سعد اللالكائي في السنة (كنز العمال 606 / 13)، البداية والنهاية 118 / 8، الطبري 69 / 5، الإستيعاب 596 / 3.

(2) البداية والنهاية 118 / 8.

(3) الطوي 184 / 6، البداية والنهاية 125 / 8.

بلرّض الحمامات والريف والشهوات. قال عمر: ما بك إلا أطافك نفسك بأطيب الطعام ونوي الحاجات وراء الباب، فقال

معاوية: يا أمير المؤمنين علمني أمتل. فلما جئنا ذا طوى أخرج معاوية حلة فلبسها فوجد عمر فيها ريحا كأنه ريح طيب فقال،

يعمد أحدكم فيخرج حاجا مقلا حتى إذا جاء أعظم بلدان الله حرمة أخرج ثوبيه كأنهما كانا في الطيب فلبسهما. فقال معاوية:

إنما لبستهما لأدخل بهما على عشيرتي وقومي... فإله إنني قد عرفت الحياء فيه. ثم زع معاوية ثوبيه ولبس ثوبيه الذين أحرم

فيهما <sup>(1)</sup>، لقد كان الفاروق يسأل في كل مرة عن ذي الحاجات ولكم ذكواهم كانت تغيب في ربود معاوية. والخلاصة أن

معاوية كانت في ذاكرته رسائل والديه ففي كل مرة قال: موني أمتل! علمني أمتل.

وعلاقة معاوية بالكرسي علاقة وطيدة. قال في الإصابة: عاش ابن هند عشوين سنة أمرا وعشوين سنة خليفة <sup>(2)</sup>، وقال

صاحب الإستيعاب: هو أول من أقام المهرجان. وأول من قتل مسلما صوا حوا وأصحابه. وأول من أقام على رأسه حرسا.

وأول من قيدت بين يديه النجائب، وأول من اتخذ الخصيان في الإسلام، وأول من بلغ درجات المنبر خمس عشر موقاة - ليكون منوه أعلا من منبر رسول الله، وقال: أنا أول الملوك <sup>(3)</sup>. وأقول هو أول من دق وتد الوراثة في الحكم. وأول من قال بعدالة الصحابة ليدخل تحت هذه العدالة ولا ينتقده أحد، وأول من رعى القبائلية حتى أثمرت في النهاية ثرة القومية العربية. والإسلام ينظر للإنسان كإنسان ولا فوق عنده بين عربي وبين أعجمي إلا بالتقوى. وقال الحسن البصري: رُبَّ خصال كن في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة: انؤؤه على هذه الأمة بالسيف واستخلافه من بعده ابنه يزيد السكير الذي يلبس الحرير وادعؤه زيادا والنبي قال: " الولد للفواش

(1) البداية والنهاية 125 / 8.

(2) الإصابة 113 / 6، الإستيعاب 398 / 3.

(3) الإستيعاب 400 / 3.

الصفحة 366

وللعاهر الحجر"، وقتله حجر بن عدي وأصحابه. فيا ويل له من حجر، يا ويل له من حجر، يا ويل له من حجر وأصحاب حجر" <sup>(1)</sup>، وحجر كان من شيعة علي بن أبي طالب. وهكذا كانت البداية والنهاية في مشهد وحركة. والتفاصيل تأتي في موضعها.

● ومنهم (عمرو بن العاص) ولقد كان الفاروق يلوم أبا بكر في توليته عمرو ويقول: " أو تريد الناس نرا؟! ولكن بعد أن أجاد عمرو التسلق. كان عمر بن الخطاب إذا نظر إليه يقول: " ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أموا <sup>(2)</sup>، وولاه عمر فلسطين والأردن ثم أمره بفتح مصر فلم يزل واليا عليها حتى مات عمر بن الخطاب. وأقوه عثمان عليها ثم عزله عنها، فجعل يطعن على عثمان، ولما قتل عثمان سار إلى معاوية وخاض معه معركة ضد الإمام علي بن أبي طالب مقابل أن يعطيه مصر طعمة. وولاه معاوية مصر فلم يزل عليها إلى أن مات بها <sup>(3)</sup>، والذي يتأمل في سيرة ابن العاص يجد أن حوصه على الإمرة كان محور الارتكاز لحركته.

● ومنهم (الوليد بن عقبة) وولاه عمر صدقات بني تغلب. وكان يتخذ أبا زيد الشاعر نديما له. وعلى مائدة اللهو شربا الخمر ودقا قواعد شعر الخمريات. وصلاة الوليد بالمسلمين وهو سكران رواها أكثر من واحد <sup>(4)</sup>، ومنهم (عبد الله بن أبي السوح) الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله حتى ولو كان متعلقا بأستار الكعبة. وولاه عمر بعض أعماله وكان من المقربين إليه <sup>(5)</sup>، وكان لعبد الله في عهد عثمان عيونه على بيت المال ومن أجل المال فرض الضرائب على أهل مصر وجلد ظهرهم فجاءوا يشكونه إلى عثمان. وكان

(1) الطبري 157 / 6، ابن الأثير 193 / 3، ابن أبي الحديد 456 / 1.

(2) الإصابة 3 / 5.

(3) الإستيعاب 511 / 2.

(4) الإستيعاب 633 / 3.

ما كان حتى قتل عثمان. ومنهم (المغوة بن شعبة) قال: أنا أول من رشا في الإسلام. أعطيت حاجب عمر بن الخطاب عمامة فكان يأنس بي ويأذن لي أن أجلس داخل باب عمر. فيمر الناس فيقولون: إن للمغوة عند عمر متولة إنه ليدخل عليه في ساعة لا يدخل فيها أحد<sup>(1)</sup> ، واستعمله عمر على البحرين فكهوه وشكوا منه فغزله ثم ولاه البصرة. فاتهموه بالزنا فغزله، ثم ولاه الكوفة بعد ذلك<sup>(2)</sup> ، وهكذا من كرسي إلى كرسي. والمغوة أول من وضع في حوة بني أمية الحكم بالوراثة. وسبب ذلك أن معاوية غزم على غزله من منصبه فأشار إليه بتتصيب ابنه يزيد من بعده. وهو يضمن له أصوات الشيوخ في ولايته. فثبته معاوية وساقوا الشيوخ وتمت الوراثة. وكان جابر يقول: صحبت المغوة بن شعبة. فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من بابها إلا بمكر لخج المغوة من أبوابها كلها<sup>(3)</sup> ، وعن الشعبي قال: دهاة العرب أربعة: معاوية وعمرو بن العاص والمغوة بن شعبة وزيد. فأما معاوية فللحلم والأناة، وأما عمرو فللمعضلات، وأما المغوة فللمبادهة، وأما زيد فللكبير والصغير<sup>(4)</sup> .

● ومنهم (أبو الأعرور السلمي) أترك الجاهلية وشهد حيننا مشركا<sup>(5)</sup> ، لعنه النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(6)</sup> وكان أمير المؤمنين علي يدعو عليه<sup>(7)</sup> ، وعن محمد ابن حبيب قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أرواء الآفاق أن يبعثوا إليه من كل عمل رجلا من صالحها فبعثوا إليه أربعة من البصرة والكوفة والشام ومصر. فاتفق أن الأربعة من بني سليم وهو الحجاج بن علاط وزيد بن الأخنس ومجاشع بن مسعود وأبو الأعرور. فجعل عمر السلمي على مقدمة

(1) الإصابة 453 / 3.

(2) البداية والنهاية 48 / 8.

(3) البداية والنهاية 49 / 8 ، الإصابة 452 / 3.

(4) ابن عساکر (تاريخ الخلفاء ص 190) ، الإستيعاب 389 / 3.

(5) الإصابة 540 / 2 ، أسد الغابة 16 / 6.

(6) أبو نعیم (کنز العمال 82 / 8).

(7) ابن أبي شعبة (کنز العمال 82 / 8).

(1) جيش ، وظل هكذا حتى عهد معاوية، وكان من أشد المبغضين لعلي بن أبي طالب. ● ومنهم (يعلى ابن منبه) استعمله أبو بكر على بلاد حلوان في الودة وعمل لعمر على بعض بلاد اليمن<sup>(2)</sup> وكان عظيم الشأن عند عثمان. وهو الذي أعان الزبير بربعمائة ألف واشتوى لعائشة جمل يقال له عسكر وجهاز سبعين رجلا من قريش<sup>(3)</sup> ، وكل هذا لملاقاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يوم الجمل. وكان يقول: من خرج يطلب يوم بدم عثمان فعلى جهه<sup>(4)</sup> .

● ومنهم (بسر بن رطأة) كان أحد الذين بعثهم عمر بن الخطاب مددا لعمر بن العاص في فتح مصر. كان الكرسي هدفه، ومن أجله لتركب أبشع الجرائم في الإسلام فيما نقله أهل الأخبار وأهل الحديث. منها ذبحه ابني عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهما صغوان بين يدي أمهما. وإغرته على همدان، وسبي نساء المسلمين فكن أول نساء سبيين في السلام، وقتله أحياء من بني سعد (5).

لقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من أمراء ومن طويق تكون الإمرة فيه ندامة يوم القيامة. والأمراء الذين ذكرناهم لم يأتوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقون من الزمان. وإنما جاؤا سويعا وشقوا طويقهم لأن السياسة لم تكتشفهم ولأن الاجتهاد مهد لهم - ولم يكن هؤلاء فقط في بستان الصدر الأول وإنما كان هناك آخرون دخلوا عن عنوان أعلنه عمر بن الخطاب قال فيه:

نستعين بقوة المنافق وإثمه عليه (6) ، وقال ابن حجر في فتح الباري: والذي

(1) الإصابة 541 / 2.

(2) الإستيعاب 662 / 3.

(3) الإستيعاب 664 / 3.

(4) الإستيعاب 663 / 3.

(5) الإستيعاب 155، 157 / 1.

(6) رواه ابن أبي شيبة والبيهقي (كنز العمال 614 / 4).

الصفحة 369

يظهر من سوة عمر في أمراءه الذين كان يؤوهم في البلاد أنه كان لا واعي الأفضل في الدين فقط بل يضم إليه الذي عنده مزيد من المعرفة بالسياسة فأجل ذلك استخلف معاوية والمغرة بن شعبة وعمر بن العاص مع وجود من هو أفضل منهم في أمر الدين والعلم (1).

لقد كان الطويق مفتوحا. فدخل منه رجال بكل هوء ويسر منهم (إياس بن صبيح) قال صاحب الإصابة: كان من أصحاب مسيلمة الكذاب ثم أسلم وولاه عمر القضاء في البصرة (2) ، ومنهم (طليحة بن خويلد) الذي ادعى النبوة بعد النبي صلى الله عليه وآله. أعجب عمر لكلامه ورضي عنه وكتب له بالوصاية إلى الأمراء أن يشلور (3) ، وفي رواية: كتب عمر إلى النعمان بن مقون استشر واستعن في حربك بطلحة وعمر بن معد يكرب ولا تولهما (4) ، ومنهم (ابن عدي الكلبى) قال لعمر: أنا امرؤ نصواني. قال عمر: فما تريد. قال: أريد الإسلام. فعرضه عليه فقبله. ثم دعا له بومح فعقد له على أمن أسلم. قال عوف بن خرقة: مارأيت رجلا لم يصل صلاة أمر على جماعة من المسلمين قبله (5) ، ومنهم (أبوزبيد الشاعر) كان عند أخواله من بني تغلب بالجزيرة، وبعد أن فتحها الوليد بن عقبة في خلافة عمر استعمل عمر أبازبيد على صدقات قومه ولم يستعمل نصوانيا غوه (6) ، ومنهم (كعب الأخبار) تولى عملية القص في المساجد ثم انتقل إلى الشام فجعل للقص أوتاد اتخذها القوم سنة فيما بعد (7).

ولقد كانت هناك اعتراضات على عمر بن الخطاب في توليته بعض الناس.  
روي أنه لما ولي معاوية الشام قال الناس: ولي معاوية فقال لهم: لا تذكروا

(1) فتح الباري كتاب الأحكام 198 / 13.

(2) الإصابة 120 / 1.

(3) البداية والنهاية 130 / 7.

(4) الإستيعاب 238 / 2.

(5) الإصابة 116 / 1.

(6) الإستيعاب 80 / 4.

(7) الإصابة 316 / 3.

الصفحة 370

(1) معاوية إلا بخير فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم أهده .

ومن المعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو لأُمَّته كلها بالهداية. ومن العجيب أن حديث " اللهم أهده " حديث ضعيف إلا أن ابن كثير دافع عنه والتمس لا الأعذار. وهذا الموقف لا نجده إذا كان يتعلق بحديث صحيح لمعسكر غير معسكر معاوية. ومن الذين اعترضوا على عملية التوظيف هذه حذيفة رضي الله عنه. قال لعمر: إنك تستعين بالرجل الفاجر. فقال عمر:

(2) ، وكما ذكرنا من قبل إن الله نهى عن إتخاذ بطانة ينتهي طويقها  
إني لأستعمله لأستعين بقوته ثم أكون على قفائه  
بخروج الحياة الدينية ودخول حياة أخرى تحت أي اسم آخر. والنبي صلى الله عليه وسلم كان إذا استعمل أحدا وصاه وكان يتوأم من أي عمل لا يصيب في وعاء الدين والحياة الدينية، وكان وراء ذلك كله الوحي. وبعد رحيل النبي صلى الله عليه وسلم كانت للحياة الدينية سياسة وهذه السياسة يمكن للباحث أن يكتشفها بسهولة في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. فلقد قيل له أن يبقى على الأبراء في أول عهده حتى يستتب له الأمر. لكنه أبي إلا أن يغولهم. لأنه علم من النبي صلى الله عليه وسلم نهاية الطويق الذي يركبه هؤلاء الأبراء. وما دام الطويق لا يصب في المصب الصحيح فلا بدليل لخلعهم. ما هي الفائدة التي ستعود على الدعوة من دهاء معاوية وعمر والمغزوة؟ وما هي الفائدة التي ستعود على الدعوة من عضلات أبو الأعرور وبسر بن رطأة؟ وما هي الفائدة التي ستعود على الدعوة من وراء كعب الأبحار وأبي زبيد وتلميذ مسيلمة الكذاب وطلحة بن خويلد؟ قلت الدعوة ولم أقل ما هي الفائدة التي ستعود على المسلمين. ثم ما هي النتيجة ليس بعد ألف عام. ولكن في القرن الأول فقط.

ولقد اتسعت الدائرة بعد ذلك في عهد عثمان بن عفان فمن الذين ذكروناهم

(2) ( قفائه: مؤخر العنق والحديث رواه أبو عبيد (كنز العمال 771 / 5).

الصفحة 371

ممن اتسع نفوذهم عما كان عليه في عهد أبي بكر وعمر وزاد عثمان القائمة بآخرين منهم:

(الحكم بن أبي العاص) كان من مسلمة الفتح وأخوجه رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة وطرده منها ولعنه وورد في لعنه أحاديث صحيحة. أعاد عثمان في خلافته. وكان من الأسباب التي نقمها الناس على عثمان. ومنهم (مروان بن الحكم) قيل: كان مع أبيه عندما طرده رسول الله صلى الله عليه وآله. وقيل: أن مروان ولد بالطائف فلم يزل مع أبيه بالطائف إلى أن ولي عثمان. روي أن عائشة قالت لمروان: أما أنت يا مروان فاشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن أباك وأنت في صلبه<sup>(1)</sup> ، وكان مروان من أسباب قتل عثمان<sup>(2)</sup> ، وقال الذهبي وابن عبد البر وغورهما:

مروان أول من شق عصا المسلمين بلا شبهة<sup>(3)</sup> ، وهذا الذي لعنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشق عصا المسلمين.

تولى الخلافة وأخذ لقب " أمير المؤمنين " .

وهكذا وكما ترى فلقد كان الكوسي هو مركز الصواع. هناك من يخاف عليه. وهناك من يعمل كي يمتلكه. وهذا الإشكال لا يذبيبه إلا نص. فتحت النص يكون لا خلاف ولا اختلاف ولا افتراق ولا صواع. لأن الله تعالى كتب على هداية الناس وفتح الطريق أمامهم. فإن ضلوا الطريق لا تكون لهم على الله حجة يوم القيامة. وكتب الله تعالى على نفسه أن يختار لنفسه معونة فلا يستطيع أن يتعدى عائق من العوائق حتى يعود إليه. ومن العوائق من يرتدي الحرير ويتحلى بالذهب والفضة. ولكن حقيقة البريق ترى بعد زمان ليس بطويل. فعندئذ تسمى الأشياء بأسمائها الحقيقية. ولا يكون هناك ملجأ من الله إلا إليه. إن عالم الفتن. عالم يضوب بققاز من حرير الذين نسوا ما ذكروا به

(1) الإستيعاب 318 / 1.

(2) الإصابة 157 / 2.

(3) شذرات الذهب / ابن العماد 69 / 1.

الصفحة 372

ويستوج هولاء وهؤلاء إلى طريق ليس فيه إلا طعام وشواب اليأس وهناك يموتون كما تموت الحيتان.

## 2 - الأمراء والفتوحات:

إن الجندية في الإسلام لها هدف فوبما يؤيد الله المسلمين بالرجل الفاجر بمعنى أن يساعدهم بقوته في القتال أو غير ذلك من أمور الحرب، أما أن يؤيد الله الدين بالرجل الفاجر فلا معنى لذلك، لأن الدين سلوك. وطوقه خاصة في الحياة تؤمن صلاح الدنيا بما يوافق بكمال الأخرى. والدين كطريق لا ينجو الإنسان من السلوك فيه إلا باستقامة، وعدم الاستقامة توجب السقوط والهلاك.

وهذا لا يتفق مع الفاجر والفاسق والمنافق. كما أن السعادة الحقيقية يصل إليها الإنسان، أو يعمل في الوصول إليها عندما يكون مؤمنا بالله. وكافوا بالطاغوت.

وهذا لا يتفق أيضا مع أصحاب المصالح والأهواء والقتال في الإسلام به قوانين وربما يقاثل إنسان ما تحت شعار الإسلام ولكن لا ينفعه الشعار إذا قتل: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قتل تحت راية عمية ينصر العصبية ويغضب للعصبية فقتلته جاهلية " (1) . وزاد في رواية: " ومن خرج على أمتي يضوب وها وفاقوها لا يتحاشى لمؤمنها ولا يفي لذي عهدا فليس مني ولست منه " (2) . وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله الرجل يقاثل للمغرم والرجل يقاثل للذكر والرجل يقاثل لوى مكانه فمن في سبيل الله؟ فقال: من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله (3) .

ومعرك الإسلام تحددها الدعوة ولا يحددها طلاب المال أو الغنائم. فالله تعالى هو الذي كتب القتال والدعوة التي كتب فيها القتال هي التي تحدد موضع

---

(1) رواه مسلم (كنز العمال 509 / 3).

(2) رواه أحمد ومسلم (الفتح الرباني 52 / 23).

(3) رواه البخاري (الصحيح 36 / 1) ومسلم (الصحيح 49 / 13) وأحمد (الفتح 20 / 13) والترمذي (الجامع 179 /

4).

---

الصفحة 373

كل قطرة دم، ومعرك الإسلام في المقام الأول هي معرك لله وفي الله وبالله. قال تعالى: (سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم \* وهو الذي أخرج الذين كفوا من أهل الكتاب من ديلهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار) (1) . فبقوة الله وسلطانه أحرى سبحانه ما رآه بأيدي أعدائه، حيث خربوا بيوتهم بأيديهم من الرعب وأيدي المؤمنين الذين أهرم بذلك ووقفهم لامنتال أمره وإنفاذ رادته. وكما حدد الله تعالى موضع كل قطرة دم في معرك الإسلام حدد سبحانه موضع كل مال من غنائم الحرب. فقال تعالى: (واعلموا إنما غنمتم من شئ فإن الله خمسته وللموسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أتولنا على عبدنا يوم الفوقان) (2) ، وقال:

(ما أفاء الله على رسوله من أهل القوى فله وللموسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الموسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب) (3) ، فالله تعالى في الآية الأولى بين موضع الخمس ويفهم من الآية أن أربعة أخماسها للغانمين (4) . وفي الآية الثانية أفاء سبحانه الفئ ورُجعه إلى النبي صلى الله عليه وآله ودله على مورد صرفها التي يتصرف فيها كيف يشاء. وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قسم فئ بني النضير على المهاجرين وأعطى بعض الأنصار.

وعلى امتداد العهد النبوي كانت الدعوة تستعمل أدوات الفطوة وهي تشق طريقها إلى الفطوة، ومن الثابت أن الحكم الإسلامي عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يشمل إلا شبه الجزيرة العربية، وكانت الدعوة حريصة على إزالة العقبات التي تهدد الفطوة في هذه المنطقة بعد أن رفض رؤوس الكفر

(1) سورة الحشر: الآية 1 - 2.

(2) سورة الأنفال: الآية 41.

(3) سورة الحشر: الآية 7.

(4) المغني / ابن قدامة 718 / 2.

الصفحة 374

من أهل الكتاب الإيمان الحق. وعندما أخبر الله تعالى رسوله بأن هذه الأنماط البشوية لن تؤمن وأنهم يسعون في الأرض فسادا ويسلعون فيه، كانت عملية إجلائهم عملية تستقيم تماما مع الفطوة التي فطر الله الناس عليها. وعملية الإجلاء نسبها الله تعالى إلى نفسه فقال: (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب...)، فالله سبحانه هو الذي أخرج بني النضير من ديارهم في أول إخراجهم من جزيرة العرب، وأي إخراج لهم في العهد النبوي يقف تحت هذا العنوان. إن الدعوة لم تضاعف عليهم الجزية وإنما أخرجتهم لأن في الإخراج انتصرا للفطوة، وتأمينا للعاصمة من مخاطر الاخواق والدسائس التي يجيدها الذين يسعون في الأرض فسادا.

والدعوة التي حصنت نفسها بالتطهير من الداخل، عملت من أجل إيجاد المسلم الوسالي الذي إذا وضع قدميه على أرض جديدة في الجزيرة العربية أو خرجها. عمل من أجل نشر مفاهيم الدعوة، وكلما جد جديد خرجت الطوائف الوسالية إلى العاصمة ليتحققوا الفقه والفهم في الدين فيعملوا به لأنفسهم وينشروه بين الأقسام إذ ارجعوا إليهم. وعلى ذلك كان تقسيم الأراضي على الغانمين هو في الحقيقة موطئ قدم لداعية.

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كانت الذاكرة عند المسلمين تحوي على وصايا منها إخراج المشركين من جزيرة العرب، ولكن الدولة نظرا لظروف خرجة عن رادتها، ونظرا للمصلحة العامة ضاعفت الجزية على نصلى بني تغلب، كما سمحت بدخول سبي العجم إلى المدينة، وكان أول سبي دخلها في عهد أبي بكر ثم بعث معاوية أبي عمر في عهده بعدة ألوف من سبي قبسرية.

وكان عمر نفسه ضحية من ضحايا السبي، حيث إن الذي طعنه كان غلاما مجوسيا. ومع حركة الفتوحات هبت رياح تحمل أثرا وبصمات كان يعتقد أنها ذهبت بلارجعة.

### 3 - رحلة الخراج:

مع الفتوحات جاء حرص الدولة على تدبير المال اللازم لحماية الحدود،

الصفحة 375



فضلا عن تدبير مصدر للإوداد تستطيع منه سداد رواتب العاملين وغير ذلك من النفقات الملقاة على عاتقها. وإذا كنا قد تحدثنا فيما سبق عن سهم ذي القربى وسهم المؤلفلة قلوبهم بأن الدولة تصرفت فيهما وفقا للمصلحة العامة، فإننا سنتحدث هنا عن الأخماس الأربعة التي فرضها الله للغانمين، وقدرأت الدولة التصرف فيها وفقا للمصلحة العامة أيضا. فلقد رأى عمر بن الخطاب أن المصلحة تقتضي عدم تقسيم الأرض على الغانمين وإبقائها في أيدي أهلها، وفرض شئ عليها يؤدي سنويا إلى بيت المال. وما أن اتخذ عمر قره حتى انقسم المسلمون إلى فويقين فويق ينادي بقسمة الأرض بين الفاتحين، وفويق آخر يقول بقول عمر. وكان عمر يرد على المعرضين بقوله: " هذارأيي " (1) ، وروي أن بلال بن رباح ونويه قال لعمر في الأرض التي افتتروها عنوة: اقسما بيننا وخذ خمسها، فقال عمر: لا هنا عين المال ولكني أحبسه فينا يجري عليهم وعلى المسلمين. قال بلال وأصحابه: إقسما بيننا. فقال عمر: اللهم اكفني بلالا ونويه. قيل: فما حال الحول ومنهم عين تطوف (2) (!).

وعدم تقسيم عمر الأرض على الفاتحين مشهور، يقول ابن قدامة: إن عمر لم يقسم الأرض التي افتتحتها. وتوكلها لتكون مادة لأخبار المسلمين... وقد نقلنا بعض ذلك وهو مشهور تعني شهرته عن نقله (3) ، وما قاله الفقهاء في إلغاء سهم المؤلفلة قلوبهم قالوه هنا أيضا. قالوا: إن قسمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم خير كانت في بدء الإسلام وشدة الحاجة! فكانت المصلحة فيه. وقد تعينت المصلحة فيما بعد ذلك في وقف الأرض فكان ذلك هو الواجب (4) .

والذي رآه عمر رضي الله عنه من الامتناع عن قسمة الأرض على من افتتحتها من

(1) الخراج / أبو يوسف ص 24.

(2) المغني / ابن قدامة 716 / 2.

(3) المغني / 722 / 2.

(4) المغني 718 / 2.

(1) العوة عندما عرفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك!! توفيقا من الله كان له فيما صنع وفيه كانت الخوة للمسلمين .

وفتح بيت المال لاستقبال الخراج، وانطلق الأمراء الذين وقع اختيار أبي بكر وعمر عليهم من أجل أن يفتحوا البلاد. ولم تمض سنتان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله حتى اتسعت الفتوحات بسوعة هائلة، فاستولى المسلمون على أراضي كلدة والحوة التي سميت فيما بعد بالعواق. ثم جاءت موقعة اليرموك لتفتح أبواب الشام، ويفتح المسلمون دمشق وأنطاكية وبيت المقدس. ثم تحولوا إلى الشوق فقضوا على الدولة الساسانية وحكوا إوان، ثم استولوا على أفغانستان ووصلوا إلى حدود نهر السند. ثم تحولوا إلى المغرب، وفتحوا مصر وعموم شمال إفريقيا، ووصل المسلمون إلى سواحل المحيط الأطلسي. ثم حملوا عن طريق ميناء طنجة على إسبانيا واستولوا على طليطلة.

وبالجملة: أصبحت الدولة الإسلامية تمتد من شواطئ المحيط الأطلسي في الغرب إلى نهر السند في الشرق، ومن بحر ملنوران في الشمال إلى منابع النيل في الجنوب.

ونشر الدعوة عمل فطري، ومن الثابت أن المخلصين لم تخل منهم ساحة على امتداد الفتوحات. فكما كان في الصفوف طلاب المال والجاه كان فيها أيضا دعاة الحق وابتغاء مرضاة الله ولكن التيار العام لم يكن مع هذا الصنف الرسالي في معظم الأحيان. ولهذا نجد أن النبي صلى الله عليه وآله كان يحذر من التيار العام وذلك لشدته وسوعته فقال: إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: نكون كما أمرنا الله، قال النبي: أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسد ثم تتدابرون ثم تتباغضون (2).

والتنافس إلى الشئ المسابقة إليه وكراهة أخذ غيرك إياه. وهو أول درجات الحسد. وأما الحسد فهو تمنى زوال النعمة عن صاحبها. وأما التدابر

---

(1) الخراج / ابن يوسف ص 27.

(2) رواه مسلم (الصحيح 96 / 18) ك الزهد.

الصفحة 377

فهو التقاطع. وأما التباغض فهو بعد التدابر (1). وهذا الطوفان من الكراهية مفتاحه إذا فتحت عليهم فارس والروم!!، وقال صلى الله عليه وآله لأصحابه: كيف أنتم بعدي إذا شبعتم من خبز البر والذبيب وأكلتم ألوان الطعام ولبستم ألوان الثياب، فأنتم اليوم خير أم ذاك؟ قالوا: ذاك، فقال: بل أنتم اليوم خير (2). وقال صلى الله عليه وآله: فوالله ما الفقر أخشى عليكم. ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم (3).

فهل وقع الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فإذا كان قد وقع فما هي الأسباب وعلى أيدي من جرت؟ إن الذي جرى كان أمراء السوء مفتاحه وفقهاء السوء أقلامه. ولا يستطيع باحث أن ينكر أن معاوية بن أبي سفيان قد استغل الخراج إلى أبعد مدى لشراء الذمم وسفك دماء المسلمين، وإن عمرو بن العاص ساند معاوية لهدف واحد هو كطعمة بعد أن ذاق خراجها في عهد الفلوق، وأن يعلى بن منية استعمل الخراج في تقوية عائشة والذبيب لخوض معركتهم مع علي بن أبي طالب. وغير ذلك وعلى امتداد التاريخ كان الخراج مادة الأمراء في تثوير الناس، كان الخراج رشوة تحمل شعرا إسلاميا للإسلام منه روى. والنبي صلى الله عليه وآله حذر من هذه الرشوة التي علم من ربه أنها كائنة على طريق أمراء السوء، فقال في خطبة الوداع: يا أيها الناس خنوا العطاء ما كان عطاء، فإذا تجاحفت قویش على الملك وكان عن دين أحدكم فدعه (4). وفي رواية: " خنوا العطاء ما دام عطاء، فإذا كان إنما هورشا فاتركوه، ولا راكم تفعلون يحملكم على ذلك الفقر والحاجة، ألا إن رحى بني هوج قد دلت وإن رحى الإسلام دائرة وإن

---

(1) النووي شرح مسلم (97 / 18).

(2) رواه البيهقي وابن عساكر (كنز العمال 216 / 3).

(3) رواه مسلم (الصحيح 95 / 18) كتاب الزهد.

الكتاب والسلطان سيفترقان فدوروا مع الكتاب حيث دار، وستكون عليكم أئمة إن أطعتموهم أضلوكم، وإن عصيتموهم قتلوكم. قالوا: فكيف نضنع يارسول الله؟ قال: كونوا كأصحاب عيسى نصوا على الخشب ونشروا بالمناشير، موت في طاعة خير من حياة في معصية<sup>(1)</sup>.

قال في عون المعبود: خنوا العطاء ما كان محلة فإذا كان أثمان دينكم فدعوه، فإذا (تجاحت) أي تنزلت قريش على الملك، أي تخاصموا وتقاتلوا عليه، وقال كل واحد منهم أنا أحق بالملك أو بالخلافة منك وتنزلوا في ذلك فاتوكموا أخذه<sup>(2)</sup>. وفيما سبق علمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم حذر من تيار يدق أوتاد التنافس والتحاسد والتدابير والتباغض، وكان يعلم أن هذا واقع على الأمة لا محالة لسوء اختيلها، وأن نهاية الطريق بعد فتح فارس والروم ستصب في محطة البغي، فقال صلى الله عليه وسلم: " سيصيب أمتي داء الأمم الأشر والبطر والتكاثر والتشاحن في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي " (3) . وتحديد محطة البغي لا ينبغي أن تحددها الأهواء. ولهذا عين النبي صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر وقال له في حديث أجمعت الأمة على صحته: " تقتلك الفئة الباغية " فمحطة عمار هي المحطة الأم لمن أراد أن يفهم الحديث السابق. أما تحديد محطات أخرى صغيرة بمعرفة هذا أو ذلك فأمر لا يلتفت إليه.

لقد كانت الفتوحات مطلب فطري، ولكن أراء السوء حولها إلى مطلب تجري. ولقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قيادة تركب أعناق الأمة فقال: " كأنكم واكب قد أتاكم فتول فقال: الأرض أرضنا والفيء فيؤنا وإنما أنتم عبيدنا فحال بين الأمل واليتمى وما أفاء الله

(1) رواه ابن عساکر عن ابن مسعود (كنز العمال 1 / 216)، الطبراني عن معاذ (كنز 1 / 211).

(2) عدن المعبود 8 / 173.

(3) رواه الحاكم (كنز العمال 3 / 526).

عليهم<sup>(1)</sup>، صلى الله عليك يارسول الله! فكم من راكب قد جاء. منهم معاوية بن أبي سفيان الذي وضع أموا في الحبس لأنه طالب بتوزيع الغنائم على كتاب الله. روي أن الحكم بن عمرو قام بغزو جبل الأشل فغنم شيئا كثيرا فجاءه كتاب على لسان معاوية فيه: أن يصطفي لمعاوية ما في الغنيمة من الذهب والفضة لبيت ماله فود الأمير: إن كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، أولم يسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الله. ثم قسم الأمير في الناس غنائمهم. فحبسه معاوية وروي أنه مات في الحبس<sup>(2)</sup>، ومنهم: مروان بن الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قيل لمروان في زمن معاوية: الفئ مال الله وقد وضعه عمر بن الخطاب مواضعه. فقال: الفئ مال أمير المؤمنين معاوية يقسمه فيمن شاء<sup>(3)</sup>. وردد مقولة مروان من بعده عشوات الألو في عالم التحاسد

والتدابير والتباغض. وكل ذلك من أجل العجل الذي في بيت المال قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لكل أمة عجل يعبونه وعجل أمتي الوهم والدينار " <sup>(4)</sup> ، وقال: " إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي في المال " <sup>(5)</sup> ، وقال: " إن هذا الدينار والوهم أهلكا من قبلكم وهما مهلكاكم " <sup>(6)</sup> .

وعن رحلة الخواج يقول الدكتور محمود لاشين: ظلت الدولة تقوم بدورها في تحصيل الخواج... وذلك حتى منتصف القرن الخامس الهجري حيث حدث تطور خطير كان له أكبر الأثر في إضعاف الدولة، وذلك أنها تخلت عن دورها في جباية وتحصيل الخواج وتلى ذلك تخليها عن تحصيل كثير من الإيرادات العامة، وتوكت ذلك للجنود وقادتهم وكل من له حق قبل الدولة كراتب أو غير

---

(1) رواه ابن النجار عن حذيفة (كنز العمال 195 / 11).

(2) البداية والنهاية 51 / 8.

(3) الإصابة 302 / 1.

(4) رواه الديلمي عن حذيفة (كنز 223 / 3).

(5) رواه الترمذي وصححه (الجامع 569 / 4).

(6) رواه أبو داود والطواني والبيهقي (كنز 191 / 3).



ذلك ليتولى تحصيل هذه الإيرادات مباشرة من الممولين ويستولي عليها سدادا لاتبه أو حقه أو غير ذلك، وظهر على ذلك ما عرف بإقطاع الاستغلال... وقد توتب على ذلك حدوث اضطرابات داخلية نتيجة للظلم والتعسف في جمع هذه الأموال <sup>(1)</sup>. ويقول الحافظ أبي بكر بن محمد: آل الحال إلى أن استأثر كثير من الناس بأموال بيت المال من غير قيام بمصلحة ولا اتصاف بصفة استحقاق <sup>(2)</sup>.

وقدر أي نظام الملك (عام 486 هـ) أن يفوق الإقطاعات على الجند ولم يكن هذا من عادة الخلفاء من لدن عمر بن الخطاب، ورأى نظام الملك بذلك أن كل من أقطع قربة يعتتي بعملتها وتوفير غلتها. ثم تغيرت الأحوال واختلف النظام. وصلت الولاية وأتباعهم من الأجناد يجاهدون في الوعايا من المسلمين وغوهم بسلب أموالهم وتعذيبهم، ومن وقف أمام ظلمهم رموه بالعصيان أو سموه بالبغي والعنوان واستباحوا قتاله واغتنام ماله. وأصل هذا الفساد بل كل فساد في الدين من ولاية الجور وقضاة الرشا وفقهاء السوء وصوفية الوجس، كما قال عبد الله بن المبارك: أو هل أفسد الدين إلا الملوك وأحباء السوء ورهبانها، فإن الولاية لما فسوا وامتدت أطماعهم إلى أن أخذوا أموال الناس، واستأثروا بأموال الصالح واعتقوها مملوكة لهم، تعدى الفساد إلى القضاة والفقهاء وأرباب المناصب بل إلى الكافة، وتقلد الأمانات الخونة فباعوا الدين بالدنيا، وعلم الأتباع منهم أنهم قد خانوا الله. وقالوا: ما لنا لا نخون، وقد روى ابن عبد ربه أن مروان بن الحكم أرسل وكيلا إلى قربة له في الغوطة ثم حضر إليه في بعض الأيام فقال له مروان: يا هذا أظن أنك تخونني في ضيعتي. فقال له: أو تظن ذلك ولم تستيقنه؟ والله إني أخونك وأنت تخون أمير المؤمنين وأمير المؤمنين يخون الله، فلعن الله أشر الثلاثة <sup>(3)</sup>. ثم زاد الفساد

(1) الفاروق عمر والخراج ص 32، 40.

(2) تحرير المقال فيما يحل ويحرم من بيت المال / الحافظ أبي بكر بن محمد البلاطلي ص 89.

(3) العقد الفريد / ابن عبد ربه 37 / 1.

بتصرف الأجناد وغوهم في الإقطاعات تصوف الملاك بالبيع والشراء، وأمضى لهم الولاية ذلك، واشتوك في هذا الأمر الخاص والعام، ومن يصلح للجهاد ومن لم يصلح، ومن يستحق في بيت المال ومن لا يستحق. ثم اشتد حرص الولاية ورأس الدولة على جمع الأموال وأخذ الرشا، وخصصوا في الأمور فاعتنم الجهال ذلك منهم ورؤسوخهم بسخط الله، ووثب كل فريق. واستأثر بما تصل إليه قوته من أموال بيت المال وغوها، وكثر التنوع والتنافس في ذلك حتى آل الحال إلى أن حولوا كثرا من الجهات المختصة ببيت المال إلى الملك والوقف والرزق المؤبد، وجعلوا ذلك وسيلة إلى حوز الدنيا لهم ولنورهم من بعدهم، واستتبوا في ذلك أنواعا من الحيل يخدعون بها الخلق <sup>(1)</sup>، كانت هذه شهادة لمؤرخ يصف فيها ما حدث في عصوره وغير عصوره.

(2) ويقول مؤرخ آخر وهو يتحدث عما شاهده في دولة المماليك بمصر :

في زماننا فسد الحال... وصلت الإقطاعات تود من جهة الملوك على سائر الأموال من خراج الأرضين والحزبية وزكاة

المواشي والمعادن والعشر وغير ذلك، ثم تفاحش الأمر وزاد حتى أقطعوا المكوس على اختلاف أصنافها وعمت البلوى والله المستعان في الأمور كلها <sup>(3)</sup>.

ويقول مؤرخ آخر يصف حال زمانه <sup>(4)</sup> : إن أرض مصر أربعة وعشرين قواطع، فيختص السلطان فيها بأربعة قرليط

(أي يحصل السلطان على سدس مساحة الأرض الزراعية في مصر)، ويختص الأجناد بعشوة قرليط (ما يعادل 7، 41. / .

من خراج أرض مصر، ويختص الأمراء بعشوة قرليط. وكان الأمراء يأخذون كثيرا من إقطاعات الأجناد فلا يصل إلى

الأجناد منها شيء، ويصير ذلك الاقطاع في تالوين الأمراء ويحتمي بها قطاع الطرق وتثور بها الفتن، ويمنع منها

---

(1) تحرير المقال / الحافظ أبي بكر البلاطلسي ص 105.

(2) هو القلقشندي.

(3) صبح الأعشى / القلقشندي 117 / 13.

(4) هو المقوزي.

---

الصفحة 382

الحقوق والمقررات الديوانية وتصير مأكلة لأعوان الأمراء ومستخدميههم ومضوة على أهل البلاد <sup>(1)</sup>.

وظل إقطاع الاستغلال الابن البكر لبيت المال يعمل به حتى نهاية تولة الممالك 932 هـ ، حتى دخلت مصر تحت السيطرة

العثمانية، فقاموا بإلغاء قطاع الاستغلال وحل محله نظام الائتوام، كما تم إحلال مصطلح الأموال الأميرية محل الخراج، ولم

يتروك العثمانيون أي نشاط سواء كان تجليا أو صناعيا حتى أصحاب المهن والحرف دون أن يفرض عليهم ضرائب محددة

يلتزم بتحصيلها أشخاص معينون <sup>(2)</sup> . لقد أمروا في البداية أن يعطوا الناس كي تشق الدعوة طويقها برفق. ولكن الأمر سار

على غير ذلك وفقا لمصلحة زمان، وترتب على ذلك أنهم أخذوا من الناس وفقا لمصلحة زمان آخر. ترى هل كانت قسمة

النبي صلى الله عليه وآله وسلم خبير في بدء الإسلام من أجل شدة الحاجة؟ أم أن القسمة كانت دعوة لا يقوم العدل إلا بها؟

إن الفتوحات أمر عظيم له شروط يمكن فيها النجاة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنه سيفتح لكم مشرق الأرض

ومغربها وإن عمالها في النار إلا من اتقى الله وأدى الأمانة " <sup>(3)</sup> ، وروي أن أعواليا قال: يارسول الله الرجل يقاتل للمغنم

فالرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل لوى مكانه فمن في سبيل الله؟ فقال: من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله <sup>(4)</sup> .

#### 4 - نهاية الطريق:

أن بداية النهاية من هنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لم يزل

---

(1) الخطط / المقريري 88 / 1.

(2) عمر والخراج ص 42، 158.

(3) رواه أحمد وفيه شفيق بن حبان ذكوه ابن حبان في الثقات وقال ابن حجر حسن الإسناد (الفتح الروباني 25 / 23).

أمر بني إسرائيل معتدلاً حتى نشأ فيهم المولودون وأبناء سبايا الأمم التي كانت بنو إسرائيل تسببها، فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا " (1) . ولقد علمت متى دخلت السبايا ومتى قالوا بالرأي. وأول نقص دخل كان من باب التخاذل قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقي الرجل فيقول: يا هذا إتق الله ودع ما تصنع فإنه لا عمل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضوب الله قلوب بعضهم ببعض. ثم تلى رسول الله قوله تعالى: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم)، إلى قوله: (فاسقون) ثم قال: " كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر، ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً (2) ولتقصرنه على الحق قصوا، أو ليضوبن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم " (3) .

فهذا أول النقص. فإذا لم يدفع منذ البداية. فلا جوى من فعل أي شيء بعد ذلك لأن الشبل أصبح أسداً. قالوا: يا رسول الله متى ندع الائتثار بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: " إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل، إذا كانت الفاحشة في كبركم والملك في صغركم والعلم في رذالكم " (4) . لهذا قال النبي في روايات كثيرة وهو يتحدث عن أراء السوء " لا أن الناس اعتلوهم " فهذا النواء خاص بالداء في أول الطويق. أما استفحال الداء بعد ذلك فله فقه آخر.

ومما لا شك فيه أن الفتوحات قذفت على الأمة بالسبايا وبالرأي وبأمراض أول الطويق التي لم يشعر بها أكثر الناس نظراً للبريق الذي حولها وحولهم.

(1) رواه الطبراني في الكبير (كنز العمال 181 / 11).

(2) أي لتود به إلى الحق.

(3) رواه الطواني وقال الهيثمي رجال رجال الصحيح (الزوائد 269 / 7).

(4) رواه أحمد وابن ماجه وقال البوصوي في الزوائد ابن ماجه إسناده صحيح ورجاله ثقات (الفتح الرواني 177 / 19)، وقال في فتح البلري أخرجه ابن أبي خيثمة (فتح البلري 301 / 13).

فالفتوحات أيقظت غوزة العوب الجاهلية من الغور والنخوة، بعدما كانت في سكن بالتربية النبوية. فكانت تتسرب فيهم روح الأمم المستعلية وتتمكن منهم رويداً. ويشهد بذلك شوع تقسيم الأمة المسلمة يومئذ إلى العوب والموالي، وسوة معلوية وهو والي الشام يومذاك بين المسلمين بسوة ملوكية قيصورية، حتى قال عمر بن الخطاب: أتذكرون كسوى وعندكم معلوية، وأمور أخرى كثيرة ذكروها التريخ. وتحت ظل الفتوحات راج الحديث راجاً بيننا في عصر معلوية، وكان عدد من أهل الكتاب قد دخلوا في الإسلام، وأخذ عنهم المحدثون شيئاً كثيراً من أخبار كتبهم وقصص أنبيائهم وأمهم فخلطوها بما كان عندهم من الأحاديث المحفوظة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأخذ الوضع والدس يوران في الأحاديث. وتحت ظل الفتوحات اتسع

نطاق المباحث الكلامية، لأن الفتوحات الواسعة أفضت بالطبع إلى اختلاط المسلمين بغوهم من الأمم وأرباب الملل والنحل وفيهم العلماء والأخبار والأساقفة والبطركة الباحثون في الأديان والمذاهب، فارتفع منار الكلام في عهد عمر، ثم اتسع في عهد عثمان وعلى امتداد حكم بني أمية. وتحت ظل الفتوحات نقلت علوم الأوائل من المنطق والرياضيات والطبيعات والإلهيات والطب والحكمة العملية إلى العربية، نقل شطر منها في عهد الأمويين، ثم أكمل في أوائل عهد العباسيين. فقد تجموا مئات الكتب من اليونانية والرومية والهندية والفارسية والسريانية إلى العربية، وأقبل الناس يتدلسون مختلف العلوم، ولم يلبثوا كثيرا حتى استقلوا بالنظر وصنّفوا فيها كتباً ووسائل. وفي ظل الفتوحات ظهرت هوافل التصوف التي ترفض ما وصل إليه الحال. ثم ظهرت هوافل أخرى يتكلمون بأمر تناقض الدين وحكم العقل، وغير ذلك كثير. وما كان هذا ليحدث لو طاب أعلى الوعاء، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "إنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء، إذا طاب أعلاه طاب أسفله، وإذا خبث أعلاه خبث أسفله" (1).

ولقد سقطت السياسة المالية يوم اتخذ الفيء هولا، ففي حديث النبي

(1) رواه الراهرمزي في الأمثال.

الصفحة 385

صلى الله عليه وسلم قال: "إذا اتخذ الفيء هولا والأمانة مغنما والزكاة مغوما وتعلم لغير دين الله... فليوتقوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسحا وقذفا وآيات تتتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع". وفي رواية: "إذا فعلت أمي خمس عشر خصلة حل بها البلاء"، منها: "إذا كان المغنم هولا والأمانة مغنما والزكاة مغوما" (1). إن النظام الاقتصادي في المقدمة، فإذا انحرف ظهر أمراء سوء وفقهاء سوء وعادت نخوة الجاهلية، وراجت الأحاديث التي يكذبون فيها على رسول الله، ودخلت المباحث الكلامية عالم الرقيق والخرف. وروي الشعر وراج القصص وكل هذا من أجل المال الذي في بيت المال ويغترف منه الأمراء والأجناد. وعالم مثل هذا لا بد أن تجرى عليه الزلزلة فتتباعه لركانه، أو تنهدم ويجري عليه الخسف فيقولى تحت الزاب وتخسف هامته.

ومن الثابت أن الدولة الواسعة الأطراف لم تستطع البقاء تحت حكم إدارة مركزية واحدة، فكما توسعت بسوعة زاهها تجزأت بسوعة أيضا، وأول من قام بتجزئتها أحد أفاد أسوة الأمويين في إسبانيا وهو عبد الرحمن الداخل، حيث أسس دولة مستقلة سنة 139 هـ، ورفع يد الحاكم العباسي عن ذلك الجزء من الدولة الإسلامية. ثم انفصل الأدلسة وأسوا الدولة العلوية في مراكش. ثم انفصل الأغالبة واستولوا على بقية مناطق إفريقيا سنة 184 هـ، وأسوا دولة الأغالبة، وبعد قرن أي في سنة 246 هـ ظهر ابن طولون في مصر ففصلها عن الدولة الإسلامية. أما في المشوق فتم تأسيس الدولة الطاهرية بخواسان (204 هـ)، ثم ظهرت دويلات صغرة بعد ذلك في شرق إيران كالصفريين والسامانيين والغنوبيين. وفي منتصف القرن الرابع الهجري سيطر على جهاز الدولة العباسية القواد والأمراء والحجاب والمماليك والأتراك. وخلال هذه الفترة قامت الدولة البويهية في الجزء المتبقى لهم في إيران. ثم انقضت الدولة العباسية على يد المغول سنة 656 هـ.



ولقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهذه النهايات قال: " منعت

(1) رواه الترمذي على أبو هريرة وعن علي (الجامع 494، 495 / 4).

الصفحة 386

العواق ورهما وقفزها، ومنعت الشام مديها ودينلها، ومنعت مصر رُد بها ودينلها، وعدتم من حيث بدأت وعدتم من حيث بدأت وعدتم من حيث بدأت (1) . قال النووي: القفيز مكيال معروف لأهل العواق، والمدى مكيال معروف لأهل الشام، والأردب مكيال معروف لأهل مصر، والأشهر في معنى الحديث: إن العجم والروم يستولون على البلاد فيمنعون حصول ذلك للمسلمين، وقد روى مسلم عن جابر قال: يوشك أن لا يجيئ إليهم قفيز ولا درهم. قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذلك. وذكر في منع الروم ذلك بالشام مثله (2) . لقد ذهب الخواج الذي فتح له بيت المال أبوابه، لأن فيه الأمن والأمان لحدود الدولة. ولم يأت الخواج بالأمن لأن السبي أصبح لهم موطئ قدم في الدولة، وتجول نصرلى الحوة وبني تغلب في الطرقات.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يوشك أن يملأ الأرض عز وجل أيديكم من العجم ثم يكونون أسدا لا يفرون فيقتلون مقاتلتكم ويأكلون فيأكم " (3) ، وعلى موائد الفئ لا ترى العجم وحدهم وإنما ترى كل وجه الأمم. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قيل: يا رسول الله فمن قلة بما يومئذ؟ قال: لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم ويوزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكراهتكم الموت (4)

غثاء السيل: أي كالذي يحمله السيل من زبد ووسخ (5)

(1) رواه مسلم كتاب الفتن (الصحيح 20 / 18) وأحمد (الفتح الرباني 37 / 24) وأبو داود حديث 3035.

(2) ( النووي شرح مسلم (20 / 18).

(3) رواه أحمد وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (الفتح الرباني 55 / 24) ، ورواه الزوار والحاكم (كنز 188 / 11).

(4) رواه أحمد وقال الهيثمي إسناده جيد (الزوائد 287 / 7) وقال في الفتح الرباني رواه أبو داود والبخري في تزيخه

(الفتح 32 / 24).

(5) عون المعبود 405 / 11.

الصفحة 387

## 5 - مشهود في أول الطريق:

توجد معالم في عهد الفاروق لا يمكن إهمالها ونحن نقلني الضوء على بدايات في عصوره كانت لها نهايات في عصورنا،

ومن هذه المعالم مدينة البصرة.

ويذكر أن العرب لما فتحوا " الحوة " سنة 14 هـ ، أمر عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان بتأسيس البصرة سنة 15 هـ ، فصلت حاضرة العراق. وأوطنت فيها قبائل عربية مختلفة الأصول والأنساب، تشابكت في علاقات مع سكان البلاد الأصليين من الفوس والنبط والآراميين. ومما لا شك فيه أن القبائل العربية قد نالها بعضا من غبار ثقافة أهل تلك البلاد. ولذا فقد حذر النبي صلى الله عليه وآله من البصرة من قبل أن تنشأ، ومن قبل أن يخرج اسمها إلى الوجود، وبين أن العدل سيموت على أعتابها. قال صلى الله عليه وسلم لأنس: يا أنس أن الناس يمضون أمصرا وأن مصوا منها يقال لها: البصرة أو البصرة، فإن أنت مررت بها أو دخلتها فإياك وسباخها (1)، وكلاءها (2)، وسوقها (3)، وباب أمائها (4)، وعليك بضواحيها (5)، فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف وقوم يبيتون فيصبحون قردة وخنزير (6). وفي رواية فإن أنت وردتها فإياك ومقصعها وسوقها وباب سلطانها، فإنه سيكون بها خسف ومسح وقذف، آية ذلك أن يموت العدل ويفشوا فيها الجور، ويكثر فيها الزنا وتفشوا فيها شهادة الزور (7)، وروي أن

(1) موضع يعلوه الملوحة.

(2) موضع توط في السفن.

(3) لفساد العقول فيها.

(4) لكثرة ظلمهم.

(5) أي الجبال.

(6) أي تحل بهم صفات لا يتصف بها إنسان سوى فيكونوا مقلدين كالقردة باحثين عن المادة كالخنزير.

(7) رواه أبو دلوود حديث 4285 والطواني (عون المعبود 421 / 11).

الصفحة 388

(1) أنسا اتخذ بيتا بعيدا عن البصرة .

إن الاعتراض ليس على بناء المدينة، وإنما على تولية أمراء المدينة الذين ذابوا مع نصرى الحوة على موائد الثواب، وذلك أمر أوه علماء الحديث والتاريخ. فمن فوق هذه الموائد راج الشعر والقصص وكثر الزنا حتى قال الفاروق: إن الله بعث محمدا بالحق وأقول عليه الكتاب فكان فيما أتول آية الوجم (2). وزاد في رواية: فوجم رسول الله ورجم أبو بكر ورجمت، ولولا أنني أكره أن أزيد في كتاب الله لكتبته في المصحف، فإني خشيت أن تجئ أقوام فلا يجدونه من كتاب الله فيكفرون (3)، ومما يذكر أن الفاروق نهى عن نكاح المتعة، وهو عند بعض الفقهاء نواء يسد باب الزنا في مهمة كمهمة الفتوحات وغيرها. فعن جابر أنه قال: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر حتى نهى عنه عمر (4)، وروي أن عليا كان يقول: لولا نهى عمر عن المتعة ما زنى إلا شقي.

وتمصير الأمصار كان يتم على قاعدة لا رواية فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان عمر لا يهتم إلا بؤاء القوان في الأمصار، لكنه علم في آخر عهده أن القوان وحده لا يعبر الطويق إلى الفوس والنبط والآراميين، ولا بد له من

مفتاح يمهد له الطريق. وهذا المفتاح هو السنة الشريفة. ففي بداية الطريق يقول ابن كثير: فإن عمر كان يقول اشتغلوا بالقآن فإن القآن كلام الله، ولهذا لما بعث أبا موسى إلى العواق قال له: إنك تأتي قوما لهم في مساجدهم نوي بالقآن كنوي النحل، فدعهم على ما هم عليه ولا تشغلهم بالأحاديث، وأنا شويكك في ذلك. هذا معروف عن عمر رضي الله عنه <sup>(5)</sup>. أما في نهاية الطريق

(1) رواه البخاري ك الأحكام ب ما ذكر النبي وحض عليه (الصحيح 265 / 4).

(2) رواه الترمذي وصححه (الجامع 38 / 4).

(3) رواه مسلم (الصحيح 131 / 4).

(4) البداية والنهاية 107 / 8.

(5) رواه ابن عساكر (كنز العمال 267 / 10).

الصفحة 389

فيروي ابن عساكر أن عمر بن الخطاب قال لابن عباس: رى القآن قد ظهر في الناس. فقال له: ما أحب ذاك يا أمير المؤمنين قال عمر: لم؟ فقال: لأنهم متى يوقوا ينفقوا ومتى ينفقوا يمتنوا يمتنوا يضرب بعضهم رقاب بعض. قال عمر: إن كنت لأكتمها الناس <sup>(1)</sup>، ثم روى أن أبا موسى قد بعث إليه بأن عدد القواء قد زداد، فقال عمر: إن بني إسرائيل إنما هلكت حين كثر قوؤهم <sup>(2)</sup>. وهكذا فطن الفاروق للنهاية التي ما بعدها نهاية. لقد أراد أن تنتج الساحة قواء وأراء من أصحاب السواعد القوية، ولكن في هذا إشكال لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أكثر منافقي أمتي قوؤها" <sup>(3)</sup>، وقال:

"بكتاب الله يضلون وأول ذلك من قبل قوائهم وأرائهم" <sup>(4)</sup>. إن القواء فقط هي بنوة الخورج التي عليها نبتت شجرتهم. والذي يستحق التسجيل هنا أن الفاروق أطلق صيحة مبكرة عندما علم أن أهل العواق قد نفقوا واختلوا. لقد قال: "يا أهل الشام استعوا لأهل العواق فإن الشيطان قد باض فيهم" <sup>(5)</sup>، ونحن لا نوي لماذا اختار الفاروق أهل الشام في هذا الوقت المبكر ليتجهزوا لأهل العواق. إننا لا نعلم الأسباب التي وراء هذا القوار لأنه غابت عنا أحداث لا يعلمها إلا من لابسها. إن البصوة بداية ضوبها الذم من قبل أن يمصوها الناس، وذلك لما لها من أثر بالغ على اللغة والدين بعد أن اختلطت بها الشعوب وتحول على أرضها أراء السوء، ولهذا لا نعجب عندما نستمتع إلى حذيفة وهو يقول للفاروق: "إنك تستعين بالرجل الفاجر" <sup>(6)</sup>. ولا نعجب عندما نسمع من يقول لعمر: الله يا عمر تستعمل من يخون وتقول ليس عليك شيء وعاملك يفعل كذا

(1) رواه ستة (كنز العمال 268 / 10).

(2) الإستيعاب 72 / 1.

(3) رواه أحمد وقال الهيثمي رواة ثقات (الزوائد 229 / 6).

(4) رواه ابن أبي عاصم وفي إسناده ضعف (كتاب السنة 132 / 1).

(5) ابن سعد في الدلائل (كنز العمال 354 / 12).

(6) (كنز العمال 771 / 5).

الصفحة 390

وكذا " (1) . فأبي علم هذا وأي دعوة هذه التي يشرف عليها الفاجر والخائن من الأمراء؟ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لا إيمان لمن لا أمان له ولا دين لمن لا عهد له " (2) ، والقآن قد نهى عن اتخاذ بطانة من دون المؤمنين .  
وإذا كانت البصوة قد أدينت من قبل أن تمصر، فإن أمراء عمر بن الخطاب قد أدينوا من قبل أن يظهروا على مسوح الأحداث. وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر بأنه سيظهر من بعد وفاته رجلا يقال له أويس، وأن هذا الرجل كريم عندربه، وإنه خير التابعين (3) ، وأمر أصحابه إن لقوه فليطلبوا منه أن يستغفر لهم، وخص النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وقال: إن استطعت أن تستغفر لك فافعل (4) . وظهر أويس في عهد عمر بن الخطاب، ولهذا قصة طويلة، وطلب عمر أن يستغفر له ففعل. وحرص عمل على أن يبقى أويس معه ولا يفترقه ولكنه أملس منه (أي تلمس من الأمر . تخلص وأفلت) (5) ، فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة! فقال عمر: ألا أكتب لك إلى عاملها فيستوصي بك؟ قال: لا!! أكون في غواء الناس أحب إلي (6) . لقد رفض أويس الأمراء، وعندما ذهب إلى الكوفة سأله رجل: كيف الزمان؟ فقال أويس: إن قيام المؤمن بأمر الله لم يبق له صديقا، والله إنا لنأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر فيتخونونا أعداء، ويجنون على ذلك من الفاسقين أعوانا، حتى والله لقد يقذفوننا بالعظام. والله لا يمنعي ذلك أن أقول الحق (7) .  
وقال أويس لهزم بن حبان: إن الأرواح لها أنفس كأنفس الأحياء، إن

(1) الطبري في تاريخه 31 / 5.

(2) رواه أحمد وأبو يعلى وفيه أبو هلال وثقه ابن معين (الزوائد 96 / 1).

(3) مسلم في فضائل أويس (الصحيح 95 / 16).

(4) أسد الغابة 180 / 1 ورواه مسلم.

(5) (كنز العمال 4 / 14).

(6) رواه مسلم وابن سعد وأبو نعيم والبيهقي (كنز 4 / 14) مسلم في فضائل أويس (الصحيح 96 / 16).

(7) الحاكم (المستترك 406 / 7).

الصفحة 391

المؤمنين يعرف بعضهم بعضا، ويتحدثون بروح الله وإن لم يلتقوا وأن لم يتكلموا، ويتعرفوا وإن نأت بهم الديار وتوقفت بهم

المنزل. فقال له هزم:

حدثني عن رسول الله بحديث أحفظه عنك؟ قال: إني لم أترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لي معه صحبة، ولقد رأيت رجالاً رؤوه وقد بلغني من حديثه كما بلغكم ولست أحب أن أفتح هذا الباب على نفسي<sup>(1)</sup>، ولقد قاتل أويس بعد ذلك تحت راية علي بن أبي طالب واستشهد بين يديه.

وسأيت ذلك عند حديثنا عن معرك أمير المؤمنين.

هذا ما كان من أمر أويس الذي ادخره الله ليأتي في زمان الله حكمة فيه.

وعندما جاء رفضه حتى توصية الأعراب به. وهذا ما كان من أمر البصرة التي أخبر عنها رسول الله من قبل أن يتخذها الناس مصوا من الأمصار، وإخبار فيه إدانة لحياتها الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والسياسية. ثم إن طلب عمر بن الخطاب وهو الخليفة الراشد أن يستغفر له أويس وهو الذي لم ير النبي ولم يسمع منه فيه أن الإسلام دين لا يدعو إلى التعمم أمام الأشخاص. ويدعو أن يكون الشغل في الله والهمة به والوفار إليه، والشاهد الأخير هنا على أن الناس في عهد الفاروق كثير منهم تطاولت أعناقهم في طلب الدنيا. ما رواه مسلم عن عبد الله بن الحرث قال: كنت واقفاً مع أبي بن كعب فقال: لا زال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا. قلت: أجل... " الحديث<sup>(2)</sup>، وأبي بن كعب مات في خلافة عمر على أصح الروايات<sup>(3)</sup>، وطلب الدنيا ينتهي يوماً إلى زوال. أخرج ابن جرير عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إن البعوضة تحيا ما جاعت فإذا شبعت ماتت. وكذلك ابن آدم إذا امتلأ من الدنيا أخذته الله عند ذلك ثم تلى: " فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء

(1) الحاكم (المستدرک 407 / 3).

(2) مسلم (الصحيح 19 / 18) كتاب الفتن.

(3) الإصابة 19 / 1، الإستيعاب 49 / 1.

الصفحة 392

حتى إذا فحوا بما أؤتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين " <sup>(1)</sup>.

الصفحة 393

## خامسا - وجاء بنو أمية

في عالم الفتوحات حل الإسلام في قلوب البعض حين جاءت الغنائم والأموال وكثرت المكاسب، فهناك من ذاق طعم الحياة وعرف لذة الدنيا عندما لبسوا الناعم وأكلوا الطيب، وتمتعوا بنساء الروم وملكوا خزائن كسوى. بعد أن كانوا يعيشون في دائرة العيش الخشن، وأكل الضباب والقنفاذ والرابع ولبس الصوف. فهذا الصنف حلا الإسلام في قلبه عندما وقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بأنه سيفتح عليهم كنوز كسوى وقيصر. فلما وجئوا الأمر قد وقع بموجب ما قاله وأكلوا الغلوزجات ولبسوا الحرير والديباج. وأصبوا أعراب في الأمصار استدلوا بما فتح الله عليهم على صحة الدعوة فعظموا بجلوها، وتمسكوا

بالدين لأنه زادهم طويقا إلى نيل الدنيا، ومجمل القول: لولا الفوح والنصر والظفر والخراج لانقوض دين الإسلام بصورة من الصور، ولولا غلظة عمر التي جبله الله عليها ولا حيلة له فيها، وهي غلظة لا يقصد بها سوءا ولا يريد بها نما، فعمر أجل قورا من أن يعتقد فيه أن غلظته هدفها الذم والتخطئة، نقول لولا غلظته في التعامل مع بعض رؤوس القوم، لوجد أعداء الدولة لهم ثغرات يعملون فيها على انقراض الإسلام بصورة من الصورة. ولكن عمر وهو المشهور بالتصدي لهم، وعلى سبيل المثال فعمر هو القائل في سعد بن عبادته وهو رئيس الأنصار وسيدها، اقتلوا سعدا قتل الله سعدا، وعمر هو الذي شتم أبو هريرة، وعمر هو الذي خون عمرو بن العاص ونسب إليه سرقة مال الفئ، وعمر شتم خالد بن الوليد وطعن في دينه وحكم بفسقه وبوجوب قتله. فسورة

الصفحة 394

عمر إلى محاسبة البعض جعلت البعض الآخر يعيش يومه. وموقف عمر هذا وإن كان فيه خدمة للدولة إلا أنه لم يكن في صالح عمر، فلقد أبغضه بعض الصحابة ولموه رغم كثرة الفوح لأنه لم يسمح لهم بالخروج إلى الأمصار. يقول الشعبي: لم يمت عمر حتى ملته قريش وقد حصوهم بالمدينة، وقال: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشركم في البلاد. فلما ولي عثمان خلى عنهم فاضطربوا في البلاد وانقطع الناس إليهم فكان ذلك أول وهن دخل على الإسلام وأول فتنة كانت في العامة ليس إلا ذلك<sup>(1)</sup>.

فالذي حافظ على التماسك من ضوبات الأعداء، أموال الفتوحات وقبضة عمر - الذي كان عصوه بحق أفضل بكثير من عصور الملوك والسلاطين الذين ركبوا على أعناق الأمة على امتداد التاريخ. وإذا كان تزيخ المسلمين ملئ بالسلبيات والغيوم، فإن الحق يحتم علينا أن نقول بأن أعظم دولة للمسلمين هي التي كان على رأسها أبو بكر وعمر بن الخطاب، فهذا العصر كان عصر البنور والبنور لا يختلف أحد على أوراقها وثملها لأنها لم تأت بعد: وهذه الفترة من التاريخ انتهت نهاية أليمة، وذلك عندما طعن غلام مجوسي الفاروق عمر رضي الله عنه. وروي أنه كان يفسر لعمر أحلامه. وقد أخوه عمر بحلم من الأحلام ففسره كعب بأنه سيقتل بسلاح له مواصفات خاصة، وعندما طعن عمر جاء كعب يبكي ويقول: والله لو أن أمير المؤمنين أقسم على الله أن يؤخره لأخوه<sup>(2)</sup>، ومن الأعجب أن كعبا اشتغل بعد ذلك مستشرا لمعاوية يوم أن كان أموا على الشام، وعندما حدثت الانتفاضة على عثمان كان كعب أول من ألقى في قلب معاوية حب الخلافة! وعلى أي حال بعد عملية طعن الفاروق وهذا الاسم أطلقه عليه أهل الكتاب تعبوا منهم لعدله ونظرا لأنهم لم يشعروا بغربة في عهده، وأظلتهم مظلة التسامح الإسلامية في كل مكان على أرض الدولة. حتى

(1) ابن عساكر (كنز العمال 76 / 14).

(2) ابن سعد (كنز العمال 687 / 12).

الصفحة 395

إن عمر كان له مملوكا نصوانيا<sup>(1)</sup>. ومن قبل عمر أخرج مالك وابن أبي شيبة وابن جرير والبيهقي عن عمرة بنت عبد

الرحمن أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية توقيها فقال أبو بكر لقيها بكتاب الله عز وجل. فمظلة التسامح كانت تظلمهم ولم يشعروا بالكرامة الحقيقية على امتداد تزيخهم إلا تحت هذه المظلة وخير شاهد أنهم أطلقوا على عمر اسم الفاروق، قال ابن شهاب: بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر الفاروق وكان المسلمون يأتون ذلك من قومهم، ولم يبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من ذلك شيئا <sup>(2)</sup> . وبعد أن طعن الغلام المجوسي الفاروق فتحت صفحة جديدة بدأت بما سمي في التزيخ بالشورى.

## 1 - يوم الشورى:

من الثابت أن عمر بن الخطاب قال: لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا استخلفته. ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا استخلفته <sup>(3)</sup> ، وفي رواية عند الإمام أحمد: لو أركني أحد الرجلين ثم جعلت الأمر إليه لوثقت به. سالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة بن الجراح <sup>(4)</sup> . ثم اختار عمر ستة من الصحابة وصفهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم مات وهوراض عنهم وهم: عثمان بن عفان. عبد الرحمن بن عوف. سعد بن أبي وقاص. الزبير بن العوام. طلحة وعلي بن أبي طالب. وأمر عمر صهيب أن يصلي بالناس ثلاثة أيام، وأن يدخل هؤلاء الوهط بيتا ويقوم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة وأبى واحد، على صهيب أن يطيح رأسه بالسيف. وإن اتفق أربعة وأبى اثنان يضرب رؤوسهما وإن رضي ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فعليه أن يكون مع الذين فيهم عبد الرحمن بن

(1) أنظر ترجمة ناسق اليهودي.

(2) الطوي 5 / 15 ، ابن كثير في البداية باختصار 7 / 133 .

(3) الطوي 5 / 34 ، تلخ الخلفاء ص 127 .

(4) الإمام أحمد (الفتح الرباني 23 / 91) .

الصفحة 396

عوف ويقتل الباقيين <sup>(1)</sup> !!

ومن العجيب أن عمر بن الخطاب كان يخاف أن يطلق الصحابة في الأمصار، ونهاهم عن مخالطة الناس لأنه رأى في ذلك أسى الفساد في الأرض.

ثم زاه قد أطلقهم على داوة الإمرة والخلافة، الأمر الذي أدى بعد ذلك إلى التنافس بعد أن رسخت في نفوس البعض من أهل الشورى حب الخلافة. ومن الصعب أن تأتي بجندي وتوشحه للخلافة ثم تقول له بعد ذلك زاحم في الصفوف الأخوة للجنود.

ومن العجيب أيضا أن يقول عمر لأهل الشورى: إن هذا الأمر لا يصلح للطلاق ولا لأبناء الطلقاء <sup>(2)</sup> ، خوفا منه لئلا

يطمع الطلقاء في الملك، في الوقت الذي لم يخف حين جعلها في ستة متساوين في الشورى مرشحين للخلافة <sup>(3)</sup> . ومن

الأعجب أن يشهد عمر بأنه أهل الشورى مات النبي وهو عنهم راض، ثم يأمر بضرب أعناقهم إن تأخروا في البيعة أكثر من

ثلاثة أيام، ومعلوم أنهم بذلك لا يستحقون القتل لأنهم كلفوا أن يجتهدوا في اختيار الإمام، وربما يطول زمن الاجتهاد وربما قصر. وعلى هذا فأبي معنى للقتل، إذا تجاوز الأيام الثلاثة؟ ثم إنه أمر بقتل من يخالف العدد الذي فيه عبد الرحمن، وهذا أيضا لا يستحق القتل. ثم أي إجماع وأي شورى وأي اختيار لمن يجلس والسيف على رأسه ويتهدد بالقتل؟ ثم كيف يقتل من ورد فيهم أحاديث بأنهم من أهل الجنة؟

وما هورأي المسلمين لو سمع النبي صلى الله عليه وسلم عمر يقول اقتلوا أهل الشورى؟ ونحن لا نوري ما الذي حمل عمر على الوقوع في هذا الارتباك وقد كان قانوا على أن يستخلف أصلح القوم وهو يعرفهم واحد واحد! وروي أن أمراء الأجناد كانوا مع عمر بن الخطاب عند أدائه مناسك الحج

---

(1) هذا الخبر أجمعت عليه الأمة وأرسله علماء الحديث والتاريخ إرسال المسلمات. (راجع الكامل 36 / 3)، (كنز العمال 743 / 5).

(2) ابن سعد (كنز العمال 735 / 5).

(3) فتح البلي كتاب الأحكام (197 / 13).

---

الصفحة 397

وقدموا معه إلى المدينة وهم: معاوية بن أبي سفيان أمير الشام، وعمير بن سعد أمير حمص، والمغوة ابن شعبة أمير الكوفة، وأبو موسى الأشعوي أمير البصرة، وعمرو بن العاص أمير مصر<sup>(1)</sup>، فهذه الحزمة الواحدة كانت موجودة يوم الشورى، وروي أن عبد الرحمن بن عوف خرج ليشلور الناس ودار ليلاليه يلقي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وافى المدينة من أمراء الأجناد وأشرف الناس يشلورهم ولا يخلو وجل إلا أمره بعثمان<sup>(1)</sup>. وروي أن عليا عندما علم بما يفعله عبد الرحمن لقي سعد بن أبي وقاص وقال له: اتقوا الله الذي تساعلون به والأرحام أن الله كان عليكم رقيبا. أسألك وجم ابني هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروح عمي حزة منك أن لا تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهرا علي فإني أولى بما لا يدلي به عثمان<sup>(2)</sup>، وذكر البخاري أن عبد الرحمن بن عوف كان يخشى من علي بن أبي طالب شيئا<sup>(3)</sup> ولكنه لم يفصح عن هذا الشيء.

وكان عمار بن ياسر مزاننا للساحة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فالذي يبغض عليا فعليه بعمار بن ياسر ليرشده إلى طويق الحق الذي لن يجد فيه إلا علي بن أبي طالب. روى البخاري أن عمرا أجله الله من الشيطان على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم<sup>(4)</sup>. وعمار قال فيه النبي: ابن سمية ما عرض عليه أمران قط إلا اختار الأرشد منهما<sup>(5)</sup>، ويوم الشورى قال عبد الرحمن بن عوف: إن الناس قد أحبوا أن يلحق أهل الأمصار بأمصلهم وقد علموا من أمرهم<sup>(6)</sup>. فقام عمار بن ياسر وقال: إن أردت أن لا يختلف

---

(1) الطبري 36 / 5.

(2) الطوي 36 / 5.



(3) البخاري كتاب الأحكام (الصحيح 246 / 4).

(4) البخاري في مناقب عمار (الصحيح 305 / 2).

(5) رواه الإمام أحمد (الفتح الوباني 330 / 22) والترمذي وصححه (الجامع 668 / 5) والحاكم، وقال حديث صحيح على شوط الشيخين (المستترك 388 / 3).

(6) الطوي 37 / 5.

الصفحة 398

(1) المسلمون فبايع عليا . وفي رواية قال: يا معشر قريش أما إذا صوفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ههنا مرة وههنا مرة، فما أنا بآمن من أن يزعه الله منكم فيضعه في غيركم، كما زعموه من أهله ووضعتموه في غير أهله (2) ، فقال المقداد بن الأسود: صدق عمار إن بايع عبد الرحمن عليا قلنا سمعنا وأطعنا. فقال عبد الله بن أبي السرح - وكان النبي قد أحل دمه واختفى عند عثمان - يا عبد الرحمن إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان. فقال عبد الله بن أبي ربيعة: صدق إن بايعت عثمان قلنا سمعنا وأطعنا. فشمتم عمار بن ياسر بن أبي السرح وقال: متى كنت تتصح المسلمين؟ ثم قال: أيها الناس إن الله عز وجل أكرمنا بنبيه وأعزنا بدينه فأني تصوفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم. فقال له رجل من بني مخزوم (3) : لقد عدت طورك يا ابن سمية وما أنت وتأمير قريش لأنفسها (4) . وكل ذلك كان يجري وأرواء الأمصار في المدينة راقبون.

وكان علي بن أبي طالب في هذا الوقت يقف في دائرة إقامة الحجة وليس له أن ينزع في أمر طويق الاختيار فيه مفقوح، وعلى الاختيار يأتي إما الأمن وإما الخوف والاستراج. لقد أقام الحجة على سعد بن أبي وقاص عندما قال له: لا تكن مع عبد الرحمن لعثمان ظهوا علي. وأقام الحجة عليهم جميعا فيما رواه أبو الطفيل قال: كنت على الباب يوم الشورى، فارتفعت الأصوات بينهم فسمعت عليا يقول: بايع الناس لأبي بكر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحق به منه فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفلا يضوب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم بايع الناس عمر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحق به منه فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفلا يضوب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم

(1) الطوي 37 / 5.

(2) مروج الذهب / المسعودي 322 / 2.

(3) ( بنو مخزوم ضمن القبائل التي نمارسول الله صلى الله عليه وآله وأمر بجهادهم في الإسلام. رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن موييه (كنز العمال 480 / 2).

(4) الطوي 37 / 5.

الصفحة 399

أنتم قريدون أن تبايعوا عثمان إذا أسمع وأطيع. إن عمر جعلني في خمسة نفر أنا سادسهم لا يعرف لي فضلا عليهم في

الصالح ولا يعرفونه لي، كلنا فيه شوع سواء، وأيم الله لو أشاء أن أتكلّم ثم لا يستطيع عربيهم ولا عجميهم ولا المعاهد منهم ولا المشرك رد خصلة منها لفعت. ثم قال: نشدتكم الله أيها النفر جميعا أفيكم أحد آخي رسول الله صلى الله عليه وسلم غوي؟  
قالوا: اللهم لا (1).

وفي الصواعق المعرّقة روى الدارقطني أن عليا قال لهم: أنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة غوي؟ قالوا: اللهم لا (2)، وروى ابن أبي الحديد أنه قال لهم:

أنشدكم الله هل فيكم أحد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من كنت هولاه فهذا هولاه غوي؟ قالوا: لا قال: أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنت مني بمثولة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي غوي؟ قالوا: لا، قال: أفيكم من أوتمن على سورة واءة وقال له رسول الله أنه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني غوي؟ قالوا: لا (3).

كان علي بن أبي طالب يقيم الحجة فقط، وكان يعلم أن طويقه إلى الخلافة غير ممهد، واختيار عمر بن الخطاب لأصحاب الشورى أول دليل على ذلك. فبعد تحديد الأسماء، قال علي للعباس: عدلت عنا. فقال له:

وما علمك؟ قال: قون بي عثمان وقال كونوا مع الأكثر، فإن رضي رجلان رجلا، ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف. فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن وعبد الرحمن صهر عثمان. لا يختلفون فيوليها عبد الرحمن عثمان أو يوليها عثمان عبد الرحمن، فلو كان الأخوان معي لم ينفعنا في (4). قال له العباس: لا تدخل معهم. قال: أكره

(1) (كنز العمال 725 / 5).

(2) الصواعق المعرّقة / ابن حجر الهيتمي ص 24.

(3) ابن أبي الحديد 61 / 2.

(4) الطوي 35 / 5.

الصفحة 400

الخلاف (1). فالإمام كان يعلم بالنتيجة، وكان واقب من بالمدينة وكان يكره الخلاف وكان يقيم الحجة ولا إكراه في دين الله.

وروي أن عبد الرحمن بن عوف قال لعلي بن أبي طالب هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وسنة الماضين من قبل؟ وفي رواية: وسوة أبي بكر وعمر؟ وفي رواية: وفعل أبي بكر وعمر؟ فقال علي: لرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي، فقال عثمان: أنا يا أبا محمد أبايعك على ذلك (2). .. فقام عبد الرحمن ودخل المسجد وأرسل إلي من كان حاضرا من المهاجرين والأنصار وأرسل إلي أهراء الأجناد ثم قال: يا علي إني قد نظوت في أمر الناس فلم أراهم يعدلون بعثمان (3). فقال علي: حبوته حبو دهر. ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. ثم خرج وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله. فقال المقداد: يا عبد الرحمن أما والله لقد تركته وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون. فقال: يا مقداد والله لقد اجتهدت للمسلمين. فقال المقداد: مارأيت مثل ما أوتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم. إني لأعجب من قريش إنهم

تروكوا رجلا ما أقول أن أحدا أعلم ولا أقضى منه بالعدل. أما الله لو أجد عليه أعوانا. قال عبد الرحمن: يا مقداد اتق الله فإنني خائف عليك الفتنة.

فقال رجل للمقداد (4) :رحمك الله من أهل هذا البيت ومن هذا الرجل (5) !! فقال المقداد: أهل البيت بنو عبد المطلب والرجل علي بن أبي طالب (6) .

لقد وضع عبد الرحمن شوطا يعلم أن عليا لن يقبله. بل يعلم أن عليا لو وجه النقد لهذا الشرط لكان في هذا كفاية لسيل الدماء فضلا عن ابتعاد الخلافة

---

(1) الطبري 34 / 5.

(2) فتح الباري 198 / 13.

(3) البخاري (الصحيح 246 / 4) ك الأحكام ب كيف يبايع الإمام الناس.

(4) فيه إشارة أن عدم رواية الحديث جعلت الكثير لا يعرفون شيئا عن أهل البيت.

(5) المقداد بن الأسود ورد فيه حديث (إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم: علي وأبو ذر والمقداد وسلمان) رواه

الترمذي وحسنه (الجامع 636 / 5).

(6) الطوي 38 / 5، الكامل 37 / 3.



عن علي. وهذا الشرط أن يبايعه على سوة أو فعل أبي بكر وعمر. وفي المدينة أمراء عمر معاوية وعمرو والمغوة وغورهم، كأمثال ابن أبي السرح وأبي سفيان وبني مخزوم وهؤلاء انتعشوا بالفتوحات والخواج. والإمام ما كان له أن يقبل هذا الشرط وذلك أن أبا بكر وعمر اختلفا في سوة كل منهما للآخر. وعلى سبيل المثال أبو بكر نص على خلافة عمر، بينما عمر جعلها شورى في ستة نفر، وأبو بكر رأى أن يقاتل الذين امتنعوا عن دفع الزكاة، وعمر كان له رأي غير هذا.

وأبو بكر كان يرى أن خالد بن الوليد متأول في قتل مالك بن نويرة، وعمر كان يرى غير ذلك. وأبو بكر كتب لنفر من المؤلفة قلوبهم بحقوقهم، وعمر مزق كتاب أبي بكر لأن له رأياً آخر. فهذا وغوه يستقيم مع قول الإمام " لرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي " ولكن التيلرات الموجودة بالمدينة حينئذ كانت تعلم أن زهد علي لن يدفع بالخواج إلى أيديهم، وكانوا يعلمون أن عمر كان مجتهدا يعمل بالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة، ويرى تخصيص عموميات النص بالآراء وبالاستنباط من أصول تقتضي خلاف ما يقتضيه عموم النصوص، وكانوا يعلمون أن عمر قد عرك السياسة وكاد خصمه وأمراء الأمراء بالكيد والحيلة وكان يؤدب بالثورة والسوط من يتغلب على ظنه أنه يستوجب ذلك، ويصفح عن آخرين قد اقترفوا ما يستحقون به التأديب. كل ذلك بقوة اجتهاده وما يؤديه إليه نظره. أما علي بن أبي طالب فهو على خلاف ذلك - كان يقف مع النصوص والظواهر ولا يتعدها إلى الاجتهاد والأقيسة ويطبق أمور الدنيا على أمور الدين، ويسوق الكل سياقاً واحداً ولا يضع ولا يرفع إلا بالكتاب والنص.

لقد عرفوا هذا من علي بن أبي طالب على الرغم من أنه لم يجلس على كرسي يأمرهم به وينهاهم. كانوا يعلمون أن عمر شديد الغلظة والسياسة، ويعلمون أن عليا كثير الحلم والصفح والتجوز، ولكن المصلحة كانت في سياسة عمر، والخوف كان من حلم علي، لأن دائرة الذهن عند جميع تيلرات الصد تخاف من يوم، وهذا اليوم ليس من دائرة الغلظة والشدّة، وإنما من دائرة خاصف النعل حيث الحلم والصفح والتجوز والضرب في الله. وعلى هذا يمكن

أن نفهم قول البخلي: إن عبد الرحمن بن عوف كان يخشى من علي بن أبي طالب شيئاً.

## 2 - رياح بني أمية:

كانت أشرف خصال قريش في الجاهلية: اللواء والنوّة والسقاية والوفادة وزمزم والحجابه، وهذه الخصال مقسومة في الجاهلية إلى: بني هاشم وعبد الدار وعبد الغوى دون بني عبد شمس. على أن معظم ذلك صار في الإسلام إلى بني هاشم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة صار مفتاح الكعبة بيده، فدفعه إلى عثمان بن طلحة، فالشرف راجع إلى من ملك المفتاح لا إلى من دفع إليه (1). وكان بنو عبد شمس في الجاهلية من ألد أعداء بني هاشم، ولزاد هذا العداء حدة بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قاد أبو سفيان ابن حرب بن أمية بن عبد شمس الحرب ضد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم صلى الله عليه وسلم. وهذه الحرب لها جنور قديمة لم يقض عليها الإسلام فضلا على أسباب تتعلق بالإسلام

ودعوته، ولهذا يمكن أن نفهم وصية أبي سفيان وهو يأمر معاوية بأن يطيع عمر فيقول له: فلا تخالفهم فإنك تحوي إلى أمد فنافس فإن بلغته أورثته عقبك (2) . وقوله في عهد عثمان كما جاء في مروج الذهب: يا بني أمية تلقوها تلقوها الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلي صبيانكم وراثته. ثم وقفه على قبر حفزة وقوله: يا أبا عملة إن الأمر الذي اجتدلنا عليه أمس صار في يد غلماننا اليوم يتلعبون به (3) . وذلك بعد أن تجول أرواء بني أمية في الأمصار وراء الخراج. فأبو سفيان لم يكن يريد لعنة وإنما كان يريد الاستتورية على مدى الأيام والدهور، وهذا من الكبر وبطر الحق ويظهر شدة الخصومة، ولذا نجد

(1) ابن أبي الحديد 611 / 4 .

(2) البداية والنهاية 818 / 8 .

(3) ابن أبي الحديد 4 / 51 ، الإمتاع والمؤانسة 2 / 75 .

الصفحة 403

النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " إن أشد قومنا لنا بغضا بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم " (1) . وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى بني أمية على منوه فساءه ذلك " (2) . وقال صلى الله عليه وسلم: " ويل لنبي أمية " ثلاث مرات (3) ، ومعنى أن يكون عثمان بن عفان على رأس الخلافة، أن الطويق أمام بني أمية أصبح ممهدا بصورة من الصور. فبني أمية هدفهم الحكم وهم في سبيله يركبون الصعب، ولو كان الملك من وراء الجبال ليثبوا عليه حتى يصلوا كما روي عن الإمام علي (4) . فإذا كان كرسي الخلافة لا ينجو منهم إذا كان من وراء الجبال فكيف به إذا كان أمامهم والجالس عليه من وسطهم. ونحن نقول إن عثمان باب لهم لأنه من نسيجهم، والرسول صلى الله عليه وسلم عندما أعطى سهم ذي القوي ترك بني نوفل وبني عبد شمس، ولم يعط عثمان على الرغم من أن عثمان كان في موقف السائل، روى البخاري وأبو داود عن جبير بن مطعم قال: لما كان يوم خيبر وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذي القوي في بني هاشم وبني المطلب وترك بني نوفل وبني عبد شمس، فانطلقت أنا وعثمان بن عفان حتى أتينا النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا: يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم. فما بال إخواننا بني المطلب أعطيتهم وتركنا وقابتنا واحدة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنا وبنو المطلب لا نفرق في جاهلية ولا إسلام وإنما نحن وهم شيء واحد، وشبك بين أصابعه (5) . فالطويق الفطري واضح في الجاهلية والإسلام. وليست المسألة مسألة قابة، فالنبي عندما أعطى أعطى على النصرة، وبنو عبد شمس يلتقون في

(1) رواه الحاكم وأبو نعيم (كنز العمال 169 / 11) .

(2) رواه الترمذي وحسنه (الجامع 444 / 5) .

(3) رواه ابن منده وأبو نعيم عن حوران عن جابر، وابن قانع عن سالم الحضرمي (كنز 165 / 11) .

(4) رواه ابن عساكر (364 / 11 كنز).

(5) رواه البخاري (الصحيح 196 / 2) وأبو داود حديث 2980 واللفظ له.

الصفحة 404

قابتهم مع بني هاشم في عبد مناف، ولكن ما قيمة قابة لا نصوة فيها لفظة أو لدعوة، وكما قال ابن قدامة: إن بني  
المطلب شلّوا بني هاشم بالنصوة والقابة<sup>(1)</sup>.

ومن الدليل على أن خلافة عثمان كانت بابا لبني أمية، أن النبي صلى الله عليه وسلم أدخل مدة حكم عثمان في المدة  
الإجمالية لبني أمية وهي ألف شهر. روي عن الحسن قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني أمية يخطبون على منوه  
رجلارجل فساءه ذلك فقولت (إنا أعطيناك الكوثر) نهر في الجنة وتولت: (إنا أقرناه في ليلة القدر ليلة خير من ألف  
شهر) تملكها بنو أمية، فحسبنا ذلك فإذا هو لا يزيد ولا ينقص<sup>(2)</sup>.

وهذا الحديث رواه الحاكم وقال هذا إسناد صحيح، وقال الذهبي: وروي عن يوسف بن فوح بن قيس أيضا، وما علمت أن  
أحدا تكلم فيه والقاسم وثقه رواه عنه أبو داود والتبوكي<sup>(3)</sup>. وقال في الدر المنثور أخرجه الخطيب عن ابن المسيب وروي  
أيضا مثله عن الخطيب في تزيخه عن ابن عباس. وأيضا ما في معناه عن الترمذي وابن جرير والطواني وابن مودويه  
والبيهقي عن الحسن بن علي. وقال ابن كثير في البداية والنهاية رواه الترمذي عن القاسم بن الفضل وقد وثقه يحيى بن سعيد  
وغره ورواه ابن جرير والحاكم والبيهقي<sup>(4)</sup>. ورغم أن الحديث صحيح إلا أن منهم من لم يقبله قلبه. فترتب على ذلك مشكلة  
حتى أن الذهبي قال: وما أوري آفته من أين<sup>(5)</sup>، ولقد حاول ابن كثير في التفسير أن يظهر نقطة ضعف واحدة فلم يجد واكتفى  
بالقول إن الحديث منكر، وظهت حوة ابن كثير في البداية والنهاية بعد أن أنكر الحديث في نفسه، فقال: سألت

(1) المغني 657 / 2.

(2) الحاكم (المستترك 171 / 3).

(3) المستترك (171 / 3).

(4) البداية والنهاية (243 / 6).

(5) المستترك (171 / 3).

الصفحة 405

شيخنا الحافظ أبا الحجاج الزوي عن هذا الحديث، فماذا قال الحافظ لابن كثير؟

إن ما قاله كان هو حجر الرواية الذي عليه أنكروا حديث صحيح. قال الحافظ:

إن القول بأنه حسب دولة بني أمية فوجدها ألف شهر لا تريد يوما ولا تنقص فهو غريب جدا. وذلك لأنه لا يمكن إدخال

دولة عثمان في هذه المدة، وذلك أنها مموحة ولأنه أحد الخلفاء الواشدين والأئمة المهديين الذين قضوا بالحق وبه يعدلون،

(1)

وهذا الحديث إنما سبق لدم تولتهم.

وتحديد المدة بدقة هو من شأن علماء التوليف والسير الأقدمين في بداية العصر العباسي. وما بين أيدينا اليوم من توليف يؤيد ما ذهب إليه الحديث ولا يستثني دولة عثمان. وفي محاولة قديمة أسقط من المدة أيام ابن الزبير فقلب من قام بهذه الصحة في الحساب. وعلى أي حال فإن التوليف خير شاهد، فعثمان أقام خيمة وهذه الخيمة دخلها معاوية فلم يشعر فيها بغربة، وبعد أن جعلها معاوية وراثته انطلق الورثة من داخل الخيمة وقتلوا الأنصار والحسين والذين يأمرون بالقسط من الناس، وكل ذلك تحت هتاف واحد يقول: " يوم بيوم قتل عثمان "، وساروا وراء الخراج وجلسوا أمام بيوت المال ومعهم أختام ليست غريبة عن عهد عثمان.

### 3 - ظهور النفاق:

ومن الدليل القاطع على أن دولة عثمان رتع فيها النفاق حتى بلغ الذروة، تلك الأحاديث التي رويت عن حذيفة صاحب سر رسول الله (2) . فحذيفة كان يعلم أسماء المنافقين الكبار الذين رأوا اغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند رجوعه من تبوك كما ذكرنا. والثابت والقاطع أن حذيفة مات بعد

(1) البداية والنهاية (244 / 6).

(2) وصف في الصحيحين أنه صاحب السر الذي لا يعلمه غيره (البخاري 305 / 2) (الإصابة 332 / 2).

الصفحة 406

مقتل عثمان بلربعين يوما (1) ، وقبل وفاته بايع عليا وأوصى الناس بطاعة أمير المؤمنين علي (2) ، وأمر أولاده بالقتال تحت رايته فقتلا بصفين (3) .

والثابت أيضا أن حذيفة كان مريضا قبل قتل عثمان وكان يؤم بيته (4) ، وعلى ما سبق فإن رواياته التي سنوردها هنا لا بد

وأن تكون قد وقعت في خلافة أبي بكر وعمر، وأما في خلافة عثمان. وهي روايات تجسد واقع المجتمع الذي رآه وسمعه

حذيفة ومن هذه الروايات: قال: " لا يغونك ما ترى، فإن هؤلاء يوشكون أن ينفجوا عن دينهم كما تنفج المرأة عن قبلها " (5) وقال: " والله ما أوري أنسي أصحابي أم تتاسوا؟ (6) والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قائد فتنة (7)

إلى أن تتقضي الدنيا بلغ من معه ثلثمائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته (8) " . إن حذيفة هنا يشير إلى

أن النبي ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهلها، ولأن الصحابة نسوا ما ذكروا به جرت الفتنة. وقال حذيفة في معالمها: " إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون " (10) .

ثم قال صاحب السر الذي لا يعلمه أحد غيره: " إنما كان النفاق على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فأما اليوم فإنما

هو الكفر

(1) الإصابة 332 / 2، الحاكم (المستدرک 380 / 3)، (البخاري في التاريخ الصغير 80 / 1).

(2) ( الحاكم (المستدرک 380 / 3 ) والوار ورجاله ثقات ( الزوائد 236 / 7 ) وأبو نعيم (كنز العمال 612 / 11)

والطواني ورجاله ثقات (الزوائد 243 / 7) وموج الذهب 394 / 2، فتح البري 40 / 13.

(3) الكامل 147 / 3.

(4) موج الذهب 394 / 2.

(5) رواه ابن أبي شيبة وأبو نعيم (كنز العمال 216 / 11).

(6) أم تناسوا: أي أظهروا النسيان لمصلحة من غير نسيان!؛

(7) قائد فتنة: أي داعي ضلالة وباعث بدعة يأمر الناس بها.

(8) باسمه واسم أبيه: يعني وصفا واضحا مفصلا لا مبهما.

(9) رواه أبو دلود حديث 4243، في عون المعبود حديث 4222.

(10) البخاري (الصحيح 230 / 4)، ك الفتن باب إذا قال عند قوم شيئا ثم خرج.

الصفحة 407

بعد الإيمان " (1).

ثم يقول صاحب السر الشاهد على عصر الصحابة بعد وفاة النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم: " إن الرجل كان يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير منافقا. وإنني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات. وفي رواية: عشر مرات (2). إنها ثقافة وتربية مجتمع الرأى والمصلحة، وإلا كيف انتشرت هذه الثقافة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بمن يسير؟ ثم يفجر حذيفة أكبر حقيقة ترتبت على ذلك كله فيقول: قال صلى الله عليه وسلم: اكتبوا إلى من تلفظ بالإسلام من الناس. فكتبنا له ألف وخمسمائة رجل، فقلنا: تخاف ونحن ألف وخمسمائة. ثم يقول حذيفة: فلقد رأيتنا ابتلينا حتى أن الرجل ليصلي وحده وهو خائف (3). وفي رواية عند مسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم لا تدرن لعلكم أن تبتلوا. قال حذيفة: فابتلينا حتى جعل الرجل لا يصلي إلا سوا (4).

إن الصلاة سوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأقل من ربع قرن انتهت في زمان بني أمية إلى ما رواه البخاري عن أنس، دخل عليه الرهي فوجده يبكي. فقال ما يبكيك؟ قال: لا أعرف شيئا مما أركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت (5). إن الأحاديث التي رواها حذيفة والأقوال التي قال بها حدثت إما في زمن أبي بكر، وإما في عهد عمر الذي اعترف صراحة بتعيين المنافقين، وإما في عهد عثمان، ونحن نوجع العهد الأخير لأنه باب لأسوة ذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث صحيحة. والنبي صلى الله عليه وسلم كان قد أخبر بظهور النفاق فقال: لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتكم قليلا، يظهر النفاق، وتوقع الأمانة، وتقبض الرحمة، ويتمهم الأمين،

(1) البخاري (الصحيح 230 / 4) ك الفتن باب إذا قال عند قوم شيئا ثم خرجه.

(2) رواه أحمد وإسناده جيد (الفتح الوباني 173، 231 / 19).

(3) البخاري (الصحيح 180 / 2) ك الجماد والسير باب كتابة الإمام الذي.



(4) مسلم (الصحيح 179 / 2) وأحمد (الفتح الروباني 40 / 24).

(5) البخاري (الصحيح 13 / 1).

الصفحة 408

ويؤمن غير الأمين " (1) . صلى عليك يا رسول الله فلقد ظهر هذا بعد وفاتك بزمان قليل ثم بدأ يتسع حتى تاه الجميع في سنن الأولين إلا من رحم الله. وكان لظهور النفاق علامات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن للمنافقين علامات يعرفون بها، تحيتهم لعنة وطعامهم نهبه (أي اغتصاب) وغنيمتهم غلول (أي سوقة) (2) . وصلى الله عليك يا رسول الله.

#### 4 - الإحتجاج السلمي:

بدأ عثمان خطاه فقال: " لا يحل لأحد يروي حديثا لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر " (3) وكانت بداية حكمه لا تختلف عن سبقه، ولكن ما لبث بعد أن قام بنو أمية بتوتيب أوراقهم أن تحول الحكم لصالح بني أمية، وصالح الاستوائية القوشية. وكما ذكرنا من قبل أن السياسة التي اتبعها عمر بن الخطاب كانت عدم توزيعه الأرض على المسلمين المقاتلين، وحولها إلى أرض خراج تملك الدولة رقبته، وصار بيت المال يدفع للمقاتلة أعطيات من الثابت أن عمر بن الخطاب فضل بعض الناس على بعض. ففضل السابقين على غوهم وفضل المهاجرين من قريش على غوهم من المهاجرين، وفضل المهاجرين كافة على الأنصار كافة، وفضل العرب على العجم (4) . وكان من نتيجة ذلك ظهور طبقة من الاستوائية القوشية، ولكن بحجم محدود ما لبث أن اتسع بعد ذلك.

وفي عهد عمر روى الإمام أحمد أن أبا عبيدة بن الجراح بكى وعندما قيل له ما يبكيك قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: يا أبا عبيدة يكفيك من الخدم ثلاث، خادم يخدمك، وخادم يسافر معك، وخادم يخدم أهلك. وحسبك من النواب ثلاث، دابة لحلك، ودابة لثقلك، ودابة لعلامك. ثم ها أنذا أنظر

(1) رواه الحاكم (كنز العمال 127 / 11) ورواه الطبراني والبيهقي بلفظ مشابه (كنز 128 / 11).

(2) رواه الإمام أحمد (الفتح الروباني 232 / 19).

(3) الطبقات الكبرى 336 / 2، وابن عساكر (كنز العمال 295 / 10).

(4) ابن أبي الحديد 4 / 3.

الصفحة 409

إلى بيتي قد امتلأ رقيقا، وانظر إلى مرابطي قد امتلأت نوابا، فكيف ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا وقد أوصانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أحبكم إلي وأقربكم مني من لقيني على مثل الحال الذي فرقني عليها (1) . وبعد ذلك اتسعت الطبقة في عهد عثمان بعد أن بسط نبلاء بني أمية وغوهم أيديهم على كثير من الضياع. وبعد أن توسع الناس في أمور الدنيا واستعملوا النفيس من الملابس والمسكن والمطعم واقتنوا الأثاث الفاخر. وبنظرة سريعة على ثروة بعض الأواد

خلال هذه المدة نجد أنه كان لعثمان عند خُرْنه يوم قتل ثلاثون ألفاً ألف درهم وخمسمائة ألف درهم، وخمسون ومائة ألف دينار، وتُرك ألف بعير <sup>(2)</sup>. وكانت قيمة ما تُرك عبد الرحمن بن عوف ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومائة فوس، كما تُرك ذهباً قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه <sup>(3)</sup>.

وكان لطلحة بالواق ما بين أربعمائة ألف إلى خمسمائة ألف، وكان يرسل إلى عائشة إذا جاءت غلته كل سنة بعشوة آلاف. وروي أنه تُرك ألفي ألف درهم ومائتي ألف درهم، ومائتي ألف دينار، وإن قيمة ما تُرك من العقار ثلاثين ألف ألف، وتُرك مائة بهار، في كل بهار ثلاثة قناطير ذهب والبهار جلد ثور <sup>(4)</sup>، وكانت قيمة ما تُرك الزبير إحدى وخمسين ألف ألف، وكان له بمصر خطط، وبالإسكندرية، وبالكوفا خطط، وبالبحوة دور، وكان له أربع نسوة أصابت كل امرأة ألف ألف ومائة ألف <sup>(5)</sup>. وفي تزليخ ابن عساکر أن عمرو بن العاص كان يلحق كروم بستان له بالطائف بألف ألف خشبة كل خشبة بدهم، وكانت له نور كثرة بمصر ودمشق وحرّون والجابية. وكان لسعد بن أبي وقاص دراهم بناها بالعقيق ورفع سمكها وأوسع فضائها وجعل على أعلاها شرفات.

---

(1) الإمام أحمد (الفتح الرباني 107 / 19).

(2) الطبقات الكبرى 76 / 3.

(3) الطبقات الكبرى 136 / 3.

(4) الطبقات الكبرى 222 / 3.

(5) الطبقات الكبرى 110 / 3.

---

الصفحة 410

فالبنوة التي وضعها عمر تحت عنوان الخراج، جعلت العيون تتطلع إلى أموال الدولة حيث كانت وكل فود يأخذ منها حجم الخدمة التي يؤديها للنظام.

فمنهم من يأخذ دواهم، ومنهم من يأخذ دراهم أو خادما، ومنهم من يأخذ رُضا أو ضياعا. ووفقا لثروة الدولة نتيجة للفتوحات، كان الفاروق يختار الأمراء وقادة الجند من قبائل مختلفة، فإذا وجد المال والأمير المخلص ضمنّت الدولة عدم حدوث أي تنود من أي قبيلة، لهذا لا نستغرب تعيين المنافيين في الدولة العموية، ولا نستغرب تعيين أبي زبيد النصواني لأنه مدخل إلى بني تغلب، ولا إياس بن صبيح الذي كان من أصحاب مسيلمة لأنه مدخل إلى بني حنيفة رافعة لواء التنود، ولا طلحة بن خويلد الذي ادعى النبوة لأنه مدخل إلى قبيلته حتى لا تنور، إلى غير ذلك من قبائل العرب، فبيت المال هو في حقيقة الأمر الحافظ للنظام، ولكنه في عهد عثمان كان في حقيقة الأمر المدمر للنظام. وذلك لأن الأغلبية العظمى من الأمراء الذين اختلهم عمر لم يكونوا من الطامعين في الخلافة، أما الأغلبية العظمى التي استعملها عثمان كانت تطمع في الخلافة، والغالبية العظمى في قريش كانت قد ملت عمر لأنه لم يسمح لهم بالخروج.

وفي عهد عثمان انطلقوا فخالطوا الناس وحوى في أيديهم الذهب، وحبوا للناس الإمرة كما أحبوا الملك والرئاسة. واتسعت

الطبقة الاستوائية القرشية ولزادات قائمة النبلاء، وأمام هذا الاتساع ظهرت الحركات المضادة التي تثن تحت العمامة الأموية. وعندئذ يقف عثمان ويقول: يا أيها الناس إن أبا بكر وعمر كانا يتؤلان في هذا المال ظلف أنفسهما ونوي لِحامهما، وإني تأولت فيه صلة رحمي" (1). ولكي يضع عثمان على قره عباءة القداسة زاه يقول لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: "نشدتك الله أن تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤثر قريشا على سائر الناس ويؤثر بني هاشم على سائر قريش.

فسكت القوم. فقال: لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيها بني أمية حتى

(1) الطبقات الكبرى 64 / 3، كنز العمال 627 / 5.

الصفحة 411

يدخلوا" (1). ولا نوي لماذا لم يسلك عثمان مسلك رسول الله الذي فضل بني هاشم على سائر قريش، ورضي أن يفضل بني أمية في الدنيا بل وطمع أيضا في الآخرة.

لقد كان لتدفق المال قصص وحكايات، وكان على هذا المال تحذير من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا التحذير حمله أبو ذر الغفلي، وشاء الله أن يحمله أبو ذر دون خلق الله حتى لا يتهم بأنه من بني هاشم فلا يسمع له.

لقد خرج أبو ذر على طائفة النبلاء في أول طويقهم، حتى لا تحدث كلثة في نهاية الطويق تتعداهم إلى غوهم حتى قيام الساعة. وكان أبو ذر يحمل منقبة الصدق التي وضعها النبي صلى الله عليه وسلم على لسانه لتكون المنقبة حجة بذاتها على الصحابة في هذا الوقت. فعن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما قلت الغواء ولا أظلت الخضواء عن رجل أصدق من أبي ذر (2). وفي رواية: ما أظلت الخضواء ولا أقلت الغواء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبيه عيسى بن مريم. فقال عمر بن الخطاب كالحاسد: يا رسول الله أنعرف ذلك له؟ قال: نعم فاعرفه (3).

قال أبو جعفر في مشكل الأثر: والبراد بالحديث التأكيد والمبالغة في صدقه، وتأملنا هذا الحديث لنقف على المعنى الذي رُيد به، ما هو؟ فكان ذلك عندنا والله أعلم على أنه كان رضي الله عنه في أعلى مراتب الصدق (4)، ونحن نقول: إن لكل شئ توقيتا، فأبو ذر كان في أعلى مراتب الصدق من يوم أن

(1) رواه أحمد وقال الهيثمي رواه ثقات (الفتح 332 / 22).

(2) رواه أحمد بسند جيد (الفتح الوباني 370 / 22) وابن ماجة والطواني بسند جيد (كشف الخفاء 231 / 2) والتومذي وحسنه (الجامع 679 / 5) وابن سعد (كنز العمال 228 / 4) وابن عساكر (كنز العمال 667 / 11).

(3) رواه التومذي وحسنه (الجامع 670 / 5).

(4) مشكل الأثر 224 / 1.

الصفحة 412

قال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك. ولكن هذا الصدق لا بد وأن يشع عند هدفه ليكون على الناس حجة، لأن ما من شيء إلا من أجل هدف ومن وراء هذا الهدف حكمة. وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أمر أبا ذر فقال له: "ويحك بعدي إذ رأيت البناء قد علا سلعا، فالحق بالمغوب أرض قضاة، فإنه سيأتي عليكم يوم قاب قوسين، أو رمح أو رمحين من كذا وكذا<sup>(1)</sup>. وذكر لأبي ذر أحداث وأحداث وقال له: "يا أبا ذر كيف أنت عند ولاه - وفي رواية: كيف أنت وأئمة من بعدي!! - يستأثرون عليك بهذا الفئ؟ قال أبو ذر: والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي فأضوب به حتى ألحقك: قال: أفلا أدلك على خير لك من ذلك تصبر حتى تلقاني<sup>(2)</sup>.

وأمر النبي صلى الله عليه وآله بالصبر هو من نسيج أمره لأمر المؤمنين علي بأن لا ينلوع، لأن المقام مقام إقامة الحجة. وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعل يوقاً هذه الآية: \* (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً...) \* حتى فوغ من الآية ثم قال: يا أبا ذر كيف تصنع إن أخرجت من المدينة؟ قال قلت: إلى السعة والدعة أنطلق حتى أكون من حمام مكة. قال: كيف تصنع إن أخرجت من مكة؟ قال قلت: إلى السعة والدعة إلى الشام والأرض المقدسة. فقال:

وكيف تصنع إن أخرجت من الشام؟ قال قلت: إذا والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي. قال: أو خير من ذلك قال قلت: أو خير من ذلك. قال:

تسمع وتطيع وإن كان عبداً حبشياً<sup>(3)</sup> - وفي رواية - ألا أدلك على خير من ذلك تتقاد لهم حيث قادوك وتتساق لهم حيث ساقوك حتى تلقاني وأنت على ذلك<sup>(4)</sup>. وليس معنى أن يسمع ويطيع أن يجلبهم في سياستهم، لأن خروجه لن يكون عندئذ له معنى وستكون علامة الصدق معطلة في حالة سماعه وطاعته

(1) ابن عساکر (کنز العمال 188 / 11) والطبري في التاريخ (تاريخ الأمم 66 / 5).

(2) رواه الإمام أحمد (الفتح الوباني 37 / 23)، وابن سعد ولكن بلفظ كيف أنت إذا كان عليك أواء الطبقات 226 / 4).

(3) رواه أحمد وإسناده جيد (الفتح الوباني 36 / 23).

(4) رواه أحمد (الفتح الوباني 108 / 23).

لنبلاء قريش. وإنما المعنى أن يسمع ويطيع لهم عند قولهم بنفيه وتسيوره كي تنتقل الحجة من مكان إلى مكان نون عوائق يضعها أمام نفسه.

وعندما بلغ سلعا، وهي العلامة التي سينطلق عندها أبو ذر بدأت المحن.

فلقد قام أبو ذر بإنذار الذين يكتزون الذهب والفضة. وبدأت القيادة في المدينة المنورة تضيق على عثمان. فعن الأحنف بن

قيس قال: كنت بالمدينة فإذا رجل يفر الناس منه حين يروونه. قلت: من أنت؟ قال: أنا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله

(1)

عليه وسلم قلت: ما يفر الناس؟ قال: إني أنهاهم عن الكنوز بالذي كان ينهاهم عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أبو ذر لمن حضر: أحدثكم إني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تتهموني. ما كنت أظن أنني أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم <sup>(2)</sup>. وعندما وجدت النولة أن أبا ذر بدأ يضوب في الاتجاه الآخر، وأنه سيبعث رواية الأحاديث من جديد وستظهر الحقائق، زادت من إعطية الناس حتى تغطي هذه الزيادة على عنوان " مال الله هولا " الذي ورد في الحديث. ولكن أبا ذر مضى في طويقه يحذر من نبلاء قريش، فقال له رجل: إن أعطياتنا قد ارتفعت اليوم وبلغت، هل تخاف علينا شيئاً؟ قال: أما اليوم فلا. ولكنها توشك أن تكون أثمان دينكم فدعوها وإياكم <sup>(3)</sup>.

وانتهى الأمر بإخراج أبي ذر إلى الوبذة واستقبل أبو ذر هذا الوار بالوضا التام، لأنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين <sup>(4)</sup>. وبينما أبو ذر يستعد للخروج قال له رجل: أنت أبو ذر؟ قال: نعم، قال: لولا أنك رجل سوء ما أخرجت من

(1) رواه الإمام أحمد (الفتح الرباني 371 / 22).

(2) موج الذهب 276 / 2، ابن أبي الحديد 541 / 5.

(3) الحاكم (المستترك 522 / 4).

(4) رواه ابن حبان في صحيحه والضياء وأحمد وابن سعد (كنز العمال 668 / 11).

الصفحة 414

المدينة، فقال: بين يدي عقبة كؤود إن نجوت منها لا يضوني ما قلت، وأن أقع فيها فأنا شر مما تقول <sup>(1)</sup>. وعند خروج أبي ذر ودعه الإمام علي بن أبي طالب وقال له: يا أبا ذر إنك غضبت لله فرج من غضبت له، إن القوم خافوك على دنياهم وختهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أخرجهم إلى ما منعهم وما أغناك عما منعوك وستعلم من الوابح غدا والأكثر حسداً، ولو أن السموات والأرضين كانتا على عبد رتقا ثم اتقى الله جعل الله له منهما مخرجاً، ولا يؤنسك إلا الحق ولا يوحشك إلا الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبوك ولو قوضت منها لأمنوك <sup>(2)</sup> وتوفي أبو ذر بالوبذة، وروى البلازوي أنه لما بلغ عثمان موت أبي ذر قال: رحمه الله، فقال عمار: نعم فوحمه الله من كل أنفسنا، فقال عثمان: يا عاص أبر أبيه أواني ندمت على تسيوه، وأمر فدفق قفاه وعندما تدخل المهاجرون توكه <sup>(3)</sup>. وهكذا أقيمت الحجة على أصحاب الخواتم الذهبية والضياع الفاخرة والأراضي الواسعة لعلمهم أن يوتوا أوراقهم من جديد على طريق الدعوة. وإذا كان أبو ذر قد لفت الأنظار إلى أراء بني أمية الذين يسلكون طريقاً يتخنون فيه دين الله دخلاً، فإن عبادة بن الصامت أعلن احتجاجه هو أيضاً على أصحاب هذه الدائرة ويعلمن لا طاعة لمن عصى الله. وكان عبادة يومئذ بالشام، وروي أن معلوية كتب إلى عثمان أن عبادة بن الصامت قد أفسد علي الشام وأهله فإما أم تكفف عني عبادة، وإما أن أخلي بينه وبين الشام، فكتب إليه عثمان: أن رحل عبادة حتى توجعه إلى دره بالمدينة، فبعث بعبادة حتى قدم إلى المدينة، فدخل على عثمان في الدار فالتقت إليه فقال: يا عبادة بن الصامت ما لنا وما لك، فقام عبادة بين ظهواني الناس فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول: سيلي أموركم بعدي رجال يعرفونكم ما تتكرون،

(1) الإمتاع والمؤانسة 128 / 2.

(2) ابن أبي الحديد 90 / 3 ، موج الذهب 377 / 2.

(3) البلاوي 5 / 54 ، اليعقوبي 2 / 150.

الصفحة 415

وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى الله<sup>(1)</sup>. وعلى عثمان كان أيضا اعتراض المقداد بن الأسود، روى مسلم

أن رجلا جعل يمدح عثمان، فعمد المقداد فجثا على ركبتيه وكان رجلا ضخما يحثوا في وجهه الحصباء فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا رأيت المداحين فاحثوا في وجوههم التواب<sup>(2)</sup>.

وهناك اعتراض آخر لجمع من الصحابة قالوا لأسامة بن زيد: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟. فقال: أترون أنني لا أكلمه إلا أسمعكم، والله لقد كلمته فيما بيني وبينه<sup>(3)</sup>. قال النووي: والمعنى أتظنون أنني لا أكلمه إلا وأنتم تسمعون.. وفي الحديث وعظ الأمراء سرا وتبليغهم ما يقول الناس فيهم ليكفوا عنه. وهذا كله إذا أمكن ذلك فإن لم يمكن الوعظ سرا والإنكار فليفعله علانية لئلا يضيع أصل الحق<sup>(4)</sup>. ولقد قام زيد بن صوحان بوعظ عثمان أبلغ موعظة قبل الطوفان فقال له: يا أمير المؤمنين ملت فمالت أمتك اعتدل تعتدل أمتك - ثلاث مرات<sup>(5)</sup>.

## 5 - الرد على الاحتجاج السلمي:

لقد خرج أبو ذر وعبادة والمقداد باعتراضهم عام 30 هـ ، وفي عام 33 هـ كان الحال كما هو عليه فالوليد بن عقبة ونديمه النصواني أبو زبيد كانا يشوبان الخمر، ويدخل عليهما نصرى بني تغلب ونصرى الحورة في دار الإمرة حيث كان الوليد يومئذ أمير عثمان على الكوفة. وروي أن الوليد عندما ذهب ليجلس على كرسي الإمرة قال له سعد بن أبي وقاص: والله ما رى أكسبت بعدنا أم

(1) رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات (الزوائد 227 / 5).

(2) رواه مسلم باب النهي عن الإفراط في المدح (الصحيح 128 / 18).

(3) رواه مسلم (الصحيح 118 / 18) ك الزهد باب عقوبة من يأمر بالمعروف.

(4) مسلم شرح النووي 118 / 18.

(5) الطبقات الكبرى 124 / 6.

الصفحة 416

حمقنا بعدك، فقال الوليد: لا تزعن أبا إسحاق فإنما هو الملك يتغذاه قوم ويتعشاه آخرون، قال سعد: أراكم والله ستجعلونها ملكا<sup>(1)</sup>، والوليد هو أخو عثمان لأمه<sup>(2)</sup>، ولا خلاف بين أهل العلم أن قوله تعالى: \* (إن جاءكم فاسق...)\* تولت في الوليد<sup>(3)</sup>

، وقصة صلواته بالناس الصبح لربعا وهو سكان مشهورة مخرجة، وقصة عزله بعد أن ثبت عليه شرب الخمر مشهورة أيضا مخرجة، في الصحيحين (4) . ونتيجة لما فعله الوليد احتج وجه أهل الكوفة وتوجهوا إلى عثمان وطالبوا بغزل الوليد ولكن عثمان ماطل. وروى البلازني:

أن عثمان ضوب بعض الشهود أسواطاً، فأثوا عليا فشكوا إليه، فأتى عثمان وقال: عطلت الحدود وضربت قوما شهود على أخيك فقلبت الحكم. وأخرج البلازني أيضا: وأتى بعض الشهود عائشة فأخبروها بما جرى بينهم وبين عثمان، وأن عثمان زوهم فنادت عائشة: إن عثمان أبطل الحدود وتوعد الشهود. وأخرج صاحب الأغاني: إن عثمان قال: أما يجد هراق أهل العراق وفساقهم ملجأ إلا بيت عائشة، فسمعت فوفعت نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: توكت سنة رسول الله صاحب هذا النعل. فتسامع الناس فجاءوا حتى ملأوا المسجد فمن قائل: احسنت، ومن قائل: ما للنساء ولهذا؟ حتى تحاصروا وتضربوا بالنعال. ولم يجد عثمان مفا أمام هذه الانتفاضة سوى أن يجمع بين الوليد وبين خصمائه ويرأى أن ينفذ عليه الحد.

وروي أن سعيد بن العاص جلس على كرسي الإمرة بعد الوليد، وما سعد منبر الكوفة حتى أمر به أن يغسل: فنأشده رجال من قريش كانوا قد خرجوا معه من بني أمية وقالوا: إن هذا قبيح والله لو أراد هذا غيرك لكان حقا أن تذب عنه يؤمره عار هذا أبدا، ولكن سعيدا أبا إلا أن يفعل فغسله (5). وإذا كان سعيد قد

(1) الإستيعاب 633 / 3.

(2) الإستيعاب 631 / 3.

(3) الإستيعاب 632 / 3، الإصابة 637 / 3.

(4) الإصابة 638 / 3.

(5) الطوي 88 / 5.

طهر المنبر نجد أنه عندما اختار من أهل الكوفة من يدخل عليه ويسمر عنده، قد فجر مشكلة فتحت بابا واسعا للاحتجاج. روى أنه تفاخر بالخواج وقال: " إنما هذا السواد بستان لقريش ". فهذه المقولة كانت بداية وقف الأشرع عندها. وقال له: أوعم أن السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيا فنا بستان لك ولقومك والله ما يزيد أوفاكم فيه نصيبا إلا أن يكون كأحدنا. وتكلم القوم مع الأشرع، وعندئذ قال قائد شوطه سعيد: أتودون على الأمير مقالته وأغلظ لهم... فقال سعيد: والله لا يسمر عنهم عندي أحد أبدا. ثم كتب سعيد إلى عثمان: إن رهطا من أهل الكوفة يؤلبون ويجتمعون على عيبك وعيبي والطعن في ديننا وقد خشيت إن ثبت أمرهم أن يكثروا (1).

وعلى هذه الوسالة بدأ عثمان ينتهج سياسة جديدة هي سياسة التسيير أي إبعاد الناس عن دليلهم إلى مكان آخر يمتاز بغلظة اليد. وكتب عثمان إلى سعيد أن سوهم إلى معاوية وكان معاوية يومئذ على الشام فسوهم وهم تسعة نفر إلى معاوية (2)

منهم: زيد بن صوحان وجندب بن كعب وفيهما ورد حديث يدين عهد عثمان. روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " جندب وما جندب وزيد الخير وما زيد الخير، أما أحدهما فيضوب ضوبة يفوق بين الحق والباطل، وأما الآخر فيسبغه عضو من أعضائه إلى الجنة ثم يتبعه سائر جسده <sup>(3)</sup> . وقال:

" من سوه أن ينظر إلى رجل سبقه بعض أعضائه إلى الجنة فلينظر إلى زيد بن صوحان " <sup>(4)</sup> .  
فأما جندب فواجه الوليد بن عقبة <sup>(5)</sup> وحكم عليه عثمان بالتسيير. وأما زيد

---

(1) الطبري 88 / 5.

(2) الطوي 88 / 5، البداية 165 / 7.

(3) رواه ابن عساكر وابن مندة وابن السكن (كنز العمال 669 / 11).

(4) رواه أبو يعلى وابن عدي والخطيب وابن عساكر (كنز 685 / 11)، وقال ابن كثير رواه البيهقي (البداية 214 / 6).

(5) هو الذي أخبر ابن مسعود وغيره بثوب الوليد للخمر وقاد المعارضة ضده (الطوي 17 / 2).

---

الصفحة 418

فهو الذي قال لعثمان: ملت فمالت أمتك اعتدل تعتدل أمتك <sup>(1)</sup> . ثم بايع بعد ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقتل

تحت رايته. ومنهم: كميل بن زياد قال صاحب الإصابة: أترك من الحياة النبوية ثمان عشرة سنة، شهد صفين مع علي، وكان شويفا مطاعا ثقة <sup>(2)</sup> . ومنهم: جندب بن زهير. قال في الإصابة:

أتى النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من قومه. قال للنبي صلى الله عليه وسلم:

إني لأرجع من عندك، فلم تقر عيني بمال ولا ولد حتى أرجع فأنظر إليك. وقيل كان جندب بن زهير إذا صلى أو صام أو تصدق رتاح لذلك، فتولت قوله تعالى: \* (من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا) \* . ومنهم: عمرو بن الحمق، قال في

الإصابة: روي عن ابن إسحاق ما يقتضي أن عمرو بن الحمق شهد بوا، وشهد مع علي حروبه كلها <sup>(4)</sup> . ومنهم: عروة بن

الجعد وهو الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم ليشقوي الشاة بدينار فاشقوى به شاتين، والحديث مشهور في البخاري <sup>(5)</sup> .

ومنهم: صعصعة بن صوحان قال في الإصابة: كان مسلما في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره. شهد صفين مع

علي وكان خطيبا فصيحاً. وقال الشعبي: كنت أتعلم منه الخطب <sup>(6)</sup> .

ومنهم: مالك بن عامر الأشتر، الذي شهد الصلاة على أبي ذر حين مات بالوبذة، وكان النبي قد أخبر أنه يشهد الصلاة

عليه عصابة من المؤمنين. وكان الأشتر قلب هجوم علي بن أبي طالب في صفين.

فولاء الصحابة الأجلاء <sup>(7)</sup> . فيهم من شهد بوا، وفيهم من كانت رؤية النبي أغلى من ماله وولده، وفيهم من أجمع العلماء

على أنه ثقة ومأمون

---

(1) الطبقات الكبرى 124 / 6.



(2) الإصابة 325 / 5.

(3) الإصابة 259 / 1.

(4) الإصابة 294 / 4.

(5) الإصابة 236 / 4.

(6) الإصابة 259 / 3.

(7) راجع أسماءهم في الطوي 90 / 5.

الصفحة 419

وخطيب، هؤلاء طردهم عثمان لأنهم تصدوا لمن هم من أمثال الوليد وسعيد ومعاوية إلى غير ذلك من نبلاء بني أمية. لقد سهرهم إلى الشام وهناك بدأ معاوية يعرفهم بتلخيخ آبائه بعد أن قطعت المسورة شوطا كبيرا على طريق اللارواية. فقال لهم: ... وقد عرفت قريش أن أبا سفيان كان أكرمها إلا ما جعل الله لنبيه صلى الله عليه وآله... وإني لأظن أن أبا سفيان لو ولد الناس لم يلد إلا حلما<sup>(1)</sup>. وفي سياق الأحداث يبدو أن معاوية كان يمهد الأمر لنفسه بهذه المقولة وكان يطمع في نشرها كما سيظهر فيما بعد. ولكن أحد المبعدين وهو صعصعة قال: قد ولد لهم خير من أبي سفيان من خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه<sup>(2)</sup>. وفي الليلة التالية جمعهم معاوية وقال لهم: أيها القوم ربوا علي خوا أو اسكتوا، وتفكروا وانظروا فيما ينفعكم وينفع أهليكم وينفع عشائركم وينفع جماعة المسلمين فاطلوه تعيشوا ونعش بكم<sup>(3)</sup>. وهنا لوح معاوية بالمال ولكن صعصعة قال: لست بأهل ذلك ولا كرامة لك إن تطاع في معصية الله. فأخوه معاوية بأنه يأمر بتقوى الله وطاعته وطاعة رسوله. فقال صعصعة: فأما نأمرك أن تعترل عملك فإن في المسلمين من هو أحق به منك. قال معاوية: من هو؟ فقال: من كان أبوه أحسن قدما من أبيك، وهو بنفسه أحسن قدما منك في الإسلام، قال معاوية: إن لي في الإسلام قدما، ولقد رأى عمر بن الخطاب ذلك، فلو كان غوي أقوى مني لم يكن لي عند عمر هودة، فقالوا: لست لذلك أهلا<sup>(4)</sup>. كتب معاوية إلى عثمان: فإنك بعثت إلي أقواما يتكلمون بالأسنة الشياطين، وما يملون عليهم ويأتون الناس زعموا من قبل الوآن فيشبهون على الناس، وليس كل الناس يعلم ما يريدون وإنما يريدون فرقة، فقد أفسدوا كثيرا من الناس من أهل الكوفة، ولست آمن إن قاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسحورهم

(1) الطبري 89 / 5، البداية والنهاية 165 / 7.

(2) الطوي 89 / 5، البداية 165 / 7.

(3) الطوي 89 / 5.

(4) الطوي 89 / 5.

الصفحة 420

وفجرهم فلردهم إلى مصوهم. فكتب إليه عثمان يأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردهم إليه<sup>(1)</sup>. وعندما

تحدثوا بالقآن خاف سعيد أن يغروا الناس بسوهم كما خاف معاوية من قبل فكتب إلى عثمان يضح منهم فكتب عثمان إليه أن يسوهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد أمير حمص (2).

لقد كانت البداية اعتراض على مقولة: " السواد بستان لقريش " تلك المقولة الظالمة التي عند نتیجتها أولى خوج أبو ذر الغفري وغوه. ولكن الدولة تعامت عن حركة الغليان في الجانب الآخر، وعلى كؤوس الوليد وشعر أبي زبيد والأفيشر وشواء الأدوة والخمور خوج جنذب ليضرب الشعوذة والدجل والسحر ويقاضي الوليد بل والنظام كله. ولكن النظام عاد ليقول: " السواد بستان لقريش " ولم يضع في حساباته أن الخروج السلمي لأبي ذر وعبادة والمقداد قد طوح ثقافة تحذر من بني أمية إذا بلغوا ثلاثين رجلا، ولهذا لم يكن غريبا أن نسمع وفد المبعدين وهم يطالبون باعتراف معاوية.

## 6 - البطانة السوء:

جاءت سياسة التسيير بعزيد من الصعوبات أمام دولة عثمان فبعد أن انقضى عام 33 هـ - 34 هـ بدأت الأمصار تضج من ظلم الولاية، فمصر تحت قيادة عبد الله بن أبي السوح أخو عثمان من الرضاعة. وكان عبد الله يكتب الوحي للنبي، ثم لرتد مشوكا، ويوم فتح مكة أمر النبي بقتله، ولو وجد تحت أستار الكعبة، ولكن عبد الله اختفى عند عثمان. وبعد أن هدأت الأمور في مكة جاء به عثمان ليستأمن له، ولكن النبي صمت طويلا، ثم قال: نعم. فلما انصرف عثمان قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن حوله: ما صمت إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه فقال رجل: فهلا أومأت إلي يا رسول الله، فقال: إن النبي لا

(1) الطبري 90 / 5.

(2) الطوي 90 / 5.



ينبغي أن تكون له خائنة الأعين <sup>(1)</sup> . وفي عهد عمر بن الخطاب وولاه عمر على صعيد مصر وفي عهد عثمان ضمت إليه مصر كلها بعد أن عزل عمرو بن العاص عنها. وأمره عثمان أن يغزو بلاد إفريقية، فإن فتحها فله خمس الخمس من الغنيمة، فسار إليها في عشرة آلاف فافتتحها وقتل خلقا كثيرا من أهلها <sup>(2)</sup> .

وعلى الرغم من أن خمس الخمس قد دخل جيبه إلا أنه فرض الضرائب على مصر حتى اشتكى أهلها. أما في الكوفة فقد اجتمع الناس وتذكروا أعمال عثمان وما صنع، واجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلا يكلمه، فأرسلوا إليه عامر بن قيس. فلما دخل عليه قال: إن ناسا من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك فوجدوك قد ركبت أمورا عظاما، فاتق الله عز وجل وتب إليه. فقال عثمان: أنظر إلى هذا!! تكلمني في المحقات، فوالله ما تروي أين الله. فقال عامر: بلى والله إنني لأروي إن الله بالموصاد لك <sup>(3)</sup> . وعقب هذا اللقاء أرسل عثمان إلى معاوية بن أبي سفيان وإلى عبد الله بن أبي السوح وإلى سعيد بن العباس وإلى عمرو بن العاص وإلى عبد الله بن عامر، فجمعهم ليشاورهم. فلما اجتمعوا عنده قال لهم: إن لكل امرئ وزراء ونصحاء، وإنكم وزرائي ونصحايتي وأهل ثقتي، وقد صنع الناس ما قدر أيتم، وطلبوا إلي أن أعزل عمالي، وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون، فاجتهدوا رأيكم وأشيروا علي <sup>(4)</sup> .

فماذا قال الذين تطالب الشعوب بغزلهم؟ قال عبد الله بن عامر: رأيي لك أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك وأن تجبرهم في المغزى حتى يذولوا لك، فلا يكون همة أحدهم إلا نفسه... <sup>(5)</sup> . فهذا الرأي جعل الجهاد سقفا له، وفي الميدان إما بقتل. وإما التصفية الجسدية، وأما الابقاء في ثغور العدو، أو

(1) راجع أبو داود حديث 2666، أسد الغابة 259 / 3، البداية والنهاية 152 / 7، الإصابة 317 / 2، الإستهيعاب 376 / 2.

(2) البداية والنهاية 152 / 7.

(3) الطوي 94 / 5، مروج الذهب 372 / 2.

(4) الطوي 94 / 5، مروج الذهب 372 / 2.

(5) الطوي 94 / 5، مروج الذهب 372 / 2.

الحبس في أرض العدو. وهذه أمور نهى عنها الشوع <sup>(1)</sup> . أما سعيد بن العاص فقال: إن لكل قوم قادة متى تهلك يتفوقوا ولا يجتمع لهم أمر. فقال عثمان: إن هذا الرأي! ولولا ما فيه <sup>(2)</sup> ! أما معاوية فقال: الوأي أن تأمر أمراء أجنادك فيكفيك كل رجل منهم ما قبله وأكفيك أنا أهل الشام <sup>(3)</sup> . لقد أراد معاوية أن تحوي في الأمصار بحور الدماء، ولم لا وهم في أيديهم المال والسلاح والجنود.

أما عبد الله ابن أبي السوح فقال: إن الناس أهل طمع فأعطيهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم <sup>(4)</sup> . وهذا الرأي يعني التلويح بالوغيث والوخوف لشواء الدين والنفوس. أما عمرو بن العاص فقال: إنك قد ركبت الناس بما يكرهون، فاعترم أن

تعتدل، فإن أبيت فاعتزم أن تعتول، فإن أبيت فاعتزم عزمًا وامضي قدما. فقال عثمان: ما لك قمل فورك. أهذا الجد منك. فسكت عمرو. وعندما تفوق القوم قال: يا أمير المؤمنين قد علمت أنه سيبلغ الناس قول كل رجل منا، فلدت أن يبلغهم قولي فينتوا بي فأفود إليك خوا أو أدفع عنك شوا (5).

إن هذا الاجتماع الذي رواه غير واحد من أصحاب التريخ. هو المقدمة الأولى التي قامت على عثمان فؤرات غرفة المشورة هذه أشعلت النوان لحسابها الخاص، وذلك بعد أن تمكن المال من نفوسهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا زال أمتي على الفطرة ما لم يتخنوا الأمانة مغنما والزكاة مغوما " (6). فأصحاب المشورة الذين شلورهم عثمان هم المقدمة الأولى لقيادة فاسدة الفطرة، لأن المال والجاه والتوف هو رأس الزاوية لتحركاتهم. وروي أن عثمان بعد هذا الاجتماع قرر أن يضيق الأواء على من قبلهم، وأن يجمروا الناس في البعوث، وعزم على تحريم أعطيائهم ليطيعوه ويحتاجوا

#### (1) لسان العرب مادة حجر.

(2) الطوي 94، 95 / 5، موج الذهب 372 / 2.

(3) الطوي 94، 95 / 5، موج الذهب 372 / 2.

(4) الطوي 94، 95 / 5، موج الذهب 372 / 2.

(5) الطوي 94، 95 / 5، موج الذهب 372 / 2.

(6) رواه الضياء (كنز العمال 62 / 3).

الصفحة 423

إليه (1). ولم يمض عام 34 هـ حتى كتب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعضهم إلى بعض: أن اقدموا فإن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد، وكثر الناس على عثمان ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد (2). وأمام هذه التحولات خطب عثمان في الناس: فقد والله عبتم علي بما أقرتم لابن الخطاب بمثله، ولكنه وطئكم ووجهه وضوبكم بيده وقمعكم بلسانه، فدنتم له ما أحببتم أو كرهتم، ولنت لكم وأوطأت لكم كتفي ولقفت يدي ولساني عنكم فاجزأتم علي، أما والله لأنا أعز نوا وأقرب ناصوا وأكثر عددا وأمن إن قلت هلم أتى إلي، ولقد أعددت لكم أوانكم وأفضلت عليكم فضولا وكثرت لكم عن نابي، فكفوا عليكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم، فإني قد كففت عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لوضيتم منه بدون منطقي هذا إلا فما تفقدون من حكمم والله ما قصوت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي، ومن لم تكونوا تختلفون عليه (3).

فأمام الؤحف الساخط على الأواء، كشر عثمان عن نابه وأمر بالكف عن الطعن على الولاة، وأخبر أن عمر بن الخطاب كان يطوهم ووجهه ويضوبهم بيده ويؤعهم بلسانه، وعثمان لا يختلف عن عمر لأن عثمان يمسك بذيل عمر في كيفية تولية الأواء وتوزيع المال. وإذا كانت الثرة قد جاءت لأن عثمان قد لان لهم وكف يده عنهم، فلا، لأنه أعز نوا وأقرب ناصوا وأكثر عددا. فهذا مجمل خطاب عثمان أثناء العاصفة. وتوتب على ذلك أن أهل الكوفة خرجوا على أمرهم سعيد بن العاص بالسلاح ورووه إلى عثمان وقالوا: لا والله لا يلي علينا حكما ما حملنا سيوفنا (4). ولم تجدي أنياب الدولة أمام هذا الموقف

شيئاً، وبعث عثمان بأبي موسى أموا عليهم فأقروه (5).

(1) الطبري 95 / 5.

(2) الطوي 96 / 5.

(3) الطوي 97 / 5، البداية والنهاية 169 / 7.

(4) الطوي 95، 96 / 5.

(5) الطوي 95، 96 / 5.

الصفحة 424

## 7 - العاصفة والبحث عن الذات:

وجاء عام 35 هـ ، وهو العام الذي سقط في سلته ما ترتب على قرأت صدرت خلال ما يقرب من ربع قرن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

وأقصد بذلك قرار إبعاد علي بن أبي طالب عن مركز القيادة، وقرار التضييق على رواية الحديث ثم منعها بعد ذلك، وقرار القص في المساجد، وقرار إلغاء سهم المؤلفة قلوبهم، وقرار إنشاء الخراج الذي استفاد منه طبقة على حساب الذين فتحوا الأرض عنوة، وقرار تعيين المنافقين. وجميع هذه القرارات وردت فيها أحاديث صحيحة، ورواها أصحاب التلخيص وتقبلها العلماء وأرسلوها لرسال المسلمين، ولا يمكن الطعن فيها بأي حال من الأحوال.

وذلك لأن الحديث وحركة التلخيص فضلاً عن آيات القرآن الكريم، جميع ذلك لا يلتفت إلى أي اعتراض لأنه سيكون اعتراض قرائمه في ديار الأهواء، والذي دفعني لكي أقول ذلك أنه خلال عام 35 هـ ظهر عند بعض أصحاب التلخيص شخصية اعتبروا أنها السبب الرئيسي في البلاء الذي حط على رحلة المسلمين، وهذه الشخصية هي " عبد الله بن سبأ " أو " ابن السوداء "، وأغلب الظن أن الذين اختاروا هذه الشخصية رأوا بها قطع طريق البحث العلمي حتى لا يصل إلى الأسباب الحقيقية التي دفعت بالأمة إلى عالم الاختلاف والافتراق واتباع سنن الذين من قبلهم. والذي ساعد على دق عمود هذه الشخصية في تلخيص المسلمين هو القص الذي اتبع سياسة بث الإسرائيليات والخرافات، في وقت كان العديد يتقبل هذه الإذاعات بالتسليم التام، نظراً لعدم وجود سياسة لرواية الحديث عن رسول الله.

ومن العجيب أن القاص، وهو يعرض شخصية عبد الله بن سبأ، أخبر بأنه لم يستطع أن يمزق وحدة المسلمين في الشام!! ولازم ذلك أن الشام عليها أمير فقيه في دين الله مهتم بأمة محمد ووحدتها. ومن الثابت والذي لا خلاف عليه أن القص كان وجبة أساسية على امتداد العهد الأموي، وتحت ظلاله سوا أمير المؤمنين علي. في البيوت والحرات والبريات وفي المساجد.

وعدم اختراق ابن سبأ للشام جاء عند الطوي على النحو التالي: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من

الصفحة 425

أهل صنعاء أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثم الكوفة ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد أحد من أهل الشام، فأخبره حتى أتى مصر فاعتمر فيهم<sup>(1)</sup> .  
ولا نوري إذا كان ابن سبأ معروف لأهل الشام حتى أنهم أخبروه. فلماذا لم يقتله معاوية وهو الذي قتل حجر بن عدي بعد ذلك تحت دعوى أنه خطر على النظام. أو لماذا لم يسوه إلى عثمان وهو الذي كتب إليه من قبل أن أهل الكوفة يتحدثون بألسنة الشياطين وأنه غير آمن إن قاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسوهم وفجورهم؟! وإذا فوضنا أنه لم يستطع القبض عليه لهروب، فلماذا لم يقبض عليه أي أمير من أمراء الدولة، وهم أصحاب العيون المفتوحة على كل ما يهدد أمنهم؟ ولماذا لم يظهر ابن سبأ يوم قتل عثمان ضمن المجموعة التي اغتالته. وإذا كان كلها لعثمان لماذا لم نسمع له اسماً في معرك علي بن أبي طالب كلها. ثم لماذا لم يبحث عنه معاوية يوم أن جلس على رقبة الأمة، وهو الذي كان يبحث عن المعرضين تحت كل حجر، وأتى بعمر بن الحمق وقطع رأسه وأهداها إلى زوجة عمرو، فكان أول رأس أهدى في الإسلام؟

ونحن إذا نظرنا في العمود الفقري للدعوة التي قام بها عبد الله بن سبأ نرى العجب، جاء في تزيخ الطوي: قال ابن سبأ لهم: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد. وقال: محمد خاتم النبيين، وعلي خاتم الأوصياء. وقال: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ووثب على وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتناول أمر الأمة. وقال: إن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله، فانهضوا في هذا الأمر فركوه وأبوا الطعن على أوائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(2)</sup> . هذه دعوة الشخصية الخافية المنبوذة جعلوها على لسانه لتكون دعوة خافية منبوذة، أو في عالمهم وعصومهم وهما الناس وقفا لسياسة

(1) الطبري 98 / 5.

(2) الطوي 98 / 5.

الصفحة 426

النص. أن ابن سبأ شخصية حقيقية، ثم على لسانه وضعوا ما يعتبرونه شذوذاً كي يرفضه الناس، وفي صلب الدعوة نجد أنهم وضعوا وتدا مهما هو أن الطعن على الأرواء جريمة من فعلها يكون قد اقتفى أثر ابن سبأ اليهودي، وليس من الصدقة أن نرى هذا الكم من الأحاديث الموضوعة التي تحض على طاعة الأرواء. ثم نجد وتدا لا يستحق النقاش هو أنهم جعلوا موقع علي بن أبي طالب من الرسول صلى الله عليه وسلم في دائرة الشذوذ، ليفسوا الطويق أمام أوائهم.  
ويكفي في هذا المقام أن نقول بأن الله خيب سعيهم، لأن وضع الحقيقة في دائرة الخوافة على عهدهم دليل على أن الله طائفة لا يظوهم من خالفهم أو نواهم أو خذلهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا زال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يظوهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك " <sup>(1)</sup> .

وفي رواية: " لا زال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يظوهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس " <sup>(2)</sup> . وفي رواية: " لا زال طائفة من أمتي ظاهرين على من نواهم حتى يأتي أمر الله تبرك وتعالى ويقول عيسى

ابن مريم " (3) وعلى ذلك فإنهم ما وضعوا الحقيقة في دائرة الخرافة إلا عندما أحسوا بوقوع أقدم هذه الطائفة فلأولئك أن يغولوا عن الناس بفعلهم هذا.

إن طائفة الحق ظاهرة في عالم اللارواية، ولن يعتمد عليها القصة، لأن الله قضى ذلك، وطائفة الحق ظاهرة مهما كانت قوة من نواهم أو خذلهم أو خالفهم. قد تكون الطائفة على الأرض تحت الظلال وقد يكون من نواهم فوق السحاب وتحت الشمس، ولكن الظهور لها لأن الله أراد ذلك. وليس معنى أن الطائفة ليس لها مكان على الأرض إنها غير موجودة. فعيسى بن مريم لم يمتلك شوا واحدا من الأرض ولكن وجوده على الأرض أظهر، وهكذا شاء الله. والخلاصة:

أن ابن سبأ شخصية يسأل عنها القائمين على سياسة القصة، فهو شخصية خرافية، جعلوا على لسانه حقائق وخرافات أراد إعلام النبلاء أن يبثها على

(1) رواه الإمام مسلم (الصحيح 65 / 13) ك الجهاد.

(2) رواه مسلم (الصحيح 67 / 13) ك الجهاد.

(3) رواه أحمد والحاكم وأبو دلوود (الفتح الرباني 210 / 23).

الصفحة 427

الأسماع، رغبة منه في إيجاد رأي عام يؤيد ما رواه السياسة حقيقة أو خرافة. ولقد قال غير واحد من الباحثين إن شخصية ابن سبأ لا وجود لها في التاريخ (1). ولم يذكر ابن سبأ في العديد من الكتب التي سبقت تاريخ الطوي ومنها كتاب مروج الذهب للمسعودي.

ومما سبق نعلم أن الساحة كان بها أكثر من تيار ضد عثمان. فتيار كان يعمل من أجل تغيير الأواء في الأمصار، وتيار كان يرى أن عثمان مسؤول مسؤولية مباشرة عن سياسة الأواء، ونقموا منها أشياء منها: رجاءه للحكم بن أبي العاص الذي لعنه رسول الله ونفاه وغير ذلك، وهذا التيار كان يريد خلع عثمان ليتولى السلطة أحد غيره. وكان هناك تيار يريد أن يعود إلى الأمر الأول الذي في دائرته علي بن أبي طالب، وذلك بعد أن فشلت أطروحة الاجتهاد والرأي في قيادة الأمة، وخلفت وراءها أواء النفاق والفتن وطبقات من النبلاء، وأخرى من المحرومين، ومونيات من الشعر والقصة. وهذا التيار حكما بوجوده وفقا لأطروحة ابن سبأ فلو لم يكن له وجود ما اختاروا له شخصية ابن سبأ، وبالأخص أننا لم نقرأ نصا واحدا ينادي بعلي بن أبي طالب حول بيت عثمان يوم حصله. والذي قأناه أن هناك من كان ينادي بطلحة، وليس معنى عدم وجود أصوات لعلي ومؤيدين له يصوخون ويولولون حول بيت عثمان أن عليا كان وحده، وكفي علي أن يكون معه عمار، وأبو أيوب الأنصاري، وحذيفة، وأبو قتادة، وبريدة، وزيد بن رقيم، وعموان بن حصين، والواء بن عذبة، وزيد بن صوحان، وغير هؤلاء رضي الله عنهم أجمعين، وروي أن الصحابة أشاروا على عثمان بأن يرسل من يثور به إلى الأمصار كي يتبين حقيقة الأمور، فأخذ عثمان بهذه المشورة وبعث رجالا إلى الأمصار كي يفتقروا على حقيقة الإذاعة ضده وموقف الأواء من الوعية. وعندما علموا أخبروه بعدم وجود إذاعة ضده إلا أن الأواء يظلمون الناس، فبعث عثمان إلى عمال الأمصار، معاوية، وابن عامر، وابن أبي

وعمرأ، وعندما قدموا عليه قال: ويحكم ما هذه الشكاية وما هذه الإذاعة، إني والله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم وما يعصب هذا إلا بي (1).

ومن العجيب أنهم أصروا على وجود إذاعة ضده، على الرغم من أن الذين بعث بهم عثمان إلى الأمصار نفوا ذلك. وعندما أخرجهم عثمان بما انتهى إليه قالوا: لا والله ما صدقوا ولا بروا، وإن ما نقل إليك لا يحل الأخذ به ولا الانتهاء إليه، ثم أكلوا الإذاعة ضده. فقال سعيد بن العاص: هذا أمر مصفوع يصنع في السر فيلقى به غير ذي معرفة، فيخبر به فيتحدث به في مجالسهم. قال عثمان: فما نواء ذلك؟ قال: طلب هؤلاء القوم ثم قتل هؤلاء الذين يخرجهم هذا من عندهم (2). لقد أراد أن يلقي بزيد من الزيت على النار، وأشار كل واحد منهم بمشورة لا تستقيم مع كون الأمة أمة واحدة، وقال عثمان: كل ما أشترتم به علي قد سمعت ولكل أمر باب يؤتى منه (3). وبعد هذا اللقاء حدث أمر هام يلقي بظلاله على المسورة بعد ذلك، فلقد روي أن عثمان بعد هذا اللقاء خرج وكان يسير خلفه كعب الأحبار، ولا نوي ما هو نور كعب في هذا اللقاء الذي كان قريباً منه، ولكن الذي نعلمه أن كعباً كان بعد فتح بيت المقدس يقيم بالشام عند معاوية، وكان كثير الانتقال بين الشام وبين المدينة، وأن معاوية أمره بالقص في المساجد بالشام، ثم اتخذه مستشيراً له وكان يعده من العلماء، روي بعد خروج عثمان رجز الحادي:

قد علمت ضوامر المطي \* وضورات عوج القسي

أن الأمير بعده علي \* وفي الزبير خلف رضي

فقال كعب وهو يسير خلف عثمان. الأمير والله بعده صاحب البلغة وأشار إلى معاوية، وروي أن كعباً قال عندما سمع

الشعر: كذبت صاحب الشهباء بعده - يعني معاوية - وعندما أخبر معاوية بما قاله كعب سأله، فقال كعب: نعم

(1) الطبري 99 / 5.

(2) الطوي 99 / 5.

(3) الطوي 100 / 5.

أنت الأمير بعده، ولكنها لا تصل إليك حتى تكذب بحديثي هذا، فوقعت في نفس معاوية. وفي رواية: مازال معاوية يطعم فيها بعد مقدمة على عثمان حين جمعهم ثم لتحل فحدا به الواجز:

(1) أيها الأمير بعده علي \* وفي الزبير خلف رضي

ماذا يستفاد من ذلك؟ لقد قال كعب لعمر من قبل أن أوصافه مذكورة في التوراة، فهل أخبر معاوية بأن له أوصاف ظاهرة



في كتب الأولين؟ وأن أهم هذه الأوصاف أنه سيُلي أمر هذه الأمة، ولن يلي هذا الأمر حتى يكذب بهذا الخبر، نظراً لتواضعه وحيؤه وملكات نفسه التي شُبعَت من غذاء الروح، فهي لا تجوع أبداً ولا تطلب شبعاً من قيادة أو غيرها! وهل أراد كعب أن يخرج معاوية بأقصى سعة من دائرة التكذيب بحديثه إلى دائرة الاضوار إلى نيل الخلافة؟ لقد قال معاوية للوفد الذي سوره عثمان إليه حين طالوه باعزّال السلطة: والله إن لي في الإسلام قدماً، ولغوي كان أحسن قدماً مني، ولكنه ليس في زمانني أحد أقوى على ما أنا فيه مني<sup>(2)</sup>. أليس في هذا ما أراد كعب؟ ففي فتوة ما كان معاوية أن يعتقد أن هناك من أحسن منه، وهذا الاعتقاد جعله لا يسوع في الأمر لأنه لو أسوع لكذبتة نفسه في بلوغ الهدف، ثم جاءت مرحلة الاضوار حيث ليس في زمامه أحد أقوى على ما هو فيه منه.

ثم يحق للباحث أن يتساءل، لقد كان كعب الأبحار قريباً من عمر. وروي أن عمر قال لأصحاب الشورى: إن اختلفتم دخل عليكم معاوية بن أبي سفيان من الشام<sup>(3)</sup>. فهل كان في هذا إغواء لمعاوية بالخلافة يكون مدخلاً لما قاله كعب بعد ذلك؟ ثم لقد روي أن عمر قال: "يا أهل الشام استعنوا لأهل العواق"<sup>(4)</sup> فهل في هذا إغواء آخر لداد بويقه في عهد عثمان حيث كانت

(1) الطبري 100 / 5.

(2) الطوي 109 / 5.

(3) الطبقات الكبرى 735 / 5.

(4) ابن سعد في الدلائل (كنز العمال 354 / 12).

المعلضة في العواق قد بلغت النروة؟ والباحث يمكن أن يرى بسهولة أن الاغواء قد تمكن من نفس معاوية، وذلك من خلال أقواله وأفعاله بعد أن أخوه كعب الأبحار بأن الأمر إليه بعد عثمان، فقبل أن يتوجه معاوية إلى الشام، خرج من عند عثمان وعليه ثياب السفر متقلداً سيفه متنكباً قوسه، فإذا هن بنفر من المهاجرين فيهم طلحة والزبير وعلي، وهم الذين جاء ذكروهم في رجز الحادي بخصوص الخلافة بعد عثمان، فقام معاوية عليهم فتوكأ على قوسه بعدما سلم عليهم ثم قال: إنكم قد علمتم أن هذا الأمر كان إذا الناس يتغالبن إلى رجال، فلم يكن منكم أحد إلا وفي فصيلته من رأسه ويستبد عليه ويقطع الأمر لونه ولا يشهده ولا يؤامره، حتى بعث الله نبيه، فكانوا وأسون من جاء من بعده وأمرهم شورى بينهم يتفاضلون بالسابقة والقدمة والاجتهاد. فإن أخذوا بذلك وقاموا عليه كان الأمر أمرهم والناس تبع لهم، وإن أصغوا إلى الدنيا وطلوها بالتغالل سلوا ذلك ورده الله إلى ما كان وأسهم، وإلا فليحزنوا الغير فإن الله على البذل قادر وله المشيئة في ملكه وأمره، إنني خلفت فيكم شيخاً فاستوصوا به خيراً وكانفوه تكفوتوا أسعد منه حالاً". ثم ودعهم فقال علي: ما كنت رى في هذا خيراً<sup>(1)</sup>.

أهم أعمدة هذا الخطاب أراد معاوية أن يذكرهم بأنه قبل الإسلام كانت القيادة في قوئش إلى رجال<sup>(2)</sup>، وأنهم كانوا يرجعون أمرهم إلى هؤلاء الرجال الذين كانوا يستنبون عليهم ويقطعون الأمور، دون أن يشلوروا غوهم. وعندما جاء الإسلام جعل الأمر شورى والتفاضل بالسابقة والاجتهاد، فإن أخذوا بذلك كان الأمر لهم والناس تبع لهم، وأن أبا خلاف ذلك

رد الله القيادة إلى من كان وأسهم قبل الإسلام. ثم حوهم الغير هذا، لأن الله على البذل قادر، فالبذل إذا جاء جاء بأمر الله، فسبحانه له المشيئة في ملكه وأمره. ولم ينس معاوية أن يضع بينه وبينهم شيئا، ثم أوصاهم به، لأن هذا الشيخ ربما يكون طريقا إلى البذل إذا حدث له أي مكروه.

(1) الطبري 101 / 5.

(2) ومنهم أبو سفيان وكان معاوية قد قال للوفد الذي سوره إليه عثمان، وقد عرفت قريش أن أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها (الطوي 89 / 5).

الصفحة 431

هكذا تحدث معاوية بعد إذاعة كعب، ولذا قال الإمام علي: ما كنت رى أن في هذا خوا. وروي أن معاوية قال لعثمان: انطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قبل لك به، فإن أهل الشام على الأمر لم زالوا (1). ومعنى هذا أن يكون اسم الخلافة بالشام فتكون من معاوية ومعاوية منها. ولكن عثمان لم يوافق على ذلك فقال معاوية: والله يا أمير المؤمنين لتغتالن أو لتغرين (2).

وانطلق معاوية إلى الشام وهو يبحث عن ذاته وسط العاصفة، مستوجعا وصية أمه له حين ولاه عمر.

## 8 - من الذي قتل عثمان؟

إن عثمان قتل في نهاية طريق. كانت بدايته ربما بلا عواصف وغالبا لا يرى الإنسان إلا بداية الطريق أو وسطه أما نهاية الطريق فلا ترى إلا بعد أن يجيء. وفي نهاية الطريق كانت هناك عواصف عاتبة. لقد فتحت الدولة أبوابها للمنافقين أصحاب السواعد القوية. ومن نفس الباب جاء عثمان بعبد الله بن أبي السوح الذي أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه. ليحمله واليا على مصر بعد أن جعله عمر أموا على الصعيد. كما جاء عثمان بالوليد بن عقبة وجعله واليا على الكوفة بعد أن جعله عمر أموا على بني تغلب. ثم أحضر الحكم بن أبي العاص طويديرسول الله وأعطاه من غنائم المسلمين. واتخذ مروان ابنه مستشرا له ومروان في البداية هو مفتاح قتل عثمان وفي النهاية هو الذي شق عصا المسلمين بلا شبهة. ولم يكتف عثمان بذلك قبل فتح أبواب بيت المال لنبلأ بني أمية والطبقة الممزة من قريش. وعندما قامت عليه الثورة وجد أمامه وحده كل هذه الأخطاء وطالبوه وحده بالتوبة، وروى الطوي أن المصريين عندما قدموا عليه قالوا له: أدع بالمصحف؟ فدعا بالمصحف فقالوا له: إفتح السورة السابعة وكانوا يسمون سورة يونس السابعة. ثم أمره أن يقرأ. حتى أتى على

(1) الطبري 101 / 5، البداية والنهاية 169 / 5.

(2) الطوي 101 / 5، البداية والنهاية 169 / 5.

الصفحة 432

قوله تعالى: (قل رأيتم ما أتول الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون) (1) فقالوا

له: قف. رأيت ما حميت من الحمى الله أذن لك أم على الله تقوي؟ قال: وأما الحمى فإن عمر حمى الحمى قبلي لا بل الصدقة. فلما وليت زادت إبل الصدقة فودت في الحمى لما ناد في إبل الصدقة... ثم أخوه بأشياء لم يكن عنده منها مخرج فعرّفها فقال: أستغفر الله وأتوب إليه ما تريدون؟ قالوا: نريد ألا يأخذ أهل المدينة عطاء. فإنما هذا المال لمن قاتل عليه ولؤلؤ الشيوخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) فوضي عثمان بذلك وأخذ عليهم ألا يشقوا عصا ولا يفوقوا جماعة ما قام لهم بشروطهم .

ويا ليت الأمر سار على هذا. ولكن بني أمية مكروا مكروهم روى الطوي: لما قدمت إبل الصدقة على عثمان بعد ذلك وهبها لبعض بني الحكم بن أبي العاص.

(3) فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فأخذها وقسمها في الناس وعثمان في الدار .

والأكبر من ذلك أن المصريين عندما تصالحو مع عثمان على أن لا يشقوا عصا ما قام بشروطهم. فوجئوا في طريقهم بأبي الأعر السلمي الذي لعنه رسول الله يحمل رسالة إلى ابن أبي السرح الذي أهدر النبي دمه. وفيها يأمره عثمان بصلبهم أو قتلهم أو قطع أيديهم ورؤسهم من خلاف. وعلى الرسالة خاتم عثمان: ولقد أنكر عثمان ذلك ومن سير الأحداث تبين أن الذي وراء هذه الرسالة هو مروان بن الحكم بن أبي العاص الذي لعنه النبي صلى الله عليه وسلم وهو في صلب أبيه.

إن الذي قتل عثمان سياسة سهرت عليها بطانة سوء من أمثال معاوية وعمرو مروان وابن أبي السرح وغيرهم، وما تصدى لعثمان إلا الصحابة وأبناء الصحابة، وليس من الحقيقة في شئ أن يقال: إن الذين ألوا وساعوا وقتلوا

(1) سورة يونس: الآية 59.

(2) الطوي 107 / 5.

(3) الطوي 114 / 5.

الصفحة 433

عثمان هم مجموعة من أتباع عبد الله بن سبأ أشهر شخصية خرافية في تليخ المسلمين، أو إنهم مجموعة من الرعا

والدهماء والعامّة، فالذين قاموا بهذا مجموعة من الصحابة منهم على سبيل المثال:

● معاوية بن أبي سفيان: لقد كان له حلمه الخاص. وعندما واجهت عثمان المخاطر. كتب إلى معاوية: أما بعد، فإن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة فابعث إلي من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول. وعندما جاء معاوية الكتاب وعلم

اجتماع الصحابة على عثمان!

تباطئ (1) ، وعندما علم عثمان إبطاء معاوية. تعداه وكتب إلى أهل الشام يستتوهم ويعظم حقه عليهم. وقال لهم: فإن كان

عندكم غياث فالعجل العجل فإن القوم معاجلي. فلما قوى كتابه عليهم قام يزيد بن أسد القسوي وحضهم على نصوه وأمرهم

بالمسير إليه حتى إذا كانوا بوادي القوي بلغهم قتل عثمان فوجوا (2) ولقد جرى كل هذا ومعاوية بعيد كل البعد ولا يشغله إلا

ما أخوه به كعب.

● ومنهم السيدة عائشة أم المؤمنين. لقد كانت رضي الله عنها أول من كفر عثمان. وذلك حين علمت أن الوقت ليس في صالحه وأن الثورات التي تتوالى عليه ستهلكه لا محالة. روي أنها قالت عندما عطل عثمان الحد عن الوليد بن عقبة وضوب الشهود الذين شهروا عليه بأنه ينادم أبا زبيد ويشوب معه الخمر قالت: " اقتلوا نعتلا فقد كفر " (2) ، قال في لسان العرب: النعتل الشيخ الأحمق وكان أعداء عثمان يسمونه نعتلا. وفي حديث عائشة: " اقتلوا نعتلا.

قتل الله نعتلا... " تعني عثمان وكان هذا منها لما غاضبته وذهبت إلى مكة (4) أي: قولها الذي نكوه صاحب لسان العرب كان عند الثورة الأخوة عليه. وما

---

(1) الطبري 115 / 5.

(2) الطوي 116 / 5.

(3) النهاية لابن الأثير 5 / 80 ، تزيخ أعثم ص 155 ، شوح النهج 77 / 4.

(4) لسان العرب مادة نعتل ص 4470.

---

الصفحة 434

ذكوناه نحن كان في الثورة الأولى عليه يوم الوليد بن عقبة. وروي أن مروان بن الحكم وزيد بن ثابت قدما إلى أم المؤمنين وهي تريد الحج وعثمان محصور فقالا لها: يا أم المؤمنين. لو أقمت فإن أمير المؤمنين على ما توين محصور ومقامك مما يدفع الله به عنه. فقالت: قد حلبت ظهري وعريت غوازي ولست أقدر على المقام فقال مروان:

وحرق قيس على البلاد \* حتى إذا استوت أجداما

فقالت: أيها المتمثل علي بالأشعار. وددت والله أنك وصاحبك هذا الذي يعينك أموه. في رجل كل واحد منكمارحا وإنكما في البحر. وخرجت أم المؤمنين إلى مكة (1).

● ومنهم: طلحة بن عبيد الله. روى الإمام أحمد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: شهدت عثمان يوم حوصر. فأيت عثمان أشوق من الخوخة فقال: أيها الناس أفيكم طلحة. فسكتوا - فكرر ما ثلاثا - فقام طلحة. فقال له عثمان: ألا أراك هنا، ما كنت رى أن تكون في جماعة تسمع ندائي آخر ثلاث موات ثم لا تجيبني (2) ، وفي رواية: قال طلحة: نعم؟ فقال عثمان: فإننا لله وإنا إليه راجعون، أسلم على قوم أنت فيهم فلا تودن. فقال: قدرددت قال: ما هكذا الود أسمعك ولا تسمعني يا طلحة (3) وكان عثمان يقول: اللهم اكفني طلحة فإنه حمل علي هؤلاء (4)

. وروى ابن أبي الحديث: أن طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعا بثوب استتر به عن أعين الناس وكان يرمي الدار بالسهم (5) . وروى الطوي: أنهم عندما قتلوا عثمان خرج سودان بن حوران يقول: أين طلحة بن

---

(1) الطبقات الكبرى 37 / 5.

(2) رواه أحمد وروى النسائي بعضه (الفتح 112 / 23).

(3) رواه أحمد ورجاله ثقات (الفتح 112 / 23).

(1) . ومن العجب العجاب أن أم المؤمنين عائشة وطلحة ومن معهما خرجوا على إمام المتقين عبيد الله قد قتلنا ابن عفان .  
 علي بن أبي طالب يطالبون بالثأر لعثمان . وروى الحاكم عن علقمة بن وقاص قال : رأيت طلحة وأحب المجالس إليه أخلاها وهو ضرب بلحيته على زوره فقلت له : يا أبا محمد إنني أراك وأحب المجالس إليك أخلاها وأنت ضرب بلحيتك على زورك إن كنت تكوه هذا الأمر فدعه . فليس يكوهك عليه أحد فقال : يا علقمة بن وقاص . لا تلمني كنا أمس يدا واحدة على من سوانا فأصبحنا اليوم جبلين من حديد يزحف أحدهما على صاحبه ولكنه كان مني في أمر عثمان ما لا أرى كفلته إلا أن يسفك دمي في طلبه " (2) ، وكان بنو أمية يعلمون أن طلحة له نصيب كبير في قتل عثمان .  
 لذا نجد مروان يجد في قتل طلحة يوم الجمل . وعندما ظفر به وقتله قال : والله لا أطلب قاتل عثمان بعدك (3) وكان عبد الملك بن مروان يقول : أخروني أمير المؤمنين مروان أنه هو الذي قتل طلحة . ولولا ذلك ما تركت من ولد طلحة أحدا إلا قتلته (4) بعثمان .

ومنهم عمرو بن العاص . كان مستشورا لعثمان وعندما عزل عثمان عن مصر انقلب على عثمان . وظلت مصر هي شاغلة الأول والأخير على امتداد حياته . قال في أسد الغابة : لما استعمل عثمان عبد الله بن أبي السوح على مصر وغزل عنها عمرو بن العاص . جعل عمرو يطعن على عثمان ويؤلب عليه ويسعى في إفساد أمره (5) وانتقل عمرو إلى المدينة وفي نفسه من عثمان أمر عظيم وشر كبير فكلمه فيما كان من أمره . وتقولا في ذلك وافتخر عمرو بأبيه على عثمان وأنه كان أعز منه ، وجعل عمرو يؤلب الناس على عثمان (6) ، وروى الطوي :

لما قدم عمرو المدينة جعل يطعن على عثمان . فرسل إليه عثمان وقال له : يا ابن

النابعة ما أسوع ما قمل جربان جبئك إنما عهدك بالعمل عاما أول . أنتطن علي وتأتيني بوجه وتذهب عني بآخر والله لولا أكلة ما فعلت ذلك ... لقد استعملتك على ظلعك وكثرة القالة فيك . فقال عمرو : قد كنت عاملا لعمر بن الخطاب ففلقني وهو

عني راض<sup>(1)</sup> ، وعندما اجتمع الناس على عثمان ناداه عمرو بن العاص من ناحية المسجد: اتق الله يا عثمان فإنك قد ركبت نهايوا وركبناها معك فتب إلى الله نتب. فناده عثمان: وإنك هناك يا ابن النابغة تملت جبتك منذ تركتك من العمل. فناده الناس من ناحية أخرى: يا عثمان تب إلى الله وأظهر التوبة يكف الناس عنك<sup>(2)</sup> وروى الطوي: أن عمروا كان يعترض الحاج فيخروهم بما أحدث عثمان<sup>(3)</sup> ، وعندما خرج عمرو إلى متوله بفلسطين مر به راكب فناده عمرو وقال: ما فعل الرجل؟ يعني عثمان. قال: قتل، فقال عمرو:

أنا أبو عبد الله إذا حككت قوحة نكأنها إن كنت لأحرصن عليه حتى أني لأحرصن عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل ، ومن العجب العجاب أن ابن النابغة بعد ذلك يهرول في إتجاه معاوية ويبيكي عثمان المظلوم ويشرك معاوية في قتال إمام المتقين علي بن أبي طالب نظير أن يعطيه معاوية مصر طعمة.

ومنهج مروان بن الحكم. طوي رسول الله صلى الله عليه وسلم. لقد كانت مهمة مروان تصعيد العنف على عثمان، وعندما قتل عثمان تاجر مروان بدم عثمان شأنه في ذلك كشأن جميع أصحاب المصالح من النبلاء وتجار الأديان.

روي أن عثمان عندما تصالح من الثوار أول مرة ورجع الثوار إلى مصوهم. خرج وخطب في الناس فوق الناس له يومئذ وبكى من بكى. وعندما عاد إلى متوله وجد مروان وسعيد بن العاص ونوا من بني أمية فقال مروان: تكلم وأعلم الناس أن أهل مصر قدرجوا وأن ما بلغهم عن إمامهم كان باطلا. فإن خطبتك تسير في البلاد قبل أن يتحلب الناس عليك من أمصلهم فيأتيك من

(1) الطبري 108 / 5.

(2) الطوي 111 / 5.

(3) الطوي 108 / 5.

(4) الطوي 109 / 5، الكامل 82 / 3.

الصفحة 437

(1) لا تستطيع دفعه. ولم يزل به مروان حتى خرج وقال بما أشار به مروان .

فهاج الناس عليه. وعندما تدخل علي بن أبي طالب لتهدئة الناس استمع الناس إليه. ليتكرر المشهد مرة أخرى مع ثوار آخرين. وعندما اجتمع الناس على باب عثمان قال عثمان لمروان: اخرج إليهم فكلهمم. فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضا فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جنتم لنهب. شامت الوجه كل إنسان أخذ بأذن صاحبه إلا من ريد. جنتم تريدون أن تزوعوا ملكنا من أيدينا. أخرجوا عنا. أما والله لئن رتمتمونا ليعرن عليكم منا أمر لا يسوكم ولا تحموا. غبرأيكم رجوا إلى منزلكم فإننا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا، وعندما سمعت نائلة امرأة عثمان ذلك قالت لعثمان: إنك إن أطعت مروان قتلك<sup>(2)</sup> . وعندما توجه وجهه الناس إلى دار عثمان لتهدئة الخواطر خرج مروان وقال: شامت الوجه إلا من ريد. رجوا إلى منزلكم فإن يكن لأمير المؤمنين حاجة بأحد منكم يرسل إليه. وإلا قر في بيته<sup>(3)</sup> وسمع علي بما قاله

مروان وعندما جاءه رسول عثمان يبلغه أن يأتي عثمان. قال علي بصوت مرتفع عال مغضب: قل له ما أنا بداخل عليك ولا عائد (4). وكان علي يقول لعثمان قبل ذلك: إنني قد كنت كلمتك مرة بعد مرة. فكل ذلك نخرج فتكلم ونقول ونقول. وذلك كله فعل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وابن عامر ومعاوية.

أطعتهم وعصيتني (5)، لقد كان الإمام يعلم إلى أين ستنتهي الأحداث وفقا لما أخوه به النبي صلى الله عليه وسلم فكان يحذر وواقب من بعيد ليقيم الحجة على من شهد أنه ما قتل وما أمر بقتل. وكان صوته بعيدا عن داوة القاتل. وكان صوته حجة في داوة المقتول. كان يفعل ذلك لعلمه بأنهم سيخطون بين الدائرتين من أجل إنتاج داوة جديدة يكونون فيها أصحاب جور.

(1) الطبري 110 / 5.

(2) الطوي 112 / 5، البداية والنهاية 173 / 7.

(3) الطوي 112 / 5، البداية والنهاية 172 / 7.

(4) الطوي 113 / 5، البداية والنهاية 173 / 7.

(5) الطوي 109 / 5.

الصفحة 438

وفي داوة الإمام كان يقف معه الحسن والحسين. فالحسن كانا يدفعان العنوان عن عثمان. لكي يفهم أصحاب العقول أن الذي يدافع عن شيء لا يمكن أن يهجم عليه. وكم في عالم الحجة من حكمة بالغة. هؤلاء الذين ذكرنا كانوا من المحرضين والمساعدين على قتل عثمان ثم تاجروا بدمه بعد ذلك. ويبقى قسم آخر وقفوا في داوة الثوار فأغلظوا لعثمان ورفضوا الوقوف بجانبه من هؤلاء:

• عمار بن ياسر: الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: " من عادى عمرا عاداه الله ومن أبغض عمرا أبغضه الله " (1). وقال عن عمار: " ما خير بين أمرين إلا اختار رُشدهما " (2)، وقال: " إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق " (3)، إلى غير ذلك من الأحاديث التي تبين مناقبه التي أودعها الله فيه لحكمة بالغة. ولقد ذكر ابن كثير أن عثمان ضوب عمار بن ياسر (4) ولكن اختلفوا في سبب ضوبه وذكر المسعودي: أن القبائل اعتوّضت على ضوب عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود (5)، وروى ابن كثير والطوي: أن القوم طلبوا من عمار أن يرد الثوار فقال عمار: والله لا أردهم عنه أبدا (6)، وقال ابن كثير: كان عمار يحرض الناس على عثمان ولم يقلع ولم يرجع ولم يزع (7)، وكان عمار له موقف ثابت من بني أمية. كما أنه كان يعلم أسماء المنافقين الاثنى عشر الذين رأوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم عند عودته من تبوك.

(1) رواه أحمد وقال الهيثمي رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح (الزوائد 293 / 9) (الفتح 329 / 22).

(2) رواه الحاكم وأقره الذهبي ورواه أحمد (الفتح الرباني 330 / 22)، (المستدرک 388 / 3) ورواه الترمذي وحسنه

(3) رواه الطواني (كنز العمال 721 / 11).

(4) البداية والنهاية 171 / 7.

(5) مروج الذهب 373 / 2.

(6) الطوي 110 / 5، البداية 171 / 7.

(7) البداية 171 / 7.

- ومنهم زيد بن صوحان. زيد ومازيد! ولقد تحدثنا عنه من قبل. وهو الذي سوه عثمان من الكوفة إلى الشام، ثم من الكوفة إلى حمص. وقد خرج ثوار الكوفة إلى المدينة في أربع رايات، كان بينهم زيد ومالك الأشتر، وقال في الإصابة: كان زيد فاضلا دينيا سيدا في قومه<sup>(1)</sup> وقال: كان زيد يحب سلمان الفارسي ومن شدة حبه له اكتفى أبا سلمان<sup>(2)</sup>.
- ومنهم: عبد الرحمن بن عديس. خرج ثوار مصر إلى المدينة في أربع رايات كان عبد الرحمن فيهم ومعه كنانة بن بشر الليثي فأما ابن عديس فكان ممن بايع تحت الشجرة<sup>(3)</sup> وأما كنانة فكان من الصحابة الذين أروكوا النوبة<sup>(4)</sup>.
- ومنهم: جبلة بن عمر الساعدي. قال في الإستبصار: كان من فضلاء الصحابة<sup>(5)</sup> شهد أحدا<sup>(6)</sup> قال ابن كثير والطوي: مر عثمان على قوم فيهم جبلة. فسلم فرد القوم، فقال جبلة: لم تدون عليه. ثم أقبل على عثمان فقال:  
والله لأطحن هذه الجامعة. وكانت في يده جامعة - أو لتتوكل بطانتك هذه. قال عثمان: أي بطانة فوالله لأتخير الناس.  
فقال جبلة: مروان تخيرته! ومعاوية تخيرته! وعبد الله بن عامر تخيرته! وابن السوح تخيرته! منهم من قول القوان بدمه وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه<sup>(7)</sup>، وروى أن عثمان مر بجبلة وهو بفناء دره فقال: يا نعتل والله لأقتلنك ولأحملنك على قلوب جرباء ولأخرجنك إلى حرة النار. ثم جاء جبلة موة أخوى وعثمان على المنبر فأقول عنه<sup>(8)</sup>.

(1) الإصابة 45 / 3.

(2) الإصابة 46 / 3.

(3) الإصابة 171 / 4.

(4) الإصابة 325 / 5.

(5) الإستبصار 136.

(6) الإصابة 233 / 1.

(7) البداية 136 / 7، الطوي 114 / 5.

(8) البداية 176 / 7، الطوي 114 / 5.



- ومنهم: جهجاه الغفري قال في الإصابة: شهد بيعة الرضوان روى له الشيخان <sup>(1)</sup> وقال الطوي: كان عثمان يخطب على عصا النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يخطب عليها وأبو بكر وعمر. فقال له جهجاه: قم يا نعتل فاترل عن هذا المنبر وأخذ العصا فكسرها <sup>(2)</sup>.
- ومنهم: أعين بن ضبيعة. روى الإمام أحمد أن عثمان قال: إنا والله قد صحبنا رسول الله. وكان يعود مريضنا ويغونا معنا ويواسينا بالقليل والكثير. وإن ناسا يعلموني به عسى أن لا يكون أحدهم قدرآه قط، فقال له أعين بن امرأة الفزدق: يا نعتل إنك قد بدلت <sup>(3)</sup>.
- ومنهم جرول بن مالك وعمرو بن بديل وعمرو بن حزم الأنصلي وهؤلاء جميعا من الصحابة. وكان منهم أبناء الصحابة من أمثال محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة، ولقد اعترضنا على عثمان لمخالفاته الكثيرة وعابا عليه استعماله بدين أبي السرح لأنه رتد وكفر بالقوان وأباح الرسول صلى الله عليه وسلم دمه <sup>(4)</sup>. وعندما اقتحم الثوار دار عثمان قال له محمد بن أبي بكر: ما أغنى عنك معلوية! ما أغنى عنك ابن عامر <sup>(5)</sup>. وبالجملة كانت الثورة ثورة الصحابة يقول الطوي: لما رأى الناس ما صنع عثمان. كتب من بالمدينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى من بالآفاق منهم. وكانوا تفوقوا في الثغور وإنكم إنما خرجتم أن تجاهلوا في سبيل الله عز وجل تطلبون دين محمد صلى الله عليه وسلم. فإن دين محمد قد أفسد من خلفكم وترك. فاهلوا فأقيموا دين محمد صلى الله عليه وسلم فأقبلوا من كل أفق

(1) الإصابة 265 / 1.

(2) الطوي 514 / 5.

(3) رواه أحمد ورواته ثقات (الزوائد 228 / 7).

(4) البداية والنهاية 158 / 7.

(5) الطوي 118 / 5.



فكما ترى جميعهم من الصحابة وليسوا من الدهماء والوعاع كما قال البعض. ولم يكن بينهم عبد الله بن سبأ كما قال البعض الآخر من الذين رأوا أن يقطعوا طريق البحث العلمي من قديم الزمان حتى لا يدينهم التلويح وحتى لا تضع الأمة أيديها على موطن الداء ومركز الفتن. لم يكن هناك ابن سبأ. وكان هناك كعب الأخبار الذي كان يؤخذ وأيه في زمن عثمان في توزيع المال كما روى ابن أبي الحديد. وكان هناك أبو سفيان الذي سمعه عمار بن ياسر وهو يقول: " تلقفوها تلقف الكوة " وانطلق عمار إلى الصحابة ينقل إليهم الخبر كما ذكر المسعودي (2) ، وكان هناك الفاسق الذي يعوف عند من اشتغل بعلم السورة والتلويح.

وبنظرة أخوة على أحداث الثورة نقول: إن مشكلة عثمان كانت في وضع بني أمية على رقبة الناس الأمر الذي جعل من أكلة القنافذ والضباب أصحاب خزائن كوى مليئة بالذهب والفضة يصدون بها عن سبيل الله. وانتماء عثمان إلى قومه والعمل من أجلهم واضح وضوح الشمس. فالرسول صلى الله عليه وسلم كلما أهدر دم أحد منهم أو نفاه كان عثمان هو الملجأ. وخير دليل ما ورد في معاوية بن المغيرة بن العاص. كان النبي قد أسره بعد غزوة حراء الأسد عند رجوعه إلى المدينة فلجأ إلى عثمان فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله إن وجد بعد ثلاثة أيام. وعندما تورى بعيدا عن أعين الرسول بعث الرسول إليه بعمار بن ياسر وزيد بن حارثة وأخوهما بمكانه وعندما وجداه قتلاه (3). وأيضا ما ورد في عبد الله بن أبي السرح والحكم بن أبي العاص الذي جاء به عثمان من منفاه. وضرب بمشاعر المسلمين عرض الحائط يوم أن أقام على قوه فسطاطا. وكأنه أراد أن يكون وجود الحكم شاخصا حيا أو ميتا على أرض النولة بعد نفي

(1) الطبري 115 / 5.

(2) الطوي 115 / 5.

(3) السورة الحلبية ص 591 ، حياة الحيوان / الجاحظ 161 / 4.

الرسول صلى الله عليه وسلم له. وعندما عاتبه الصحابة قال: إن عمر بن الخطاب أقام من قبل فسطاطا على قبر زينب بنت جحش (1) .

فإذا كان هذا حال عثمان مع المطرودين فكيف يكون الحال مع غوهم.

وإذا لم تكن بطانة عثمان التي اعتّوض عليها الثوار بطانة سوء. فما هي البطانة السوء التي حذر منها النبي وأخبر أنها أوشكت أن تركب بعد وفاته. هل مازالت في بطن الغيب أم أنها جاءت وزالت بعد أن تركت جنورا وشنودا وفتنا. لقد كان عثمان منحرا إلى بطانته وكان في إمكانه أن يتفادى الثورة عليه لو سار مع الناس بسوة أبي بكر وعمر ولم يقيم بتوسيع النوائر التي خلفها وراء ظهرهم.

فالدوائر كلما كانت ضيقة تكون العواصف أهدأ. ولكن عثمان لم يفعل ذلك بل لقد استعان بخواء في توسيع الدوائر وحوها - لقد كان عمر بن الخطاب يستمع إلى الخصم ويحقق فيما ادعاه. ولكن الأمر اختلف عند عثمان. روي أنه بعد أن تصالح مع أهل مصر عند مجيئهم الأول ذكر له ابن عديس ما صنع ابن أبي السوح بمصر وذكر تحاملا منه على المسلمين وأهل الذمة وذكر استئثرا منه في غنائم المسلمين. وقال ابن عديس: فإذا قيل له في ذلك قال: هذا كتاب أمير المؤمنين إلي<sup>(2)</sup> ، أي أنه يخوهم أنه ما يفعل شيئا إلا بإذن عثمان. فماذا فعل عثمان؟ لقد أمر عليهم محمد بن أبي بكر وبينما هم في طريق العودة شاهوا رسول عثمان ومعه كتابه وخاتمه إلى عبد الله بن أبي السوح يأمره فيه بجلد ظهرهم وغير ذلك. وعندما واجهوا عثمان اكتفى بقول: والله ما كتبت ولا أمرت ولا شورت ولا علمت. فقيل له: فمن كتبه؟ قال: لا أوي، فقالوا: أفيجزأ عليك فيبعث غلامك وجمل من صدقات المسلمين وينقش على خاتمك ويكتب إلى عاملك بهذه الأمور العظام وأنت لا تعلم؟ قال: نعم. قالوا:

فالكتاب كتاب كاتبك - أي مروان<sup>(3)</sup> - قال: أجل ولكنه كتبه بغير أوي. قالوا:

(1) الإصابة 2 / 29.

(2) الطوي 5 / 119.

(3) كان محمد بن سلمة يقول: هذا من عمل مروان، الطوي 5 / 119.

الصفحة 443

والرسول الذي وجدنا معه الكتاب غلامك؟ قال: أجل ولكنه خرج بغير إذني.

قالوا: والجمل جملك، قال: أجل ولكنه أخذ بغير علمي، قالوا: ما أنت إلا صادق أو كاذب. فإن كنت كاذبا فقد استحققت الخلع لما أمرت به من سفك دماننا بغير حقها، وإن كنت صادقا فقد استحققت أن تخلع لضعفك وغفلتك وخبث بطانتك. لأنه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يقطع مثل الأمر نونه.

لضعفه وغفلته<sup>(1)</sup> ، وجميع هذا قد حدث ومروان بن الحكم في مأمن تام لم يوجه إليه أي اعتراض. وذلك لعلمهم أن في ظهوه نوية من خلفاء بني أمية.

ومعاوية نفسه كان يتحدث بذلك<sup>(2)</sup> فمن أجل الحفاظ على فتنة ففتح بنو أمية أبوابا لفتنة أخرى. وحاصر الثوار دار الخلافة. واستمر الحصار أربعين يوما وكان عثمان يصلي بالناس ثلاثين يوما ثم منعه<sup>(3)</sup> . وكان علي بن أبي طالب يقدم الماء إلى عثمان في هذا الوقت وكان الحسن والحسين يقومان على حواسته. وألا: لأن ما يجري لا يستقيم مع المحاكمة العادلة. وثانيا: لأن ما يجري سيتم المتاحرة به وسيتهم علي فيه فكان التواجد حجة في ذاته. وكان علي بن أبي طالب يعلم ما ستجري عليه الأحداث وفقا لإخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالغيب عن ربه جل وعلا. وإذا كان عثمان قد دفع بالأحداث كي تصل إلى ما وصلت إليه وذلك لحفاظه على أسرته وأهل شورته. فإن التلويح قد سجل أيضا أن الدماء التي جرت حول دار عثمان وداخلها. كانت بدايتها حفاظ عثمان أيضا على أهل شورته. فعلى الرغم من الحصار إلا أنه كانت تجري محولات

لتهدئة الخواطر. ولكن هذه المحاولات انتهت بسفك الدماء.

روى الطوي: لما مضت أيام التشريق أطافوا بدار عثمان. وأبى إلا الإقامة على أمره ورأسل إلى حشمه وخاصته

فجمعهم. فقام رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يقال له: نيار بن عياص. وكان شيخا كبيرا. فنادى: يا

(1) الطبري 120 / 5.

(2) سيأتي في موضعه.

(3) الطوي 107 / 5.

الصفحة 444

عثمان. فأشرف عليه عثمان من أعلى دره. فذكوه الشيخ لما اعتزلهم. فبينما هو واجعه الكلام إذ رماه رجل من أصحاب عثمان فقتله بسهم. وقيل إن الذي رماه كثير بن الصلت الكندي. فقالوا لعثمان عند ذلك: إدفع إلينا قاتل نيار بن عياص فأنقته به. فقال لهم: لم أكن لأقتل رجلا نصوتي وأنتم تريدون قتلي. فلما رأوا ذلك ثاروا إلى بابه فأحرقوه وخوج عليهم مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والمغيرة بن الأخنس كل منهم في عصابة فاقنتوا قتالا شديدا. وكان الذي حداهم على القتال أنه بلغهم أنه مددا من أهل البصرة وأن أهل الشام قد توجهوا مقبلين (1). ولم يكن هذا قد حدث لأن معاوية كان في شغل.

وعلى هذا نقول: إن الخدعة في البداية كانت من عند بني أمية يوم أن بعثوا برسالتهم إلى ابن أبي السوح ليقتل المصبيين. وإن أول قطرة دم في الأحداث كانت على أيدي بني أمية يوم أن قتلوا نيار بن عياص. قال في الإصابة: كان نيار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ممن كلم عثمان في حصوه وناشده الله. وقتله بعض أتباع عثمان. وقالوا: وهذا أول مقتول في ذلك الوقت (2). ونحن قد ذكرنا في بداية حديثنا عند بني أمية حديث الألف شهر وهو حديث صحيح ولكن بعض العلماء قد حكم بأنه منكر وذلك لكون مدة حكم عثمان داخلة في مدة حكم بني أمية. وسبب إنكلهم أنهم قالوا إن هذا لا يجوز لأن عثمان خليفة راشد كانت الملائكة تستحي منه. وقد سئل الحافظ السخوي عن المواطن التي استحيت فيها الملائكة من عثمان فقال: لم أقف عليها في حديث يعتمد (3). ومن الأحداث التي درت ومن الفتن التي خلفتها من ورائها يمكن القول بارتياح شديد إن الحديث المروي عن النبي حديث صحيح سندنا ومتنا ومعنى.

وقتل عثمان. وروى الطوي وغوه: أن عثمان نبذ ثلاثة أيام لا يدفن. وقد

(1) الطبري 124 / 5.

(2) الإصابة 259 / 5.

(3) ( الزايتب الإدلية 384 / 2.

الصفحة 445

كلم الناس عليا في ذلك فتدخل وأذن لأهله أن يدفوه. فلما سمع الناس ذلك قعدوا له في الطويق بالحجرة. وعندما شاهد

الناس السوير الذي يحمل عثمان رجما السوير وهو بطوحه. فبلغ ذلك عليا فرسل إليهم يعزم عليهم ليكفن عنه ففعلوا. وانطلق به أهله. ورأوا أن يصلوا عليه في موضع الجنزات فأبت الأنصار. ورأوا أن يدفوه بالبقيع فمنعوا أيضا من ذلك. وقالوا: لا يدفن في مقابر المسلمين. فدفنوه في حش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم. فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان. أدخل هذا الحش في البقيع فهو اليوم مقبرة بني أمية <sup>(1)</sup>.

وفي الختام. إن الجيل الأول هو الذي حكم بفشل تجربة الوأي التي انطلقت من داوة المصلحة العامة. الجيل الأول هو الذي اعترض على بطانة سوء التي دخلت من باب إلغاء سهم المؤلفة وتأمير المنافقين. والجيل الأول هو الذي اعترض على توزيع الفئ الذي دخل من باب الخاجة. باختصار اعترض الجيل الأول على قوائم النظام الاقتصادية والإدلية والتربوية. التي عبر عنها الوليد بن عقبة. فكيف حدث هذا بعد مضي ربع قرن تقريبا من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم؟ هل خرج الناس على ما وضعه النبي أم أنهم خرجوا على شئ حذر منه النبي؟ ثم إذا كانوا قد خرجوا على ما حذر منه النبي فكيف دخل إليهم المحذور ولماذا؟ أخشى أن يقال إن الذي حدث كان قصورا في التطبيق. لأن الذين قاموا بالتطبيق صحابة عدول ثقات ولن يأتي على مر الزمان خير منهم. فإذا كان هؤلاء لم يصيوا التطبيق الصحيح فكيف بمن دونهم. إن الذي يمكن أن يقال في هذا الموضوع وإنهم أخطوا التأويل الصحيح. لأن التأويل الصحيح له رجال يمكن أن يقاتلوا على تأويل القوان كما قاتل النبي صلى الله عليه وسلم على تأويله.

(1) الطبري 143 / 144 / 5.

الصفحة 446

الصفحة 447

## وظهر القمر

الصفحة 448

الصفحة 449

## أولا - من معالم الحكومة الدينية

بعد ربع قرن من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظهر النفاق. ويشهد بذلك حديث حذيفة " إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون " <sup>(1)</sup> ، بل إن النفاق ركب مرحلة أخرى يقول فيها حذيفة: " إنما كان النفاق على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان " <sup>(2)</sup> ، ويشهد بظهور النفاق استعمال عمر بن الخطاب للمنافقين وإلغائه لسهم المؤلفة قلوبهم. وبعد وفاة الرسول بربع قرن قامت السياسة على أعمدة منها عمود عدم الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد من يروي بالضوب أو النفي وهذا أيضا ثابت في أحاديث

صحيحة رويت عن عمر بن الخطاب وبينت سيرته بشأن الرواية. وتوتب على ذلك ظهور القص والشعر بإذن من عمر وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم برقع قرن رتع بنو أمية في أموال المسلمين وذلك عندما تربعوا على الخراج الذي أنشأه عمر بن الخطاب. حتى أن مروان بن طويرسول الله وضع يده على فدك بأمر من عثمان وفدك هذه لم تأخذها ربحانة رسول الله يوم أن نزلت فيها أبا بكر.

فالذي لم تأخذه ربحانة الرسول أخذه في نهاية الطويق ربحانة طويرسول الله.  
ولم يقف الأمر عند مروان بل التهم ابن أبي السوح الذي أهدر النبي

(1) البخاري (الصحيح 230 / 4).

(2) البخاري (الصحيح 230 / 4).

الصفحة 450

دمه النصيب الأكبر من غنائم إفريقية بأمر من عثمان الذي كان يستقتي كعب الأبحار فيما يجوز للخليفة أن يأخذه من بيت المال. وروي أن كعبا عندما أفتاه قال أبو ذر لكعب: يا بن اليهوديين أتعلمنا ديننا. وعندئذ قال له عثمان: يا أبا ذر قد كثر أذاك لي وتولعك بأصحابي (1).

ومن نتائج هذا كله بهتت مناقب أهل البيت، وإذا كانت المناقب تشع في أذهان البعض. فإنها أخذت عند البعض الآخر تأويلا آخر فوضعهم في دائرة (الركعة والمشايخ) أي الدائرة التي لا علاقة لها بالقيادة. وحتى هذه الدائرة لم تدم لأهل البيت فيوم الشورى الذي جعل عمر الخلافة فيه في ستة نفر، كانت دائرة الشيوخ لا يوجد فيها بني هاشم وحدثهم فلقد دخلها أبناء عبد شمس وغوهم. ومن المعروف أن أبناء عبد شمس - وبنو أمية هم أشهر فروعهم - لم يكن لهم نصيب في أشرف خصال قريش في الجاهلية وهي: اللواء والنوة والسقاية والوفادة وزمزم والحجابه. وبعد الشورى استحوذ بنو أمية على كل مال على الوغم من أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حذر منهم إذا ركوا الأمة.

ولكن هذا التخدير لم يكن له وجود واسع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وركب بنو أمية رقية الأمة يوم الشورى وعملوا من أجل أن يكون الملك فيهم تعويضا لإبعادهم في الجاهلية والإسلام. وعلى امتداد حكم عثمان كانت هناك ثقافات أموية يشرف عليها أمراء عثمان ومنهم معاوية الذي قال في الشام وهو يخاطب الذين سوهم عثمان " قد عرفت قريش أن أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها... وأن أبا سفيان لو ولد الناس لم يلد إلا حلما ".

يستفاد من هذا كله أن هناك فتنة في المقدمة، وهذه الفتنة حذر القرآن منها والنبي صلى الله عليه وسلم لم يفرق الدنيا إلا وبين كل شيء. وهذه الفتنة يشهد كل قرئ للتاريخ أن نتائجها كانت بجميع المقاييس كلثة فالأمة الواحدة اختلفت وافترقت وذهب ربحها. والجميع في كل دروب الاختلاف والافتراق يؤأون كتاب الله وكل منهم يدعي أن الحق معه وغوه الباطل.

ومرجع ذلك في

رأينا أن كل فريق انتقى من على أرضية الصحابة وأبناء الصحابة قنوة له فأخذ منهم نون تمحيص وانطلق في أژه. وقد تكون القاطرة تسير على قضبان الفتنة فيركب فيها الواكبون وهم لا يعلمون أنهم يركوبهم هذا يكونون قد شلوكوا في الفتنة التي لم يشهروها. قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فوؤها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فوضيها كان كمن شهدها " (1) ، فهو مشرك في الإثم وإن بعدت المسافة بينهما (2) . ونواء هذا الداء لا يكون بتلجيم العقل والسير على طريق الاحتكاك الذي ترفوف عليه أعلام الزينة والؤخوف والإغواء. وإنما يكمن العلاج في العلم يقول النبي صلى الله عليه وسلم " إن الفتنة تجيئ فتتسف العبادة نسفا وينجو العالم منها بعلمه " (3) .

فالفتنة إذا كانت في المقدمة يقع فيها الذين شلوكوا فيها والذين جاؤا من بعدهم. بمعنى أن الفتنة لا تصيب الذين ظلموا خاصة وإنما تصيب الذين ركوا القاطرة التي تسير على قضبان هذه الفتنة، أما العالم فإنها لا تصيبه عند المقدمة لأن عند المقدمة شهود. فشاهد عليه علامة تقول: " تقتله الفئة الباغية " وشاهد عليه علامة " تنبأها كلاب الحوآب " وشاهد عليه علامة " بأنه أصدق لهجة "، وآخر عليه علامة زيد ومازيد... وكثير كثير. والعالم لا تصيبه الفتنة عند النتيجة لأنه ينجو منها بعلمه بأحداثها وموطن الحق فيها.

وفتنة المقدمة ما وقعت إلا بعد أن اختار الناس لأنفسهم في جو من الأحداث لا نعلم عنه إلا القليل. فهناك من أبا أن تكون الخلافة والنوة في بيت واحد. لأن هذا يعني أن بني عبد شمس من نون خلق الله جميعا لن يكون لهم ركوبة في جاهلية أو إسلام. لقد كانت الأبواب مغلقة بمفاتيح الدعوة ولكنها فتحت بمفاتيح الفتنة. ومن عدل الله تعالى أنه أقام الحجة على الجيل الأول في

(1) رواه أبو داود حديث رقم 4323.

(2) عون المعبود 501 / 11.

(3) رواه أبو داود وأبو نعيم والرافعي (كنز العمال 150، 178 / 10).

كل حركاته بعد وفاة الرسول، وها نحن قدرأينا أحداث أبي ذر وغوه من الذين وضع عليهم النبي صلى الله عليه وسلم هالات من التبشير والتحذير. لقد حاصرت حجج الله جيل الصحابة لأنهم مقدمة على أرضية دين الله. والشيطان إذا دق وتدا له في هذا الجيل ضمن ثوة له في الجدار يدخل منها بالؤينة والإغواء فيضل بذلك كثرا من الناس. وإذا كانت الحجة قد قامت يوم غدیر خم. وأن التحذير قد تم على لسان بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله من بعد وفاته. فإن إقامة الحجة بعد النبي بلغت النروة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وهذه الحجة لا تتفصل عن حجة غدیر خم بأي حال من الأحوال. ولكنها جاءت لتخاطب زماما قد تغير ومكانا أوشك على أن يتبعثر. وعندما جاء علي بن أبي طالب لم يأت

ليخاطب المتقين بل جاء ليفتح أبواب التوبة أمام المنافقين الذين كثروا في الساحة كما شهد حديث حذيفة وغوه. جاء ليوقف تدفق الفتنة وليفتح صفحات التريخ لتتوّن الأحداث التي يقف عندها أصحاب العقول والأفهام لينجو العالم بعلمه. ولقد علمنا أن التعامل مع النفاق يخضع لفقه خاص لا يلم به كثير من الناس. والفقيه في هذا المجال لا يقوم بتعيينه سلطان أو أمير لأن هؤلاء لا يعلمون خفايا الأمور وإنما الفقيه هنا لا بد أن يحدده نص. وليس معنى هذا أن الفقيه بهذا التحديد يكون قد علم ما تخفيه الصدور، فالقول بهذا قول سقيم لتفكير غير مستقيم. وإنما الفقيه هنا هو الذي يضع سياسته على قوائم الإسلام. أي يقيم سياسته على القوان ونصوص الدين بشكل شامل ويتعامل مع المستجدات بالبحث عن الجوهر فيها ثم يطابقه على الجوهر الأزلّي في الإسلام.

ولا يقوم بذلك إلا فقيه راسخ في العلم. ولما كان المنافق في الأساس كلها للإسلام ونظامه. فإنه يشع بعمله تحت عين الفقيه الراسخ في العلم والذي عليه نص بأن لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق. لهذا كان التعامل مع النفاق يحتاج إلى فقه خاص. وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان النبي يتعامل مع المنافقين وفقا لحركة الدعوة وكان يجاهدكم وفقا لمطالبها. وكان يفتح لهم أبواب التوبة وفقا لشروط خاصة. وبعد وفاته صلى الله عليه وآله

الصفحة 453

وسلم. كانت حجة الله على المنافقين يرفعها علي بن أبي طالب الذي رفضوه في أول الأمر. ولنتدبر هذه الآيات الكريمة التي أموت وحنرت وفتحت الأبواب أمام النفاق في عهد الرسول ومن بعده في أيام علي بن أبي طالب لأنه عليه نص بأنه يقاتل على التأويل وأن على صفحته يكشف النفاق. قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا \* إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصوا \* إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) (1).

قال ابن كثير: ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين. يعني: مصاحبتهم ومصادقتهم ومناصحتهم وإسرار المودة إليهم وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم قال تعالى: (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه) (2)، أي يحذركم عقوبته في ارتكابكم نهيه ولهذا قال ههنا (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) أي حجة عليكم في عقوبته إياكم (3)، وبعد هذه المقدمة أخبر تعالى عن المنافقين فقال سبحانه: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصوا) أي يسكنهم في أسفل درك من النار ويقطع بينهم وبين كل نصير ينصوهم وشفيع يشفع لهم. وهذا يتفق مع حديث الورود على الحوض. الذي يقال فيه لبعض الصحابة: سحقا سحقا أي مكانا بعيدا ليس فيه ناصر ولا شفيع. ولقد بينا في هذا البحث أن علي بن أبي طالب سيكون مع النبي عند الحوض وهو الذي سيقول: إنك لا تنوي ما أحدثوا بعدك. وبعد أن أخبرت الآيات عن مكان المنافقين يوم القيامة استنتجت الذين تابوا منهم وبينت أن طريق التوبة الخاص بهم له علامات وهو قوله تعالى:



(إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم فأولئك مع المؤمنين) فالطريق يبدأ من الخروج من جماعة المنافقين والحق بصف المؤمنين. وهذا الخروج لا يتم إلا بالتوبة وهي الرجوع إلى الله. ولا ينفع الرجوع والتوبة حتى يصلحوا كل ما فسد منهم من نفس وعمل. ولا ينفع الإصلاح إلا أن يعتصموا بالله أي يتبعوا كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله ولا ينفع الاعتصام إلا إذا أخلصوا دينهم لله وطهروا أنفسهم من بصمات الشرك والظلم قال تعالى: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) <sup>(1)</sup>.

فإذا سلكوا هذا الطريق حتى نهايته كانوا مع المؤمنين قال تعالى: (فأولئك مع المؤمنين) ولم يقل: فأولئك من المؤمنين. لأنهم يلحقون بالمؤمنين ما داموا على طريق التوبة ولن يكونوا منهم حتى تستمر فيهم الأوصاف على استقوالها. وطريق التوبة في الجيل الأول لا بد له من سياسة تظهر الإصلاح وعلى هذا يظهر المؤيد والمعرض لسياسة الإصلاح. وتتادي بالاعتصام بالله وعلى هذا يظهر دعاة القبائلية والحزبية وتعمل من أجل إخلاص الدين وعلى هذا يظهر النبلاء الذين كان الدين مصورا لثروتهم. وبالجملة: لا بد من سياسة تظهر عورات التأويل الذي وضع في غير موضعه. ولما كان هذا التأويل يستند إلى كتاب الله ويقوم به جيل الصحابة فإن هذا يعني أن هذا التأويل سيكون له امتداد نظرا لأن الذين قالوا به من الذين سمعوا وشاهدوا النبي وهنا يكمن الخطر على المستقبل. وينتهي الأمر بالاختلاف والافتراق إلى أكثر من سبعين شعبة وإلى التسكع في طرقات أصحاب أعلام الأديان السابقة واتباعهم شوا بشير وفواعا بزواع. وقبل أن يحدث هذا كانت حجة الله على جيل الصحابة في بدايته وفي نهايته ليبدون التلويح ويعلم اللاحق أين موضع السابق. وشاء الله أن يكون الفصل بين الحق والباطل في هذه الأحداث على سهيل الخيول وضربات السيوف كي تتطبع الأحداث في ذاكرة كل منتسب إلى الأمة وتشده شدا إلى البحث عن الحقيقة. ومعلك التأويل

خاضها الإمام علي بن أبي طالب الذي شاء الله أن يجعله في المقدمة بعد وفاة الرسول الأعظم لوى الله كيف يعملون وفقا لدائرة اختيلهم. ولعلمه سبحانه بأن الاختلاف واقع لا محالة أحاط سبحانه النبي بالعلم وبين له مواطن الاختلاف والفتن من بعده. وكان فوق كل مواطن من المواطن حجة كأبي ذر والمقداد وسلمان وعمار وأويس وجندب وزيد وغوهم. وآخر هؤلاء جاء الفقيه الزاهد العالم إمام المتقين علي بن أبي طالب لواجه دائرة النبلاء التي أخذت شوعتها من تأويل وضع في غير موضعه. وكان هذا لطفًا من الله كي يشع الماضي أمام الحاضر لينتقل إلى المستقبل. لقد جاء علي في خاتمة عصر الصحابة القادة. ليفتح أبواب التوبة كي يتنفس المستقبل الأمان ولا يحدث الاختلاف ولا

تخرج الفرق التي تستمد وقودها من عهود قبل معركة التأويل أو من عهود ما بعد معركة التأويل. جاء علي ليدخلهم تحت راية واحدة لتشق الدعوة طريقها وتسوق الناس إلى صراط الغريز الحميد. وليجد المستقبل أن ماضيه لا خلاف فيه. جاء ليفتح أبواب الشكر والإيمان في عالم اكتناز الذهب والفضة وكأنه ينتوا قوله تعالى: (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما) (1). ولكننا سنرى ماذا توتب على فتح هذه الأبواب. وهل المعركة التي دلت كانت من أجل قميص عثمان. أم أن هذا القميص كان كقميص يوسف الذي حمله أبناء يعقوب إلى أبيهم ليخفوا به مقاصدهم التي بدؤوا بالحسد وانتهاوا بجريمة تغيب يوسف في أعماق الجب ليخلو لهم مركز الصدرة عند أبيهم؟ أم أن هذه المعركة خاضها طرف من أجل الدفاع عن تأويل حق بينما خاضها أطراف أخرى لوقف التأويل الحق نظرا لأن وجوده سيكشف ما ضاع من رواية وسيطّيح بنبالة قريش؟ وعلى أي حال فإن ما بين أيدينا من حديث يثبت أن المعركة التي دلت كانت من أجل التأويل وهذا يعوي حملة القمصان ويثبت أن القميص ما كان إلا شعرا أجوفا حملته الوصول إلى أهداف أخرى، روى الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه

(1) سورة النساء: الآية 147.

الصفحة 456

وسلم أنه قال: فيكم من يقاتل على تأويل القآن كما قاتلت على تقويله " (1) ، قالوا: من؟ قال: خاصف النعل وكان أعطى عليا نعا يخصفها (2) ، وعن علي قال: " عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال الناكثين والقاسطين والملقين " (3) ، قال في لسان العرب: ومنه حديث علي: " أموت بقتال الناكثين والقاسطين والملقين " الناكثون أهل الجمل والنكث نقض العهد. وأهل الجمل كانوا قد بايعوه ثم نقضوا بيعته وقتلوه. والقاسطون أهل صفين لأنهم جروا في الحكم وبغوا عليه. والملقون الخورج لأنهم مرقوا من الدين لغوهم فيه (4) ، والآن هل رأيت للقميص مكانا في نصوص رسول الله؟ أم أنك رأيت نقضا للعهد وجورا في الحكم وبغيا على الحجة ومروقا من الدين؟ وجميع ذلك مرجعه إلى تأويل وضع في غير موضعه وأهواء وراء تصب في وعاء المطامع ومن أجل هذا كان ظهور الحجة في نهاية عصر الصحابة القادة له حكمة ومن وراء الحكمة هدف.

### أولا - النداء الحق:

بعد دفن عثمان تحرك الناس في إتجاه علي بن أبي طالب ليبياعوه (5) منهم من رأى فيه الزهد فيما بين يدي الناس وسوف يتعامل مع الذهب والفضة تعامل العابد الواهد العادل. ومنهم من وجد فيه الأمانة في النصح لعثمان ومعرضيه على امتداد عصر الأزمات. ومنهم من تذكر الأيام الأولى وعلم أنه لا سبيل إلى الاصلاح إلا بالعودة إلى الأمر الأول. ومنهم من كان يعلم حقيقة الأحداث ولم ينسها يوما وعندما جاء وأن الظهور لم يكن في حاجة إلى بيعة لأنه كان قد بايع

- (2) رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، قال الهيثمي (الزوائد 186 / 5).
- (3) رواه الزوار وقال الهيثمي رجاله ثقات (الزوائد 238 / 7).
- (4) لسان العرب مادة نكت ص 4536، ومادة قسط ص 3627، ومادة مرق 4185.
- (5) رواه الحاكم.

الصفحة 457

بقلمه من قبل.

والذي يستحق التسجيل هنا. أنه قبل أن تتم مبايعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب هروا الناس إلى أكابر الصحابة يسألونهم بماذا ينصحون؟ وعلى سبيل المثال قال عبد الله بن بديل لأم المؤمنين عائشة عندما خرجت الثورة على عثمان: ما تأموني؟ فقالت: أؤم عليا!!<sup>(1)</sup> ، ولقد ذكرها ابن بديل بهذا الحديث بعد هزيمتها يوم الجمل فسكتت. ولم تكن أم المؤمنين وحدها التي نصحت بذلك. فكثير من الناس كانوا يتدافعون على حذيفة صاحب سر رسول الله ليعرفوا رأيه في الأحداث لأن حذيفة كان يقول: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة<sup>(2)</sup> ، وقال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لأننا لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال. ولن ينجو أحد مما قبلها إلا نجا منها وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغرة ولا كبرة إلا لفتنة الدجال"<sup>(3)</sup> ، أي أن البداية لا تصيب إلا في نهايتها فالشر في الشر والخير في الخير. وروى بسند صحيح "لما قتل عثمان قالوا لحذيفة: يا أبا عبد الله قتل هذا الرجل وقد اختلف الناس فما تقول؟ قال: سنونوي. فسنوه إلى ظهر رجل فقال حذيفة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أبو اليقظان على الفطرة لا يدعها حتى يموت<sup>(4)</sup> وفي رواية: أمركم أن تؤموا عمرا قالوا: إن عمرا لا يفرق عليا!! قال: إن الحسد هو أهلك الجسد وإنما ينفوكم من عمار قوبه من علي فوالله لعلي أفضل من عمار أبعد ما بين التراب والسحاب وإن عمرا لمن الأحباب. وهو يعلم أنهم إن تؤموا عمرا كانوا مع علي"<sup>(5)</sup> . من الواضح هنا أن سياسة اللارواية كانت قد بلغت منتهاها. فهؤلاء القوم لم يكن

(1) أخرجه ابن أبي شيبة بسند جيد (فتح الباري 57 / 13).

(2) رواه مسلم (الصحيح 15 / 18) ك الفتنة.

(3) رواه أحمد والزوار ورجال رجال الصحيح (الزوائد 335 / 7).

(4) رواه الزوار والطواني في الأوسط باختصار ورجالهما ثقات (الزوائد 295 / 9).

(5) رواه الطواني ورجاله ثقات (الزوائد 243 / 7).

الصفحة 458

في ذاكرتهم أي منقبة لأهل البيت وربما كان في ذاكرتهم تشويش على أهل البيت ويظهر هذا في قولهم إن عمرا لا يفرق عليا. وحذيفة قد فطن لهذا الأمر برده الجامع الشامل. ولم يكن هؤلاء فقط الذين ذهبوا إلى حذيفة ولكن هناك آخرون ذهبوا إلى حذيفة فقال لهم: انظروا إلى الفوقة التي تدعو إلى أمر علي فآؤموها فإنها على الهدى<sup>(1)</sup> . ومما يذكر أن حذيفة كان بالكوفة

عند مبايعة الناس لعلي، وعندما علم بمبايعة الناس قال: أخرجوني وادعوا الصلاة جامعة. فوضع على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله ثم قال: أيها الناس. إن الناس قد بايعوا عليا فعليكم بتقوى الله وانصروا عليا ووزروه فوالله إنه لعلى الحق آخرا وأولا وإنه لخير من مضى بعد نبيكم ومن بقي إلى يوم القيامة - ثم أطبق يمينه على يسره ثم قال: اللهم اشهد أنني قد بايعت عليا. الحمد لله الذي أبقاني إلى هذا اليوم. ثم قال لابنيه صفوان وسعيد احملاني وكونا معه فستكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس. فاجتهدوا أن تستشهدا معه فإنه والله على الحق ومن خالفه على باطل. ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام<sup>(2)</sup> وقال صاحب فتح البلي: بايع حذيفة لعلي وكان حريصا على المبايعة له والقيام في نصوه<sup>(3)</sup> وقال ابن الأثير: قتل ابنه صفوان وسعيد مع علي بصفين بوصية أبيهما<sup>(4)</sup>.

ولم يكتف حذيفة رضي الله عنه بنداؤه وهو مريض. وإنما أطلقه أيضا عند الموت، فعن بلال بن يحيى قال: لما حضر حذيفة الموت قال لنا: أوصيكم بتقوى الله والطاعة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب<sup>(5)</sup>، وأغمض حذيفة عينيه في هوء وصعدت روحه إلى برئها. ولقد ترك لنا رواياته في الفتن وغورها والتي بدونها ما كان الباحث أن يصل إلى الحقيقة بسهولة ويسر. فخواه الله عنا خير الخاء. وبعد رحيل حذيفة لم يقف النداء. فكما سمعه أهل العواق سمعه

(1) رواه البزار ورجاله ثقات (الزوائد 236 / 7)، وفتح الباري 55 / 13.

(2) ( مروج الذهب / المسعودي 394 / 2.

(3) فتح البلي / ابن حجر 40 / 13.

(4) الكامل 147 / 3 ، مروج الذهب 425 / 2.

(5) رواه الحاكم (المستدرک 380 / 3).

أيضا أهل المدينة وما حولها. لقد كان أبو سعيد الخوري يقول. قال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بخيلكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال:

الموفون الطيبون إن الله يحب الخفي التقي. ومر علي بن أبي طالب فقال النبي:

الحق مع ذا الحق مع ذا " <sup>(1)</sup> ، وكان أبو ليلي الغفري يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم: سيكون بعدي فتنة فإذا كان

فأزموا علي بن أبي طالب فإنه الفاروق بين الحق والباطل <sup>(2)</sup> ، وزاد في رواية: " وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب

المنافقين <sup>(3)</sup> ، وكان كعب بن عجرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يكون بين الناس فوقة واختلاف فيكون هذا وأصحابه على الحق - يعني عليا <sup>(4)</sup> . وهكذا أقيمت الحجة بالنداء.

## 1 - الظهور:

عندما جاء الناس إلى علي بن أبي طالب ليبايعوه. كان علي يعلم أن من أمامه أياما عصيبة. فالنبي عهد إليه بقتال الناكثين وألا. وهذا يعني أن بين الذين سيبايعونه من سينقض البيعة ويقاتله. ومن جهة أخرى فإنه أكثر الذين سيبايعونه لا يعلمون شيئا

عن مكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يخوض بهم المعرك وهو لم يسهر على تربيتهم وتدريبهم في وقت تطفح فيه خزائن الذهب والفضة عند ألد أعداء الدعوة. لقد كان هذا كله شاخصاً أمام الإمام علي وهم يعرضون عليه أن يبايعوه. وكان عليه أن يبين لهم حقيقة ما يعلمه ولا يعلمونه. ويخبرهم أنه إن أجابهم لما يريدون فإنه مثله لن يتراجع عما عهد إليه من النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذه الحالة لن يلتفت إلى قول القائل منهم، ثم يخبرهم. إما أن يقبلوا بهذا أو أن يتركوه ويبحثوا عن غيره. وهذا المعنى كان فيما روي عنه رضي الله عنه أنه قال لهم: " دعوني والتمسوا غري

(1) رواه أبو يعلى ورجاله ثقات (الروايات 235 / 7).

(2) رواه أبو نعيم (كنز العمال 612 / 11).

(3) الإصابة 167 / 7.

(4) رواه الطواني (كنز العمال 621 / 11).

الصفحة 460

فإننا ستقبلون أمراً له وجهه وألوان. لا تقوم له القلوب ولا ثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت. واعلموا إنني إن أجبتمكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب وإن توكتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم وأنا لكم وزير خير لكم مني أمير" (1).

لقد أخوهم بأن الأيام في بطونها كثير في وقت بهتت فيه الحقيقة ودثها الغمام في عالم اللارواية ثم خوهم إما أن يجيبهم ويركب بهم ما يعلم وإما أن يتركوه. وهو ما قال هذا إلا لأمرين:

أولهما: أن الناس أعداء ما جهلوا (2). فلراد أن يبين لهم الخطوط الرئيسية حتى يكونوا على علم بما جهلوا.

وثانيهما: أنه أخوهم بخطة عمله كما أخبر من قبل في يوم الشورى على عهد عمر. ليكونوا على بينة من أمرهم ويضعهم في دائرة الاختيار كما وضع غوهم من قبل. وهذا شأن الحجة في كل زمان ومكان فالحجة تفتح الأبواب ولا إكراه في الدين. وهذا في حد ذاته أسمى معاني الحرية. وقبلت أعداد غفيرة أن يبايعوه على ذلك فقال فيما رواه الطوي: ففي المسجد فإن بيعتي لا تكون خفياً ولا تكون إلا عن رضا المسلمين. فلما دخل المسجد دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه ثم بايعه الناس (3)، ولم يتخلف أحد من الأنصار إلا بايع (4)، وروي كان أول من بايعه طلحة ثم الزبير (5) وروي ابن حجر في فتح الباري: عن الأشر قال: رأيت طلحة والزبير بايعا علياً طائعين غير مكهين (6).

(1) ابن أبي الحديد 597 / 2، الطبري باختصار 156 / 5.

(2) هذا القول للإمام علي.

(3) الطوي 152 / 5.

(4) الطوي 155 / 5، البداية والنهاية 227 / 7.

وروي أن الناس عندما بايعوا علياً تبص سبعة نفر فلم يبايعوه منهم سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وصهيب وزيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة وسلمة بن وقش وأسامة بن زيد<sup>(1)</sup> ، وروي أن عمار بن ياسر قال: يا أمير المؤمنين قد بايعك الناس كافة إلا هؤلاء نفر فلو دعوتهم إلى البيعة كي لا يتخلفوا في ذلك عن المهاجرين والأنصار. فقال: يا عمار لا حاجة لنا في من لا يرغب فينا. وعندما قال الأشتر بمثل قول عمار قال الإمام: يا مالك إني لأعوف بالناس منك دع هؤلاء يعملون وأيهم.

وذكر ابن أبي الحديد أن هؤلاء لم يتخلفوا عن البيعة وإنما تخلفوا عن الحرب<sup>(2)</sup> ، وروي أن مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة حضروا عند علي. فقال الوليد وكان لسان القوم: يا هذا إنك قد وتوتنا جميعاً. أما أنا فقد قتلت أبي صورا يوم بدر. وأما سعيد فقد قتلت أباه يوم بدر وكان أبوه ثور قريش. وأما مروان فقد شتمت أباه وعبت علي عثمان حين ضمه إليه. وإنا نبايعك علي أن تضع عنا ما أصابنا. وتعفي لنا عما في أيدينا وتقتل قتلة صاحبنا. فغضب علي وقال: أما ما ذكرت من وتي إياكم فالحق وتوكم وأما وضعي عنكم عما في أيديكم مما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم، وأما قتلي قتلة عثمان فلو لؤمني قتلهم اليوم لؤمني قتلهم غداً. ولكن لكم أن أحملكم على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. فمن ضاق الحق عليه فالباطل عليه أضيقت. وإن شئتم فإلحقوا بملاحقكم<sup>(3)</sup> ، وروي الطوي: هرب سعيد والوليد إلى مكة وتبعهم مروان<sup>(4)</sup> وهرب قوم إلى الشام<sup>(5)</sup> .

وهكذا تمت البيعة التي لم يكن فيها إكراه. وروي أن الإمام علي اشتد

(1) الطبري 155 / 5.

(2) ابن أبي الحديد 746 / 1.

(3) تليخ اليعقوبي 125 / 2.

(4) الطوي 156 / 5 ، البداية والنهاية 227 / 7.

(5) الطوي 154 / 5 ، البداية والنهاية 227 / 7.

أن يكون مفتاح بيت المال معه وأخوهم بأنه لن يأخذ منه وهما وليس له أمر نونهم. ثم قال: رضيتم؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد عليهم ثم بايعهم على ذلك<sup>(1)</sup> ، وروي عنه أنه قال: حق على الإمام أن يحكم بما أتول الله وأن يؤدي الأمانة. فإذا فعل فحق على الناس أن يسمعوا له وأن يطيعوا وأن يجيبوا إذا دعا<sup>(2)</sup> ، وروي عندما بويع الإمام علي بن أبي طالب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خزيمة بن ثابت وهو واقف بين يدي المنبر:

فإذا نحن بايعنا عليا فحسبنا \* أبو حسن مما نخاف من الفتن  
ووجدناه أولى الناس بالناس إنه \* أظب قريشا بالكتاب وبالسنن  
وإن قريشا ما تشق غبله \* إذا ما جرى يوما على الضمر البدن  
وفيه الذين فيهم من الخير كله \* وما فيهم كل الذي فيه من حسن (3)

## 2 - إصلاحات علوية:

بدأ أمير المؤمنين عملية الإصلاح عقب مبايعته. ولم تكن عملية الإصلاح في محيط الغصون أو الثمار وإنما بدأت من عند الجذور حيث توجد سياسة تعيين المنافيين وسياسة عدم الرواية والتصريح بالقص والشعر وإغماض الطوف عن صناعة الخمر وسياسة الخراج وتأويل الآيات ووضعها في غير موضعها واكتناز الذهب والفضة إلى غير ذلك من سياسات، ولم تكن عملية الإصلاح والتغيير عملية سهلة فلقد برزت العقبات وجاءت موقعة الجمل بسوعة ومن بعدها هبت رياح هدفها تحطيم كل شيء. ونحن هنا سنلقي الضوء على بعض التغييرات والإصلاحات ولينتدبر الباحث في جوهرها.

- قار غول أمراء الفتن:

عندما قتل عثمان خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ

(1) الطبري 152 / 5.

(2) رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم (كنز العمال 764 / 5).

(3) الحاكم (المستترك 114 / 3).

الصفحة 463

(1) بدمه . فورد به على معاوية فوضعه معاوية على المنبر لواه الناس. وندب الناس إلى الأخذ بهذا الثأر، فتباكى الناس حول المنبر. وأصدر معاوية قولا بأنه لا يقرب الرجال النساء حتى يأخضوا بثأر عثمان (2) وذكر ابن كثير: أن الناس تباكوا حول القميص سنة واعتلوا النساء في هذا العام (3) وما فعله معاوية يدل على أنه قد أصر على البقاء ولن يوضح لأي محاولة لغزله. وكان علي قد بعث على الشام سهيل بن حنيف بدل معاوية. فسار حتى بلغ تبوك فتلقته خيل معاوية فقالوا: من أنت؟ قال: أمير، قالوا: على أي شيء، قال: على الشام، قالوا: إن كان عثمان بعثك فهلا بك وإن كان غيره فلجع. فقال: أو ما سمعتم الذي كان - أي هل وصلكم أخبار ما حدث؟! قالوا: بلى، فوجع إلى علي (4)، وعندما جاء ابن عباس وكان يؤدي مناسك الحج دخل على أمير المؤمنين وقال له: يا أمير المؤمنين أنا أشير عليك بأن تثبت معاوية فإن بايع لك فعلي أن أقلعه من منزله. فقال الإمام: لا والله لا أعطيه إلا السيف. ثم تمثل بهذا البيت:

ما ميتة إن متها غير عاجز \* بعار إذا ما غالت النفس غولها

فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع... أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الحرب خدعة. قال

الإمام: بلى يا ابن عباس لست من هنيآتكَ وهنيآت معاوية في شئ. تشير علي ورأى. فإذا عصيتك فأطعني فقال: أفعل إن أيسر ما لك عند الطاعة <sup>(5)</sup> ، وكان المغيرة بن شعبة قد قال له قبل ذلك: إني لك ناصح وإني أشير عليك برد عمال عثمان عامك هذا فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم. فإذا بايعوا لك واطمأن الأمر لك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت فقال الإمام: والله لا أدهن في ديني ولا أعطي الدنيا في أمري. قال المغيرة: فإن كنت قد أبيت علي فإزع من شئت واترك معاوية

---

(1) روى ابن أم حبيبة أرسلت القميص مع النعمان إلى معاوية (مروج الذهب 379 / 2).

(2) مروج الذهب.

(3) البداية والنهاية 228 / 7.

(4) البداية والنهاية 230 / 7 ، الطوي 161 / 5.

(5) الطوي 161 / 5.





فإن لمعاوية حوأة وهو في أهل الشام يسمع منه. ولك حجة في إثباته كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام كلها. فقال أمير المؤمنين: لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبدا<sup>(1)</sup> - وفي رواية - إذا كان عمر قد مكن له فأنا لن أمكن له أبدا.

ولم تكن عملية عزل جميع الولاة عملية سهلة. فعندما فرق أمير المؤمنين عماله على الأمصار على امتداد عام 36 هـ كان منهم من يتسلم عمله بهوء ولكن على رضية افتراق الناس. فرقة مع تيار بني أمية وفرقة مع جماعة المسلمين. حدث هذا في البصرة وفي مصر<sup>(2)</sup> ، أما أهل الكوفة فإن الغالبية العظمى تمسكوا بأموهم وأعلنوا بأنهم لا يريدون بأموهم بدلا وكتب أبو موسى إلى أمير المؤمنين بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم وبين الكره منهم للذي كان والراضي بالذي كان<sup>(3)</sup> ، وأبو موسى نفسه كان في مستقر النفس وهو يكتب هذا لأمر المؤمنين - وسوف نرى بعد ذلك. كيف كان يضع العقبات في طريق أمير المؤمنين ورأي أمير المؤمنين وعمار فيه. وكانت بقية الأمصار في طاعة أمير المؤمنين ولكن هذه الطاعة تقف على رضية الخوف من الماضي وطمعا فيما عنده من كنوز. لأنها لا تعرف الحاضر وما حوله من توبة.

#### • قار التسوية في الأموال:

عن ابن عباس قال: إن عليا خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال:

ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان. وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مودود في بيت المال. فإن الحق القديم لا يبطله شيء. ولو وجدته قد تزوج به النساء. وفرق في البلدان لوددته إلى حاله فإن في العدل سعة ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق. قال ابن أبي الحديد: وتفسير هذا الكلام أن الوالي إذا ضاقت عليه تدبيرات أمره في العدل. فهي في الجور أضيق عليه. لأن الجائر في مظنة أن

(1) الطبري 160 / 5.

(2) الطوي 161 / 5.

(3) الطوي 162 / 5.

(1) يمنع ويصد عن جوره .

وروي أن عليا أمر بكل سلاح وجد لعثمان في دره مما تقوى به على المسلمين. فقبض. وأمر بقبض نجائب كانت في دره من إبل الصدقة. فقبضت.

وأمر بقبض سيفه وروعاه. وأمر ألا يعرض لسلاح وجد له لم يقا تل به المسلمين وبالكف عن جميع أمواله التي وجدت في دره وفي غير دره. وأمر أن توتجع الأموال التي أجاز عثمان حيث أصيب أو أصيب أصحابها. فلما بلغ عمرو بن العاص ذلك. وكان بأيلة من أرض الشام. كتب إلى معاوية: ما كنت صانعا فاصنع. إذ قتلوك ابن أبي طالب من كل مال تملكه كما

تقشر عن العصا لجاها.

وقال الوليد بن عقبة وهو أخو عثمان لأمه وصاحب أبي زبيد النصواني وهو يذكر قبض علي بن أبي طالب نجائب عثمان وسيفه وسلاحه:

بني هاشم رنوا سلاح ابن أختكم \* ولا تنهوه لا تحل منا به

بني هاشم كيف الهوادة بيننا \* وعند علي نوحه ونجائبه

بني هاشم كيف التودد منكم \* وبز ابن أروى فيكم وحوائبه

بني هاشم إلا تروا فإننا \* سواء علينا قاتلاه وسالبه

بني هاشم إنا وما كان منكم \* كصدع الصفا لا يشعب الصدع شاعبه

قتلتكم أخي كيما تكونوا مكانه \* كما غرت يوما بكسوى مؤزبه

فأجابه عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب بأبيات طويلة من جملتها:

فلا تسألونا سيفكم إن سيفكم \* أضيع والقاء لدى الروح صاحبه

وشبهته كسوى وقد كان مثله \* شبيها بكسوى هديه وضوائبه

وكان المنصور إذا أنشد هذا الشعر يقول: لعن الله الوليد. هو الذي فوق بين عبد مناف بهذا الشعر (2)، وهكذا بدأ الإمام

علي تحركه. وهكذا بدأ عمرو بن العاص والوليد تحركهما الأول يريد إشعال النار والثاني يريد أموال

(1) ابن أبي الحديد 220 / 1.

(2) ابن أبي الحديد 220 / 1.

الصفحة 466

كسوى وكوسي كسوى. ولكن الإمام لم يبال بهذا ولا بذلك وبدأ في إصلاح السياسة الحالية للخواج. فعندما قدم عليه عبد

الله بن زمعة وهو من شيعته وطلب منه ما لا فقال له الإمام علي: إن هذا المال ليس لي ولا لك وإنما هو فئ المسلمين. وجلب

أسيافهم فإن شركتهم في حربهم.. كان لك مثل حظهم. وإلا فجنة أيديهم لا تكون لغير أخواهم (1). فهنا عادت الحقوق للمقاتلة

ولم يعد.

السواد بستانا لقريش. كما عاد التسوية في العطاء. وعندما عوتب الإمام على التسوية في العطاء. وعندما عوتب الإمام

على التسوية في العطاء. وتصيروه الناس أسوة في العطاء من غير تفضيل أولى السابقات والشرف على غرهم. كما كان

يحدث من قبل (2) قال الإمام علي: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه؟ والله لا أطور به ما سمر سمير (3).

وما أم نجم في السماء نجما (4). ولو كان المال لي لسويت بينهم.. فكيف وإنما المال مال الله. ثم قال الإمام: ألا وإن إعطاء المال

في غير حقه تبذير وإسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة. ويكرمه في الناس. ويهينه عند الله. وكم يضع امرؤ

ماله في غير حقه وعند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم. وكان لغره ودهم. فإن زلت به الفعل يوما فاحتاج إلى معونتهم فشر

خليل. وألام خدين (5) . أي: لو احتاج إليهم يوماً عند عثرة يعثوها لم يجدهم (6) .

وكان أمير المؤمنين واقب عماله في الأمصار من ناحية تصرفهم في الأموال: روي أنه كتب إلى زياد وكان خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة وكان عبد الله عامل أمير المؤمنين عليها وعلى كور الأهواز وقرمان وغوها: وإني أقسم بالله قسماً صادقاً. لئن بلغني أنك خنت من فيء

(1) ابن أبي الحديد 4 / 72

(2) راجع كتاب سيرة عمر لابن الجوزي، ابن أبي الحديد 4 / 3.

(3) أي ما أقام الدهر وما بقي.

(4) أي قصد وتقدم لأن النجوم تتبع بعضها بعضاً.

(5) الخدين / الصديق.

(6) ابن أبي الحديد 3 / 3.

الصفحة 467

المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً. لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر (1) . ثقيل الظهر (2) ، ضئيل الأمر (3) ، والسلام (4) ، وروي أنه رضي الله عنه كتب إلى بعض عماله: أما بعد. فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك. وعصيت إمامك. وأخربت أمانتك (5) . بلغني أنك جردت الأرض (6) وأخذت ما تحت قدميك وأكلت ما تحت يديك. فرفع إلي حسابك. واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس. والسلام (7) وكتب إلى عامله على رُدشير: بلغني عنك أمر. إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك وعصيت إمامك.. أنك تقسم في المسلمين فيمن أعتامك من أعواب قومك. فالذي فلق الحبة ووأ النسمة. لئن كان ذلك حقاً. لتجدن لك علي هواناً. ولتخفن عندي مزاناً. فلا تستهن بحق ربك. ولا تصلح دنياك بمحق دينك. فتكون من الأخسرين أعمالاً. ألا وإن حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفئ سواء. يرون عندي عليه ويصدرون (8) والمعنى: أنه نهى عن أن يقسم الفئ على أعواب قومه الذين اتخوه سيذا ورئيساً. ويحرم المسلمين الذين حازوه بأنفسهم وسلاحهم.

وكتب إلى عامله على آذربيجان: وإن عملك ليس لك بطعمة ولكنه في عنقك أمانة. وأنت ستوعى لمن فوقك. ليس لك أن تقنات في رعية. ولا تخاطر إلا بوثيقة. وفي يدك مال من مال الله عز وجل. وأنت من حرانه حتى تسلمه إلي (9) .

(1) أي أفقرك بأخذ ما احتجت من بيت مال المسلمين.

(2) أي مسكين لا تقدر على مؤونة عيالك.

(3) أي حقير لأنك إذا افتقت صغرت عند الناس.

(4) ابن أبي الحديد 4 / 568

(5) أي أذلتها وأهنتها.

(6) أي قشرتها.

(7) ابن أبي الحديد 792 / 4.

(8) ابن أبي الحديد 801 / 4.

(9) ابن أبي الحديد 309 / 4.

كان هذا ضوءاً على قرات الإمام علي بخصوص الفئ ومنها علمنا أن الذين شاركوا في الحروب لا تكون حقوقهم لغورهم. كما علمنا أن الإمام كان يسوي بين الناس في العطاء. وكان يتعامل مع المال على أنه مال الله. وبنظرة سريعة أيضاً على أموال الصدقة نجد أنه كان يتعامل مع هذا المال بدقة شديدة فعامله على الصدقة يتحرك وفقاً لأوامر عمودها الفقوي يقوم على الرحمة وعندما تصل الصدقات إلى الإمام فإنه يعطيها لمن أوجبها الله لهم. ومن وصية كان رضي الله عنه يكتبها لمن يستعمله على الصدقات ستوى كيف كان يقيم عماد الحق في صغير الأمور وكبورها. يقول الإمام في وصيته: إنطلق على تقوى الله وحده لا شريك له. ولا تروعن <sup>(1)</sup> مسلماً. ولا تجتزن عليه كلها <sup>(2)</sup>. ولا تأخذ منه أكثر من حق الله في ماله. فإذا قدمت على الحي فاتول بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم <sup>(3)</sup>. ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم. ولا تخدج بالتحية لهم ثم تقول: عباد الله. أرسلني إليكم ولي الله وخليفتم لآخذ منكم حق الله في أموالكم. فهل لله في أموالكم من حق فتؤوه إلى وليه؟ فإن قال قائل: لا. فلا تراجع. وإن أنعم لك منعم <sup>(4)</sup> فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده، أو تعسفه (ذ) أو تهقه <sup>(6)</sup>. فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة. فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه. فإن أكثرها له. فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ولا عنيف به. ولا تتفون بهمة ولا تفز عنها. ولا تسوعن صاحبها فيها <sup>(7)</sup>. واصدع المال صدعين ثم خوه <sup>(8)</sup>. فإذا اختار فلا

(1) أي لا تفر عن.

(2) أي لا تمنون ببيوت أحد من المسلمين يكوه موروك.

(3) وذلك لأن الغريب يحمده منه الانقباض.

(4) أي قال لك نعم.

(5) أي لا تأخذ منه الصدقة عسفاً.

(6) أي لا تكلفه العسر والمشقة.

(7) أي لا تغموه ولا تحزنوه.

(8) أي شقه نصفين ثم خوه.

تعرضن لما اختلره. ثم اصدع الباقي صدعين. ثم خوه. فإذا اختار فلا تعرضن لما اختلره. فلا زال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله. فاقبض حق الله منه. فإن استقالك فأقله. ثم اصنع مثل الذي صنعت وألا حتى تأخذ حق الله في ماله. ولا تأخذن عوداً (1) ولا هومة (2) ولا مكسورة (3) ولا مهلوسة (4) ولا ذات عوار ولا تأمنن عليها إلا من تثق بدينه. رافقا بمال المسلمين حتى يوصله إلى وليهم فيقسمه بينهم. ولا توكل بها إلا ناصحا شفيقا وأمينا حفيظا. غير معنف (5) ولا مجحف (6) ولا ملعب (7) ولا متعب. ثم احذر إلينا ما اجتمع عندك. نصوه حيث أمر الله. فإذا أخذها أمينك فلو عز إليه ألا يحول بين ناقة وبين فصيلها. ولا يمصر لبنها (8) فيضر ذلك بولدها. ولا يجهدنهاركوبا. وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها وليرفه على اللاغب. وليستان بالنقب والظالع (10). وليوردها ما تمر به من الغدر (11). ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطرق. وليروحها في الساعات. وليمهلهما عند النطاف (12) والأعشاب. حتى تأتينا بإذن الله بدنا (13) منقبات (14). غير متعبات ولا مجهودات لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم. فإن ذلك

(1) العود / المسن من الإبل.

(2) المسنة أيضا.

(3) التي إحدى قوائمها مكسورة.

(4) المريضة.

(5) المعنف / ضد الوفق.

(6) الذي يسوق المال سوقا عنيفا فيهلكه.

(7) متعب.

(8) حلب ما في الضوع جميعا.

(9) أي أوره أن يستأني بالبعير ذي النقب لوقه خفه حتى لا تجرحه الأرض.

(10) أي الذي غمز في مشيه.

(11) جمع غدِير الماء.

(12) الماء الصافي القليل.

(13) أي السمان.

(14) أي نوات شحم ولحم.

(1) أعظم لأجرك وأقرب لوشدك إن شاء الله " .

الإمام. والإمام وحده أوى الناس بطبيعة من حوله.

قولات قيادية:

لم تكن مهمة الإمام محصورة في بيت المال لأنه حجة والحجة لها دعوة ونحن سنسلط ضوءا على بعض رسائله إلى عماله لوتشف رحيق الدعوة من خلالها. كتب إلى عامله صاحب جند حلوان: أما بعد. فإن الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثورا من العدل. فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء. فإنه ليس في الجور عوض من العدل. فاجتنب ما تتكر أمثاله. وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك. راجيا ثوابه. ومتخوفا عقابه. واعلم أن الدنيا دار بلية لم يؤغ صاحبها فيها قط ساعة إلا كانت فوغته عليه حسوة يوم القيامة وإنه لن يغنيك عن الحق شئ أبدا. ومن الحق عليك حفظ نفسك. والاحتساب على الوعية بجهدك. فإن الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك.

(2)  
والسلام .

لقد بين له أنه إذا اختلف هو الوالي منعه كثورا من الحق. لأنه متى لم يكن الخصمان عند الوالي سواء في الحق جار وظلم. وفي النهاية ذكره بالآخرة، ومن كتاب له رضي الله عنه إلى الحرث الهمداني وكان أحد الفقهاء قال: تمسك بحبل القوان واستصحه وأحل حلاله. وحرم حرامه. وصدق بما سلف من الحق. واعتبر بما مضى من الدنيا لما بقي منها. فإن بعضها يشبه بعضها. وآخوها لاحق بأولها. وكلها حائل مفلق. وعظم اسم الله أن تذكره إلا على حق. وأكثر ذكر الموت وما بعد الموت ولا تتمن الموت إلا بشوط وثيق. واحذر كل عمل

(1) ابن أبي الحديد 578 / 4.

(2) ابن أبي الحديد 105 / 5.

الصفحة 471

يرضاه صاحبه لنفسه. ويكوهه لعامة المسلمين. واحذر كل عمل يعمل به في السر. ويستحي منه في العلانية. واحذر كل عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكوه واعتذر منه. ولا تجعل عرضك غرضا لنبال القوم. ولا تحدث الناس بكل ما سمعت به. فكفى بذلك كذبا. ولا تود على الناس كل ما حدثوك به. فكفى بذلك جهلا. واكظم الغيظ واحلم عند الغضب. وتجاوز عند المقورة. واصفح مع الدولة تكن لك العاقبة. واستصلح كل نعمة أنعمها الله عليك. ولا تضيعن نعمة من نعم الله عندك. ولير عليك أثر ما أنعم الله به عليك (1) ، ومن كتابا له إلى عامله على مكة (2) قال: أما بعد. فأقم للناس الحج، وذكرهم بأيام الله.

واجلس لهم العصورين. فأفت المستفتي وعلم الجاهل. وذكر العالم. ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك ولا حاجب إلا وجهك. ولا تحجبن ذا حاجة عن لقاءك بها. فإنها إذا زيدت عن أبوابك في أول وردها. لم تحمد فيما بعد على قضائها. وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من نوي العيال والمجاعة. مصيبا به مواضع المفاقر والخلات. وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا. ومر أهل مكة ألا يأخونا من ساكن أجوا.

فإن الله سبحانه يقول: (سواء العاكف فيه والباد) فالعاكف: المقيم به.

والبادي: الذي يحج إليه من غير أهله. وقفنا الله وإياكم لمحابه والسلام " (3)

ولما كنا قد سلطنا الضوء هنا على بعض وصايا الأيام علي لعماله فإننا نرى أنه لا ينبغي لنا أن ننهي هذا الضوء إلا بعد أن نسلطه على كتاب الإمام إلى مالك الأشتر لما ولاه مصر. وهذا الكتاب وضع موضع العناية منذ أقدم العصور إلى يوم الناس هذا عند الكثير من رجال العلم. وأعلام الأدب. وأساتذة القانون. فلقد تناولوه درسا وبحثا. وأوسعوه شرحا وتعليقا. وأفردوا فيه المؤلفات، وترجموه إلى بعض اللغات (4) وكتاب أمير المؤمنين إلى مالك

(1) ابن أبي الحديد 226 / 5.

(2) هو قثم ابن العباس.

(3) ابن أبي الحديد 229 / 5.

(4) راجع مصادر نهج البلاغة / السيد الحسيني الخطيب 426 / 3.

الصفحة 472

الأشتر يعتبر عهدا جامعا شاملا وهو أطول عهد. ولطوله سنورد قوات منه ومن أراد أن يقف على الخطاب بطوله فعليه بالمطولات. قال الإمام بعد أن أمر بتقوى الله وإيثار طاعته واتباع ما أمر به في كتابه من فوائده وسننه:... وأشعر قلبك الوحمة (1) للوعية. والمحبة لهم. واللفظ بهم. ولا تكن عليهم سبعا ضلريا تغتمم أكلهم. فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين. وإما نظير لك في الخلق (2) . يفوط منهم الزلل. وتعرض لهم العلل. ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ. فاعطهم من عفوك وصفحك. مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه. فإنك فوقهم. ووالي الأمر عليك فوقك. والله فوق من ولاك. وقد استكفأك أمرهم. وابتلاك بهم. ولا تنصين نفسك لحرب الله (3) . فإنه لا يدي لك بنقمته. ولا غنى بك عن عفوه ورحمته. ولا تتدمن على عفوه. ولا يتبجح بعقوبة. ولا تسوعن إلى باوة وجدت عنها مندوحة. ولا تقولن إني مؤمر أمر فأطاع (4) . فإن ذاك إدغال (5) في القلب. ومنهكة للدين (6) . وتقوب من الغير. وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة. فانظر إلى عظم ملك الله فوقك. وقبرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك. فإن ذلك يطامن إليك طماحك. ويكف عنك من غوبك (7) . ويفئ إليك بما غزب عنك من عقلك. إياك ومساماة الله في عظمته (8) . والتشبه به في جبروته. فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال. أنصف الله (9) وأنصف الناس من نفسك. ومن

(1) أي إجعلها كالشعار له.

(2) فالوعية إما أخوك في الدين أو إنسان مثلك تقتضي رقة الجنسية وطبع البشوية الوحمة له.

(3) أي لا تبارزه بالمعاصي.

(4) أي لا تقل: إني أمير ووال أمر بالشئ فأطاع.

(5) الإدغال / الإفساد.

(6) ومنهكة للدين: ضعف وسقم.

(7) الغوب: حد السيد.

(8) أي مبراته في السمو، وهو العلو.

(9) أي قم له بما فرض عليك من العبادات.

الصفحة 473

خاصة أهلك. ومن لك هوى فيه من رعيتك. فإنك إلا تفعل تظلم. ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده. ومن خصمه الله أدحض حجته. وكان لله حربا حتى يزوع أو يتوب. وليس شئ أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم. فإن الله يسمع دعوة المضطهدين. وهو للظالمين بالمرصاد.

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق. وأعمها في العدل. وأجمعها لرضا الوعية. فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة. وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة.

قال ابن أبي الحديد: قال له: أنصف الناس من نفسك ومن ولدك وخاصة أهلك ومن تحبه وتميل إليه من رعيتك فحتى لم تفعل ذلك كنت ظالما. ثم قال الإمام:

وليكن أبعد رعيتك منك. وأشنأهم عندك أطلبهم لمعايب الناس. فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سؤها، فلا تكشف عما غاب عنك منها. فإنما عليك تطهير ما ظهر لك. والله يحكم على ما غاب عنك. فاستر العورة ما استطعت. يستر الله منك ما تحب سؤه من رعيتك. أطلق عن الناس عقدة كل حقد. واقطع عنك سبب كل وتر. وتغاب عن كل ما لا يضح لك. ولا تعجلن إلى تصديق ساع. فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين. ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل. ويعدك الفقر. ولا جباناً يضعفك عن الأمور. ولا حريصاً يزين لك الشوه بالجور. فإن البخل والجبن والحوص غوائز شتى يجمعها سوء الظن بالله.

إن شر وزرائك من كان قبلك للأشوار وزوا. ومن شكرهم في الآثام فلا يكن لك بطانة. فإنهم أعوان الأئمة. وإخوان الظلمة. وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفادهم. وليس عليه مثل أصلهم وأوزارهم وآثامهم. ممن لم يعاون ظالما على ظلمه. ولا آثما على إثمه. أولئك أخف عليك مؤونة وأحسن لك معونة. وأحنى عليك عطفاً. وأقل لغورك إلفاً. فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك. ثم ليكن آؤهم عندك أقولهم بمر الحق لك.

وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه. واقعا ذلك من هোক

الصفحة 474

حيث وقع.

قال ابن أبي الحديد: نهاه رضي الله عنه أن يتخذ بطانة قد كانوا من قبل بطانة للظلمة. وذلك لأن الظلم وتحسينه قد صار



ملكة ثابتة في أنفسهم. فبعيد أن يمكنهم الخلو منها إذ قد صلت كالخلق الغوي اللارم لتكورها وصيرورتها عادة. فقد جاءت النصوص في الكتاب والسنة بتحريم معاونة الظلمة ومساعدتهم وتحريم الاستعانة بهم. فإن من استعان بهم كان معينا لهم قال تعالى: (وما كنت متخذ المضلين عضدا) <sup>(1)</sup> ، وقال: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوانون من حاد الله ورسوله) <sup>(2)</sup> ، ثم يقول الإمام في كتابه:

"والصق بأهل الروع والصدق. ثم رضهم على ألا يطروك ولا يبججوك بباطل لم تفعله. فإن كثرة الاطواء تحدث الروع. وتدني من الغوة. ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمقولة سواء. فإن في ذلك تهيدا لأهل الاحسان في الاحسان. وتريبا لأهل الإساءة على الإساءة. وأثم كلا منهم ما أثم نفسه.

واعلم أنه ليس شئ بأدعى إلى حسن ظن وال وعيته من إحسانه إليهم. وتخفيفه المؤونات عليهم. وترك استكواهه إياهم على ما ليس له قبلهم. فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن وعيتك. فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا. وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده... واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض. ولا غنى ببعضها عن بعض. فمنها جنود الله. ومنها كتاب العامة والخاصة. ومنها قضاة العدل. ومنها عمال الإنصاف والرفق. ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس.

ومنها التجار وأهل الصناعات. ومنها الطبقة السفلى من نوي الحاجات والمسكنة. وكل قد سمي الله له سهمه. ووضع على حده وفريضته في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله عهدا منه عندنا محفوظا. فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاية، وعز الدين، وسبل الأمن.

(1) سورة الكهف: الآية 51.

(2) سورة المجادلة: الآية 22.

الصفحة 475

وليس تقوم الرعية إلا بهم. ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقرون به على جهاد عنوهم. ويعتمدون عليه فيما يصلحهم. ويكون من وراء حاجتهم. ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاء والعمال والكتاب، لما يحكمون من المعاهد. ويجمعون من المنافع. ويؤمنون عليه من خواص الأمور وعوامها. ولا قوام لهم جميعا إلا بالتجار ونوي الصناعات. فيما يجتمعون عليه من مرافقتهم. ويقيمونه من أسواقهم. ويكفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غروهم.

ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة. الذين يحق رفدهم ومعونتهم. وفي الله لكل سعة. ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه. وليس يخرج الوالي من حقيقة ما أؤمه الله تعالى من ذلك. إلا بالاهتمام والاستعانة بالله. وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل. فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك. وأطهرهم جنبا. وأفضلهم حلما. ممن يبطئ عن الغضب. ويستريح إلى العذر. ورأف بالضعفاء <sup>(1)</sup> .

وينبو على الأقوياء (2) . وممن لا يثوره العنف (3) . ولا يقعد به الضعف (4) . ثم الصق بنوي المروءات والأحساب . وأهل البيوتات الصالحة . والسوابق الحسنة .

ثم أهل النجدة والشجاعة . والسخاء والسماحة . فإنهم جماع من الكرم . وشعب من العرف . ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما . ولا يتفاقم في نفسك شئ قويتهم به . ولا تحقن لطفًا تعاهدتهم به وإن قل . فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك . وحسن الظن بك . ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها . فإن لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به . وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه . وليكن أثر رؤوس جنك عندك من واساهم في معونته . وأفضل عليهم من جدته . بما يسعهم ويسمع من وراءهم من خلوف

(1) أي: الذي يقبل أدنى عذر ويستريح له ويسكن عنده . ويرفق بالضعفاء ويرحمهم .

(2) أي يتجافى عنهم ويبعد . أي لا يمكنهم من الظلم والتعدي على الضعفاء .

(3) أي لا يهيج غضبه عنف وقسوة .

(4) أي ليس عاجزا .

الصفحة 476

أهليهم (1) . حتى يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو . فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك . ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاية أمورهم . وقلة استئصال دولهم (2) . وتوك استبطاء انقطاع مدتهم . فافسح في آمالهم . وواصل من حسن الثناء عليهم . وتعدد من أبلى نوي البلاء منهم . فإن كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز الشجاع . وتحرض الناكل . إن شاء الله . ثم عرف لكل امرئ منهم ما أبلى . ولا تضمن بلاء امرئ إلى غوه (3) . ولا تقصرون به دون غاية بلائه . ولا يدعونك شوف امرئ إلي أن تعظم من بلائه ما كان صغوا . ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيما . وردد إلى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب . ويشتبه عليك من الأمور . فقد قال تعالى لقوم أحب لرشادهم: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنزلتم في شئ فودوه إلى الله والرسول)، فالود إلى الله الأخذ بمحكم كتابه . والود إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير الموقفة .

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيك في نفسك . ممن لا تضيق به الأمور . ولا تمحكه الخصوم (4) . ولا يتمادى في الزلة (5) . ولا يحرص من الفئ إلى الحق إذا عرفه (6) . ولا تشوف نفسه على طمع (7) . ولا يكتفي بأدنى منهم نون أقصاه (8) .

وأوقفهم في الشبهات . وأخذهم بالحجج . وأقلهم تروما

(1) أي ممن يخلفونه من أولادهم وأهليهم .

(2) أي لا تصح نصيحة الجند لك إلا إذا أحوا أمراءهم ثم لم يستنقلوا دولهم . ولم يتمنوا زوالها .

(3) أي اذكر كل من أبلى منهم مفودا غير ضوموم ذكر بلائه إلى غوه . كي لا يكون مغمورا في جنب ذكر غوه .

(4) أي تجعله ماحكا. أي لرجا.

(5) أي إن زل رجع وأتاب.

(6) نفس المعنى السابق.

(7) أي لا تشفق.

(8) أي لا يكون قانعا بما يخطر له بادئ الوأي من أمر الخصوم بل يبحث أشد البحث.

الصفحة 477

براجعة الخصم (1) . وأصوهم على كشف الأمور. وأصومهم (2) عند إيضاح الحكم. ممن لا يؤدّيهه إطاء. ولا يستمليه إغواء. وأولئك قليل. ثم أكثر تعاهد قضائه. وأفسح له في البذل ما يريح علته. وتقل معه حاجته إلى الناس. وأعطه من المقتولة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك. ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك. فانظر في ذلك نظرا بليغا. فإن هذا الدين قد كان أسوا في أيدي أشوار (3) . يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا. ثم انظر في أمور عمالك.

فاستعملهم اختلوا. ولا تولهم محاباة وأثرة. فإنهما جماع من شعب الجور والخيانة. ووخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة. والقدم في الإسلام المتقدمة. فإنهم أكرم أخلاقا. وأصح أعراضا. وأقل في المطامع إشرافا. وأبلغ في عواقب الأمور نظرا. ثم أسبغ عليهم الأرزاق. فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم. وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم. وحجة عليهم إن خالفوا أمرك. أو ثلموا أمانتك. ثم تفقد أعمالهم. وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم. فإن تعاهدك في السر لأمرهم حنوة لهم على استعمال الأمانة. والوفق بالوعية. وتحفظ من الأعوان. فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك. اكتفيت بذلك شاهدا. فبسطت عليه العقوبة في بدنه. وأخذته بما أصاب من عمله. ثم نصبته بمقام الذلة. ووسمته بالخيانة. وقلدته عار التهمة. وتفقد أمر الخواج بما يصلح أهله. فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم. ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم. لأن الناس كلهم عيال على الخواج وأهله. وليكن نظرك في عملة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخواج. لأن ذلك لا يبرك إلا بالعملة. ومن طلب الخواج بغير عملة أخرج البلاد. وأهلك العباد... ولم يستقم أمره إلا قليلا. فإن شكوا

(1) أي تضجرا.

(2) أي: اقطعهم وأمضاهم.

(3) هذه إشارة إلى قضاة عثمان وحكامه وإنهم لم يكونوا يقضون بالحق عنده. بل بالهوى لطلب الدنيا.

الصفحة 478

ثقلا (1) أو علة (2) . أو انقطاع شرب (3) ، أو بالة (4) . أو إحالة أرض اغتروها غرق (5) . أو أجحف بها عطش (6) . خففت عنهم بما توجب أن يصلح به أمرهم.

ولا يتقلن عليك شئ خففت به المؤونة عنهم. فإنه ذخر يعيدون به عليك في عملة بلادك. وتربين ولايتك. مع استجلابك

حسن ثنائهم. وتبجحك باستفاضة العدل فيهم. معتمداً فضل قوتهم. بما ذخرت عندهم من إجماعك لهم. والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم. فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه. طيبة أنفسهم به. فإن العوان محتمل ما حملته. وإنما يؤتى خراب الأرض عن أعواز أهلها. وإنما يعوز أهلها لإثواف أنفسهم الولاية على الجمع. وسوء ظنهم بالبقاء. وقلة انتفاعهم بالعبر، ثم انظر في حال كتابك. فول على أمورك خوهم. واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكايذك وأسورك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق ممن لا تبطوه الكرامة.

فيجوزى بها عليك في خلاف لك بحضرة ملاً. ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك. وإصدار جواباتها على الصواب عنك. وفيما يأخذ لك ويعطى منك. ولا يضعف عقداً اعتقده لك. ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك. ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور. فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غوه أجهل. ثم لا يكن اختيلك إياهم على فاستك واستنامتك وحسن الظن منك.

فإن الرجال يتعرضون لفاسات الولاية بتصنعهم وحسن حديثهم. وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء. ولكن اخترهم بما ولوا الصالحين قبلك. فأعد لأحسنهم كان في العامة أژا. وأعرفهم بالأمانة وجهاً. فإن ذلك دليل على نصيحتك الله. ولمن وليت أمره. واجعل رأس كل أمر من أمورك رأساً منهم، لا

(1) أي ثقل الخراج المضروب عليهم.

(2) أو علة / أي نحو ما يصيب الغلة آفة كالحواد والورد.

(3) أي ينقص الماء.

(4) بالة / يعني المطر.

(5) أي أن الأرض غورها الغرق وأفسدها.

(6) أي أتلّفها.

الصفحة 479

يقوه كبوها. ولا يتشتت عليه كثورها. ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه أؤمته.

ثم استوص بالتجار ونوي الصناعات. وأوصى بهم خوا. المقيم منهم والمضطرب بماله. والمترفق ببذنه. فإنهم مواد المنافع. وأسباب العرافق.

وجلابها من المباعد والمطرح (1) . في برك وبحرك. وسهلك وجبلك. وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها. ولا يجترئون

عليها. فإنهم سلم لا تخاف بانقته وصلح لا تخشى غائلته. وتفقد أمرهم بحضورتك. وفي حواشي بلادك. واعلم - مع ذلك -

أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً. وشحا قبيحاً. واحتكراً للمنافع.

وتحكماً في البياعات. وذلك باب مضرة للعامة. وعيب على الولاية. فامنع من الاحتكار. فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم

منع منه. وليكن البيع سمحاً بمولزين عدل. وأسعار لا تجحف بالفويقين من البائع والمبتاع. فمن قرف حكرة بعد نهيك إياه

فنكل به. وعاقبه من غير إسراف.

ثم الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم. من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والثرمني <sup>(2)</sup>. فإن في هذه الطبقة قانعا <sup>(3)</sup> ومعزوا <sup>(4)</sup>.

واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم. واجعل لهم قسما من بيت مالك. وقسما من غلات صوافي الإسلام في كل بلد. فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى وكل قد استوعبت حقه <sup>(5)</sup>. ولا يشغلنك عنهم بطر. فإنك لا تعذر بتضييع التافه <sup>(6)</sup> لإحكام الكثير المهم. فلا تشخص همك عنهم، ولا خذك لهم. وتفقّد أمور من لا يصل إليك منهم. ممن تقتحمه العيون <sup>(7)</sup>. وتحقوه الرجال. ففوغ

(1) الأماكن البعيدة.

(2) أي البؤس وأولو الزمانة.

(3) القانع / السائل.

(4) المعتر، الذي يعرض لك ولا يسألك.

(5) أي كل فواء المسلمين سواء في سهامهم ليس فيهم أقصى وأدنى.

(6) التافه / الحقير.

(7) أي تروديه وتحتوه.

الصفحة 480

لأولئك ثقنك من أهل الخشية والتواضع. فليرفع إليك أمورهم. ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله <sup>(1)</sup> سبحانه يوم تلقاه. فإن هؤلاء من بين الرعية أخرج إلى الإنصاف من غوهم. وكل فأعذر إلى الله في تأدية حقه إليه، وتعهّد أهل اليتيم، ونوي الرقة في السن. ممن لا حيلة له. ولا ينصب للمسألة نفسه. وذلك على الولاية ثقيل. والحق كله ثقيل. وقد تخففه الله على أقرام ظلوا العاقبة فصبروا أنفسهم. ووثقوا بصدق موعود الله لهم.

واجعل لنوي الحاجات منك قسما توغ لهم فيه شخصك. وتجلس لهم مجلسا عاما. فتتواضع فيه لله الذي خلقك. وتقعّد عنهم جندك وأعانك من أهواك وشوطك حتى يكلمك متكلمهم غير متنتع <sup>(2)</sup>. فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في غير موطن: لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متنتع " ثم احتمل الخرق <sup>(3)</sup> منهم والعي <sup>(4)</sup> .. ونح عنهم الضيق والأنف. يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته. ويوجب لك ثواب طاعته. وأعط ما أعطيت هنيئا. وامنع في إجمال واعتذار ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباحثته. منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك. ومنها إصدار حاجات الناس عند ورودها عليك بما تخرج به صدور أعوانك. وامض لكل يوم عمله. فإن لكل يوم ما فيه. واجعل لنفسك فيها بينك وبين الله تعالى أفضل تلك المواقيت. واجزل تلك الأقسام. وإن كانت كلها لله. إذا صلحت فيها النية.

وسلمت فيها الرعية. وليكن في خاصة ما تخلص لله به إقامة فوائضه التي هي له خاصة. فأعط الله من بدنك في ليلك

ونهلك. ووف ما تقويت به إلى الله سبحانه من ذلك كاملا غير مكوم ولا منقوص. بالغا من بدنك ما بلغ. وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكن منوا ولا مضيئا. فإن في الناس من به علة. وله الحاجة، وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وجهني إلى اليمن.

(1) أي في تأدية حقه والقيام بفرائضه.

(2) أي غير مزعج ولا مقلق.

(3) الخوق / الجهل.

(4) أي / الجهل أيضا.

الصفحة 481

كيف أصلي بهم؟ فقال: " صل بهم كصلاة أضعفهم. وكن بالمؤمنين رحيمًا "

وأما بعد هذا. فلا تطولن احتجاجك عن رعيتك فإن احتجاج الولاة عن الوعية. شعبة من الضيق. وقلة علم بالأمر. والاحتجاج منهم يقطع عنهم علم ما احتجوا بونه. فيصغر عندهم الكبير. ويعظم الصغير، ويقبح الحسن. ويحسن القبيح. ويشاب الحق بالباطل. وإنما الوالي بشر لا يعرف ما تورى عنه الناس به من الأمور. وليست على الحق سمات لا تعرف بها ضروب الصدق من الكذب. وإنما أنت أدر جليلين: أما أمرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق. فقيم احتجاجك من واجب حق تعطيه. أو فعل كريم تسديه أو مبتلي بالمنع. فما أسوع كف الناس عن مسألتك. إذا أيسوا من ذلك! مع أن أكثر حاجات الناس إليك ما لا مؤونة فيه عليك. من شكاية مظلمة. أو طلب إنصاف في معاملة.

ثم إن للوالي خاصة وبطانة. فيهم استئثار وتطول. وقلة إنصاف في معاملة. فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال. ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعة. ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شوب أو عمل مشؤك. يحملون مؤونته على غوهم. فيكون مهناً ذلك لهم بونك. وعيبه عليك في الدنيا والآخرة. وأؤم الحق من لؤمه من القريب والبعيد. وكن في ذلك صاوا محتسبا. واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع. وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه. فإن مغبة ذلك محمودة. وإن ظننت الوعية بك جيفا. فأصحر لهم بعنوك. وأعدل عنك ظنونهم بإصحرلك. فإن في ذلك رياضة منك لنفسك. ورفقا وعيتك. وإعذرا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق.

قال ابن أبي الحديد: نهاء عن أن يحمل أقلبه وحاشيته وخواصه على رقاب الناس. وأن يمكنهم من الاستئثار عليهم والتطول والإذلال. ونهاء عن أن يقطع أحدا منهم قطيعة. أو يملكه ضيعة تضر بمن يجاورها في شوب يتغلبون على الماء منه. أو ضياع يضيفونها إلى ما ملكهم إياه. وإعفاء لهم من مؤنة. أو حفر وغوهم. فيعفيهم الولاة منه مراقبة لهم. فتكون مؤنة ذلك الواجب عليهم قد أسقطت عنهم. وحمل ثقلها على غوهم. ثم قال الإمام: لأن منفعة ذلك في

الصفحة 482

الدنيا تكون لهم بونك. والوزر في الآخرة عليك. والعيب والذم في الدنيا أيضا لا حقان بك. ثم قال له: إن اتهمتك الوعية

بحيف عليهم. أو ظنت بك جوراً.

فاذكر لهم عنرك في ذلك. وما عندك ظاهر غير مستور. فإنه الأولى والأقرب إلى استقامتهم لك على الحق. ثم قال الإمام:  
" وإن عقدت بينك وبين عدو لك عقدة. أو ألبسته منك ذمة. فحط عهدك بالوفاء. وراع ذمتك بالأمانة... إياك والدماء وسفكها  
بغير حلها. فإنه ليس شئ أدعى لنقمة. ولا أعظم لتبعة. ولا أحرى بزوال نعمة. وانقطاع مدة. من سفك الدماء بغير حقها...  
ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد. لأن فيه قود البدن... وإياك والإعجاب بنفسك. والثقة بما يعجبك منها. وحب  
الاطراء. فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه. يحق ما يكون من إحسان المحسنين. وإياك والمن على رعيتك بإحسانك.  
أو التريد فيما كان من فعلك.

أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك. فإن المن يبطل الاحسان. والتريد يذهب بنور الحق. والخلف يوجب المقت عند الله  
والناس... وإياك والعجلة بالأمر قبل وأنها. أو التساقط فيها عند إمكانها. أو اللجاجة فيها إذا تنكوت. أو الوهن عنها إذا  
استوضحت. فضع كل أمر موضعه. وأوقع كل عمل موقعه. وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة. والتغابي عما تعني به مما قد  
وضح للعيون. فإنه مأخوذ منك لغوك.. وعما قليل تتكشف عن أغطية الأمور. وينتصف منك للمظلوم. أملك حمية أنفك.  
وسورة حدك. وسطوة يدك. وغرب لسانك.

واحترس من كل ذلك بكف البأوة. وتأخير السطوة. حتى يسكن غضبك.

فتملك الاختيار. ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك...

وأنا أسأل الله بسعة رحمته. وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة. أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه. من الإقامة على العذر  
الواضح إليه وإلى خلقه. ومن حسن الثناء في العباد. وجميل الأثر في البلاء.  
وتمام النعمة. وتضعيف الكرامة. وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة.  
إنا إلى الله راغبون. والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين

(1) الطاهرين .

ومن هذا العهد نرى أن الإمام كان يختار الولاية وفقاً لقاعدة لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق ثم يزوده بالتعليمات  
التي تسوق الناس إلى صراط الله المستقيم. وواقبه بعيون ليس لها مصلحة إلا ابتغاء مرضاة الله. فإن أخطأ الوالي شهد عليه  
من لا شبهة فيه عند الإمام وعند الناس. ومن هذا كله علمنا أن الإمارة لم تكن في عهد الإمام وجاهة ونباله وقتلا من أجل  
مزيد من الخراج.

ولكنها كانت مهمة توفق بالإنسان لتكون فطرته مهياً لاستقبال النور. ولقد رأينا من قبل كيف كان الإمام يوصي عماله  
على الصدقة بالرحمة بالحيوان وأن لا يحول بين ناقه وبين فصيلها. ولا يجهدنهاركوبا وليعدل بين صواحباتها في ذلك  
وبينها. إلى غير ذلك، فالرحمة كانت عنواناً أصيلاً يقف الإنسان تحت ظله شامخاً بإنسانيته. وروي عن الإمام أنه قال: " من

كانت له إلي فيكم حاجة.

فليرفعها في كتاب. لأصون وجوهكم من المسألة (2) . وبهذا تعبر المشاعر الإنسانية جسورا زاد الرضى وهي تسلك طريقها إلى ربها.

• قار رواية العلم ومنع القص:

لم يأت قار رواية العلم إلا بعد أن وقف الإمام علي على باب مدينة العلم. روي أنه في أول خلافته خطب فلرشد الناس إلى كتاب الله وقال: " إن الله تعالى سبحانه أتول كتابا هاديا بين فيه الخير والشر. فخذوا نهج الخير تهتوا. واصرفوا عن سمت الشر (3) تقصدوا (4) . الفوائض الفوائض. أئوها إلى الله تودكم إلى الجنة. إن الله حرم حراما غير مجهول. وأحل حلالا غير مدخول.

وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها. وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق

---

(1) ابن أبي الحديد 23 / 5.

(2) العقد الفريد 276 / 1.

(3) أي أعوضوا عن طريقه.

(4) تقصدوا: أي تعدلوا. والقصد: العدل.





المسلمين في معاقدها (1) . فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق. ولا يحل أذى المسلم إلا بما يجب (2) . بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم وهو الموت. فإن الناس أمامكم (3) وإن الساعة تحوكم من خلفكم. تخفوا تلحقوا. فإنما ينتظر بأولكم أخركم (4) . اتقوا الله في عبادته وبلاده. فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم. وأطيعوا الله ولا تعصوه. وإذا رأيتم الخير فخذوا به. وإذا رأيتم الشر فأعرضوا عنه (5) .

فالإمام في أول خطاب له أمر بأخذ الخير وترك الشر. وأمر بأداء الفوائض وبين أن الله حرم حواما وأحل حلالا. وهذه الأمور لها أبواب. وكما علمنا أن سياسة القص وعدم الرواية تركت لها بصمات على أمور وبطانة سوء تركت لها بصمات على أمور أخرى. ودخل المنافقون في عصور الفتوحات بأحاديثهم التي تخدم مصالحهم. ونحن في هذا المقام سنترك تقسيم رواة هذا العصر لأمير المؤمنين علي. وبعد أن يحدد لهم لنا سوى ما هو الباب الذي فتحه أمير المؤمنين في أول خطاب له لاغتراف العلم.

سئل الإمام عن أحاديث البدع. وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر. فقال:

إن في أيدي الناس حقا وباطلا. وصدقا وكذبا. وناسخا ومنسوخا. وعاما وخاصا. ومحكما ومتشابهها. وحفظا ووهما. ولقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهده حتى قام خطيبا. فقال: من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، وإنما أتاك الحديث أربعة رجال. ليس لهم خامس:

(1) لأن الإخلاص والتوحيد داعيان إلى المحافظة على حقوق المسلمين صارفان عن انتهاك محارمهم.

(2) أي إلا بحق.

(3) أي سبقكم.

(4) أي إنما ينتظر بيعت الموتى المتقدمين أن يموت الأواخر أيضا. فيبيعث الكل جميعا في وقت واحد.

(5) ابن أبي الحديد 337 / 3.

رجل منافق مظهر لإيمان، متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحوج. يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم متعمدا. فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه. ولم يصدقوا قوله. ولكنهم قالوا: صاحب رسول الله آراه وسمع منه، ولقف عنه. فيأخونون بقوله. وقد أخرك الله عن المنافقين بما أخرك. ووصفهم بما وصفهم به لك. ثم بقوا بعده. فتقربوا إلى أئمة الضلالة. والدعاة إلى النار بالزور والبهتان. فولوهم الأعمال. وجعلوهم حكاما على رقاب الناس فأكلوا بهم الدنيا. وإنما الناس مع الملوك والدنيا. إلا من عصم الله. فهذا أحد الأربعة.

ويفهم من كلام الإمام رضي الله عنه أن الخلفاء بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرفوا المنافقين لأن المنافق يسير

بما في قلبه ويعامله الناس بظاھرہ. وعندما فتحت البلاد وكثرت الغنائم اختلط المنافقون بالأمرء في الأمصار فولوهم الأعمال والخلفاء لو كانوا يعرفون المنافقين بأعيانهم ما استطاع الأمرء وضعهم على رقاب الناس. ثم يقول الإمام رضي الله عنه عن الصنف الثاني: ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه، فوهم فيه، ولم يتعمد كذباً. فهو في يديه. ويرويہ ويعمل به. ويقول: أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوه منه. ولو علم هو أنه كذلك لرفضه.

ثم يقول الإمام عن الصنف الثالث: ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً يأمر به ثم إنه نهى عنه وهو لا يعلم أو سمعه ينهي عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ فلو علم أنه منسوخ لرفضه. ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

ثم يقول الإمام في الصنف الأخير: وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله. مبغض للكذب خوفاً من الله. وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يهجم بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه. فهو حفظ الناسخ فعمل به. وحفظ المنسوخ فجنب عنه

الصفحة 486

وعرف الخاص والعام. والمحكم والمتشابه. فوضع كل شيء موضعه. وقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام له وجهان: فكلام خاص، وكلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله سبحانه به ولا ما عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحمله السامع. ويوجهه على غير معرفة بمعناه. وما قصد به وما خرج به أجله. وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يسأله ويستفهمه. حتى إن كانوا يحبون أن يجئ الأعوابي والطرئ فيسأله عليه الصلاة والسلام حتى يسموا. وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألته عنه وحفظته. فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم (1).  
وقول الإمام إنه كان لا يمر به شيء من ذلك إلا سأل النبي عنه وحفظه له شواهد كثيرة. فعلاوة على أنه كان لا يفلق النبي في مواطن كثيرة. فإنه كان له من رسول الله صلى الله عليه وسلم مدخلان مدخل بالليل ومدخل بالنهار (2) يقول له فيهما ما غاب عنه ويفسر له فيهما ما استفسر عنه. وحفظ علي رضي الله عنه لجميع ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء في حديث صحيح وذلك في قوله تعالى: (وتعيها أذن واعية) فعن علي قال:

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي.

فما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسيته (3) ، ولذا كان علي يقول: " إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً " (4) ، وقال: " سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل تزلت أم بنهار في سهل أم في جبل " (5) ، وهذا كله كان لحكمة من ورائها هدف. وهذا الهدف يشع في أحاديث رواها أئمة الحديث عند قوله تعالى: (إنما أنت منذر ولكل قوم

هاد)

(2) رواه النسائي 2 / 12.

(3) رواه الضياء بسند صحيح وابن مودويه وأبو نعيم (كنز العمال 177 / 13).

(4) الطبقات الكبرى 2 / 338. <sup>(5)</sup> الطبقات 2 / 338.

الصفحة 487

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الهادي هو علي بن أبي طالب " <sup>(1)</sup>.

وبعد أن بين الإمام مصادر الرواية بين ما ترتب على ذلك من اختلاف:

تُرد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام. فيحكم فيها وأيه. ثم تُرد تلك القضية بعينها على غيره. فيحكم فيها بخلاف

قوله. ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم. فيصوب آراءهم جميعاً وإلهم واحد ونبههم واحد وكتابهم واحد.

أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه. أم نهاهم عنه فعصوا. أم أقر الله سبحانه ديننا تاماً فقصر الرسول عن تبليغه وأدائه.

والله تعالى يقول: (ما فوطنا في الكتاب من شيء) <sup>(2)</sup> ، وفيه تبيان كل شيء. وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً وأنا لا

اختلاف فيه: (ولو كان من عند غير الله لوجوا فيه اختلافاً كثيراً) <sup>(3)</sup> ، وأن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق. لا تقنى

عجائبه. ولا تنقضي غائبه ولا تكشف الظلمات إلا به " <sup>(4)</sup>.

وبعد أن بين الإمام اختلاف الرواية وما ترتب عليه من اختلاف الفقوى. فتح أبواب البحث: أيها الناس إنه من استنصح الله

وفق. ومن اتخذ قوله دليلاً هدى للتي هي أقوم. فإن جار الله آمن. وعونه خائف. وإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظم.

فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمت أن يتواضعوا له. وسلامة الذين يعلمون ما قدرته أن يستسلموا له. فلا تتفروا من الحق نفار

الصحيح من الأجرب. والبلي من ذي السقم. واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشدي حتى تعرفوا الذي تركه. ولن تأخذوا بميثاق

الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه. ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه. فالتمسوا ذلك عند أهله. فإنهم عيش العلم. وموت

الجهل، هم الذين يخونكم حكمهم عن علمهم. وصمتهم عن منطقهم.

وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه. فهو بينهم شاهد

(1) رواه ابن جرير (الفتح الرباني 185 / 18).

(2) سورة الأنعام: الآية 38.

(3) سورة النساء: الآية 82.

(4) ابن أبي الحديد 233 / 1.

الصفحة 488

صادق. وصامت ناطق " <sup>(1)</sup>.

ومما سبق علمنا أن الإمام علي أمر بأخذ الخير وترك الشر. ثم بين ما في أيدي الناس من اختلاف الخبر. وما ترتب على

ذلك من الاختلاف في الفقوى لتعدد الآراء. ثم فتح الإمام طويق البحث للوقوف على أسباب ذلك وقال:

"واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه " ثم ساق الباحث إلى كتاب الله ليقف عند الذي نقضه. ثم اختصر المسافة للتيسير على الباحث فبين أن المعرفة والأخذ بميثاق الكتاب والتمسك به جميع ذلك في دائرة " أهله " وهو قوله: " فالتمسوا ذلك عند أهله " وروي أنه قال في أول خطبة خطبها في خلافته:

ألا إن أوار عتوتي وأطايب أرومتي. أحكم الناس صغرا. وأعلم الناس كبرا.

ألا وإنا أهل بيت من علم الله علمنا. وبحكم الله حكمنا. ومن قول صادق سمعنا. فإن تتبعوا آثرنا تهتوا ببصائرنا " (2) ، وقال: " نحن الشعار والأصحاب. والخزنة والأواب. لا توتى البيوت إلا من أبوابها فمن آتاها من غير أبوابها سمي سلقا " (3) ، وقال في أهل البيت: " هم عيش العلم. وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم. وظاهروهم عن باطنهم. وصمتهم عن حكمة منطقتهم. لا يخالفون الحق ولا يختلفون عليه. وهم دعائم الإسلام. وولائج الاعتصام " (4) .

ومن الطبيعي أن النص ورواية شعر المجون لا مجال لهما في هذه المساحة الزمنية والمكانية. ومن الطبيعي أن توجيه

الدعوة للبحث يقتضي عودة الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولقد حث الإمام على تدريس الحديث وقال: "

وَأُورُوا وَتَدْرَسُوا الْحَدِيثَ وَلَا تَتْرَكُوهُ يَدْرَسُ (أَي أَوْوَهُ

(1) ابن أبي الحديد 203 / 3.

(2) ابن أبي الحديد.

(3) ابن أبي الحديد 247 / 3.

(4) ابن أبي الحديد 287 / 4.

الصفحة 489

وتعهوه لئلا تتسوه) (1) ، وحذر الإمام من خلط الحديث بما كان يجري بالساحة من فعل وخلافة. فقال: " تعلموا العلم. فإذا علمتموه فاكظموا عليه. ولا تخالطوه بضحك وباطل فتمحه القلوب (2) وزيادة في الاحتياط رد كل علم إلى عالمه حتى لا تخترق الرواية فقال: " إذا قُوت العلم على العالم فلا بأس أن تزويه عنه " (3) ، ثم بشر الذين يروون الحديث فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللهم رحم خلفائي (ثلاث مرات) قيل يا رسول الله: ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدي ويروون أحاديثي ويعلمونها للناس " (4) .

أما بخصوص انسحاب القص روي عن أبي البحتري: قال: دخل علي بن أبي طالب المسجد، فإذا رجل يخوف. فقال: ما

هذا؟ قالوا: رجل يذكر الناس. فقال: ليس ورجل يذكر الناس. ولكنه يقول: أنا فلان بن فلان اعفوني. فُرسل إليه. فقال:

أتعرف الناسخ من المنسوخ، قال: لا، فقال أمير المؤمنين: فأخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه (5) .

وروى مسدد بسند صحيح عن سعيد بن هند. أن عليا مر بقاص فقال: ما يقول؟ قالوا: يقص، قال: لا ولكن يقول اعفوني

، وعن أبي يحيى قال: مر علي وأنا أقص فقال: هل عرفت الناسخ من المنسوخ؟ قلت: لا، قال: أنت أبو اعفوني " (7) .

والسياسة الإعلامية (إعفوني) هي التي تقدم الناس إلى العامة بعد أن تنتسج حولهم خيوطا واقة كما ساعدت على إيجاد

شخصيات خرافية وقصص خرافية تخدم مصالح معينة. وكما انسحب القص انسحب شعر الجاهلية والأدوة

(1) الخطيب (كنز العمال 304 / 10).

(2) عبد الله بن الإمام أحمد والخطيب (كنز العمال 304 / 10).

(3) الهروي (كنز العمال 294 / 10).

(4) الطواني والخطيب والديلمي وابن النجار (كنز العمال 295 / 10).

(5) العسكوي والمرزوي (كنز العمال 281 / 10).

(6) مسدد (كنز العمال 282 / 10).

(7) المرزوي (كنز العمال 281 / 10).

الصفحة 490

والخمر، وروى ابن أبي الحديد. أن عليا كان يأمر بمحاربة شعواء أهل الشام الذين يروجون شعر الأدوة، وروى أن كعب بن جعيل عندما شرب الخمر وأقام علي بن أبي طالب عليه الحد. غضب ولحق بمعاولية وهجا عليا " (1)، ولما كانت الخمر زادا للشعواء والقصاصين فإن أمير المؤمنين حرق مركز صناعتها وذلك فيما رواه ربيعة بن زكار قال: نظر علي بن أبي طالب إلى قوية. فقال: ما هذه القوية؟ قالوا: قوية تدعى زرارة يلحن فيها ويباع فيها الخمر. فأتاها بالنون وقال: إضرموها: فإن الخبيث يأكل بعضه بعضا. فاحتوت (2)، وكان علي رضي الله عنه يوصي الشعواء بتعلم القرآن.

وإذا كانت الإصلاحات العلوية قد شملت عزل الأمراء والتسوية في الأموال والرحمة بالإنسان والحيوان والعودة إلى رواية العلم كما كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فإن هذه الإصلاحات فتحت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أبوابا دخلت منها أصناف من الصدود. فنبلأ قویش وطبقتها العليا منهم من وجد أن عليا سولى بينه وبين الطبقة السفلى فتحركت فيهم مشاعر لا تختلف كثيرا عن مشاعر الذين شعروا بالضجر يوم أن سولى الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم وبين بلال وخباب وعمار وغوهم. وهؤلاء إما فروا إلى معاوية في الشام وإما توغوا للكيد داخل القوات الإسلامية العلوية. ومنهم من وجد أن عودة الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستظهر فضل علي بن أبي طالب لا محالة وستدين أطرافا أخرى بصورة من الصور فوجئوا أن السبيل لقطع هذا الطريق هو تشكيك الناس في علي بن أبي طالب بأنه ليس وحده من أهل البيت وأن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من أهل البيت أيضا ولهن ماله وعليهن ما عليه وأن خروجه على إحداهن هو شق لصف أهل البيت. والذين ذهبوا إلى هذا المسلك استنوا على عمق مساحة اللرواية وما ترتب عليها من نسيان أو تناس للرواية فضلا على وجود جبل كامل في الأمصار

(1) ابن أبي الحديد 799 / 1.

(2) أبو عبيد (كنز العمال 504 / 5).

لم يسمع من النبي ولم وه وكثير منهم استمد علومه من فقهاء الأواء وهي علوم لن تتصف علي بن أبي طالب في أكثر الأحوال.

ومنهم أيضا من كان يطمع في الكرسي بعد أن مهد يوم الشورى الطويق له كي يحلم بهذه الأحلام. ومن الأصناف الذين وجنوا في الإصلاح العلوي عقبه في طويقهم. صنف عمل على امتداد تزيخه في الجاهلية والإسلام من أجل الملك وحده. وذلك بعد استحواد بني هاشم على مفاخر قريش في الجاهلية واختيار الله لهم في الإسلام. فهذه الأمور أصابت أطرافا أخرى بعقدة النقص.

ولوروا كل شئ إلى الله ما أصابتهم هذه العقد.

وزى قبل تسليط الضوء على هذه الأمور أن نلقي نظرة سريعة على القيادة التي قامت بهذه الإصلاحات لوزى هل القيادة كانت تعمل من أجل الكرسي. أم أن المال مطلبها. أم أنها كانت قيادة الحجة. قيادة الزهد ردؤها وسيفها هو سيف الزهد ابتغاء وجه الله.

### 3 - العالم العامل الواهد:

يقول الإمام الواهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إني متكلم بعدة الله وحقته. قال الله تعالى: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة. أن لا تخافوا ولا تحزنوا...)، وقد قلت: "ربنا الله" فاستقيموا على كتابه. وعلى منهاج أمره. وعلى الطريقة الصالحة من عبادته. ثم لا توقروا منها. ولا تبتدعوا فيها (1). ولا تخالفوا عنها. فإن أهل المروق منقطع بهم عند الله يوم القيامة" (2)، وقال: "فالله الله معشر العباد. وأنتم سالمون في الصحة قبل السقم.

وفي الفسحة قبل الضيق. فاسعوا فكاك رقابكم. من قبل أن تغلق رهائنها. اسهروا عيونكم. وأضمروا بطونكم. واستعملوا أقدامكم. وأنفقوا أموالكم. وخنوا من أجسادكم فجنوا بها على أنفسكم. ولا تبخلوا بها عنها. فقال قال

(1) أي لا تحدثوا ما لم يأت به الكتاب والسنة.

(2) ابن أبي الحديد 385 / 3.

الله سبحانه: (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (1)، وقال تعالى: (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم) (2)، فلم يستنصركم من ذل. ولم يستقوضكم من قل. استنصركم وله جنود السموات والأرض وهو العزيز الحكيم. واستقوضكم وله خزائن السموات والأرض وهو الغني الحميد.

وإنما أراد أن يبيلوكم أيكم أحسن عملا. فبادروا بأعمالكم تكونوا مع جوان الله في دره. رافق بهم رسله. ورلهم ملائكته.

وأكرم أسماعهم أن تسمع حسيس نار أبدا. وسان أجسادهم أن تلقى لغوبا ونصبا: " ذلك فضل الله يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم " (3) .

مما سبق يتبين أن المتكلم حجة. همته بالله وشغله فيه وفوره إليه. وكان الإمام يقول مخاطبا ساحة عريضة اكتنز فيها الذهب والفضة " لطلب المال والثروة أسوع من خراب دين الرجل من ذئبين ضليبين باتا في حظوة غنم. مازالا فيها حتى أصبحا (4) ، وقال: " ألهد كله بين كلمتين من القآن " . قال الله سبحانه:

\* (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) (5) ، ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ ألهد بطرفيه (6) " ، وقال: " فلا تنافسوا في عز الدنيا وفخوها. ولا تعجبوا بزینتها ونعيمها. ولا تجرعو من ضوائها وبؤسها.

فإن غوها وفخوها إلى انقطاع. وزینتها ونعيمها إلى زوال. وضوائها وبؤسها إلى نفاذ. وكل مدة فيها إلى انتهاء. وكل حي فيها إلى فناء. أو ليس لكم في آثار الأولين مزدجر. وفي آبائكم الأولين تبصوة ومعتبر إن كنتم تعقلون. أولم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون. وإلى الخلف الباقيين لا يبقون. أو لستم ترون أهل الدنيا يمسون ويصبحون على أهوال شتى: فميت بيكي. وآخر به يغوي

(1) سورة محمد: الآية 7.

(2) سورة الحديد: الآية 11.

(3) ابن أبي الحديد 454 / 3.

(4) رواه العسكري في المواعظ (كنز العمال 718 / 3).

(5) سورة الحديد: الآية 23.

(6) ابن أبي الحديد 795 / 3.

الصفحة 493

وصريح مبتلي. وعائد يعود وآخر بنفسه يجود. وطالب للدنيا الموت يطلبه.

وغافل وليس بمغفول عنه.. " (1) ، وقال: " أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب الأمثال، ووقت لكم الآجال. وألبسكم الرياش (2) . وأرفغ لكم المعاش (3) . وأحاط بكم الاحصاء، وأرصد (4) لكم الخواء. وأثركم بالنعم السوابغ، والوفد الروافغ (5) . وأنزركم بالحجج الوالغ (6) . فأحصاكم عددا.

ووظف لكم مددا. وفي قرلة خوة. ودار عوة. وأنتم مختبرون فيها. ومحاسبون عليها " (7) .

فهكذا كان أمير المؤمنين يخاطب رقعة واسعة عليها العديد من النبلاء.

وكان أمير المؤمنين خير قنوة لسياسة الدنيا والآخرة. يقول الشعبي: دخلت الكوفة وأنا غلام. فإذا أنا بعلي بن أبي طالب قائما على صورتين (8) من ذهب وفضة. ومعه محففة. وهو يطرد الناس بمحففته. ثم يرجع إلى المال فيقسمه.

بين الناس. حتى لم يبق منه شيئا. ثم انصوف ولم يحمل إلى بيته قليلا ولا كثيرا. فوجعت إلى أبي فقلت له: لقد رأيت اليوم خير الناس أو أحق الناس.

قال: من هو يا بني؟ قلت: علي بن أبي طالب أمير المؤمنين. رأيتَه يصنع كذا. فقصصت عليه، فبكى أبي وقال: يا بني بل رأيت خير الناس<sup>(9)</sup>، وروى ابن كثير عن ابن عنوة عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب وعليه قطيفة وهو وعد من الورد. فقلت: يا أمير المؤمنين. إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيبا في هذا المال وأنت وعد من الورد. فقال: إني والله لا أزرأ من مالكم شيئا. وهذه

(1) ابن أبي الحديد 632 / 2.

(2) الوياش / اللباس.

(3) رُفغ / أي واسعاً خصباً.

(4) رُصد / أي أعد.

(5) الورد الروافغ / الواسعة.

(6) أي الظاهرة المبنية.

(7) ابن أبي الحديد 429 / 2.

(8) أي ما جمع بلا كيل ولا وزن.

(9) ابن أبي الحديد 414 / 1.

الصفحة 494

القطيفة هي التي خرجت بها من بيتي - أو قال - من المدينة<sup>(1)</sup>، وروى أن عليا قال: أيها الناس والله الذي لا إله إلا هو ما رزأت من مالكم قليلا ولا كثيرا إلا هذه. وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب وقال: أهداها إلي داهقان<sup>(2)</sup> وروى أنه كان يختم على الحواب الذي فيه دقيق الشعير الذي يأكل منه. ويقول:  
لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم<sup>(3)</sup>، وروى أنه لم يبين آحرة على آحرة ولا لبنة على لبنة ولا قصبه على قصبه وكان يأتي بحبوبة من المدينة في حواب ليأكل منها<sup>(4)</sup> وروى أنه كان يكنس بيت المال كل جمعة ويصلي فيه ركعتين ويقول:  
ليشهد لي يوم القيامة<sup>(5)</sup>.

والإمام علي بن أبي طالب لم يطالب بفدك وهي حقه. ليس لأن الزمان كان زمان ثروة على المال والذهب والفضة ومطالبته بها سيفتح عليه أبوابا. وإنما لأن فدك كانت ابتلاء لعصر. وإذا كان الإمام لم يأخذ حقه ومفتاح بيت المال في يده. فهو أيضا لم يطالب بفدك وهو على رأس السلطة. وذلك لأنه كان يتعامل مع الأحداث من باب إقامة الحجة ووفقا لمتطلبات الدعوة أما عن أمواله روى أنه قال: " بلى كانت في أيدينا فدك. من كل ما أطلته السماء. فشحت عليها نفوس قوم. وسخت عنها نفوس آخرين. ونعم الحكم الله. وما أصنع بفدك وغير فدك " <sup>(6)</sup>، وشوح ابن أبي الحديد كلام الإمام فقال: أبي لا مال لي. ولا اقتنيت



فيما مضى مالا. وإنما كانت في أيدينا فذك. فشحت عليها نفوس قوم (أي نحلت) وسخت عنها نفوس آخرين. (أي سامحت واغضت)، ثم بين الإمام بعد ذلك. أن ثقله واقتصره من المطعم والملبس على الجشب والخشن رياضة لنفسه. وأنه يعمل ذلك خوفا من الله. فالرياضة هنا هي رياضة في الحقيقة

(1) البداية والنهاية 3 / 8.

(2) رواه مسدد والحاكم (كنز العمال 168 / 13).

(3) الكامل 201 / 3.

(4) الكامل 201 / 3.

(5) الإمام أحمد في الزهد (كنز العمال 182 / 13).

(6) ابن أبي الحديد 823 / 4.

الصفحة 495

بالتقوى لا بنفس التقلل والتعسف. لتأتي نفسه آمنة يوم الؤوع الأكبر ونثبت في مداحض الؤلق (1).

وهكذا ترك الإمام الذي له. وعلى مقوبة منه جاء قوم ليأخذوا ما ليس لهم. ليكون الذي للإمام حجة عليهم ولقدرأينا مما سبق بعض معالم الحكومة الدينية التي تفتح أبواب التوبة فتوسى قواعد حرية الإنسان مما يتوافق مع فطوته التي فطوه الله عليها. ولقدرأينا أن الإمام لم يفرض نفسه ولم يهدد معرضيه. ونشر العلم ولم يتصد للقصاصين وغورهم بقوة السلاح وإنما بقوة الحجة. ولم يبعث العمال على الأمصار لهدف جمع الأموال وإنما ليكونوا دعاة رحمة يستنزل بها الإنسان والحيوان. وكان الإمام أمام هذه المساحة الطويلة والعريضة فتوة ومثل أعلى للعامة والخاصة.

(1) ابن أبي الحديد 824 / 4.

الصفحة 496

الصفحة 497

## ثانيا - البغاة والقمر

بعد مقتل عثمان انطلق النعمان بن بشير بقميص عثمان إلى معاوية. وفي الشام بدأ إعلام معاوية يعبأ الناس حول القميص. وعندما اطمئن معاوية لنتيجة سياسته الإعلامية. روى ابن كثير أنه بعث رجلا فدخل على علي بن أبي طالب.

وعندما قال له علي: ما وراءك؟ قال: جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القود.

كلهم موتور. توكت سبعين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان وهو على منبر دمشق. فقال علي: اللهم إني أرا إليك من

(1)

لقد كانت هذه رسالة مبكرة من معاوية بعد أن أراد أمير المؤمنين عزله من على الشام. وبدأ إعلام بني أمية يبث في الأمصار أن عثمان قتل مظلوما وأن عليا اشترك في دمه. وعندما علم أمير المؤمنين بهذا قال: " أولم ينه بني أمية علمها عن قوفي؟ أو ما زرع الجهال سابقتي عن تهمتي؟ ولما وعظهم الله به أبلغ من لساني. أنا حجيج الملقين. وخصيم الناكثين المرتابين. وعلى كتاب الله تعرض الأمثال. وبما في الصور نجزي العباد قال ابن أبي الحديد ومعناه: أما كان في علم بني أمية بحالي ما ينهاها عن قوفي بدم عثمان. وذكر أن علمهم بها يقتضي ألا يقفوه بذلك. وحاله التي يعلمها بنو أمية. هي متولته في الدين التي لا متولة

(1) البداية والنهاية 230 / 7.

الصفحة 498

أعلى منها. وما نطق به الكتاب الصادق من طهرته وظهرته بنيه وزوجته في قوله: " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا " وأيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم: " أنت مني بمؤلة هارون من موسى " وذلك يقتضي عصمته عن الدم الحرام كما أن هارون معصوم عن مثل ذلك... فكيف ساغ لأعداء أمير المؤمنين. مع علمهم بمؤلته العالية في الدين التي لم يصل إليها أحد من المسلمين. أن يطلقوا ألسنتهم فيه وينسوه إلى قتل عثمان أو الممالة عليه. لاسيما وقد ثبت عندهم أنه كان من أنصاره لا من المجلبين عليه. ثم قال: إن الذي وعظهم الله تعالى به في القآن. من تحريم الغيبة والقذف وتشبيه ذلك بأكل لحم الميت أبلغ من وعظي لهم. لأنه لا عظة أبلغ من عظة القآن. ثم قال: أنا حجيج الملقين وخصيم المرتابين يوم القيامة وروي عنه أنه قال: أنا أول من يجثوا للحكومة بين يدي الله تعالى "، ثم أشار إلى ذلك بقوله: على كتاب الله تعرض الأمثال. يريد بذلك قوله تعالى: (هذان خصمان اختصموا في ربهم) <sup>(1)</sup> ، ثم قال: إن كنت قتلت عثمان أو مالأت عليه. فإن الله سبحانه سيجزيني بذلك. وإلا فسوف يجزى بالعقوبة والعذاب من اتهمني به ونسبني إليه <sup>(2)</sup> .

لقد رأوا باتهام أمير المؤمنين في دم عثمان أمورا منها: إخراجه من دائرة التطهير التي ستظوها رواية الحديث في عهده، وهم يريدون إخراجه من هذه الدائرة ليسهل عليهم مواجهته وتعبئة العامة من حولهم على اعتبار أنهم أولياء عثمان والأحق به. أي يجرؤونه من الوداء الذي وضعه عليه الله ورسوله. بينما يكون على أبدان بني أمية رداء تأويل قوله تعالى: (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسوف في القتل) <sup>(3)</sup> ، فيكونون هم في دائرة الدين. ويكون أمير المؤمنين واحدا من الناس حرص على الحكم ليجعله في أعقابهم.

(1) سورة الحج: الآية 19.

(2) ابن أبي الحديد 379 / 2.

(3) سورة الإسراء: الآية 33.

ولقد بلغ الإعلام الأموي مده حتى أن الأمر قد التبس عند العديد من الصحابة فهذا زيد من رُقم يقول لأمير المؤمنين علي،  
أشذك الله، أنت قتلت عثمان؟ فأطوق الإمام ساعة ثم قال: والذي فلق الحبة. ووأ النسمة ما قتلت ولا أموت بقتله <sup>(1)</sup>. وأمام  
طوفان الإعلام الأموي خطب الإمام علي في الناس فقال:

لو أموت به لكنت قاتلا. أو نهيت عنه لكنت ناصوا. غير أن من نصوه لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه. ومن  
خذله لا يستطيع أن يقول: نصوه من هو خير مني. وأنا جامع لكم أموه. استأثر فأساء الأثرة. وخرعتم فأسأتم الخوع.

ولله حكم واقع في المستأثر والجرع <sup>(2)</sup>. وخلاصة هذا الكلام: أنه فعل ما لا يجوز وفعلتم ما لا يجوز. أما هو فاستأثر  
فأساء الأثرة. أي استبد بالأمور فأساء في الاستبداد. وأما أنتم فخرعتم مما فعل. أي خرنتم فأسأتم الخوع. لأنكم قتلتموه. وقد  
كان الواجب عليه أن يرجع عن استئذره. وكان الواجب عليكم ألا تجعلوا حواءه عما أذنب القتل. بل الخلع والحبس وترتيب  
غره في الإمامة. ثم قال: والله حكم سيحكم به فيه وفيكم <sup>(3)</sup>.

وأما هذه الأحداث طلب منه قوم من أصحابه أن يعاقب من أجلب على عثمان. ولكن من هؤلاء الذين سيعاقبهم الإمام؟  
وهناك من مهد ومن أفتى ومن ناصر القنلة ومن خذل المقتول ومن قتل. ولهذا قال الإمام لأصحابه: يا إخوانه، إنني لست أجهل  
ما تعلمون. ولكن كيف لي بقوة والقوم المجلبون على حد شوكتهم يملكوننا ولا نملكهم!! دهاهم هؤلاء قد ثلثت معهم عبدانكم  
والنفت إليهم أعوابكم <sup>(4)</sup> (لاحظ أن المجلبين هنا ليسوا في جيش الإمام) وهم خالكم <sup>(5)</sup> يسومونكم <sup>(6)</sup> ما شؤا. وهل ترون  
موضعا لقوة على شيء تريدونه؟

(1) رواه الحاكم (المستدرک 106 / 3).

(2) ابن أبي الحديد 363 / 1.

(3) ابن أبي الحديد 365 / 1.

(4) أي انضمت واختلطت بهم.

(5) أي بينكم.

(6) أي يكلفونكم.

إن هذا الأمر أمر جاهلية. وإن هؤلاء القوم مادة. إن الناس من هذا الأمر إذا حرك على أمور: فوفاة توى ما ترون. وفوفاة  
توى ما لا ترون. وفوفاة لا توى هذا ولا هذا. فاصبروا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها. وتؤخذ الحقوق مسمحة. فأهدوا  
عني <sup>(1)</sup>، وانظروا ماذا يأتيكم به أمري. ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة <sup>(2)</sup>. وتسقط منه <sup>(3)</sup>. وتورث وهنا <sup>(4)</sup> وذلة. وسأمسك  
الأمر ما استمسك وإذا لم أجد بدا فأخر النواء الكي <sup>(5)</sup>. قال ابن أبي الحديد: واعلم أن هذا الكلام يدل على أنه كان في نفسه  
عقاب الذين حصروا عثمان والاقتصاص ممن قتله. ولهذا قال: إنني لست أجهل ما تعلمون. فاعترف بأنه عالم بوجوب ذلك.

واعتر بعم التمکن کما ینبغی. وصدق فی ذلک. فإن أكثر أهل المینة أجلوا علیه...ولا یأمن لو شوع فی عقوبة الناس والقبض علیهم. من تجدد فتنة أخرى کالأولی وأعظم. فكان الأصوب فی التذییر. والذی یوجبہ الشوع والعقل. الامساک إلی حین سکون الفتنة...وكان یأمل أن یطیعه معاویة وغوه وأن یحضر بنو عثمان عنده یطالبون بدم أبیهم. ویعینون قوما بأعیانهم. بعضهم للقتل. وبعضهم للحصار. وبعضهم للتشور. كما جرت عادة المتظلمین إلی الإمام والقاضي. فحینئذ یتمکن من العمل بحکم الله تعالی. ولكن الأمر لم یقع علی هذا النحو. وعصى معاویة وأهل الشام. والتجأ ورثة عثمان إلیه. وفرقوا أمیر المؤمنین. ولم یطلوا القصاص طلبا شوعیا. وإنما طلوه مغالبة. وجعلها معاویة عصبیة جاهلیة. ولم یأت أحد منهم الأمر من بابہ. وقد قال أمیر المؤمنین لمعاویة فیما بعد: (فأما طلبک قتلة عثمان فادخل فی الطاعة. وحاکم القوم إلی أحمک وإیاهم علی کتاب الله وسنة رسوله...وهذا عین الحق. ومحض الصواب لأنه یجب دخول الناس فی طاعة الإمام ثم تقع المحاكمة

(1) أي فاسکتوا.

(2) أي تضعف وتهد.

(3) منة / القوة.

(4) وهن / ضعف.

(5) ابن أبي الحديد 339 / 1 ، الطوي حوادث عام 35.

الصفحة 501

إلیه<sup>(1)</sup>. ولكن بنی أمیة ما كانوا یريدون حقا لأن الحق وضعهم ورفع غوهم. وجوهر الأمر لم یکن قتلة عثمان وإنما الملك وكان الإمام علی یعلم هذا ولهذا قال: "وسأمسک الأمر ما استمسک. فإذا لم أجد بدا فأخر النواء الكی" أي: أمسک نفسي عن محاربة هؤلاء الناکثین للبیعة ما أمکنني وأدفع الأيام براسلتهم وتخويفهم وإنزلهم. واجتهد فی ردهم إلی الطاعة بالتوغب والتوہیب. فإذا لم أجد بدا من الحرب. فأخر النواء الكی. أي الحرب. لأنها الغایة التي ینتهي أمر العصاة إلیها.

لقد كان الإمام یعلم أن هؤلاء هدفهم الحكم وليس قمیص عثمان إلا رزا وشعوا، ولهذا قال: لو أعلم أن بنی أمیة یذهب ما فی نفوسها. لحلفت لهم خمسين یمینا مردودة بین الرکن والمقام. أني لم أقتل عثمان. ولم أمال علی قتله<sup>(2)</sup> وقال: "أما بنو أمیة هیئات هیئات أما والذي فلق الحبة ورأ النسمة لو كان الملك من وراء الجبال. لیثوا علیه حتی یصلوا"<sup>(3)</sup>، والإمام قال ذلك لأنه سمعه من النبی صلی الله علیه وسلم وهو یخبر بالغیب عن ربه جل وعلا.

فمن ثوان قال: كنا جلوسا فی المسجد. فمر علینا عمار بن یاسر. فقلنا له:

حدثنا ما سمعت من رسول الله صلی الله علیه وسلم فی الفتنة. فقال: سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول: یكون بعدي قوم یأخذون الملك. یقتل علیه بعضهم بعضا. قلنا له: لو حدثنا غیرک ما صدقناه قال: فإنه سیكون<sup>(4)</sup> فالملك لو كان من وراء الجبال لوثب علیه بنو أمیة. ولا یقتلون علیه من خالفهم إن كان من غوهم فقط. وإنما یقتلون أيضا بعضهم بعضا علیه.

وفي نص سابق علمنا أن الإمام عليا أخذ على نفسه أن واسل القوم

(1) ابن أبي الحديد 340 / 3.

(2) اللالكائي (كنز العمال 91 / 13).

(3) ابن عساكر (كنز العمال 364 / 11).

(4) (رواه أحمد (الفتح الرباني 24 / 23) وقال الهيثمي رواه أحمد والطواني وأبو يعلى ورجاله ثقات (الزوائد 292 / 7).

الصفحة 502

وينفروهم ويجتهد في ردهم إلى الطاعة. وقد فعل رضي الله عنه ذلك ليقوم على الظالمين الحجة أمام الله جل وعلا. وروى أنه كتب إلى معاوية: " أما بعد. فقد علمت إعدزي فيكم. وإعواضي عنكم. حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له. والحديث طويل. والكلام كثير. وقد أدبر ما أدبر. وأقبل ما أقبل. فبايع من قبلك. وأقبل إلي في وفد من أصحابك " (1) ، لقد أقام الحجة وهو يعلم أن معاوية له يبايع. وكيف يبايع وعينه طامحة إلى الملك والوئاسة منذ أمره عمر على الشام. ومن خلفه وصية أمه وأبيه. وكيف يطيع عليا وبين علي بن أبي طالب وبين النبي صلى الله عليه وسلم مساحة واسعة من اللارواية ومساحة أوسع من القص وعليها من المحرضين على علي أكثر من عدد الحصى ويكفي الوليد بن عقبة الذي بعث إلى معاوية يقول:

فوالله ما هند بأمك إن مضى \* النهار ولم يثأر بعثمان ثائر

أيقتل عبد القوم سيد أهله \* ولم تقتلوه ليت أمك عاقر

يقول ابن أبي الحديد: وتالله لو سمع هذا التحريض أجبن الناس وأضعفهم نفسا وأنقصهم همه لحركه وشحذ من غمه فكيف معاوية. وقد أيقظ الوليد بشوه من لا ينام (2) ولم يكتف أمير المؤمنين برسالة واحدة إلى معاوية. وإنما بعث إليه بأكثر من رسالة بعد بيعته بخصوص دم عثمان. وفي رسالة قال له:

ولعمري يا معاوية. لئن نظرت بعقلك نون هواك. لتجدني أوأ الناس من دم عثمان. ولتعلمن أنني كنت في غزله عنه. إلا أن تتجنى. فتجن ما بدا لك. والسلام (3)

ولم يكف الإعلام الأموي عن الباطل بل بعث إلى مكة وبقية الأمصار بمن يحملون إذاعته ويعملون من أجل شق صف الأمة.

وفي هذا الوقت استأذن طلحة والزبير عليا في العمرة فأذن لهما فلحقا

(1) ابن أبي الحديد 247 / 5.

(2) ابن أبي الحديد 248 / 5.

(1) وبدأ أهل المدينة يحومون حول أمير المؤمنين، ليعرفوا رأيه في معاوية، وقتال أهل القبلة. أيجسر عليه أم ينكل عنه. ووجد أهل المدينة في زياد بن حنظلة التميمي ضالته المنشودة. فدسوا زيادا إلى علي وكان من الذين يدخلون عليه. وذات يوم قال أمير المؤمنين لزياد: يا زياد تيسر. فقال: لأي شيء. فقال الإمام: تغزو الشام فخرج زياد على الناس والناس ينتظرونه.

(2) فقالوا: ما وراءك؟ قال: السيف يا قوم وبدأ الإمام علي يجهز قواته ليضرب الفقة وطلاب الملك عند المهد وقبل أن يستفحل الأمر. وخطب أهل المدينة.

فدعاهم إلى النهوض في قتال أهل الفقة. وقال: إن الله عز وجل بعث رسولا هاديا مهديا بكتاب ناطق. وأمر قائم واضح. لا يهلك عنه إلا هالك. وإن المبتدعات والشبهات هن المهلكات. إلا من حفظ الله. وإن في سلطان الله عصمة أمركم. فاعطوه طاعتكم غير ملتوية. ولا مستكوه بها. والله لتفعلن أو لينقلن الله عنكم سلطان الإسلام. ثم لا ينقله إليكم أبدا حتى يأمر إليها.

(3) إنهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون يفوقن جماعتكم لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق وتقضون الذي عليكم ، وبينما كان أمير المؤمنين يحشد القوة لمواجهة أهل الشام (4) جاءه الخبر أن مكة قد هاجت وأن أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير لهم رأي آخر، واشتد على أهل المدينة الأمر!!

### 1 - ضجيج في أعماق الحجة:

كانت مكة منطلقا للأحداث بين أم المؤمنين عائشة وبين أمير المؤمنين علي، وبالنظر في خطب أمير المؤمنين بعد نكث طلحة والزبير وخروج أم المؤمنين عائشة. ترى أن جميع الخطب تنور على محور واحد هو: "... فإنه لما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم. قلنا: نحن أهله وورثته وعوته.

(1) ابن أبي الحديد 163.

(2) الطوي 163 / 5.

(3) الطوي 164 / 5.

(4) الطوي 169 / 5.

وأوليؤه من دون الناس. لا ينزلنا عن سلطاننا أحد ولا يطمع في حقنا طامع. إذ انوى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا. فصلت الإمرة لغربنا. وصونا سوقة. يطمع فينا الضعيف. ويتعزز علينا الدليل.... " (1) ، وفي جميع هذه الخطب يبين الإمام

مبايعة الناس له بعد مقتل عثمان وأن من بين الذين بايعوه طلحة والزبير.

وقد نكتا وغوا ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفوقا الجماعة. والباحث لا يعلم حقيقة الأحداث التي دعت أمير المؤمنين أن يطرح قضية الخلافة في ساحة تواجهه فيها السيدة عائشة. وقبل هذه الأحداث كانت خطب أمير المؤمنين تنور حول الإصلاح وفي قليل منها كان يشيد بأهل البيت.

والذي يمكن أن يؤكد البحث العلمي هو أن علاقة السيدة عائشة بأمير المؤمنين لم تكن على المستوى المطلوب وهذه العلاقة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقيم عليها الحجة في عهده لما سيطرت عليها. من ذلك ما رواه ابن حجر عن معاذة الغفلية قالت: كنت أخرج مع رسول الله في الأسفار. أقوم على العوضى، وأدوي الجرحى. فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت عائشة وعلي خرج من عندها. فسمعتة يقول لعائشة: إن هذا أحب الرجال إلي وأكرمهم علي فاعرفي له حقه وأكرمي مثواه" (2) ، وعن رافع مولى عائشة قالت:

كنت غلاما أخذما إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها. وإنه قال:

" عادى الله من عادى عليا " (3) . وكانت السيدة عائشة تعلم علم اليقين موضع علي وفاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فعن النعمان قال: إستأذن أبو بكر صلى الله عليه وسلم. فسمع صوت عائشة عاليا وهي تقول: والله لقد عرفت أن عليا وفاطمة أحب إليك مني ومن أبي - موتين أو ثلاثا - فاستأذن أبو بكر فأهوى إليها فقال: " يا بنت فلانة لا أسمعك ترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه وسلم " (4) .

(1) راجع هذه الخطب في ابن أبي الحديد 248 / 1 وما بعدها.

(2) الإصابة 183 / 8.

(3) أخرجه ابن منده بسند صحيح (الإصابة 191 / 2).

(4) رواه الإمام أحمد وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (الفتح الرباني 4 / 275) (الزوائد

الصفحة 505

فالنبي صلى الله عليه وسلم أقام الحجة في هذا الأمر. والسيدة عائشة عرفت بهذه الحجة وأقوت. والملاحظ أن العلاقة بين السيدة عائشة وبين أمير المؤمنين علي لم تتقدم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فعندما ذكر عندها: هل أوصى النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي؟ قالت: ما قاله؟ (1) ، ثم أخبرت بأن الرسول توفي بين سحورها ونحوها وقال: فمتى أوصى؟ ولقد بينا من قبل أن هناك طائفة من الأحاديث الصحيحة أيضا تقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو مستند إلى صدر علي وهو الذي غسله.

وبعيدا عندما يتعلق بقضية الخلافة. نرى أن السيدة عائشة وهي تصف ذهاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيتها عند موضه تقول: فخرج وهو بين رجلين تخطر جلاه في الأرض. بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر. الأمر الذي جعل ابن عباس يقول: هل تنوي من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة: هو علي" (2) ، ومن الدليل على أن

العلاقة لم يحدث فيها تقدم على المستوى المطلوب قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر.  
قال: أنا يا رسول الله! قال: نعم <sup>(3)</sup>.

ولما كانت الدعوة لا تجامل أحدا. فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه بأن الفتن الكوى ستكون على أيديهم.  
وقال: " إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم " <sup>(4)</sup> ، ولم يستثن أزواجه من هذا وإنما قال: " لا إله إلا الله ما فتح الليلة من

القرائن. لا إله إلا الله ما أتول من الفتن. من يوقظ صواحب الحوات رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة " قال البخاري:

" يريد به

---

= (9 / 201).

( 1 ) رواه البخاري (الصحيح 95 / 3 ) ك المغزي باب مرض النبي.

( 2 ) البخاري ك المغزي، ب مرض النبي (الصحيح 93 / 3) ومسلم (الصحيح 139 / 4).

( 3 ) رواه الإمام أحمد (المسند 6 / 393) والنوار (كشف الأستار 4 / 94) وقال الهيثمي ورجاله ثقات (الزوائد 234 /

7).

( 4 ) رواه البخاري (الصحيح 322 / 1)، ومسلم (الصحيح 7 / 18).





أزواجه" (1) ، لقد أقام النبي صلى الله عليه وسلم الحجة على منطقة الاختيار في الإنسان. وفي علم الله المطلق أن كثوا من الصحابة لن يلتفتوا إلى هذه الحجة وهذا التحذير، ولكن العلم المطلق يقابله تحذير مطلق. وهذه سنة إلهية جلية منذ أن بعث الله تعالى رسله حتى لا يكون للناس على الله حجة.

والنبي صلى الله عليه وسلم عندما قال لعلي: " سيكون بينك وبين عائشة أمر. بين صلى الله عليه وسلم طويق هذا الأمر لتأخذ السيدة عائشة حنوها إذا سلكت هذا الطويق فقال لنسائه: ليت شعوي. أيتكن صاحبة الجمل الأدب. تخرج ففتبجها كلاب الحوآب. يقتل عن يمينها ويسلها قتلى كثير " (2) .

وفي رواية قال لعائشة: إياك يا حمواء (3) وكان عند حذيفة خبر هذه الرحلة. لأنها في علم الله المطلق واقعة لا محالة ووقوعها لا ينفي ولا يقلل من وجود الحجة على بداية الطويق. قال حذيفة لرجل: ما فعلت أمك؟ قال: قد ماتت. فقال: أما إنك ستقاتلها. فعجب الرجل من ذلك حتى خرجت عائشة (4) . ونظرا لاتساع وعمق مساحة اللارواية وما نتج عنها. كان حذيفة يقول: لو حدثتكم أن أمكم تغزوكم أتصدقوني؟ قالوا: أو حق ذلك! قال:

حق (5) . وكان حذيفة يقول في مساحة اللارواية: لو حدثتكم ما أعلم لافترقتم على ثلاث فوق. فرقة تقاتلني، وفرقة لا تتصوني، وفرقة تكذبني (6) . ولهذا اختصر حذيفة الطويق وأوصى الناس بأن يؤموا عمرا لأنه علم أن عمرا لا يفارق عليا. فإن يؤموا عمرا يؤموا عليا.

(1) رواه أحمد والبخاري والترمذي (الفتح الرباني 34 / 23) (صحيح البخاري ك اللباس 33، 84 / 4)، (جامع الترمذي 488 / 4).

(2) رواه الزار (كشف الأستار 4 / 94) وقال الهيثمي رجاله ثقات (الزوائد 7 / 234).

(3) رواه أبو نعيم بسند صحيح (كنز العمال 334 / 11).

(4) رواه ابن أبي شيبة (كنز العمال 333 / 11).

(5) رواه أبو نعيم وابن عساكر (كنز العمال 218، 333 / 11).

(6) رواه ابن أبي شيبة (كنز العمال 227 / 11).

وعلى الرغم من أن مساحة اللارواية قد عتمت على تحذوات كثوة وتبشوات أكثر، إلا أن الحجة كانت قائمة حتى في هذه العتمة. وكان العديد من الصحابة يعلمون أن لهم يوما بينلون فيه وأن الجمل سيكون علامة ناصعة في هذا اليوم. فعن عمير بن سعيد قال: كنا جلوسا مع ابن مسعود وأبو موسى عنده.

فأخذ الوالي رجلا فضوبه وحمله على جمل، فجعل الناس يقولون: الجمل الجمل. فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن هذا الجمل الذي كنا نسمع؟ قال: فأين البرقة (1) .

فمن هذا كله نستطيع القول بأن الحجة على الأحداث قد قامت على الجيل الأول وذلك في إخبار النبي صلى الله عليه وسلم

بالغيب عن ربه جل وعلا.

ويمكن أن نقول. إن الضجيج الذي حدث في مكة وإن كان مظهره يحمل قميص عثمان. إلا أن جوهه بخلاف ذلك. فالذين نكثوا البيعة رأوا شق الأمة بوضع السيدة عائشة في أعلى مربع أهل البيت ليقطعوا الطريق على علي بن أبي طالب. والدليل على ذلك ما حدث أثناء الهياج عندما هب الناس للبحث عن الحقيقة.

فلقد ذهبوا إلى أكابر الصحابة وقتئذ ليعرفوا من هم أهل البيت. روى الإمام مسلم أن يزيد بن حبان وحصين بن سوة وعمر بن مسلم. ذهبوا إلى زيد بن رُقم فقال له حصين: من أهل بيته يا زيد. أليس نسلؤه من أهل بيته. فقال زيد: لا - وفي رواية - نسلؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده " (2) ، قال النووي: نسلؤه لا يدخلن فيمن حرم الصدقة (3) وسيأتي متابعة حرمة الناس في هذا الوقت في حينه.

ومن الدليل أيضا على أن المقصود من حركة الناكثين الإطاحة بعلي من دائرة أهل البيت. أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأن هذا الالتباس سيحدث. وأوصى بعلي. وذلك فيما رواه حذيفة قال: كيف أنتم وقد خرج أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وسلم فرقتين. يضرب بعضهم وجوه بعض. قالوا:

(1) رواه الطبراني وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (الزوائد 237 / 7).

(2) رواه مسلم (الصحيح 179 / 15) في فضل علي ما.

(3) (النووي شوح مسلم 180 / 15)

الصفحة 508

يا أبا عبد الله. وإن هذا لكائن! وقال بعض أصحابه: فكيف نضع إن أركنا ذلك الزمان؟ قال: انظروا الفوقة التي تدعوا إلى أمر علي فأرموها فإنها على الهدى (1).

وعلى هذا وذاك يمكن القول بأن الناكثين خلطوا الأمور أمام السيدة عائشة. فخرجت للإصلاح ولكنهم ساروا بها في طريق شق الصف. وعندما نبحت عليها كلاب الحواب. رأدت الوجع ولكنهم قالوا لها: تقدمي وواك الناس ويصلح الله عزو جل ذات بينهم (2). وتقدمت السيدة عائشة. ومن ورائها تحذير يخوفها من الشيطان. روى البخاري عن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فأشار نحو مسكن عائشة فقال: " ها هنا الفتنة - ثلاث هرات - من حيث يطلع قرن الشيطان " (3)، لقد كانت الأهواء تحيط بمسكن أم المؤمنين. ويريد أصحابها شق الصف ولا: ليبحث كل صاحب هوى عن كرسي له ثانيا: يركب به على أعناق الأمة. ولم تتبين أم المؤمنين هذه الأهواء في وقتها. ولكنها علمت حقيقتها بعد ذلك. فلم تجدرضي الله عنها إلا الدمع تعبر به عن ندم طويل (4). وسنذكر ذلك بتفاصيله في حينه.

## 2 - الناكثون في أعماق الحجة:

كان الإمام علي يعلم إلى أين ستنتهي الأحداث. وألا: لأن هناك نصا أنه سيقا تل الناكثين والقاسطين والمرقين. ومن كان هذا شأنه فلا بد أن يعرف البدايات التي ستنتهي إلى ميدان القتال. وثانيا: لأنه كان قد تعلم رؤوس الفتن ورؤوس النفاق، روى

أنه قال: " ما من ثلاثمائة تخرج إلا ولو شئت سميت

(1) رواه البزار وقال الهيثمي رجاله ثقات (الزوائد 236 / 7).

(2) رواه الحاكم (المستدرک 120 / 3).

(3) رواه البخاري (فتح الباري حديث رقم 3104، ص 243 / 6 ط الریان)، ومسلم (الصحيح 31 / 18)، والإمام أحمد والترمذي (الفتح الرباني 18 / 24).

(4) ندم السيدة عائشة رواه الطواني (الزوائد 238 / 7) وابن سعد (الطبقات 74 / 8) والحاكم (المستدرک 6 / 4).

الصفحة 509

سائقها وناقصها إلى يوم القيامة" (1)، وعن حذيفة قال: "... والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنتضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته" (2). ولأن الإمام يعلم الرجال ومقاصدهم. كانت حركته كلها حجة عليهم. روي أنه بعد قتل عثمان جاء علي بن أبي طالب فقال لطلحة: أبسط يدك يا طلحة لأبائك. فقال طلحة: أنت أحق وأنت أمير المؤمنين فابسط يدك فبسط علي يده فبايعه (3).

وظلحة كان يطمع في الخلافة. وكان لا يشك أن الأمر بعد عثمان سيكون له لوجه منها: سابقته. ومنها أنه ابن عم لأبي بكر. وكان لأبي بكر في نفوس أهل ذلك العصر متولة عظيمة، ومنها أنه كان سمحا جوادا. وقد كان نزع عمر في حياة أبي بكر. وأحب أن يفوض أبو بكر الأمر إليه من بعده (4). وقال لأبي بكر: ما تقول لربك وقد وليت علينا فظا غليظا. وكان له في أيام عمر قوم يجلسون إليه. ويحادثونه سوا في معنى الخلافة. ويقولون له: لو مات لباعناك بغتة. وعندما بلغ ذلك عمر. خطب الناس بالكلام المشهور: إن قوما يقولون:

إن بيعة أبي بكر كانت فلتة. وإنه لو مات عمر لفلطنا وفعلنا... (5) وعندما جعلها عمر شورى لم يجد طلحة لنفسه مخرجا للفوز بالخلافة. حيث إن الشورى ما كانت لتصب إلا في إناء بني أمية لأن عثمان و عبد الرحمن وسعدا حزمة واحدة. بالإضافة إلى أن وجود عبد الرحمن في فويق وجح هذا الفويق على الفويق الآخر كما نصت لائحة الشورى. ورضي طلحة بالأمر الواقع حتى جاءت الأحداث التي أطاحت بعثمان. وكما رأينا أنه كان من المؤلبيين عليه واستولى على مفتاح بيت المال أثناء هذه الثورة. لأنه كان لا يشك في أن الأمر سيصب في سلته. ومن العجيب أن أم المؤمنين عائشة كانت على علم بهذه

(1) رواه نعيم بن حماد بإسناد صحيح (كنز العمال 271 / 11).

(2) رواه أبو دلوود حديث 4222.

(3) الطوي 156 / 5.

(4) ابن أبي الحديد 146 / 3.

(5) الطوي 200 / 3.

الأحداث وهي في مكة. روي أن ابن عباس مر بها في الصلصل. فقالت: يا ابن عباس أنشدك الله. فإنك قد أعطيت لسانا لرعيلا<sup>(1)</sup>. أن تخذل عن هذا الرجل - يعني عثمان - وأن تشكك فيه الناس. فقد باننت لهم بصاؤهم. وأنهجت ورفعت لهم المنار. وتحلوا من البلدان لأمر قد جم وقدر أيت طلحة بن عبيد الله. قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح. فإن يل يسر بسوة ابن عمه أبي بكر رضي الله عنه. فقال ابن عباس: يا أمه لو حدث بالرجل حدث. ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا - يعني عليا - فقالت: إيها عنك. إني لست أريد مكابوتك ولا مجادلتك<sup>(2)</sup>. وعندما بلغها قتل عثمان قالت: أحق الناس بهذا الأمر لذي الإصبع - تعني طلحة - فلما جاءت الأخبار بببيعة علي قالت: تسوا تسوا لا يردون الأمر في تيم أبدا<sup>(3)</sup>. فهذا الطريق الطويل أقام الإمام علي عليه الحجة في أوله عندما قال لطلحة: أبسط يدك يا طلحة لأبايعك. وذلك ليقطع طريق الهوى<sup>(4)</sup>. وهو يعلم أن طريق الهوى سيصب في ميدان القتال حيث يكون قتاله مع الناكثين. وليس معنى قتال الناكثين أن الحجة لم تقم عليهم في أول الطريق.

وإنما قامت لأن الطريق سيكون عليه دماء. وهذه الدماء لها قانون. وهذا القانون تنوره حجة ظاهرة ناصعة. وروي أن طلحة والزبير سألا علي بن أبي طالب أن يؤمهما على الكوفة والبصرة. وكانا لهما أتباع فيهما. فقال علي: " تكونان عندي. فأتحمل بكما، فإني وحش لواقكما<sup>(5)</sup>". وروى ابن قتيبة. أنهما قالوا: ولكننا بايعناك على أنا شريكان في الأمر. فقال علي لا. ولكنكما شريكان في القوة والاستقامة والعون

(1) ابن أبي الحديد.

(2) الطوي 140 / 5 ، البلاوي 217 / 2.

(3) ابن أبي الحديد 409 / 2.

(4) روي أن طلحة والزبير قالوا بعد أن قال لهما على ذلك: عرفنا أنه لم يكن ليبايعنا (الطوي 153 / 5).

(5) الطوي 153 / 5.

على العجز والأود<sup>(1)</sup>، وبقي طلحة والزبير في المدينة أربعة أشهر واقبان عليا من قريب<sup>(2)</sup>. لقد كان طلحة يعلم أنه لن يكون له في ظل عهد أمير المؤمنين إلا ما يستحقه. ولذلك قال بعد أن بايع الناس عليا " ما لنا من هذا الأمر إلا كلحسة أنف الكلب"<sup>(3)</sup>، وفي هذا اليأس جاءت رسالة من معاوية وفيها: أما بعد. فإنك أقل قريش وترا. مع صباحة وجهك. وسماحة كفك. وفصاحة لسانك. فأنت براء من تقدمك في السابقة. وخامس المشورين بالجنة. ولك يوم أحد وشرفه وفضله. فسول عرحمك الله إلى ما تقلدك الرعية من أمرها مما لا يسعك التخلف عنه. ولا يرضى الله منك إلا بالقيام به. فقد أحكمت لك الأمر قبلي. والزبير متقدم عليك بفضل. وأيكما قدم صاحبه فالمقدم الإمام. والأمر من بعده للمقدم له. سلك الله بك قصد المهتدين. ووهب لك رشد الموقنين. والسلام<sup>(4)</sup>.

ولم يكن طلحة وحده الذي أرسل إليه معاوية الرسالة الفخ. وإنما أرسل إلى الزبير أيضا. وفيها: ... واعلم يا أبا عبد الله. أن الوعية أصبحت كالغنم المتوقفة لغيبة الراعي. فسولع رحمك الله إلى حقن الدماء ولم الشعث. وجمع الكلمة. وصلاح ذات البين. قبل تفاقم الأمر وانتشار الأمة. فقد أصبح الناس على شفا جرف هار وعا قليل ينهار إن لم وأب. فشمّر لتأليف الأمة. وابتغ إلى ربك سبيلا. فقد أحكمت الأمر على من قبلي لك ولصاحبك. على أن الأمر للمقدم. ثم لصاحبه من بعده. جعلك الله من أئمة الهدى. وبغاة الخير والتقوى والسلام " (5).

وبينما لوح لطلحة والزبير بالخلافة. نجده في رسائله إلى مروان بن الحكم وسعيد بن العاص و عبد الله بن عامر والوليد بن عقبة ويعلى بن منبه. يطالب

(1) الإمامة والسياسة 51 / 1.

(2) تزيخ اليعقوبي 127 / 2، ابن أبي الحديد 577 / 3، الطوي 153 / 5.

(3) الطوي 153 / 5.

(4) ابن أبي الحديد 533 / 3.

(5) ابن أبي الحديد 533 / 3.

الصفحة 512

بالحذر والسهر حتى لا يفلت الأمر من أيدي بني أمية. فهو يقول لمروان: فإذا قرأت كتابي هذا فكن كالفهد لا يسطاد إلا غيلة. ولا يتشازر إلا عن حيلة.

وكالثعلب لا يفلت إلا روغانا. واخف نفسك منهم إخفاء القنفذ رأسه عند لمس الأكف. وامتهن نفسك إمتهان من بيأس القوم من نصوه وانتصله وابتحث عن أمورهم بحث الدجاجة عن حب الدخن عند فقسها. وأنغل (1) الحجاز فإني منغل الشام والسلام (2).

وكتب إلي يعلى بن منبه،... فأما الشام فقد كفيئك أهلها. وأحكمت أمرها. وقد كتبت إلى طلحة بن عبيد الله. أن يلقاك بمكة. حتى يجتمع رأيكما على إظهار الدعوة والطلب بدم عثمان أمير المؤمنين المظلوم. وكتبت إلى عبد الله بن عامر يمهّد لكم الواق. ويسهل لكم حزونة عقابها (3). واعلم يا ابن أمية أن القوم قاصدوك بادئ بدء لاستتطاف ما حوته يداك من المال فاعلم ذلك واعمل على حسبه إن شاء الله " (4).

وكتب إلى سعيد بن العاص: ... إن أمير المؤمنين عتب عليه فيكم.

وقتل في سبيلكم. ففيم القعود عن نصوته والطلب بدمه. وأنتم بنو أبيه. نوورحمه وأقويوه. وطلاب ثراه... فإذا قرأت كتابي هذا فدب دبیب الوء في الجسد النحيف. وسر سير النجوم تحت الغمام... فقد أيدتكم بأسد وتيم " (5).

وكتب إلى عبد الله بن عامر: سلور الأمر مسلورة الذئب الأطلس كسورة القطيع. ونزل الوأي. وانصب الشوك. ولم عن تمكن. وضع الهناء (6) مواضع النقب (7) واجعل أكبر عدتك الحذر. وأحد سلاحك التحريض... وقم قبل أن

(1) أنغلهم / أجملهم على الضعن.

(2) ابن أبي الحديد 533 / 3.

(3) العقاب / العرقى الصعب من الجبال.

(4) ابن أبي الحديد 536 / 3.

(5) ابن أبي الحديد 534 / 3.

(6) هنا البعير / طلاء بالقطان.

(7) النقب / هو أول ما يبدو من الحرب.

الصفحة 513

يقام لك. واعلم أنك غير متروك ولا مهمل. فإنني لكم ناصح أمين... " (1) ، ودخل طلحة والزبير في فحاح بني أمية بعد أن علم معاوية موطن الداء فيهما، وبدأ كل من طلحة والزبير يعد العدة للذهاب إل مكة حيث توجد السيدة عائشة وأفرع بني أمية التي ترتدي قفلات من حرير غمست في السم أياما طويلة.

وعن أم راشد قالت: سمعت طلحة والزبير يقول أحدهما لصاحبه: بايعته أيدينا ولم تبايعه قلوبنا. فقلت لعلي بن أبي طالب فقال: " من نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد الله عليه فسيؤتيه أجرا عظيما " (2) ، وجاء طلحة والزبير. فاستأذناه في الخروج إلى مكة للعمرة. فأذن لهما. بعد أن أحلفهما ألا ينقضا بيعته. ولا يغفرا به. ولا يشقا عصا المسلمين ولا يوقعا الفوقة بينهم وأن يعودا بعد العمرة إلى بيوتهما بالمدينة. فحلفا على ذلك كله ثم خرجا " (3) .

وروي أنه لما خرج طلحة والزبير إلى مكة ولؤهما الناس أنهما خرجا للعمرة.. قال علي لأصحابه: والله ما يريدان العمرة وإنما يريدان الغرة " ومن نكث فإنما ينكث على نفسه " (4) ، وهكذا قامت الحجة في البداية وفي النهاية.

### 3 - لقاء في مكة:

لما قتل عثمان كانت عائشة بمكة. وبينما هي في طريقها من مكة إلى المدينة لقيها رجل يقال له عبد الله بن أبي سلمة. يعرف بأمه أم كلاب. فقال لها: لا تنوي. قتل عثمان. قالت: ثم صنوا ماذا؟ قال: اجتمعوا على بيعة علي. فقالت: ليت هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك، ربوني ربوني.

فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوما والله لأطلبن بدمه. فقيل

(1) ابن أبي الحديد 534 / 3.

(2) رواه ابن أبي شيبة (كنز العمال 235 / 11).

(3) ابن أبي الحديد 576 / 3 ، الطوي 163 / 5.

(4) ابن أبي الحديد 576 / 3.

لها: ولم والله إن من أول من أمال حرفه لأنت. ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلا فقد كفر. قالت: إنهم استنابوه ثم قتلوه. وقد قلت وقالوا. وقولي الأخير خير من قولي الأول فقال لها ابن أم كلاب:

فمنك البداء ومنك الغير \* ومنك الرياح ومنك المطر

وأنت أموت بقتل الإمام \* وقلت لنا أنه قد كفر

فهينا أطعناك في قتله \* وقاتله عندنا من أمر<sup>(1)</sup>

وروي من طرق مختلفة أن عائشة كانت من أشد الناس على عثمان. وهي أول من سمى عثمان نعثلا. وكانت لا تشك في أن طلحة هو صاحب الأمر بعد عثمان. وروي أن عائشة تولت على باب المسجد. وقصدت للحجر فسوتت فيه. واجتمع الناس إليها فقالت: يا أيها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة. إجتمعا إن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الأرب. واستعمال من حدثت سنه، وقد استعمل أسنانهم قبله. ومواضع من مواضع الحمى حماها لهم. وهي أمور قد سبق بها لا يصلح غوها. فتابعهم وزع لهم عنها استصلاحا لهم. فلما لم يجنوا حجة ولا عفا. خلجوا وبادعوا بالعنوان. ونبا فعلهم عن قولهم. فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام وأخذوا المال الحرام واستحلوا الشهر الحرام. والله لإصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم. فنجاة من اجتماعكم عليهم. حتى ينكل بهم غوهم. ويشود من بعدهم. والله لو أن الذي اعتوا به عليه كان ذنبا. لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه<sup>(2)</sup>. وروى ابن أبي الحديد أن طلحة والزبير كتبا إلى عائشة وهي بمكة كتابا: أن خذلي الناس عن بيعة علي. وأظهري الطلب بدم عثمان. وحملا الكتاب مع ابن أختها عبد الله بن الزبير<sup>(3)</sup>.

وبدأت إذاعة المعرضين تعمل من أجل إيجاد رأي عام. واجتمع القوم في

(1) الكامل / ابن الأثير 106 / 3، الطبري 172 / 5.

(2) الطوي 165 / 3، الكامل 106 / 3.

(3) ابن أبي الحديد 409 / 2.

بيت أم المؤمنين عائشة، وقالوا: نسير إلى علي بن أبي طالب فنقاتله. فقال البعض: ليس لكم طاقة بأهل المدينة. ولكننا نسير حتى ندخل البصوة والكوفة ولطلحة بالكوفة شيعة وهوى. ولزبير بالبصوة هوى ومعونة. فاجتمع رأيهم على أن يسيروا إلى البصوة<sup>(1)</sup>. وأعلنت عائشة الاتفاق فقالت: أيها الناس إن هذا حدث عظيم وأمر منكر. فانهضوا فيه إلى إخوانكم. من أهل البصوة وأنكروه.

فقد كفاكم أهل الشام ما عندهم - يعني معاوية - لعل الله عز وجل يبرك لعثمان وللمسلمين بنؤهم<sup>(2)</sup>، ورفع بنو أمية رؤوسهم. وقام سعيد بن العاص والوليد بن عقبة وسائر بني أمية. وقدم عليهم عبد الله بن عامر من البصوة ويعلى بن أمية -

وينسب إلى أمه منبه - من اليمن <sup>(3)</sup> . وجاء طلحة والزبير من المدينة. وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قد استخلفهما أن لا يوقعا الفوعة بين المسلمين. فحلفا على ذلك وغره. وعندما التقت بهما عائشة قالت لهما: ما وراءكما؟ قالوا: فرلقنا قوما حيلى لا يعرفون حقوا ولا ينكرون باطلا <sup>(4)</sup> .

وبدأ الإعداد للغزو وقال يعلى بن أمية: معي ستمائة ألف وستمائة بعير فركبوها. وقال عبد الله بن عامر معي كذا وكذا فتجهزوا به <sup>(5)</sup> . ونادى المنادي:

إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة. فمن كان يريد إغواز الإسلام وقتال المحليين. والطلب بثأر عثمان. ولم يكن عنده مركب ولم يكن له جهاز فهذه جهله وهذه نفقته <sup>(6)</sup> ، وكان زواج النبي صلى الله عليه وسلم في مكة وقتئذ. وانطلق القوم إلى أم المؤمنين حفصة يسألونها رأيها في الأحداث فقالت: رأيي يتبع لأبي عائشة، ورأدت حفصة الخروج. فأتاها عبد الله بن عمر وطلب منها أن تعقد. فبعثت إلى عائشة أن عبد الله حال بيني وبين الخروج

(1) الطبري 168 / 5.

(2) الطوي 167 / 5.

(3) الطوي 166 / 5.

(4) الطوي 166 / 5.

(5) الطوي 166 / 5.

(6) الطوي 167 / 5 ، البداية والنهاية 231 / 7.

الصفحة 516

فقالت عائشة: يغفر الله لعبد الله <sup>(1)</sup> .

وبدأ التحرك. وذكر الطوي: أن مروان بن الحكم أذن للصلاة حين خرجوا من مكة. ثم جاء إلى طلحة والزبير وقال: على أيكما أسلم بالإمرة وأؤذن بالصلاة؟ فقال عبد الله بن الزبير: علي أبي عبد الله. وقال محمد بن طلحة: علي أبي محمد. فُرسلت عائشة إلى مروان وقالت: ما لك أتريد أن تفوق أمونا.

ليصل ابن أختي!! فكان يصلي بهم عبد الله بن الزبير حتى قدم إلى البصرة <sup>(2)</sup> .

وبينما الركب في الطويق. شاهوا رجلا معه جمل. فقالوا: يا صاحب الجمل تبيع جملك؟ قال: نعم. قيل له: بكم؟ قال: بألف وهم.. قيل: لو تعلم لمن نريده لأحسننت بيعنا. قال: ولمن نريده، فقيل له: لأمك. قال: تركت أمي في بيتها قاعدة. قيل: إنما نريده لأم المؤمنين عائشة، قال: فهو لك فخذ به غير ثمن. قيل له: لا ولكن رجع معنا إلى الوحل فلنعتك ناقة مهرية وتريدك لوأهم. وبعد أن أعطوه، قالوا له: يا أبا عرينة هل لك دلالة بالطويق. قال:

نعم: أنا من أترك الناس. قالوا: فسر معنا. فسار معهم وكان لا يمر على واد ولا ماء إلا سأله عنه. حتى طرخوا ماء الحوآب فنبحتهم كلابها. قالوا: أي ماء هذا. قال: ماء الحوآب. فصوخت عائشة. ثم قالت: أنا والله صاحبة كلاب الحوآب.



طروقاروني<sup>(3)</sup> . فقالوا لها: بل تقدمين فراك المسلمون فيصلح الله عزو جل ذات بينهم، قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لها ذات يوم: كيف بإحداكن تنبح عليه كلاب الرواب وانطلقت أم المؤمنين نحو البصوة، في الركب الذي أقيمت عليه الحجة.

(1) الطبري 167 / 5.

(2) الطوي 169 / 5، الكامل 107 / 3.

(3) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ونعيم بن حماد وقال ابن كثير إسناده صحيح، وقال الهيثمي رواه أحمد وأبو يعلى والزار، ورجال أحمد رجال الصحيح، ورواه الحاكم وذكر أن القائل: تقدمي هو الزبير (الفتح الوباني 137 / 23) (البداية والنهاية 211 / 6)، (المستترك 120 / 3)، الطوي 178 / 5.

الصفحة 517

#### 4 - نظرات على طريق البغي:

(1) عندما بلغ أمير المؤمنين عليا ما استقر عليه طلحة والزبير. قال: والله ما أنكروا منكرا. ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وإنهم ليطلبون حقا هم تركوه.

ودماهم سفكوه. فإن كنت شريكهم فيه. فإن لهم نصيبهم منه. وإن كانوا ولوه نوني فما المطالبة إلا قبلهم. وإن أول عدلهم للحكم على أنفسهم. وإن معي لبصوتي. ما لبست ولا لبس علي. وإنها للفئة الباغية فيها الحمأ والحة<sup>(2)</sup>. والشبهة المغدقة<sup>(3)</sup>. وإن الأمر لواضح. وقد زاح الباطل عن نصابه<sup>(4)</sup>. وانقطع لسانه عن شغبه<sup>(5)</sup>. وأيم الله لأفوطن لهم حوضا أنا ماتحه<sup>(6)</sup>. لا يصدرون عنه وي، ولا يعبون<sup>(7)</sup> بعده من حسي<sup>(8)</sup>.

قال ابن أبي الحديد: والمعنى: والله ما أنكروا علي أمرا هو منكر في الحقيقة. وإنما أنكروا ما الحجة عليهم فيه لا لهم وحملهم على ذلك الحسد وحب الاستئثار بالدنيا. وقال: ولا جعلوا بيني وبينهم نصعا أي وسيطا يحكم وينصف. بل خرجوا عن الطاعة بغتة. وإنهم ليطلبون حقا تركوه. أي يظهرون أنهم يطلبون حقا بخروجهم إلى البصوة. وقد تركوا الحق بالمدينة. وقال: إن هؤلاء خرجوا ونقضوا البيعة. وقالوا: إنما خرجنا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإظهار العدل وإحياء الحق. وإماتة الباطل. وأول العدل أن يحكموا على أنفسهم. فإنه يجب على الإنسان أن يقضي على نفسه ثم على غيره. وإذا

(1) النصف / الأنصاف.

(2) الحمأ / الطين الأسود، حمة العقوب / سمها.

(3) الشبهة المغدقة / أي الخفية.

أي بعد وذهب عن موكه وموقه.

(5) الشغب / تهيج الشر.

( 6 ) لأوطن لهم حوضا / أي لأملأن، الماتح / المستقي من فوق.

( 7 ) العب / الشرب بلا مص كما تشرب الدابة.

( 8 ) الحس / ماء كامن في رمل يحفر عنه.

الصفحة 518

كان دم عثمان قبلهم. فالواجب أن ينكروا على أنفسهم قبل إنكلهم على غوهم. وقال: إن معي لبصوتي. أي عقلي أي أوضح النبي صلى الله عليه وآله وسلم لي كل شئ وعرفنيه. وإنها للفئة الباغية. أي الفئة التي وعدت بخروجها علي ثم ذكر بعض العلامات. وقال: إن الأمر لو واضح. وقوله هذا يؤكد به عند نفسه وعند غيره. أن هذه الجماعة هي تلك الفئة الموعود بخروجها. ثم أخبر:

وقد ذهب الباطل وزاح. وخرس لسانه. ثم أقسم: ليملأن لهم حوضا هو ماتحه - يسقيهم من فوقه - وهذه كناية عن الحرب والهجاء وما يتعقبهما من القتل والهلاك (1).

وبعد أن كشف الإمام النقيب عن بداية حرب البغاة التي تحمل أسماء مختلفة وتوررحاها في ميادين مختلفة. بين أن البغاة يسبرون نحو هدف واحد يقتلون عليه بعضهم بعضا ويبذلون في سبيله كل نفيس. وهذا الهدف هو الحكم. قال الإمام بعد نكث طلحة والزبير: " كل واحد منهم يرجو الإمام له.

ويعطفه عليه دون صاحبه ولا يمتان (2) إلى الله بحبل ولا يمدان إليه بسبب. كل واحد منهما حامل ضب (3) لصاحبه.

وعما قليل يكشف قناعه به. والله لئن أصابوا الذي يريدون لينتزعن هذا نفس هذا. وليأتين هذا على هذا. قد قامت الفئة الباغية فأين المحتسبون (4). قد سنت لهم السنن. وقدم لهم الخير. ولكل ضال علة. ولكل ناكث شبهة. والله لا أكون كمستمع اللدم (5). يسمع الناعي ويحضر الباكي. ثم لا يعتبر " (6).

فطريق البغي لا يتمسك بحبل الله وأصحاب الرؤوس الكبيرة من صفاتهم أن كل واحد منهم يريد الأمر لنفسه. ولأن هذه

هي الحقيقة فإن تحتراياتهم لا

(1) ابن أبي الحديد 3 / 151.

(2) يمتان / يتوسلان.

(3) انصب / الحقد.

(4) المحتسبون / طالبو الأجر (5) مستمع اللدم / كناية عن الضبع حين تسمع وقع الحجر فتستسلم للصائد.

(6) ابن أبي الحديد 3 / 206.

الصفحة 519

يوي المقتول في أي شئ قتل. ولا وى القاتل إلا طعاما له يريق. والقاتل والمقتول لا يديان شيئا عن الحقيقة. لأن الرواية عمية وموهوة في ساحات العصبية. وقد يكون قتال الرجل في هذه الساحات لينصر عصبته. ولكن الحقيقة أن هذا الغضب

والقتال والنصر سيصب في نهاية المطاف داخل سلة رؤوس البغاة. ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لو أن الناس  
اعتلواهم " لأن في الاعتال نجاة من الموتة الجاهلية يقول النبي صلى الله عليه وسلم:  
" من خرج من الطاعة وفرق الجماعة فمات فميتته جاهلية " (1) ، وقال: " من قتل تحت راية عمية ينصر العصبية  
ويغضب للعصبية فقتلته جاهلية " (2) . وفي عصر الإمام علي قال الإمام: قد قامت الفئة الباغية. فأين المحتسبون. أي أين  
طلاب الأجر؟ ثم قال: لكل ضال علة. ولكل ناكث شبهة. كأنه يقول: إذا كانوا قد خرجوا فلا بد أن يكون لهم تأويل في  
خروجهم. وكل ناكث لا بد له من شبهة يستند إليها.

ولأن الإمام خبير في معرفة الرجال. ولأنه يقا تل على التأويل كما قاتل النبي صلى الله عليه وسلم على التتويل. قال: والله  
لا أكون كمستمع اللدم.

أي: لن يكون كالضبع. تسمع وقع الحجر بباب حورها من يد الصائد. فتتخذل وتكف جولحها إليها حتى يدخل عليه  
فربطها. ولن يكون مقوا بالضيمراعنا، يسمع المخبر عن القتلى فلا يكون عنده شئ من التغيير والإنكار.  
ومن رحمة الله تعالى أنه سبحانه جعل في عصر الصحابة من يرشدهم إلى طويق الصواب. على الرغم من سياسة  
اللارواية. فأبو ذر كان رواية متحركة في عهد ما وهذه الرواية ينطق بها صمت أبو ذر ويسمعها من أراد الله أن يقيم الحجة  
عليه. فالرواية المتحركة لها إيقاع خاص ومذاق خاص عند نمط خاص. وكان أبو ذر يبشر الذين يكتزون الذهب والفضة  
بمكاو من نار. وفي عصر الإمام علي كان عمار رواية متحركة، حجة بذاتها على فوع خاص يدعوهم إلى الجنة

(1) رواه أحمد ومسلم (الفتح الرباني 52 / 23).

(2) رواه مسلم وابن ماجة (كنز العمال 509 / 3).



ويدعونه إلى النار. باختصار كان عمار حجة على البغاة. حجة على أول طوبقهم وحجة على نهاية طوبقهم. وليس معنى أنه قتل في آخر الطوبق أنه لم يكن له وجود في أول الطوبق. لأن عمرا بمثابة مشعل على طوبق طويل. وهذا المشعل وقوده عند علي بن أبي طالب. قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمار: " يا عمار إن رأيت عليا قد سلك واديا. وسلك الناس واديا غوه. فاسلك مع علي ودع الناس. إنه لن يدلك على ردى ولن يخرجك من الهدى " (1) ، لهذا كان حذيفة يقول بعد مقتل عثمان: " آمركم أن تؤموا عمرا. قالوا: إن عمرا لا يفرق عليا. قال: إن الحسد هو أهلك الجسد. وإنما ينفوكم من عمار قوبه من علي. فوالله لعلي أفضل من عمار أبعد ما بين الزاب والسحاب. وإن عمرا لمن الأحباب " (2) ، وإذا كان طوبق علي بن أبي طالب واضحا وضوح الشمس في كبد السماء فإن طوبق عمار واضح أيضا فهو ما عرض عليه أمرا قط إلا اختار الأرشد منهما (3) وهو على الفطرة (4) ، وأجره الله من الشيطان على لسان نبيه (5) ، ومن عاداه عاداه الله ومن أبغضه أبغضه الله (6) . باختصار كان عمار يحمل مؤهلات طوبق علي بن أبي طالب. وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال لعلي: " يا علي ستقاتلك الفئة الباغية وأنت على الحق فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني " (7) ، فإنه قال لعمار الذي يحمل معالم الجندية على طوبق علي:

" ستقاتلك الفئة الباغية وأنت على الحق. فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني " (8) .

وطوبق علي بن أبي طالب يبدأ من أول خطوة رفع فيها علي سيفه.

(1) رواه الديلمي (كنز العمال 614 / 11).

(2) رواه الطواني وقال الهيثمي رجاله ثقات (الزوائد 243 / 7).

(3) رواه أحمد (الفتح 330 / 22) والحاكم وصححه (المستدرک 388 / 3) ، والتومذني وصححه (الجامع 668 / 5).

(4) رواه الزوار والطواني ورجالهما ثقات (الزوائد 295 / 9).

(5) رواه البخاري في مناقب عمار (الصحيح 305 / 2).

(6) رواه أحمد وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (الزوائد 293 / 9).

(7) رواه ابن عساکر (كنز العمال 613 / 11).

(8) رواه ابن عساکر (كنز العمال 351 / 11).

ولخطورة ضربات سيف علي وما سيتوتب عليها حمل عمار أقوى تحذير على الاطلاق: " تقتله الفئة الباغية. يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار " وهذا في حد ذاته دعوة للتفكير. فأی قوات ستجابه جيشا فيه عمار. لا يمكن أن تقطع بأن عمرا سيخرج من المعركة سالما وأنه لن يصيبه ما يؤدي إلى قتله. وعلى هذا فمن الواجب أن تعيد هذه القوات ترتيب أوراقها في اتجاه التوبة. وإذا كان هذا التحذير يحيط بعمار. فإن هناك تحذورا آخر حملته الصحابة منهم أبو رافع. قال النبي صلى الله عليه وسلم: " يا أبارافع سيكون بعدي قوم يقاتلون عليا.

حق على الله جهادهم. فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه. ومن لم يستطع بلسانه فبقلمه. ليس وراء ذلك شيء" (1) ، وذلك حتى لا يدق في رضية الصحابة أوتاد يأتي عليها الشلرد والورد والسابق واللاحق. وما هي إلا أوتاد فتن لا تصيب الذين ظلموا خاصة بل تتعداهم إلى غوهم.

ولقد فطن عبد الله بن عباس للتحذير الذي حول عمار. فزاد أن يسمعه الناس بعد بيعة علي بن أبي طالب. حتى يكونوا على بينة من أمرهم قبل أن يفتح طريق البغي. فعن عكرمة أن ابن عباس قال له ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد الخوري فاسمعا من حديثه. قال: فانطلقنا فإذا هو في حائط له. فلما رأنا أخذ رداءه فجاءنا. فقعد. فأنشأ يحدثنا. حتى أتى على ذكر بناء المسجد قال: كنا نحمل لبنة وعمار بن ياسر يحمل لبنتين. وآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينفذ التواب عنه ويقول: يا عمار ألا تحمل لبنة كما يحمل أصحابك.

قال: إني أريد الأجر من الله. فجعل ينفذ التواب عنه ويقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار" (2) ، والدعوة إلى النار لها أصول تحدث عنها حذيفة من قبل وذلك عندما قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: " فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة إلى أبواب جهنم من

(1) رواه الطبراني وقال الهيثمي فيه يحيى ابن الحسين لم أعرفه وبقية رجاله ثقات (الزوائد 134 / 9).

(2) رواه أحمد والبخري (الفتح الوباني 331 / 22).

الصفحة 522

أجابهم قذوفه فيها. قال: يارسول الله صفهم لنا، فقال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا" (1) ، فاختار ابن عباس لأبي سعيد الخوري من أجل أن يسمع منه عكرمة وابنه علي. هذا الحديث في عمار كان لحكمة ومن وراء الحكمة هدف.

## 5 - أصداء يوم غدير خم:

كان لتحرك أم المؤمنين عائشة أثر عظيم على العديد من الأمصار. وذلك لأن العامة يعلمون أن السيدة عائشة عندما تتكلم فإنها تقف على رضية ليست بعيدة عن النبي كما أنها قربية من رضية الخلافة بعد النبي، والخلفاء يعرف الناس عنهم الكثير، بينما لا يعرفون شيئا عن علي بن أبي طالب. الذي تتحرك مناقبه تحرك النجوم وراء السحب بعد عودة الرواية. وكان لإذاعة أم المؤمنين الأثر الأعظم. وذلك لوفوة المال الذي حمله يعلى بن أمية وعبد الله بن عامر من اليمن والبصرة فضلا عن الدعم القوي من الشام. وكما قال الإمام علي: الناس أعداء ما جهلوا... فلأن الناس كانوا يجهلون حقيقة الأمور فإن الرضية التي وقفت عليها أم المؤمنين كانت تكسب كل يوم جديدا. فمكة لم يخرج منها احتجاج واحد. وفي الكوفة يقف في موسى في مربع السيدة عائشة فضلا على أن الكوفة فيها شيعة لطلحة والبصرة لها هوى في الزبير. ومعوية واقب من الشام وعمرو بن العاص يتابع من فلسطين... فكل ذلك كان له تأثير على من في المدينة وأصبحت عملية حشد القوات عملية تواجهها صعوبات. والحشد بالمال ليس من سياسة أمير المؤمنين. فهو حجة ويعرف أنه مقتول في نهاية الطريق والحجة المقتول لا وقد له يحركه إلا الدين فالإمام كان يريد الجندي الرسالي الذي ينطلق من الدين وينتهي إلى الدين. لذا سواه يبكي في آخر الرحلة

وهو يتذكر أصحابه الذين قتلوا في المعرك. والجندي الرسالي لا بد له من نصوص لتأتي به إلى داوة أمير المؤمنين. وبما أن الإمام إذا تحدث عن نفسه

(1) رواه أحمد (الفتح الرباني 31 / 23) والبخاري (الصحيح 280 / 2).

الصفحة 523

هذا الوقت ربما شكك أعدؤه فيما تفاخر به. وبالذات بعد خروج السيدة عائشة. فهذا الخروج لوجد التباسا شديدا في تحديد من هم أهل البيت. وهذا التحديد وإن كان عتم عليه في عالم اللارواية. إلا أنه بعد خروج السيدة عائشة زاد التعم وأضيف إليه الالتباس. فإذا ادعى علي أنه من أهل البيت. جاء صوت من داوة الجمل يقول إنه ليس وحده من أهل البيت. بل إنه إذا كان من أهل البيت فإن يده ملطخة بدم عثمان ومن كان كذلك سقطت عنه دعوى أن الله أذهب عنه الرجس وطوره تطهرا. ومن دخل في هذه الداوة فليس له حق في قيادة المسلمين. وللمسلمين أن يختاروا وأصحاب السوابق كثير. منهم طلحة والزبير ومعوية الذي واقب وغير هؤلاء كثير.. لهذا كله كان الحديث عن المناقب على لسان أمير المؤمنين تواجه عقبات ستدخل المسلمين في جدل طويل. وهناك من يضع البصوة كهدف هجوم لعملياته الحربية. وكان لا بد أن تأتي المناقب من روايات الساحة ليشهد الإمام لها ويشهد الناس عليها. ولقدرأينا فيما سبق كيف أن ابن عباس جاء بالتحذير الذي حول عمار من داخل الساحة ولم يتحدث هو به. ربما لقبه من الإمام.

و شاء الله تعالى أن تكون البداية من داخل الساحة كي تقام الحجة بلا شبهة. لقد جاءت الرواية ليقف أمير المؤمنين منها موقف الذي يستفسر ولا ثم يقيم الحجة ثانيا. عن رباح بن الحرث قال: جاء رهط إلى علي بالوحبة (1).

فقالوا: السلام عليك يا هولانا. قال: كيف أكون هولاكم وأنتم قوم عرب، فقالوا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم: " من كنت هولاه فإن هذا هولاه " قال رباح: فلما مضوا تبعتهم فسألت من هولاء، قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصلي " (2).

(1) الرحبة / فضاء وفسحة ورحبة المسجد ساحته.

(2) أخرجه أحمد وقال الهيثمي رواه أحمد والطواني ورجال أحمد ثقات (الفتح الرباني 126 / 23)، (مجمع الزوائد 104

/ 9) وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رجاله ثقات وأورده ابن كثير في البداية (البداية 512 / 5).

الصفحة 524

ومن عالم الغوبة الذي استفسر فيه الإمام علي عن شئ يعرفه انتقل الحديث عن هذا إلى مكان أوسع. فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: شهدت عليا في الرحبة ينشد الناس: أنشد الله من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خم: من كنت هولاه لما قام فشهد. قال عبد الرحمن:

فقام اثنا عشر بوليا كأني أنظر إلى أحدهم عليه سواويل. فقالوا: نشهد أنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم

(1)

غدير خم: ألت أولى بالمؤمنين من أنفسهم. وأزواجي أمهاتهم . فقلنا: بلى يا رسول الله. قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه " (2) ، وفي رواية عن زيد بن يثبع قال: أليس الله أولى بالمؤمنين. قالوا: بلى، قال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه (3) ، وعن أبي الطفيل قال: جمع علي الناس في الرحبة، ثم قال لهم: أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم ما قال لما قام (4) ، فقام إليه ثلاثون من الناس. وقال أبو نعيم: فقام إليه ناس كثير فشبهوا حين أخذ بيده وقال: أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. قال أبو نعيم: فخرجت كأن في نفسي شيئاً. فلقبت زيد بن رُقم فقلت له: إني سمعت علياً يقول كذا وكذا. قال زيد: فما تتكر؟ قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ذلك " (5) .

(1) تحريم زوجات النبي في هذا المقام يعادل تحريم الولاية على غير أصحابها.

(2) (رواه أحمد وقال في الفتح أورده الهيثمي وقال: رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا (الفتح الرواني 126 / 23).

(3) (رواه عبد الله بن أحمد والزار وقال الهيثمي إسنادهما حسن (الفتح الرواني 127 / 23) وأورده ابن كثير في البداية

(211 / 5) ، ورواه الزار (كشف الأستار 3 / 190) والطواني (المعجم الكبير 5 / 175).

(4) (يلاحظ أن الإمام لم يقل متن الحديث وإنما استشهدهم أن يقولوا بما سمعوا. إمعانا في الحجة.

(5) (قال الهيثمي رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة (الزوائد

الصفحة 525

وعن عمرو ذي مر وسعيد بن وهب وزيد بن يثبع قالوا: سمعنا علياً يقول:

نشدت الله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم ما قال لما قام. فقام ثلاثة عشر رجلا. فشبهوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ألت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. فأخذ بيد علي وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصوه وأخذل من خذله " (1) . وفي رواية عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: فقام بضعة عشر رجلا فشبهوا. وكنتم قوم فما ففوا من الدنيا إلا عموا وورصوا " (2) ، وأحاديث الرحبة رواها غير واحد (3) ، وبعد أن أخذ علي من الناس شهادتهم قال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حضر الشجرة بخم ثم خرج أخذا بيدي فقال: " أيها الناس ألتستم تشهدون أن الله ربكم؟ قالوا: بلى، قال: ألتستم تشهدون أن الله ورسوله أولى بكم من أنفسكم وأن الله ورسوله هولاكم، قالوا: بلى، قال: فمن كان الله ورسوله هولاه فإن هذا هولاه. وقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده، كتاب الله سببه بيده وسببه بأيديكم أهل بيتي " (4) .

وكان تعريف أهل البيت فيه التباس شديد فمن هم أهل البيت؟ وهل أزواج النبي منهم أم أنهم يساكنونه ويعولهم ولهم

احترامهم وإكرامهم؟ وهذا

1) رواه الوار وابن جرير وقال الهيثمي رجال إسناده ثقات (كنز العمال 158 / 13) وقال الألباني إسناده جيد (الصحيحة 343 / 5).

2) رواه الخطيب في الأوفاد (كنز العمال 131 / 13) وابن كثير في البداية (البداية 211 / 5).

3) (رماه النوار ورجاله رجال الصحيح وأبو يعلى ورجاله وثقوا و عبد الله بن أحمد (الزوائد 105 / 9)، وقال ابن كثير في أحاديث الرحبة، روي من طرف متعددة عن علي بن أبي طالب وله طرق متعددة عن زيد بن رُقْم وقال سعيد بن جبير: وأنا سمعته من ابن عباس (البداية 349 / 7).

4) رواه ابن جرير وابن أبي عاصم وابن راهويه والمحاملي بسند صحيح (كنز العمال 140 / 13).

الصفحة 526

الالتباس كان سببا في ذهاب بعض الناس إلى زيد بن رُقْم للوقوف على حقيقة هذا الأمر. وقد يكون ذهابهم إلى زيد قبل خروج أم المؤمنين عائشة وقد يكون بعد ذلك، ولكن الأمر المؤكد أن خروج أم المؤمنين هو الذي وُجد السؤال. روى الإمام مسلم عن زيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سودة وعمر بن مسلم إلى زيد بن رُقْم، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يازيد خوا كثيرا. رأيت رسول الله وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه. لقد لقيت يازيد خوا كثيرا. حدثنا يازيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال زيد: يا ابن أخي والله لقد كبر سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فما حدثتكم فأقبلوا. وما لا فلا تكلفوني. ثم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة. فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر. ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس. فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول فأجيب. وأنا ترك فيكم الثقلين. أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور. فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه. ثم قال: وأهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي.

أذكركم الله أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. فقال له حصين: ومن أهل بيته يازيد. أليس نسؤه من أهل بيته؟ قال: نسؤه من أهل بيته!! ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم " (1) ، نقول:

وهذه الرواية توسعت في تحديد من هم أهل البيت. وقد روي أن " لكل شئ نروة "، وآل علي في حديث مسلم في المقدمة. وفي رواية عند مسلم أيضا عندما سأوا زيدا: أليس نسؤه من أهل بيته؟ قال: لا. وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر. ثم يطلقها فتوجع إلى أبيها وقومها. أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده " (2) ، فإذا كان أهل بيته

أصله فإنه في حديث



(1) رواه مسلم في فضائل علي (الصحيح 179 / 15) وأحمد والحاكم (الفتح الرباني 104 / 22).

(2) رواه مسلم (الصحيح 181 / 15) في فضائل علي.

الصفحة 527

صحيح يقول النبي صلى الله عليه وسلم: " علي أصلي... " (1) ، ويقول النووي في شرحه لحديث مسلم: والمعروف في معظم الروايات في غير مسلم أنه قال:  
نسؤه لسن من أهل بيته " (2) .  
كانت هذه رواية مسلم وظهر فيها سؤال يبدو أنه شغل الجميع في وقته.  
ولقد رأينا إجابات زيد بن رُقْم. وفي روايات أخرى لم ينقطع العديد من الناس عن سؤال زيد. ولقد سئل أن يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:  
لما رجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع فقتل غدير خم أمر بدوحات فقممن، ثم قام فقال: كأنني قد دعيت فأجبت. إنني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء والأرض.  
وعترتي أهل بيتي. فانظروا كيف تخلفوني فيهما. فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. ثم قال: إن الله هولائي وأنا مولى كل مؤمن. ثم أخذ بيد علي فقال:

من كنت هولاه فعلي وليه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. فقيل لزيد: أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم!!  
فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا قدرآه بعينه وسمعه بأذنه " (3) .  
لقد شهد زيد على عهد عادرجاله مع النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع. وكما شهد زيد شهد أبو هريرة. روى أنه دخل المسجد فاجتمع إليه الناس فقام إليه شاب فقال: أنشدك بالله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من كنت هولاه فعلي هولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فقال: إنني أشهد أنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من كنت هولاه فعلي هولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه " (4) . وإذا كان الصحابة قد

(1) رواه الطبراني في الكبير والضعفاء بسند صحيح (كنز العمال 602 / 13).

(2) مسلم شرح النووي 181 / 15.

(3) رواه ابن جرير عن زيد وعن أبي سعيد (كنز العمال 104 / 131).

(4) رواه أبو يعلى والزار والطواني ورجال أبي يعلى والطواني ثقات (الزوائد 106 / 9).

وذكر ابن كثير في البداية (213 / 5).

الصفحة 528

شبهوا أمام الأجيال بحديث الولاية. فإنهم أيضا شهدوا بحديث المتولة. روى الإمام مسلم عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: أنت مني بمثولة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. قال سعيد بن المسيب: فأحببت أن أشافه بها سعدا. فلقيت سعدا فحدثته بما حدثني عامر. فقال سعد: أنا سمعته فقلت: أنت سمعته! فوضع أصبعيه على أذنه وقال: نعم وإلا فأسكتنا (أي صمتا) " (1) ، وإذا كان الصحابة قد شهوا على حديث المثولة. فإن أم المسور كانت لها شهادة أخرى.

فمن المسور الحموي عن أمه قالت: دخلت على أم المؤمنين أم سلمة فسمعتها تقول: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا يحب عليا منافق ولا يبغضه مؤمن " (2) ، وهكذا اكتملت الدائرة وجاءت المناقب كالنجوم عندما تظهر من وراء السحاب ليلتقي ضوءها مع ضوء القمر. وكفى بالمناقب الثلاث لتقوم الحجة على أجيال الجمل وصفين والنهروان. وأجيال أخرى عاشت عصرا حق لها أن تبكي بلا احتجاز.

## 6 - على هامش أصداء يوم خم:

لقد ذكرنا فيما سبق بعض الأحاديث الواردة في حق أمير المؤمنين. ولقد وجدت أن ذكر بعضها هنا مرة أخرى يلقي الضوء على الأحداث فيمكن فهمها بسهولة. فأمر المؤمنين بعد أن ضجت الساحة بالأحداث. وبعد أن واجه الصحابة بيوم خم. لم تقف المعارضة له موقف المستسلم. ولقد واجهت المعارضة جميع رسل الله عليهم السلام في وقت كانت الحجج الدامغة فوق رؤوسهم. وأمام صد المعارضة بدأ الإمام علي يكشف عن نفسه وفقا لما يقتضيه الموقف. ومن المعلوم أن أمير المؤمنين كان مخصوصا من بون الصحابة رضوان الله عليهم بخوات كان يخلو بها مع رسول الله صلى الله عليه

(1) رواه مسلم (الصحيح 174 / 15) في فضائل علي.

(2) رواه الترمذي وحسنه (الجامع 635 / 5) ورواه أحمد (الفتح الرباني 121 / 23).

الصفحة 529

وآله وسلم. لا يطلع أحد من الناس على ما يدور بينهما، وكان كثير السؤال للنبي صلى الله عليه وآله عن معاني القرآن وعن معاني كلامه صلى الله عليه وسلم. وإذا لم يسأل ابتدأه النبي صلى الله عليه وسلم بالتعليم والتتقيف. ولم يكن أحد من الصحابة كذلك. بل كانوا أقساما: فمنهم من يهابه أن يسأل، وهم الذين يحبون أن يجئ الأعوابي أو الطلق فيسألهم وهم يسمعون. ومنهم من كان بعيد الفهم قليل الهمة في النظر والبحث. ومنهم من كان مشغولا عن طلب العلم وفهم المعاني. إما بعبادة أو دنيا. ومنهم المقلد الذي يرى أن فوضه هو السكوت وترك السؤال. ومنهم المبغض الشائئ الذي ليس للدين عنده من الموقع ما يضيع وقته وزمانه بالسؤال عن دقائقه وغوامضه. أما علي رضي الله عنه يضاف إلى الأمر الخاص به نكوهه وفطنته. وطهارة طينته. وإشراق نفسه وضوؤها... فلذلك كان علي كما قال الحسن البصري رباني هذه الأمة وذا فضلها " (1) ، وقيل للحسن البصري: ما تقول في علي بن أبي طالب؟ فاحموت وجنتا الحسن وقال: رحم الله عليا. إن عليا كان سهما صائبا في أعدائه. وكان في محلة العلم أشوقها وأقربها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. وكان رهباني هذه الأمة. لم يكن لمال الله بالسروقة. ولا في أمر الله بالنومة. أعطى القرآن غوائمه وعمله وعلمه. فكان منه في رياض موقنة وأعلام بينة (2) .

وعندما بدأ أمير المؤمنين يكشف عن نفسه في عالم الرواية بعد اندثار عالم اللارواية روي عنه أنه قال: " اللهم لا أعرف أن عبدا لك من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيك - قالها ثلاث مرات - لقد صليت قبل أن يصلي الناس سبعا " (3) ، وقال: " أنا أول من صلى مع رسول الله " (4) ، وقال: " كنت إذا سألت الله

(1) ابن أبي الحديد 598 / 3 .

(2) البداية والنهاية 5 / 8 .

(3) رواه أحمد وقال في الفتح: وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى والزار والطواني وإسناده حسن (الفتح الرباني 36 / 23)، (كنز العمال 126 / 13 )، (تحفة الأحراري 234 / 10).

(4) رواه أحمد وقال الهيثمي رجاله ثقات (الزوائد 103 / 9 ) ورواه الطواني وابن أبي شيبة

الصفحة 530

صلى الله عليه وسلم أعطاني وإذا سكت ابتدأني " (1) ، وقال: " كان لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم مدخلان. مدخل بالليل ومدخل بالنهار " (2) ، وقال: لما تولت هذه الآية " (وأندر عشيرتك الأتوبين) جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بيته وقال: من يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووليكم من بعدي، فمددت. وقلت: أنا أبايعك وأنا يومئذ أصغر القوم فبايعني على ذلك " (3) ، وقال: " إنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وقد بسط شملة (كساء يتغطى ويتلفف به) فجلس عليها هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين. ثم أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمجامعه فعد عليهم ثم قال: اللهم رض عنهم كما أنا عنهم راض " (4) - وفي رواية - ثم تلا هذه الآية: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا)، وقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: " إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضائك " (5) ، وقال: " والذي فلق الحبة ووأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وآله إلي، أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق " (6) ، وقال: " جاء النبي صلى الله عليه وسلم أناس من قريش. فقالوا: يا محمد. إنا جرانك وحلفائك. وإن ناسا من عبيدنا قد أتوك. ليس بهم رغبة في الدين ولا رغبة في الفقه. إنما فروا من ضياعنا وأموالنا. فرددتهم إلينا. فقال لأبي بكر: ما تقول. قال: صدقوا إنهم لجرانك وأحلافك. فتغير وجه

وابن سعد (كنز العمال 124 / 13).

(1) رواه الترمذي وحسنه (الجامع 637 / 5 )، (تحفة الأحراري 225 / 10 ) رواه النسائي وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم وأبو نعيم وسعيد بن منصور (كنز العمال 120 / 13).

(2) رواه النسائي 2 / 12 .

(3) رواه أحمد وابن حريير والضياء بسند صحيح (كنز العمال 129، 133، 175 / 13 )، (الفتح الرباني 122 / 23).

(4) رواه الطواني في الأوسط وقال الهيثمي رجاله ثقات (الزوائد 169 / 9 ) وحديث الكساء روي عن عدد من الصحابة

وقد خرجناه من قبل.

(5) رواه الطواني وقال الهيثمي إسناده حسن (الزوائد 203 / 9).

(6) رواه مسلم (الصحيح 2164)،، حب علي من الإيمان.

الصفحة 531

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لعمر: ما تقول، قال: صدقوا إنهم لجوانك وحلفاؤك. فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا معشر قريش والله ليبعثن الله عليكم رجلا قد امتحن الله قلبه بالإيمان، فيضربكم على الدين!! أو يضرب بعضكم!! فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله، قال: لا، قال عمر: أنا يا رسول الله. قال: لا. ولكنه الذي يخصف النعل - وكان أعطى عليا نعلا يخصفها" (1)، وفي رواية قال روي الحديث عن علي: ثم التفت إلينا علي فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" (2).

وقال علي: والله ما قوتل أهل هذه الآية منذ تولت: وإن نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم" (3)، وقال: "عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال الناكثين والقاسطين والملقين" (4)، وقال: ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنني لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط. ولقد واسيته بنفسي من المواطن التي تتكص فيها الأبطال وتتأخر الأقدام. نجدة أكرمني الله بها. ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإن رأسه لعلى صوي. ولقد سألت نفسه في كفي. فأمرتها على وجهي، ولقد وليت غسله صلى الله

(1) رواه أحمد وابن جرير وصححه وسعيد بن منصور والضياء بسند صحيح (كنز العمال 127، 173 / 13).

(2) رواه الترمذي وحسنه (الجامع 634 / 5) والخطيب وابن جرير والضياء بسند صحيح (كنز العمال 115، 193 / 13).

(3) رواه ابن مودويه (كنز العمال 425 / 2)، (الدر المنثور 215 / 3)، وروي أيضا عن ابن عباس وحذيفة وأخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن ابن عمر (كنز العمال 417، 426 / 1)، وروي أن حذيفة قال: ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة ولا من المنافقين إلا أربعة. وأخرجه ابن أبي شيبة والبخري في تزيخه وابن مودويه (الدر المنثور 214 / 3).

(4) رواه ابن عساکر وابن عدي والطواني (كنز العمال 292 / 11)، وقال ابن كثير روي من طرق عديدة (البداية 334 / 7).

الصفحة 532

عليه وسلم والملائكة أعواني. فضجت الدار والأفنية: ملا يهبط، وملا يوج.

وما فرقت سمعي هينمة منهم. يصلون عليه، حتى وليناه في ضريحه. فمن ذا أحق به مني حيا وميتا. فانفوا على بصائرکم. ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم. فالذي لا إله إلا هو إني لعلی جادة الحق. وإنهم لعلی مزلة الباطل. أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم" (1).

لقد أخواهم أن العلماء والأمناء من الصحابة يعلمون أنه لم يرد على الله ورسوله ساعة قط. ويعلمون أنه ثبت معه يوم أحد وفر الناس. وثبت معه يوم حنين وفر الناس. وثبت تحت رايته يوم خيبر حتى فتحها. وكل ذلك نجدة من الله أكرمه بها. وأخواهم بحقيقة الأمر يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. والحقيقة أن النبي صلى الله عليه وسلم قبض و إن رأسه لعلى صدر علي وليست على صدر أحد غيره. وأخواهم أن الملائكة النزلين في الدار لتقع ضجيجهم. وأنه سمع ذلك ولم يسمعه غيره من أهل الدار، وقال ابن أبي الحديد: حديث سماع الصوت رواه خلق كثير عن علي. وروي أن عليا عصب عيني الفضل بن العباس حين صب عليه الماء. وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاه بذلك. وقال: إنه لا يبصر عورتي أحد غيرك إلا عمي " (2) ، ثم قال الإمام بعد ذلك: أي شخص أحق برسول الله صلى الله عليه وسلم حال حياته وحال وفاته مني. قال ابن أبي الحديد: ورواه من هذا الكلام. أنه أحق بالخلافة بعده. وأحق الناس بالمقولة منه. حيث كان بتلك المقولة منه في الدنيا (3) ، ثم أروهم فقال: فانفوا إلى بصائرهم. أي أسعوا إلى الجهاد على عقائدكم التي أنتم عليها. ولا يدخلن الشك والريب في قلوبكم. ثم بشوهم فقال: إني لعلى جادة الحق. وإنهم لعلى مقولة الباطل، قال ابن أبي الحديد:

كلام عجيب على قاعدة الصناعة المعنوية لأنه لا يحسن أن يقول: وإنهم لعلى

(1) ابن أبي الحديد 493 / 3.

(2) المصدر السابق، 497 / 3.

(3) المصدر السابق، 498 / 3.

جادة الباطل. لأن الباطل لا يوصف بالجادة " (1) .

وهكذا دلت الأحداث بعد مقتل عثمان. فلقد بايع الناس الإمام عليا وعقب المبايعه بدأت الإصلاحات العلوية التي بدأت بقرار عزل الأمراء ثم بدأت حركة الإصلاح تتسع فقام الإمام بالتسوية بين الناس في الأموال وتعديل نظام الخواج فأعاد الحقوق للمقاتلة ثم بدأت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم تتسع وبدأ القص والقصاصون في ركوب نوابهم للاتجاه نحو عالم النسيان، وبينما كانت حركة الاصطلاح تسير قطع الناكثون الفلرون من بني أمية والعروةة عليها الطويق. وكانت حركة المعارضة عليها تحذير من النبي صلى الله عليه وسلم لعلمهم ورجعون ولكن الكلاب نبحت ومارجعوا. وكانت حركة الإصلاح عليها تبشير من النبي صلى الله عليه وسلم وفيها علامات واضحة. وكان حتما أن يواجه الناكثون خاصف النعل في ميدان القتال. وكانت المعرك أيضا عليها علامات من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(1) المصدر السابق 498 / 3.